خطب الجمعة

الشرفاوي

توثيق وتحقيق

المجلد الثاني عشر

الجزء الأول

١٤٣٧هـ-١٤٣٨هـ

العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية

مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات

العنوان: خطب الجمعة / توثيق و تحقيق/ المجلد الثاني عشر/ الجزء الاول

النّاشر: العتبة العبّاسية المقدَّسة – مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات

الإعداد: قسم الموسوعات و المعجمات

التحقيق: شعبة الدراسات و النشرات

التصميم و الاخراج : حسين عقيل – حسين شمران

عدد النّسخ: ٥٠٠

رقم الايداع في دار الكتب و الوثائق العراقية ٢٦١١ لسنة ٢٠١٦م

حقوق النَّشر والتَّوزيع محفوظة للعتبة العبَّاسية المقدَّسة
مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات.

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا

إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة

فاسعوا إلى ذكر الله

صدق الله العلي العظيم

العتبة العباسية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية. مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات.
قسم الموسوعات والمعجمات
خطب الجمعة. الجزء الثاني عشر : توثيق وتحقيق لسنة (٢٠١٦م)- (١٤٣٧-١٤٣٨هـ) / اعداد مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات، قسم الموسوعات والمعجمات.- الطبعة الاولى.- كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات، قسم الموسوعات والمعجمات، ١٤٣٨ هـ. =٢٠١٧.
مجلد ؛ ٢٤ سم
المصادر.
١. خطبة الجمعة. ٢. الخطب الدينية الإسلامية--الشيعة. ٣. الوعظ والإرشاد. الف. العنوان.

BP183.6 .A9 2017 VOL. 12 PT.01-02

مركز الفهرسة ونظم المعلومات

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي العظيم حمدَ العارفين بآلائه وآياته والصلاة والسلام على نبينا وحبيبنا وشفيعنا وهادينا سيد المرسلين مُحَمَّدٍ وعلى آله أئمة الهدى وسفن النجاة المعصومين الهداة

أمّا بعدُ :

فإنّ العهد منّا يتجدّد لمرجعيتنا الأمينة على مواصلة العمل الجادّ لتوثيق خطب الجمعة وتحقيقها في خطة مرسومة لفريق العمل الذي يواصل الليل بالنهار لإنجاز مهمات النسخ والتحقيق والمراجعة اللغويّة وقد استطعنا بعونه تعالى إصدار المجلدين الأول والثاني لخطب الجمعة في عام ٢٠١٥ م والمجلد الأول والثاني لخطب الجمعة في عام ٢٠١٤ م وها نحن نصدر بعد جهود متواصلة خطب الجمعة في عام ٢٠١٦م وهو العام الذي أينعت فيه ثمار فتوى الدفاع المقدَّس وآتت أكلها بانتصار الحقّ على قوى الظلام التي أرادت طمس معالم الدين القويم وإشاعة الفكر الإرهابي في العالم وعاثت في الأرض فساداً وأحرقت الحرث واليابس لكنّ فتوى المرجعية الدينية العليا في النجف الاشرف بالدفاع المقدَّس عن الدين والمقدّسات أبطلت سحرهم وأوقفت سيل خرافاتهم وأباطيلهم فتحررت مدن العراق الواحدة تلوَ الأخرى وها هي الموصل ومدن العراق الأخرى ترى النور

من جديد بجهاد القوات المسلحة العراقية وتضحيات الحشد الشعبي الذي تأسّس بفضل تلك الفتوى المباركة لتحرير الأرض والعِرض من دنس الدواعش المجرمين.

إنّ إنجاز خطب عام ٢٠١٦م يعدّ حافزاً قويًّا لنا لمواصلة الجهود لإنجاز السنوات الأخرى في مجلدات تضع بين أيدي الباحثين موضوعات فقهية وأصولية وتاريخيّة وعقيديّة وسياسيّة واقتصاديّة تصلح للدراسة والبحث والاستنباط لما تناولته الخطب من موضوعات لها أهمية كبيرة في الفكر الإسلامي لأنّها موضوعات اعتمدت منهج الأئمة المعصومين عليهم السلام في معالجة القضايا الفكرية وأوضحت جوانب من فكرهم الإسلامي الأصيل الذي يجدّد ما جاء به جدّهم محمد -صَلَّى الله عليه وآله- ويلقي الأضواء على النصوص القرآنيّة الكريمة بحسب القصد الإلهي لما وصفهم به رسول الله صَلَّى الله عليه وآله من أنّهم الثقل الآخر للقرآن الكريم.

وهذا الجانب المهم الذي تحمله خطب الجمعة تفتقر إليه الدراسات في الوطن الإسلامي افتقاراً شديداً لجفوة الباحثين فكر الأئمة المعصومين عليهم السلام عن قصد أو غير قصد فأضاعوا ثروة فكرية عظيمة وأهدروا نصوصًا مقدسة عظيمة ومن هذه الخصيصة النادرة والمهمة وهي إحياء منهج الأئمة المعصومين عليهم السلام يكتسب مشروعنا بتوثيق الخطب وتحقيقها أهميّة خاصة ويحمل سمات متميّزة .

ولا شكّ في أن هذا المشروع لم يكن ليرى النور لولا الرعاية الكريمة من لدن سماحة المتولي الشرعي للعتبة العباسية السيد أحمد الصافي دام عزّه ومن لدن رئيس قسم الشؤون الفكرية والثقافية سماحة السيد ليث الموسوي دام توفيقه.

ندعو الله تعالى أن يوفّقنا لمواصلة المسير لإنجاز هذا المشروع والمشاريع الأخرى التي نسعى إلى إنجازها على أكمل وجه خدمة لعقيدتنا وديننا ولنيل رضى الله تعالى ولكي نحظى ببركات أوليائه ومن الله التوفيق.

رئيس قسم الموسوعات والمعجمات

خطب الجمعة

لشهر

كانون الثاني
٢٠١٦م

ربيع الأول
ربيع الثاني
١٤٣٧هـ

الجمعة ٢٠ ربيع الأول
١ كانون الثاني
بإمامة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

الجمعة ٢٧ ربيع الأول
٨ كانون الثاني
بإمامة سماحة السيد أحمد الصافي

الجمعة ٤ ربيع الثاني
١٥ كانون الثاني
بإمامة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

الجمعة ١١ ربيع الثاني
٢٢ كانون الثاني
بإمامة سماحة السيد أحمد الصافي

الجمعة ١٨ ربيع الثاني
٢٩ كانون الثاني
بإمامة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

الجمعة ٢٠ ربيع الاول ١٤٣٧ هـ
الموافق ١ كانون الثاني ٢٠١٦ م

بإمامة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

نصّ الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ألهم الخلق أن تعبده، ووجّه الفطرة أن تثبته وتوحّده؛ فاستوجب الحمد بإلهامه، وضاعف به ضروب إنعامه، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، أوحّده عمّن سواه، وأنزّهه عمّا لا يرضاه، وأشهد أنّ محمداً ﷺ عبده ورسولُه وصفوته من العوالم، وخيرته من خلقه، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله المعصومين من المآثم، المستجمعين للمكارم. أوصيكم عبادَ الله تعالى وقبل ذلك أوصي نفسي بتقوى الله تعالى، ومراقبته في ظواهركم وسرائركم؛ فإنّ المؤمن دائم الرقابة لربّه، دائم المحاسبة لنفسه، واعتبروا بأحوال الأمم من قبلكم ؛ لتصبروا على ما ابتلاكم الله تعالى به؛ فتفوزوا بعظيم الدرجات وجزيل المثوبة.

أيّها الإخوة والأخوات، سلامٌ عليكم جميعاً من ربٍّ رحيم غفور ورحمةٌ منه وبركات، ما زلنا في رسالة الإمام الصادق عليه السلام لشيعته ومحبّيه التي قال عنها عليه السلام : ((هَذَا أَدَبُنَا أَدَبُ اللهِ فَخُذُوا بِهِ وَتَفَهَّمُوهُ وَاعْقِلُوهُ وَلَا تَنْبِذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُم))[1]، نصل إلى هذا المقطع الذي يتحدّث فيه الإمام عليه السلام عن مسألة الابتلاء ابتلاء الله تعالى لعباده، وأنّ

١-الكافي: الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق علي أكبر الغفاري ، دار الكتب الاسلامية طهران ، ط٤ : ٨ / ١٢.

هذا الابتلاء يكون في الشدّة والرخاء، ويعلّمنا كيف نواجه هذا الابتلاء ، فيقول(عليه السلام) : ((فَتَدَبَّرُوا مَا قَصَّ اللهُ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِهِ مِمَّا ابْتَلَى بِهِ أَنْبِيَاءَهُ وَأَتْبَاعَهُمُ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ سَلُوا اللهَ أَنْ يُعْطِيَكُمُ الصَّبْرَ عَلَى الْبَلَاءِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ مِثْلَ الَّذِي أَعْطَاهُم))[1].

أيّها الإخوة والأخوات، في هذه الخطبة سنبين أن الابتلاء سنّة الله في الأرض، وأن لهذا القانون الإلهيّ الثابت حكمته وفلسفته، ثم نتحدّث عن ألوان الابتلاء، وما يكون منه في الشدّة والرخاء، ووسائل دفع هذا الابتلاء.

أوّلاً بيّنت الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة أنّ الابتلاء الإلهيّ بمعنى الاختبار والامتحان، سنّة الله في الأرض، وأنّ هذا القانون الإلهيّ لابُدّ منه لكلّ الأمم والشعوب، ولكلّ الأفراد مؤمنين وكافرين؛ لذلك ورد في الآيات القرآنية قوله تعالى: ((الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ))[2] لماذا؟ ((لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ))[3] ثم في آية أخرى: ((أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ))[4] إذن الابتلاء أمر لابُدّ منه؛ وهو شأن الحياة الدنيا، فهي دار ابتلاء واختبار خلق فيها الإنسان؛ لكي يختبره الله تعالى ويمتحنه كما بيّنت هذه الآية القرآنية. وأفضل البشرية وهم الأنبياء تعرضوا للابتلاء كما يذكر الإمام الصادق (عليه السلام) في رسالته . وتختلف درجة الاختبار وشدته من شخصٍ الى آخر.

أيّها الإخوة، إنّ المؤمن يمرّ بامتحاناتٍ متوالية في كلّ مراحل حياته، ولا تخلو الحياة من الاختبار، إذا تخلّص من ظالم أو من حاكم ظالم فلا يتصوّر أنّه تخلّص من الابتلاء، كلّا، فبعد أن يخلّص الله تعالى عباده المؤمنين من هذا الحاكم الظالم سيبتليهم بامتحان أشدّ من الامتحان الذي مروا به بتسليط الظالم عليهم، وكلّما زيدَ في إيمان

١- الكافي: ٨/ ١٣.
٢- الملك:٢.
٣- الملك:٢.
٤- العنكبوت: ٢-٣.

الإنسان زيدَ في بلائه، كما ورد في الحديث الشريف؛ إنّما نذكر هذه الأمور لكي نوفّر لأنفسنا الاستعداد والتهيّؤ للنجاح في هذه الاختبارات والامتحانات، كما هو حال الطالب لابُدّ أن يستعدّ ويتهيّأ للنجاح في الاختبار، ولذلك وسائل سنبيّنها من اجل النجاح في هذا الاختبار.

أيّها المؤمنون أيّتها المؤمنات، إذا زيد في بلائكم اكتشفوا من هذه الابتلاءات وتزايدها أنّ لكم مرتبةً عند الله تعالى أراد أن يختبركم من خلال هذا الابتلاء، فلا يتصوّر المؤمن أنّ هذا الابتلاء نقمة بل هو نعمة من الله تعالى، لذلك ورد في الحديث الشريف: ((أَنَّ أَشَدَّ النَّاس بَلَاءً النَّبِيُّونَ ثُمَّ الْوَصِيُّونَ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ))[١]، فأفضل الناس – وهم الأنبياء – أشدّهم ابتلاءً ومواجهةً للأذى والمشاكل، ((وَيُبْتَلَى الْمُؤْمِنُ بَعْدُ عَلَى قَدْرِ إِيمَانِه وَحُسْنِ أَعْمَالِهِ فَمَنْ صَحَّ إِيمَانُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ وَمَنْ سَخُفَ إِيمَانُهُ وَضَعُفَ عَمَلُهُ قَلَّ بَلَاؤُه))[٢]. وفي حديث عن الإمام الكاظم عليه السلام يقول: ((الْمُؤْمِنُ مِثْلُ كَفَّتَي الْمِيزَانِ كُلَّمَا زِيدَ فِي إِيمَانِهِ زِيدَ فِي بَلَائِهِ))[٣] هاتان الكفّتان نضع في إحداهما الإيمان ،وفي الكفّة المقابلة الابتلاء؟ فإذا زادت كفة الإيمان زادت كفة الابتلاء؛ لذلك حينما يرى الإنسان المؤمن تتابع الابتلاءات عليه، لا يخرج من ابتلاء حتى يدخل في آخر فلا يظننَّ أنه انتقام فيضجر منه، بل ذلك نعمة من الله تعالى لكي يرفع منزلته ولأسبابٍ أخرى.

إذن أيّها الإخوة والأخوات، الابتلاء أمر لابُدّ منه وهي سنّة الله تعالى جرت على جميع الأمم والشعوب وعلى جميع أفراد البشر، فما الغرض من الابتلاء؟ وما حكمته؟ نذكر هنا بعض الأهداف التي وردت في الآيات القرآنية.

أولا : أن تظهر حقيقة الإيمان وحقيقة الصفات الإيمانية، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك، فالله تعالى لا يكتفي من عباده أن يدّعوا أنّهم مؤمنون وأنّهم على

١-الكافي: ٢/ ٢٥٩.
٢-م. ن: ٢/ ٢٥٢.
٣-تحف العقول: ٤٠٨، الأمالي، للطوسي: ٦٣١.

استعداد للجهاد والتضحية في سبيله ، والصبر والتوكّل عليه ،وغير ذلك من الصفات؛ بل المطلوب أن يُظهر حقيقة الإيمان وأن تظهر هذه الصفات، ومثال ذلك الطالب الذكي المجتهد في دروسه، هل يُكتفى بذلك لكي يُعطى درجة عالية في النجاح؟ كلّا، لابُدّ أن يُعرض الى الامتحان لتظهر حقيقة اجتهاده ، وحقيقة فهمه للمواد فيُعطى هذه الدرجة التي يستحقّ ، وفي ضوئها يقبل مثلاً في كلية معينة، ويستحقّ في ضوئها أن يُعطى مسؤوليةً وموقعاً في المجتمع، فلا يُكتفى بأن يقال: إنّ فلاناً مُجِدٌّ وذكيّ بل لابُدّ من الامتحان، كذلك المؤمنون ،ففي زمن الإمام الحسين(عليه السلام) كثير من الناس، عشرات الآلاف بل ربّما مئات الآلاف يدّعون أنّهم محبّون للإمام الحسين(عليه السلام) وأنّهم موالون، هل يُكتفى بهذا الادّعاء لكي ينالوا الجنّة والمراتب العُليا فيها؟ كلّا، لا بد من يتعرضوا للامتحان والاختبار. سيكون الإمام الحسين(عليه السلام) في مواجهةٍ مع الظالمين والمستبدّين، وتتطلّب هذه المواجهة الجهاد والصبر والتضحية بالنفس والمال والحياة الدنيا والزوجة والأولاد والقتل في سبيل الله تعالى، فمن يكون مستعدّاً ويُظهر هذا الاستعداد سينال الجنّة والمرتبة الرفيعة، لذلك نجح القليل وسقط الكثير في هذا الاختبار . نُعطي مثالاً آخر من الوقت الحاضر: يُسلّط ظالم عليكم في هذا البلد أو غيره من البلدان، مَنْ منكم سيركنُ الى الظالمين؛ لأنّه على غير استعداد أن يضحّي بدنياه وما شاكل ذلك، ومن منكم على استعداد أن يضحّي بالدنيا فلا يركنْ الى الظالمين، ويخسر الكثير من دنياه وماله وموقعه، وامتيازاته ،ويتحمّل الظلم، ويصبر حتى يظهر حقيقة الإيمان؟ وإذا تخلّصت من الظالم سيأتيك ابتلاء آخر ستكون هناك عصابات داعش، مَنْ منكم صادق في زيارته وفي ادّعائه ((مُوَالٍ لِمَنْ وَالاكُمْ وَعَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاكُم))[1]؟ مَنْ منكم صادق حينما يقول: ((يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَكُمْ فَأَفُوزَ مَعَكُم))[2]؟ من منكم على استعداد أن يضحّي وأن يجاهد؟ هذه الصفات لابُدّ أن تظهر حقيقةً متجسّدة في ميدان العمل، من منكم على استعداد أن يجاهد؟ من منكم على استعداد أن يضحّي بدنياه؟ أن يفارق

١-كامل الزيارات، لابن قولويه جعفر بن محمد (ت٣٦٧)هـ، دار المرتضوية، النجف: ١٧٧.
٢-الامالي : ١٣٠.

زوجته وأولاده، وأمواله وتجارته، ومناصبه ومواقعه في الحياة الدنيا؟ من منكم على استعداد أن يصبر في ساحة المعركة . ففي المعركة هناك انتصار، هناك تراجع، قد تطول المعركة، من منكم على استعداد أن يعطي الشيء من ماله في سبيل أن يدعم المجاهدين؟ هنا تظهر حقيقة الإيمان، فالكثير ممّن يدّعي الإيمان وأنّه على استعداد لنصرة الإمام(عليه السلام) ونصرة أهل البيت ونصرة الحقّ والإسلام، ولكن في ميدان الواقع والمواجهة الحقيقيّة والتضحية يتراجع الكثير ويثبت القليل ، قد يعترض بعض على العطاء الالهي، فيقول لماذا أعطيت هؤلاء المنزلة الرفيعة من دوني ؟ الجواب: أن هؤلاء صدقوا في إيمانهم خرجوا للجهاد ضحّوا بكلّ شيء استُشهِدُوا، جرحوا وصبروا وثبتوا، أي أن حقيقة الإيمان قد ظهرت، وانكشفت هذه الصفات الإيمانية المطلوبة التي يتكامل بها الإنسان .

في زمن الإمام المهدي(عليه السلام) يدعو الناسُ: ((اللهم اجعلنا من أنصاره ومن مواليه))، إذا ظهر الإمام وطلب الأنصار ؛ لكي يقفوا معه ويواجهوا أعداءه ويقاتلوا ويضحّوا بأنفسهم، مَنْ هو على استعداد أن يضحّي ؟ لابُدّ أن يختبر مدى صدقنا في دعوتنا هذه ، ويتّضح مَنْ هو الصادق في إيمانه وموالاته، حتى يكون دخول الجنة والفوز بالمرتبة الرفيعة جاء ذلك باستحقاق، ويكون الحساب والعقاب باستحقاق أيضاً، قال تعالى: ((أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ))[١]، في آيةٍ آخرى: ((حَتَّى يَتَبَيَّنَ))[٢]، أي يحصل علم ظهور، فالله تعالى يعلم، ولكن العلم هنا في الآية علم ظهور، أي حتى يُظهر للإنسان وللآخرين أنّ فلاناً صادق وأنّ فلاناً كاذب، أنّ فلاناً مجاهد، وأنّ فلاناً صابر، وأنّ فلاناً يتوكّل على الله تعالى، وفلانا لا يتوكّل على الأسباب المادية، فلان لديه حسنُ ظنٍّ بالله تعالى، لديه ثقةٌ بالله تعالى، هذه الصفات حتى تظهر ويستحقّ في ضوئها الإنسان رضا الله تعالى وهذه المرتبة؛ لا بُدّ من الاختبار.

ثانياً: من الأسباب الأخرى للابتلاء كما ورد في الآية القرآنية :((مَا كَانَ اللهُ

١-العنكبوت: ٢.
٢- البقرة: ١٨٧.

لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ..))[1]، فما أكثر من يدّعي حبّ الإمام الحسين عليه السلام ومولاته ، ولكن في مواطن الاختبار؛ لا يظهر صدق هذا الولاء والحبّ للإمام الحسين عليه السلام ، تجده ليس على استعداد أن يضحّي بمقدارٍ بسيط من المال، أو بشيء يسير من راحته وماله وحياته ومواقعه وامتيازاته في سبيل أن ينصر الإمام الحسين عليه السلام ، يقول الإمام الحسن (عليه السلام) في هؤلاء: ((إِنَّ النَّاسَ عَبِيدُ الدُّنْيَا وَالدِّينُ لَعْقٌ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ مَعَايِشُهُم)) يعني التديّن على لسانهم فقط، ((فَإِذَا مُحِّصُوا بِالْبَلَاءِ قَلَّ الدَّيَّانُون))[2]، فالحكمة الثانية من الابتلاء هي التنبيه والإيقاظ. كثيراً ما يبتعد الإنسان عن الله تعالى فيرتكب معاصي وذنوباً ، أو أحياناً يضعف إيمانه وتقلّ عباداته لأسباب معيّنة ، ويقلّ تضرّعه الى الله تعالى، لذا يعرّضه الله تعالى إلى بعض الأمور البسيطة فلا يراه ينتبه إلى أنّه ارتكب معاصي أبعدته عن الله تعالى، فيشدّد الله تعالى لإرجاعه عما فيه، وليوقظه من غفلته وليبتعد عن المعاصي ويقترب من الله تعالى ويتضرع إليه ؛ لذلك حينما تمرّون ببعض المشاكل والهموم والابتلاءات والمصائب ، التفتوا إلى أنفسكم ، قولوا في أنفسكم : هناك معصية ، وهناك ذنب ، أو هناك تعلّق بالدنيا ،هناك ابتعاد عن الله تعالى عليّ أن أعود. بل ورد في بعض الروايات حتى الوخزة البسيطة للإنسان يريد الله تعالى أن ينبّه الإنسان بها على أنّ هناك شيئاً يرتكبه من المعصية أو الذنب أو الابتعاد عن الله تعالى، ويريد الله تعالى أن تعود إليه.

ثالثاً : من الأهداف المهمّة للابتلاء الإعداد والتأهيل وصقل المواهب وتنميتها، فالصبر ،والتوكّل والثقة بالله تعالى ، والجهاد والتضحية هذه صفات تكاملية، يريد الله تعالى أن يؤهّل الإنسان المؤمن اليها ويتّصف بها وتترسّخ فيه وتُصقل ؛ لأنّ المرتبة العالية من الرضا والثواب عند الله تعالى تعتمد على هذه الصفات وظهورها، فالإنسان الذي ليس لديه صفة الصبر أو صبره ضعيف يريد الله تعالى أن يرسّخ هذه الصفة عنده،

١-الانفال: ٣٧.
٢-تحف العقول: ٢٤٥، بحار الأنوار: ٤٤/ ٣٨٣.

فيبتليه ببعض الابتلاءات لكي يستعدّ ويتأهّل مرتبة، فإن كانت لديه هذه الصفة يجعلها مَلَكة راسخة وثابتة ؛ لكي يُكتب من الصابرين ، ويُعطى الأجر في الجنّة في ضوء هذه الدرجة وظهورها عند الله تعالى.

نأتي الآن إلى المبحث الثالث، وهو ألوان البلاء، ونقتصر على ذكر ألوان البلاء التي يختبر بها المؤمنون.

منها: الابتلاء بالخوف، والجوع، ونقص الأموال والأنفس والثمرات، هذا نوع من الابتلاء أشار إليه قوله تعالى: ((وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ))[1]، أحياناً يبتلي الله تعالى عباده بخوفٍ أو بجوعٍ أو بغير ذلك مما ذكر حتى يرجع الإنسان ويلتجئ الى الله تعالى، لأن الإنسان المبتلى يعود الى الله تعالى ويتضرّع وتظهر منه صفة الصبر، هذا الظهور هو الذي يريده الله تعالى لكي يمنحه هذه الصفة.

ومن أنواع الابتلاء، الابتلاء بالكفار، وهذا أيضاً من الابتلاءات التي ربّما نُبتلى بها في الوقت الحاضر، وابتُلي بها المسلمون في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وهو أنّ المؤمنين في معركة مع كفّار أو ظالمين أو ضالّين ممن يدّعون الإسلام وهم بعيدون عنه ، ولديهم قوّة المال والسلاح، ولديهم تطوّر تقني تكنولوجي ، وتطوّر في ميادين الحياة الأخرى، هنا يجعل بعض مَنْ ضعف إيمانه الاقتدار والنصر مرهوناً بالأسباب المادّية، أما المؤمن الحقيقي فيرهن النصر بالتأييد الإلهي، فالمتوكل على الله تعالى يقول: أنا لا أُبالي مع أنّه ليس لديّ رجال وسلاح وتطوّر وإمكانات، أنا أواجه هؤلاء الكفّار ،أواجه هؤلاء الأعداء ؛ لأنّ الله تعالى معي. آخر يقول: لا، ليس لديّ سلاح، ورجال، وقوّة وتطوّر فلا أتمكّن بسبب هذا النقص المادّي والأمور الظاهرية أن أواجه هؤلاء. هنا يتبيّن المؤمن من غير المؤمن، المؤمن القويّ من المؤمن الضعيف، هذا نوع من الابتلاء. نحن الآن في معركتنا مع من يدّعي الإسلام وهو بعيد كلّ البعد عن الإسلام، تجد أنّ هؤلاء

١-البقرة: ١٥٥.

يُمَدُّون بالسلاح والإسناد من مختلف الجهات، ونحن ـ ربّما ـ أحياناً ليس لدينا مثل هذا الاستعداد، قد نواجه أحياناً نصراً وأحياناً نواجه تراجعاً، قد تطول المعركة ،هل نحن على استعداد بثقتنا بالله تعالى وتوكّلنا عليه أن نديم هذا القتال ونصبر ونتحمّل إلى أن يأذن الله تعالى بالنصر؟ يقول الله تعالى: أنا قادر على نصركم لكن أريد أن أراكم، أريد أن أختبر مدى تحمّلكم ومدى ثباتكم ،ومدى قوّة اعتقادكم بالله تعالى، لذلك وصف القرآن الكريم هذه الحالة بقوله : ((إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا))(١)، أي لديهم قوة تفوق قوتكم ((هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا))(٢)، وفي آيات أخرى يقول الله تعالى: أنا قادر نصركم لكن أريد أن أختبركم ((وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ))(٣)، وربّما يواجه بعض المسلمين حاكماً ظالماً، وتطول مدّة ظلمه، ويواجه المؤمنون أشكال التعسّف والإرهاب والتضييق عليهم وتطول المدّة، هنا يُبتلى المؤمنون ، هل هم على استعداد أن يثبتوا ويصبروا ويتحمّلوا؟ وهنا تظهر حقيقة الإيمان ومرتبته لدى هؤلاء المؤمنين.

ومن الابتلاءات الأخرى التي يُبتلى بها الإنسان ضيقُ المعيشة والفقر أو الأمراض كما ورد في هذا الحديث عن الإمام الصادق(عليه السلام) : ((كُلَّمَا ازْدَادَ الْعَبْدُ إِيمَاناً ازْدَادَ ضِيقاً فِي مَعِيشَتِهِ))(٤) لذلك من يُبتلى بالفقر وضيق المعيشة فلا يتصوّر أنّ هذا سخط وانتقام من الله تعالى بل هو ابتلاءٌ يريد الله تعالى أن يختبر به صبره، وقد يُبتلى الإنسان أحياناً بالأمراض والعلل والأسقام بفقدان حاسّة من حواسه كحاسة البصر أو حاسّة السمع؛ لذلك ورد في كثيرٍ من الأحاديث : ((ذهابُ البصر مغفرة للذنوب، وذهاب السمع مغفرة الذنوب، وما نقص من الجسد فعلى قدر ذلك))(٥).

١-الاحزاب: ١٠.
٢-الاحزاب: ١١.
٣-العنكبوت: ٢٥.
٤-الكافي: ٢/ ٢٦٢.
٥-كنز العمال: المتقي الهندي(ت ٩٧٥هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ـ لبنان ١٤٠٩هـ : ٣/ ٢٧٧.

ومن الابتلاءات التي يُبتلى بها المؤمنون أيضاً ابتلاء التأديب، ما هو ابتلاء التأديب؟ قد يبتعد الإنسان عن الله تعالى ويرتكب معصية أو يقلّ إيمانه، فيؤدّبه الله تعالى بهذا الابتلاء لكي يعود اليه.

ومن جملة ذلك نقص الثمرات، وحبس البركات كما ورد في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: ((إِنَّ اللهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ وَحَبْسِ الْبَرَكَاتِ وَإِغْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ لِيَتُوبَ تَائِب))[1] فهذا الابتلاء خيرٌ نعمةٌ من الله تعالى لنا ((لِيَتُوبَ تَائِبٌ وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِر)).

ومن جملة الابتلاءات تسليط الأشرار والظالمين ، فإذا ضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ابتلاكم الله تعالى بأن يسلّط عليكم الأشرار والظالمين، لذلك ورد في الحديث: ((لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُسْتَعْمَلَنَّ عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ، فَيَدْعُو خِيَارُكُمْ، فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُم))[2].

من جملة الابتلاءات توالي الأضرار المقصود منها غلاء الأسعار، وقصر الأعمار، وخسران التجارة، وحبس البركات، والأمراض، لذلك ورد في الحديث عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله): ((إِذَا غَضِبَ اللهُ عَلَى أُمَّةٍ وَلَمْ يُنْزِلْ بِهَا الْعَذَابَ غَلَتْ أَسْعَارُهَا وَقَصُرَتْ أَعْمَارُهَا وَلَمْ تَرْبَحْ تُجَّارُهَا وَلَمْ تَزْكُ ثِمَارُهَا وَلَمْ تَغْزُرْ أَنْهَارُهَا وَحُبِسَ عَنْهَا أَمْطَارُهَا وَسُلِّطَ عَلَيْهَا شِرَارُهَا))[3].

وأشار الإمام الصادق عليه السلام في رسالته- بعد أن ذكر ابتلاء الشدة- إلى النوع الثاني من الابتلاء وهو أشد خطراً وهو ابتلاء الرخاء، فماذا يعني؟ فقد يخلّص الله الأمّة من الظالم، ويفتح لها البركات من الأموال، ويعطي للمؤمنين السلطة والمناصب، ويمكّنهم من الأموال والثروات ليبتليهم ويختبرهم، قد يُعطي أحياناً إنساناً أموالاً

١-شرح نهج البلاغة: ٩/ ٧٦.
٢- م. ن: ٩/ ٧٦.
٣-الكافي: ٥/ ٣١٧.

وأولاداً، وربحاً في تجارته، وقوّة جسدية، ووجاهة وسلطة وغير ذلك من الأمور، لماذا؟ من أجل الاختبار، هذا الاختبار أشدّ من ذلك الاختبار (اختبار الشدة)؛ لأن الإنسان في اختبار تسليط الظالمين يتوجّه الى الله تعالى، فإذا ما أعطاه سلطة ومالاً نسي الله تعالى؛ لأنّ الدنيا أقبلت عليه فركن اليها، هذه المناصب والكراسي والأموال والثروات أحياناً تُنسي الإنسان الله تعالى ويبتعد عنه، يقول الله تعالى له: سأعطيك سلطة ومالاً ، وثروات وتجارة رابحة ، وأعطيك أشياء كثيرة أريد أن أعرف منك الشكر، هل ستشكر الله تعالى؟ هل ستستخدم هذا الرخاء ، وهذه النعم في طاعة الله تعالى وفي أمور مشروعة؟ هل ستحسن التصرّف بهذه النعم ، والأموال والسلطة وتستخدمها في منفعة الآخرين، أو تستخدمها في المعاصي؟ وقد تؤدّي بك الى البطر والترف والإسراف وغير ذلك من المعاصي، قد تؤدّي بك الى الانكباب على الدنيا والتعلّق بها فتبتعد عن الطاعة وتركن الى الدنيا وما أخطر ذلك! نحن الآن نمرّ بهذه الحالة أو بمثل هذه الاختبارات، الاختبار الأشدّ أنّ يفتح الله تعالى على الإنسان أبواب هذه البركات، ويريد أن يعرف الله تعالى من هذا الإنسان شكر هذه النعم، وأن يستخدمها في طاعته وخدمة الناس بالإحسان الى الآخرين، لا أن يستخدمها لشهواته ونزواته ورغباته ومصالحه الخاصّة. هذا الابتلاء أشدّ من ذلك الابتلاء؛ لذلك ورد في كثيرٍ من الأحاديث التحذير من مثل هذه المرحلة، وعلى الإنسان أن يلتفت فربّما ينجح هناً، في ذلك الاختبار أو يفشل في هذا الاختبار؛ لذلك علينا أن نلتفت الى هذا الأمر.

أختم هذا الحديث الذي ورد عن الإمام الصادق عليه السلام ، وهنا يأتي السؤال: كيف يُمكن أن ننجح في هذا الاختبار؟ من جملة ذلك أن نعتبر هذه الابتلاءات وهذه المصائب وهذه الهموم وهذه الكربات التي تنزل علينا إنّما هي نعمةٌ من الله تعالى وليست نقمة، لذلك الإمام الصادق عليه السلام يقول: ((لَنْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ حَتَّى تَعُدُّوا الْبَلَاءَ نِعْمَةً وَ الرَّخَاءَ مُصِيبَة))[1]، إذا عددناها نعمة وتفهّمنا وتدبّرنا كما في مضمون كلام الإمام الصادق عليه السلام : تدبّروا حينما تقرأون آيات القرآن، لاحظوا الله تعالى كيف ابتلى الأنبياء الذين هم

١- تحف العقول: ٣٧٧.

أفضل البشر؟ كيف ابتلى عباده الصالحين أشدّ الابتلاءات، فصبروا وتحمّلوا وواصلوا الطريق الى آخر حياتهم، فعلى الإنسان أن يتحمّل ويصبر حتى يصل الى الهدف، لذلك يدعونا الإمام عليه السلام إلى أن نتدبر يقول: تدبّروا تأمّلوا قليلاً، تفكّروا حينما تقرأون قصص الأنبياء، فيقول الإمام عليه السلام : ((فتدبّروا ما قصّ الله عليكم في كتابه ممّا ابتلى به أنبياءه وأتباعهم المؤمنين، ثم سلوا الله...)) . ومن الوسائل المهمة للنجاح في الاختبار الدعاء، عليكم بالدعاء، أكثروا من الدعاء والاستغفار: ((ثُمَّ سَلُوا اللهَ أَنْ يُعْطِيَكُمُ الصَّبْرَ عَلَى الْبَلَاءِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ مِثْلَ الَّذِي أَعْطَاهُم))[1] هذا الذي أعطاهم ، ووصلوا به الى هذه المرتبة الرفيعة سلوا الله تعالى أن يعطيكم مثله.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الصابرين والمتوكّلين عليه الذين يظنّون به الظنّ الحسن إنّه سميعٌ مجيب. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على محمدٍ وآله الطيّبين الطاهرين.

١-الكافي: ٨ / ١٣.

الجمعة ٢٠ ربيع الاول ١٤٣٧ هـ
الموافق ١ كانون الثاني ٢٠١٦ م

نصّ الخطبة الثانية

أيها الإخوة والأخوات أود أن اعرض على مسامعكم الكريمة الامرين الآتيين:

الأمر الأوّل:

لقد تحرّر في الأيام الأخيرة معظم مدينة الرمادي مركز محافظة الأنبار، وقد سطّر فيها مقاتلو القوّات المسلّحة ومن يساندهم من مقاتلي العشائر الأصيلة ملاحم البطولة والتضحية التي عكست ما يتحلّى به هؤلاء المقاتلون الشجعان من مقوّمات الانتصار بامتلاك الإرادة الوطنية والعقيدة الدينيّة للدفاع عن العراق ومقدّساته مهما غلت التضحيات، إنّ هذا الانتصار الكبير إنّما هو حصيلة تضحيات وبطولات الآلاف من أحبّتنا في الجيش والشرطة الاتّحادية وأبناء العشائر الغيورة، فضلاً عمّا مهّد له أعزّتنا من المتطوّعين ورجال العشائر بمختلف عناوينهم في الأشهر السابقة، إذ دارت معارك شرسة امتدّت على مساحات واسعة في المناطق المحيطة بمدينة الرمادي استنزفت كثيراً من قدرات عصابات داعش الإرهابية، ويأتي هذا الانتصار المهمّ ليفنّد مزاعم من يدعي عدم امتلاك الجيش العراقي إرادة القتال وأنّه لا يتمكّن من تحقيق تقدّم مهمّ على الأرض، فقد ثبت أنّه متى توفّرت القيادة الحكيمة والشجاعة وتهيّأت المعدّات الضرورية لأيّة معركة وإن كانت كبيرة ؛ فإنّ رجال القوّات المسلّحة ومن يساندهم من المقاتلين الآخرين سيخوضونها بكلّ ما أوتوا من عزمٍ وإرادة، وسيكون الانتصار

حليفهم لا محالة، ونحن إذ نبارك لهؤلاء الأبطال انتصارهم على الإرهابيّين ونبدي حزننا وأسفنا لما تسبّبت فيه المعارك الأخيرة من دمار مناطق واسعة من مدينة الرمادي؛ نحثّ القيادات العسكرية في قوّاتنا المسلّحة ومن يساندهم من المتطوّعين ومقاتلي العشائر وأبناء المناطق الرازحة تحت سطوة عصابات داعش على أن يستثمروا ظروف الهزيمة النفسية والعسكرية لهذه العصابات ليضعوا وينفّذوا خططاً محكمةً لتحرير بقية المناطق، خصوصاً المدن المهمّة لكي تخلّصوا أهاليها وتفوّتوا الفرصة على بعض الأطراف في محاولتهم تحقيق مكاسب غير مشروعة في العراق بالتحكّم ببعض مناطقه، ومع انقضاء عام وبدء عام جديد يجدر بالجميع أن يستلهموا الدروس والعبر ممّا مرّ على العراق والمنطقة برمّتها في السنين السابقة وبهذا الصدد نذكر أموراً:

١. قد آن الأوان للأطراف الداخلية والخارجية التي حاولت أن تتّخذ من العنف وسيلةً لتحقيق أهدافها السياسية من خلال استهداف المدنيّين بالسيارات المفخّخة والعبوات الناسفة والمجرمين الانتحاريّين لغرض إشاعة الفوضى وإشغال الأجهزة الأمنية وتعطيل العملية السياسية، ثم جرّبت الظاهرة الداعشية وسيلة لتحقيق هذه الأهداف وقد فشلت في كلّ ذلك، لقد آن الأوان لهذه الأطراف أن تعيد النظر في حساباتها وتترك هذه المخطّطات الخبيثة التي لم تؤدِّ ولا تؤدّي إلّا الى مزيدٍ من الدمار ووقوع أفدح الخسائر وأعظم الأضرار في الأرواح والممتلكات.

٢. لاشكّ أنّ بعض السياسات الخاطئة التي انتهجتها بعض الأطراف الحاكمة وسوء الإدارة وتفشّي الفساد قد وفّر أجواء مساعدةً لنموّ الظاهرة الداعشية وتفاقمها، ومن هنا فقد آن الأوان للقوى السياسية التي تُمسك بزمام السلطة أن تعزم على مراجعة سياساتها وأدائها للمدة السابقة، وأن تدرك أنّه لا سبيل أمامها لإنقاذ البلد من المآسي التي تمرّ به إلّا المساهمة في إقامة الحكم الرشيد المبنيّ على تساوي جميع المواطنين في الحقوق والواجبات.

٣. إنّ من الضروري لإعادة الاستقرار الى المناطق التي تحرّرت من الإرهاب الداعشي وضع خطّةٍ لإعمارها، خصوصاً البنى التحتية والخدمات الأساسية كالمستشفيات والمدارس ومحطّات الكهرباء والماء ونحوها، وأيضاً إعادة النازحين وفق آليةٍ يُنسّق فيها بين القوّات الأمنية وأهالي هذه المناطق وعشائرها بما يضمن عدم تمكين العصابات الإرهابية من العودة اليها من جديد وتشكيل خلايا نائمة يمكن أن تشكّل خطراً عليها وعلى ما جاورها من المناطق.

الأمر الثاني:

تتوالى شكاوى أهالي محافظة البصرة وغيرها من استمرار النزاعات العشائرية المسلّحة التي تخلّ بالأمن والاستقرار ويذهب ضحيّتها العشرات من المواطنين الأبرياء الذين لا دخل لهم بارتكاب جرائم القتل وغيرها، ولكن يتمّ استهدافهم لكونهم من أبناء عشيرة المجرم ونحو ذلك، ونحن إذ نجدّد إدانتنا واستنكارنا لهذه الممارسات المخالفة لجميع المعايير الشرعية والوطنية والأخلاقية ونؤكّد حرمة كلّ عمليات القتل والترحيل القسري ونحوها، ندعو القوّات الأمنية الى أن تُمسك بزمام الأمور وتمنع كلّ ما يخلّ بأمن المواطنين واستقرارهم أيّاً كان مصدره.

الجمعة ٢٧ ربيع الاول ١٤٣٧ هـ
الموافق ٨ كانون الثاني ٢٠١٦ م

- بإمامة سماحة السيد أحمد الصافي.
- نصّ الخطبة الأولى

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمدُ لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه أبي القاسم محمد وعلى آله الطيّبين الطاهرين. الحمد لله قريب الرحمة، سابغ النعمة، بديع الحكمة، نافذ القضاء، حسن البلاء، عظيم الكبرياء، الذي اصطفى أولياءه على جميع خلقه فأعلى قدرهم، وميّزهم بعظيم حبائه فرفع ذكرهم.

إخوتي أهل البصائر، أبنائي أهل الأمل الواعد، آبائي أرباب النصيحة والتوجيه، بناتي النجيبات الطيّبات، أخواتي المتعلّمات التقيّات، أمّهاتي المعلّمات الفاضلات، السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.. أوصيكم جميعاً - أيّها الإخوة - ونفسي الأمّارة بالسوء بتقوى الله تبارك وتعالى وامتثال أوامره والانزجار عن زواجره ونواهيه، والوثوق بعهده ووعده، فإنّه ((وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا)) [1]، رزقنا الله وإيّاكم موجبات رحمته والطمأنينة بذكره إنّه مجيب الدعاء.

من مقولةٍ لأمير المؤمنين عليه السلام - وهو الخبيرُ بمشاكل الدنيا والتخلّص منها، وعباراته عليه السلام تطفح بالحكم التي أرسلها في أكثر من مناسبة، وحاول عليه السلام أن يُحيطنا دائماً

١-النساء : ١٢٢.

بعنايةٍ خاصّة، ويوجّه ما استطاع الى ذلك سبيلاً الإنسان الى ما فيه صلاحُهُ، وفي الوقت عينه التحذير ممّا فيه هلاكُهُ – قولهعليه السلام : ((الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ لَا دَارُ مَقَرٍّ وَالنَّاسُ فِيهَا رَجُلَانِ رَجُلٌ بَاعَ [فِيهَا] نَفْسَهُ فَأَوْبَقَهَا وَرَجُلٌ ابْتَاعَ نَفْسَهُ فَأَعْتَقَهَا))[1].

هذه الأمور الكلّية والإشارات التي بيّنها عليه السلام تصبّ بالدرجة الأساس في مصلحتنا، وفي الوقت نفسه ينبّهنا على أنّ هناك مشاكل، وهذه المشاكل يُمكن للإنسان أن يحلّها بنفسه لو توجّه التوجّه الصحيح، ولو اتّبع تلك التعاليم التي أرسلها الله، وبيّنها تبارك وتعالى سواءً كان في كُتُبه أم على لسان رسله أم من خلال أوليائه. يُبيّن الإمامعليه السلام أنّ الدنيا هي عبارة عن حالة لربط بين شيئين، فهي دارُ ممرّ لابُدّ أن نسلكها شئنا أم أبينا، ودار الممرّ سيؤدّي بنا الى حالة من الاستقرار والمقرّ، وهذه الحالة ليست من باب توهين الدنيا وإنّما من باب معرفة حقيقتها، نحن لابُدّ أن نحبّ الدنيا بمقدار ما نتزوّد منها الى حالة المقرّ، وهذه الدنيا ما دُمنا فيها نحن نسير ونلتقط منها يميناً ويساراً ما يُعيننا أو–لا سمح الله– ما يُرهقنا إذا استقررنا في ذلك المقرّ الذي لابُدّ لنا منه.

ولعلّنا نسمع بهذه المقولة كثيراً ونتحدّث بها فهي كلمةٌ سريعة الحفظ، يمكن أن يحفظها الكبير والصغير، لكن الغور الى عمق ما يُريد أن يبيّن الإمامعليه السلام يحتاج الى توفيق وتنبيه وتأمّل، والإنسان قادر على أن يتأمّل في هذه الكلمات ثم بعد ذلك يتعامل معها تعاملَ المدرك لحقيقتها. وقد مهد الإمامعليه السلام لهذه القاعدة ((الدُّنْيَا دَارُ مَمَر))، ثم بيّن النتيجة في جانبين: ((وَالنَّاسُ فِيهَا رَجُلَان)) المقصود توجّهان ،ولا خصوصية للرجل أو أن المرأة غير مشمولة، لكن الإمام يبيّن أنّ هذا التوجّه ينقسم على هذين الاتّجاهين، ما هذان الاتّجاهان؟ يقول: (رجلٌ باع نفسه فأوبقها) أوبقها يعني :أهلكها، لكن ، من المشتري؟! الإمامعليه السلام يقول: (رجلٌ باع...)، كأنّه عندنا سلعة، وهذه لابُدّ أن تكون ثمينة ؛ لأنّ الإمامعليه السلام يعبّر عنها بـ(النفس)، والنفس ثمينة عندنا، كلٌّ منّا يبخل بنفسه

١–شرح نهج البلاغة: ١٨/ ٣٢٩.

إلّا في مواطن الفائدة؛ ولذلك أعزّ شيءٍ عند الإنسان هي هذه النفس لكن يُمكن أن يُعطي ويجود بهذه النفس إذا كانت هناك غاية كبرى، بحيث ترتفع بهذه النفس أخرويّاً الى مصافٍّ أخرى، كالمجاهد في سبيل الله الذي يجود بهذه النفس ؛لأنه وجد أنّ الجود بهذه النفس ستترتّب عليه فوائد جمّة، أقلّها أنه هو المستفيد إذا وصلنا الى دار المقرّ. الإمام يقول: (رجل باع نفسه) هذا الذي باع نفسه يضعه الإمام(عليه السلام) في الجانب السلبيّ بخلاف (ابتاع) في المقطع الثاني، فالجهاد يدخل في ضمن المقطع الثاني فهو ليس بيعاً وإنّما ابتياع، ويتحقق البيع عندما يهلك الإنسان نفسه ، وقد عبر عنه الإمام بـ(فأوبقها) –فأهلكها- . عندما يتأمّل الإنسان يرى أنّ دينه يؤكل منه ، وقد لا يعلم، أو قد يعلم لكنّه لا يشعر بخطورة ذلك، لو استعرضنا مجموعةً كبيرةً من الكبائر، نجد أن الناس متفاوتون في دافع اجتنابهم لها، لعلّ بعضنا يترك الكبائر لا لحراجةٍ يجد في نفسه ، ولا لأنّ الله تعالى يريدنا أن نمتنع منها ،بل لأنّها تحط من منزلته أمام الآخرين، وهناك بعض الكبائر يرتكبها الإنسان إذا وجد هناك جوّاً عامّاً يُساعد على ذلك ولا يوجد من ينكر ذلك، وهذه مسألةٌ في غاية الخطورة أن يفقد الإنسان السيطرة على دينه وعلى نفسه بسبب بعض المؤثّرات التي تجعل دينه في محلٍّ خطر، وسأبيّن الآن بعض المنكرات التي يتعاطاها الناس بشكلٍ يكاد يكون مألوفاً، ولعلّه من أهمّ ما ابتُلِينا به قضية الرّبا في المعاملات.

يؤكد العلم وجود مشاكل في المياه ، ومشاكل في الجوّ ، ومشاكل في الأرزاق بسبب قلّة موارد الأرض مثلاً، ويأتي ليبيّن هذه الأسباب وفق الأُسس العلمية، نحن مع ما يقوله العلم، لكن لنا مداليلنا الخاصّة التي لا تتعارض معه، وهو أنّ هناك بعض الأعمال من بني آدم تساعد على هذه المشاكل العامّة جغرافيةً كانت أو فلكيةً ، فارتكاب المحرّمات تؤثّر في كثير من الموارد، لأن الله تبارك وتعالى لم يخلقنا عبثاً، وكل ما في الكون له نظام دقيق مرهون بمدى طاعتنا له سبحانه ؛ لذا حدد المشكلة في عدم طاعته. نحن نرى أنفسنا في بعض الحالات أكبر من حجومنا كثيراً، نرى أنفسنا يحقّ لنا أن نشرّع،

وأن نجتهد، وأن نحلّل وأن نحرّم، والله سبحانه لا يستعجل بعجلة العباد، فإذا فعل الإنسان هذه الأفاعيل، وصارت هذه المسألة شائعة تبدأ الأمّة في الانحدار شيئاً فشيئاً الى أن تريد أن تقتات على أرزاقها فلا تجد، لا يتصوّرنّ أحدٌ منّا أن لا علاقة بين المحرّمات وما يدور حولنا من مسائل جغرافيّة أو كونيّة ((ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ))[١].

لقد تفشى الرّبا في الوقت الحاضر تفشّياً كبيراً، كأنّ الله تعالى أحلّ الرّبا وحرّم البيع، والرّبا يبدأ في معاملات لا يتوقّع الإنسان فيها أنّه مرابي، وقد يستغلّ بعضهم الحاجة المادّية للناس ويُحاول أن يرتكب عملية الإقراض الرّبويّ ويجعل هذا المسكين يرزح تحت نير المذلّة الى أن يبيع كل شيء حتّى داره، الرّبا كما ورد في بعض الروايات – ولعلّه يكون لنا حديثٌ آخر في ذكر بعض الروايات المنفّرة من الرّبا–، هو امتصاص قوت الآخرين بلا حقّ، لاحظوا كم حالة جعلها الله تعالى لنا حلالاً؟ جعل البيع والإجارة، والمضاربة، والمزارعة، والمساقاة، والتجارة بأنواعها، ونحن نوصد هذه الأبواب الحلال ونفتح على أنفسنا أبواب الشيطان، والله يصبر علينا، وصبر الله تعالى علينا؛ لأنّه لا تفوته فائتة (يُمهل ولا يُهمل) لكننا لا نشعر بالآثار المترتبة على هذه الأفعال، تجد بعض من يتعامل بالربا شيخا ذرف على السبعين محدودب الظهر يعيش حياته على الرّبا ويمتصّ قوت الآخرين؛ لأنّ عنده بعض الأموال يُحاول أن يُحارب الله سبحانه وتعالى في رزقه.

إن الأسواق باتت مملوءة ربا، والبيع فيه مشاكل ربويّة، أنا أفتح هذا الموضوع بشكلٍ مختصر وأترك تفاصيل الحديث الى الإخوة الأعزّاء الخطباء ليُبيّنوا هذه المأساة التي نعيشها، فكثير من الناس عندهم أموال لكن لا يجدون بركة فيها، ((الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ))، لقد أصبح الرّبا الآن متفشّياً في مسائل كثيرة لعلّه تسعفنا فرصةٌ أخرى للحديث في هذا.

١–الروم: ٤١.

نعود إلى حديث الإمام عليٍّ عليه السلام عن الرجل الذي باع نفسه لطمع زائل مؤقّت اسمه تكثير المال ولو من الربا، فأهلكها ، رجلٌ باع نفسه لغرائزه ولشهواته والاعتداء على الآخرين من أجل لذّة مؤقّتة فأهلكها، نحن لا نريد أن نقرّع فقط، لكن لاشكّ أنّ هذا الطريق هو طريقُ مهلكة، إذا سلك الإنسان طريقاً، وقيل له هذا طريقُ مسبعة -يعني فيه سباع- أو مذأبة -فيه ذئاب- قطعاً يبتعد عنه، يضنّ بنفسه من أن يقع فريسةً لهذا الأسد أو فريسةً لهذا الذئب، فلماذا لا يبخل بنفسه أن يقع فريسةً لما هو مهلك، وهو أن يكون فريسة الشيطان وفريسة يوم القيامة عندما يكون في جنبٍ غير ذلك الجنب الذي يرى فيه النبيّ والأئمّة الأطهار(عليهم السلام) والمؤمنين، يرى أنّه في زاوية نتنة تُزكم الأنوف، وهي زاوية جهنّم، وهي زاوية سخط الله تبارك وتعالى، فلا يُسيء الإنسان في هذه الدنيا الظنّ بالله، فهذا الرزق رزق الله وهو يربّينا بالرزق، كما يَربّي الطبيب المريض فيعلّمه هذا الداء أو الدواء، الله تعالى هو العالم بالمصالح فيختبر أنفسنا، ليرى هل نصبر؟ هل نثق بالله تبارك وتعالى؟ هل نكون عبيداً بمعنى هذه الكلمة؟ في كل أحوالي مهما اختلفت أبقى تحت سلطان الله تبارك وتعالى ولا أغفل عن ذلك. يقول أمير المؤمنين عليه السلام : هذه الدنيا هي ممرّ مهما أوتي الإنسان فيها من لذّة ومن نِعَم ومن مُتَع تبقى هي عبارة عن ممرّ، سرعان ما تكون هذه اللذائذ التي تحبّها نفس الإنسان في الدنيا ضرراً عليه ، كم من إنسانٍ أكل أكلةً ، وكان يشتهيها ثم بعد ذلك مرض مرضاً أصبحت هذه الأكلة تزيد في مرضه، ويقول: نحّوها عنّي، هذه حقائق واقعية، يبقى الإنسان بعد ذلك يأمل أنّ هناك قوّة أو يداً تنجيه وهي يدُ الله سبحانه وتعالى ورحمته. يُبيّن الإمام عليه السلام أنّ هذا المسكين باع نفسه والمشتري لم يكن مشترياً جيّداً لم يعطِهِ ثمناً مقابل هذا البيع فأوبق هذه النفس، وهناك بالعكس رجلٌ ابتاع نفسَه -اشتراها- ((إِنَّ اللهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ))[1] هذا الرجل اشترى هذه النفس، قال: هذه نفسي أُريد أن أشتريها ما ثمنُها؟ وتعبير الإمام في منتهى الدقّة كأنّ هذه النفس أسيرة، ولذلك قال الإمام : (ابتاع نفسه فأعتقها) يعني: حرّرها، كحال الأسير عندك أو العبد ، تتصرّف

١-التوبة: ١١١.

فيه كما تشاء، فإذا أراد أن يعتق نفسه فيسألك عن الثمن، ما ثمن أن تعتقني؟ فتقول له: افعل الفعل الفلانيّ أو جئني بهذا القدر من المال ، وهذا ثمنُك، إن أعطيتني هذا المال سأعتقك، وفعلاً إذا وفّر لك المال تعتقه، أنفسنا ما الثمن لها؟ ابتاع نفسه –اشتراها – فأعتقها، خرجت من هذا الذلّ ذلّ الأسر ،وذلّ القيود وأصبحت هذه النفس مُعتَقَة من هذه الأغلال ، بلا شكّ الجواب واضح فما ثمن أنفسنا؟ الثمن أن لا تكذب، ولا تسرق، ولا تثب على المحرّمات، وأن تتوجّه الى الله تبارك وتعالى، وتحارب نفسك ما استطعت الى ذلك سبيلاً.

ينقل بعضهم عن أمير المؤمنين عليه السلام ، أو عن بعض الصلحاء أنه مرّ على قصّاب فعرض القصّاب هذا اللحم عليه، فقال: لا ، لحمُك جيّد لكن لا أملك الثمن، قال: خذه وإنّي أصبر عليك، قال: إنّي أصبر على نفسي، وإنّما هي نفسٌ أروّضها بالتقوى. أنا أصبر على نفسي بدلاً من أن تصبر عليّ أنت، علّم نفسه أنّه إذا صبر عن لذّةٍ مباحة فهو على الحرام أصبر. يوم القيامة يومٌ ترتعد منه الفرائص بمجرّد أن يتصوّر الصورة يخاف، يتصوّر أن هناك جهنّم وملائكة غلاظا لا نستطيع أن نرشي أيّ أحدٍ منهم، لأن الرشوة في الآخرة لا محلّ لها، يأتي هذا العبد مسكيناً يُجرّ بسلاسل وأين المفرّ؟ في تلك النار التي لا نعلم منها إلّا الوصف الذي يجعلنا نرتعب منها، من العذاب المهين، ومقامع من حديد، ومن لباس من قطران، لاحظوا الذلّة من أجل ماذا ؟ من أجل شهوةٍ ارتكبها، لو لم يرتكبها لكان ....، ولكن (لات حين مندم)، نعم.. الله تبارك وتعالى أيضاً يؤمّلنا ،وإذا أذنب الإنسان فقطعاً رحمة الله تعالى واسعة، لكن عليه أن يُبادر؛ لأن التوبة فورية، وعليه أن يستعين بالله كما قلنا بعض الأدعية يقول: ((اللهُمَّ ارْزُقْنَا تَوْفِيقَ الطَّاعَة))[1] الطاعة نفسها هي عبارة عن توفيق، الله تعالى يجعل هذا العبد موفَّقاً من خلال ما يراه من هذه النفس التي تتشبّث بالله تعالى إذا احتاجت لذلك، أمّا الإنسان الذي يرتكب كل شيء ولا يبالي، فالله تعالى يتركه أيضاً لا يبالي به بأيّ وادٍ هلك، لكن نحن في أحوج ما نكون الى رحمة الله تعالى، الإنسان عليه أن يثق أنّ الرازق هو الله، والله تعالى هو الذي

١ –البلد الامين والدرع الحصين الشيخ ابراهيم الكفعمي (ت ٩٠٥هـ)،الصدوق، طهران: ٣٤٩.

بيده مصائرنا، لاحظوا مدرسة أهل البيت بها بعضُ الكلمات نقرأها نمرّ عليها ، وهي في منتهى الدقّةَ ((اللهُمَّ لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ أَبَدا))[١] فهذا الأسلوب التربوي أسلوب خاصّ، الإنسان إذا أوكل الى نَفسه طرفَةَ عينٍ يهلك ولا قيمة له، وبمجرّد أن يرفع الله تعالى يده عنّا ننتهي، يبقى ذلك اليوم الذي يلتفت كلٌّ منّا الى صاحبه ويرى صاحبه مشغولاً، يلتفت الى أمّه والى أبيه الى زوجته والى ولده يراهم مشغولين، كلٌّ حقيقةً يفكّر في الخلاص من ذلك اليوم.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يمنّ علينا جميعاً خصوصاً ، ونحن بجنب سيّد الشهداء أبي عبدالله الحسين عليه السلام الذي علّمنا كيف يجب أن نبتاع أنفسنا هو وأصحابه وأهل بيته، نسأل الله سبحانه وتعالى به وبجدّه من قبل النبيّ المصطفى وهذا شهره (صلى الله عليه وآله وسلم)، والأئمّة الهداة من أهل البيت أن يمنّ علينا بعتق رقابنا، وأن ينظر الله الينا في ذلك اليوم نظرةً رحيمة، وأن يشفع النبيّ المصطفى(صلى الله عليه وآله وسلم) لنا فيشفّعه الله تبارك وتعالى فينا، ما أحوجنا الى رحمته والى عطفه(صلى الله عليه وآله وسلم)، نسأله تبارك وتعالى التوفيق والتسديد، وأخَذَ الله تعالى بأيدي الجميع الى ما فيه خير الدنيا وسعادة الآخرة، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على محمد وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

١-بحار الانوار: ١٨/ ٢٠٤.

الجمعة ٢٧ ربيع الاول ١٤٣٧ هـ
الموافق ٨ كانون الثاني ٢٠١٦ م

نصّ الخطبة الثانية

إخوتي أخواتي أعرض على مسامعكم الكريمة ثلاثة أمور:

الأمر الأوّل:

مرّت قبل يومين الذكرى السنويّة الخامسة والتسعون لتأسيس الجيش العراقيّ الباسل ، وهو يخوض هذه الأيّام أشرس المعارك وأصعبها في مواجهة الإرهابيّين؛ دفاعاً عن أرض العراق وشعبه ومقدّساته، ونحن إذ نُبارك هذه الذكرى لأعزّتنا في القوّات المسلّحة بصنوفهم كافة، ونترحّم على شهدائهم الأبرار وندعو لجرحاهم بالشفاء والعافية، نؤكّد ضرورة دعم الحكومة العراقية والجهات المعنيّة الجيش العراقيّ والاستمرار في بنائه على أُسسٍ وطنيّة مهنيّة، ليكون جيشاً قويّاً قادراً على حماية العراق والعراقيّين بلا اختلافٍ بين أطيافهم ومكوّناتهم.

الأمر الثاني:

في العام الماضي، وعلى مدى عدّة أشهر طالبنا في خطب الجمعة السلطات الثلاث وجميع الجهات المسؤولة أن يتّخذوا خطواتٍ جادّة في مسيرة الإصلاح الحقيقيّ وتحقيق العدالة الاجتماعية ومكافحة الفساد، وملاحقة كبار الفاسدين والمفسدين، ولكن انقضى العام ولم يتحقّق شيءٌ واضح على أرض الواقع، وهذا أمرٌ يدعو للأسف الشديد، ولا نزيد على هذا الكلام في الوقت الحاضر.

الأمر الثالث:

لاشكّ أنّ حفظ البيئة وتحسينها يُعدّ من الأمور البالغة الأهمية التي لابُدّ أن تحظى بعناية المسؤولين والمواطنين على حدٍّ سواء، لما لها من علاقةٍ مباشرة بمختلف نواحي الحياة ولاسيّما الصحّية والاقتصادية، وقد منّ اللهُ تبارك وتعالى على بلدنا بنهرين كبيرين هما: دجلة والفرات اللذان إذا استغلا استغلالا صحيحاً لاستغنى البلد عن كثيرٍ من الموارد الأخرى، ولكن نجد -ولاسيّما في السنوات الأخيرة- أنّ هناك تجاوزاتٍ خطيرة على هذين النهرين، إذ تحوّلا بالإضافة الى فروعهما في العديد من المناطق الى مكبٍّ للنفايات ومصبٍّ لمياه الصرف الصحي، وهو من الخطورة بمكانٍ سواءً على حياة المواطنين أم على الثروات الزراعية والحيوانية للبلد، ولذلك ندعو الحكومة الى اتّخاذ الإجراءات اللازمة للمنع من هذه التجاوزات، ونهيب بالمواطنين الكرام أن يحرصوا على هذه الثروة المهمّة ويبتعدوا عن الممارسات التي تؤدّي الى تلوّث البيئة؛ لما له من مردوداتٍ سلبية كبيرة على المجتمع.

الجمعة ٤ ربيع الثاني ١٤٣٧ هـ
الموافق ١٥ كانون الثاني ٢٠١٦ م

- بإمامة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي
- نصّ الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مستحقّ الحمد لذاته، ولما هو عليه من غرّ صفاته، العليّ فلا حدّ لعلوّه ولا نهاية، الكبير فلا أمد لكبريائه ولا غاية، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، شهادة مخلصٍ في إثباتها، مستعين به على ثباتها، وأشهد أنّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عبده وكلمته، ورسوله ورحمته، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله خلفاء الله في أرضه وأمنائه على سُنّته وفرضه.

أوصيكم عباد الله تعالى وقبل ذلك أوصي نفسي بتقوى الله تعالى، والتسليم لأحكامه ومناهجه والأخذ بهديه، والتمسّك بعروته الوثقى، فإنّكم لا تدخلون الإسلام في جوهره وروحه إلّا بالخضوع لله تعالى والانقياد لأحكامه والتسليم لأمره. أيّها الإخوة والأخوات، سلامٌ عليكم جميعاً من ربّ رحيمٍ غفور ورحمةٌ منه وبركات.

ما زلنا في رسالة الإمام الصادق عليه السلام لشيعته ومحبّيه التي قال عنها عليه السلام: ((هذَا أَدَبُنَا أَدَبُ اللهِ فَخُذُوا بِهِ، وَتَفَهَّمُوهُ وَاعْقِلُوهُ، وَلَا تَنْبِذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُم))[1]، ها قد وصلنا الى مقطعٍ آخر من رسالة الإمام الصادق عليه السلام يُبيّن فيه الإمام لشيعته حقيقة الإسلام، هذا

١-الكافي: ٨ / ١٢.

الدين الذي نؤمن به، ما جوهره؟ كيف نكون مسلمين حقيقيّين صادقين في انتمائنا إلى الإسلام؟ فقال عليه السلام : ((وَاعلَموا أنّ الإسلامَ هُوَ التّسليمَ وَالتّسليمَ هُوَ الإسلامُ، فَمَن سَلَّمَ فَقَد أسلَم، وَمَن لَم يُسلِم فَلا إسلامَ لَه))[1].

أيّها الإخوة والأخوات، لاشكّ في أنّ الكثير منّا يفتخر ويعتزّ بأنّه من المسلمين، ويشكر الله تعالى على هذه النعمة العظيمة أن وفّقه بأن هداه الى الإسلام، ولكن هل تفكّرنا في حقيقة الإسلام وجوهره؟ هل تعلّمنا الرؤية القرآنية للإسلام الحقيقيّ؟ وما تلك الأحاديث التي وردت عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيت العصمة في بيان حقيقة الإسلام؟ والغرض من ذلك أن نتعرّف حقيقة الإسلام، حتى يكون الواحد منّا مسلماً حقيقة يعرف جوهر الإسلام ويلتزم به. ينبّه الإمام الصادق عليه السلام شيعته على أنّ الإسلام ليس أن تتشهّد بالشهادتين فحسب ، وليس أن يعتقد القلب بهاتين الشهادتين فقط، وإن كان هذان الأمران مهمّين، لكن الإسلام يستتبع ذلك عملاً أيضاً. فتعالوا - أيّها الإخوة والأخوات -لنتعرّف حقيقة الإسلام ، ما معنى التسليم؟ اختصر الإمام الصادق عليه السلام ذلك ، فقال: ((وَاعلَموا أنّ الإسلامَ هُوَ التّسليمَ وَالتّسليمَ هُوَ الإسلامُ، فَمَن سَلَّمَ فَقَد أسلَم، وَمَن لَم يُسلِم فَلا إسلامَ لَه))، في قول آخر عن أمير المؤمنين عليه السلام يفصّل لنا هذا المعنى، فقال: ((لَأَنْسُبَنَّ الْإِسْلَامَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسُبْهُ أَحَدٌ قَبْلِي وَلَا يَنْسُبُهُ أَحَدٌ بَعْدِي إِلَّا بِمِثْلِ ذلِكَ، إِنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ التَّسْلِيمُ، وَالتَّسْلِيمَ هُوَ الْيَقِينُ، وَالْيَقِينَ هُوَ التَّصْدِيقُ، وَالتَّصْدِيقَ هُوَ الْإِقْرَارُ[2]، وَالْإِقْرَارَ هُوَ الْعَمَل))[3]، نأتي الآن في ضوء هذا الحديث لأمير المؤمنين عليه السلام فنبيّن هذه الأمور، هل يُكتفى في الإسلام بالشهادة اللسانية بأن يتلفّظ الإنسان بالشهادتين، التوحيد لله تعالى، وللنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوّة والرسالة؟ بحسب هذا الحديث وكذلك الرؤية القرآنية لا يُكتفى بذلك، وإن كانت هذه الشهادة اللسانية تترتّب عليها مجموعةٌ من الأحكام الشرعية، ومنها: حرمةُ الدم، وحرمةُ المال، وحرمةُ العرض، وحلّية الذبيحة، وبعض أحكام النكاح والمواريث ، بل لابُدّ من

١-الكافي: ٩/ ٧٦.

٢- الْإِقْرَارُ: الاعْتِرافُ بالشَّيْءِ، ينظر: المحيط في اللغة: ٥/ ٢٠٧.

٣-الكافي: ٢/ ٤٥، الأمالي للصدوق: ٣٥١، وسائل الشيعة: ١٥/ ١٨٣.

إضافة أمرين آخرين أيضاً، هل يُكتفى بالاعتقاد القلبي بأن يعقد الإنسان المسلم قلبه على الإيمان بهاتين الشهادتين دون أن يستتبع ذلك العمل، كما يحلو لبعض الناس أن يصوّر هذا المعنى حين يقول: المهمّ ما في القلب. تلاحظون- إخواني - أن الإنسان قد يُصلّي ويصوم فتقول له: لماذا ترتكب هذا العمل؟ لماذا تترك أداء هذا الواجب؟ يقول: المهمّ ما في القلب، أنا لديّ اعتقاد في القلب فيكفي هذا، هذا الأمر ليس بصحيح، بل لابُدّ أن يستتبع الشهادة اللسانية الاعتقاد بالقلب، وعقد القلب على هاتين الشهادتين لابُدّ أن يستتبعه العمل، لذلك لاحظوا أمير المؤمنين ماذا يقول؟ ينسب الإسلام نسبةً، ويؤكّد هذا المعنى ((لَمْ يَنْسُبْهُ أَحَدٌ قَبْلِي وَلَا يَنْسُبُهُ أَحَدٌ بَعْدِي))؛ لأنه أخذه من رسول الله ﷺ :((الإسلامَ هُوَ التّسليمَ)) لاحظوا كيف يستتبع هذه المعاني ((وَالتَّسْلِيمَ هُوَ الْيَقِينُ، وَالْيَقِينَ هُوَ التَّصْدِيقُ، وَالتَّصْدِيقَ هُوَ الْإِقْرَارُ، وَالْإِقْرَارَ هُوَ الْعَمَل))، إذن إن لم تكن هناك مرحلة ثالثة من العمل تترتّب على هذا الاعتقاد القلبيّ لا يكون لدينا جوهر الإسلام وحقيقته.

ومن تعريف الإمام الصادق عليه السلام الذي قال فيه : (الإسلام هو التسليم..) يمكن لكلّ واحدٍ منّا أن يعطي لنفسه درجةً امتحانية، تبين كم هو ملتزم بحقائق الإسلام وجوهرها، ويعرف مرتبته في الإسلام الحقيقي الذي هو الخضوع والانقياد والقبول التامّ لكلّ ما يرد على العبد المسلم من الله تعالى، سواءً كان ما ورد عليه أحكاما شرعية أو مناهج حياتية أو أحكاما تكوينية من قدرٍ وقضاء.

أودّ أن أوضّح هذا الأمر بصورةٍ تفصيلية. تعلمون -أيّها الإخوة والأخوات - أنّ الله تعالى شرّع ديناً كاملاً للحياة، بماذا جاء للإنسان؟ قال له: أشرّع لك أحكاماً عبادية ، وأنظّم العلاقة بينك وبين الله تعالى، أعطي أحكاماً في الطهارة ، وأحكاماً في الصلاة ، وأحكاماً في الصوم ، وأحكاماً في المعاملات، وكذلك أشرّع لك نظاماً اجتماعياً ينظّم لك العلاقة بينك وبين الناس، وأشرّع لك نظاماً اقتصادياً يبيّن المعاملات الاقتصادية، وأشرّع لك نظاماً حقوقياً يبيّن الحقوق بينك وبين الآخرين، ما هي الحقوق التي لك والواجبات التي

عليك، أشرّع لك نظاماً أسريّاً فأعطيك ديناً متكاملاً للحياة، إن آمنت وخضعت وقبلت وعملت بكلّ هذه المناهج ولم تكتفِ بالمنهج العباديّ فقط أو بعض المناهج بل خضعت لها جميعاً وقبلت بها وعملت بها جميعاً، وصلت المرتبة العُليا من الإسلام وكنت مسلماً حقيقةً، لنلاحظ واقعنا ولنعرضه على هذه الرؤية التي وردتنا عن الأئمّة المعصومين. نأتي الى المنهج العبادي، بعض منّا يصلّي ويصوم ولكنّه لا ينقاد للمنهج العباديّ كله، مثلاً تُلاحظون بعضهم يعترض، يقول: لماذا يحرَّمُ لبس الذهب والحرير الخالص للرجال؟ ما السبب؟ ما المصلحة في ذلك؟ يريد أن يعرف ذلك ولا يلتزم بهذا الأمر. ومن ذلك شرع الله تعالى الإفطار في السفر، ويعترض بعضهم في الوقت الحاضر على هذا الحكم بعد أن أصبح السفر يسيرا ليس فيه عناء ومشقة كما في السابق، بعضٌ مثلاً يصلّي ويصوم لكنه يعترض في أحكام المواريث، يقول: لماذا الأنثى تأخذ نصف ما للذكر؟ إذا كان الأمر من أجل أن الذكر يتحمّل مسؤولية المعيشة، فالأنثى أيضاً تتحمّل مسؤولية المعيشة أحيانا، لماذا نعطيها النصف؟ حتى بعض المسلمين ممّن يصلّي ويصوم يخضع لحكم وضعيّ، إلا أن المسلم الحقيقي بعد أن يعطي الحكم القضائي للأنثى مثلما للذكر يقولً؟ أنا جاءني من الإرث ما لا حقّ لي فيه، أنت تستحقّ الضعف وأنا أستحقّ النصف، فيرجع المال. لاحظوا أيّها الإخوة تقول: أنا أخضع لحكم الله تعالى أُعيد لك ما أُعطي لي من المال أو الإرث ما ليس لي حقّ فيه، وقد يعترض بعضهم فيأخذ ما ليس له حقّ فيه، هذا اعتراض على الأحكام الإلهية الشرعية، وفي معاملات اقتصادية يقول الشرع: هذه معاملة ربويّة أو شبه ربويّة، يعترض فيقول: لا، الأمر ليس كذلك فيتعامل بها، وهكذا نجد موارد متعدّدة لا يخضع فيها الإنسان الخضوع التامّ للأحكام الشرعية، ولا ينقاد لها، ولا يقبل بها.

وضع الإسلام نظاماً اجتماعياً ينظّم العلاقة بينك وبين سائر الناس، وقد جعلت الأحاديث الواردة الالتزام به شرطا للإسلام الحقيقي، فإذا التزمت بطبيعة العلاقات والأخلاق مع الآخرين، وقبلت بهذا النظام الاجتماعي والأخلاقي تكون

مسلماً حقيقة، لاحظوا الروايات التي وردت عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من المسلم؟ ((الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ يَدِه))[١] إذا سَلِمَ منك الآخرون، من لسانك ويدك فأنت مسلم حقيقة، وفي حديثٍ آخر: ((المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه)) أنت إذا نظّمت علاقتك مع الآخرين بهذا النظام أنت مسلمٌ حقيقة، في حديثٍ آخر: ((المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذّبه ولا يخذله...))[٢] وهكذا أحاديث كثيرة نظّمت طبيعة العلاقات، فوضعت نظاماً أُسريّاً في داخل الأسرة، ما الحقوق التي بينك وبين الزوجة؟ وما الحقوق التي بينك وبين الوالدين؟ وما الحقوق التي بينك وبين الإخوة والأخوات، هذا نظام أُسريّ إن أنت عملت به أصبحت مسلماً حقيقيّاً. ووضع الاسلام نظاما سياسيا؛ لأن الإسلام منهجٌ متكامل، وضع فكراً سياسيّاً ونظاماً سياسيّاً في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وفي زمن الأئمّة أيضاً ، وفي زمن غيبة الإمام الفقهاء الذين نصبهم الإمام هؤلاء أيضاً يبيّنون المواقف، فهناك أمورٌ قد وضعها الإسلام وجعل لها أحكاماً ، يبيّنها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أو الإمام المعصوم من بعده أو الفقيه العادل الجامع للشرائط متى ما توفّرت الظروف لبيان بعض الأمور والأحكام والمواقف، فإذن وفق هذا التعريف للمسلم الحقيقيّ، لا يرتقي المسلم هذه المرتبة كما بيّنها الإمام عليه السلام ، إلا بأن يكون هناك انقياد تامّ وخضوعٌ تامّ في كلّ مناهج الحياة.

ومن جملة الأمور التي تكشف مرتبة إسلامك أمرٌ مهمّ، أرجو الالتفات إليه وهو أن ترضى بما حكم الله تعالى ورسوله وأولياؤه، قال تعالى: ((فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا))[٣] وأخاطب بهذه الآية أبناء العشائر الكريمة في بعض المحافظات التي بينها نزاع أدّى الى القتال وسفك الدماء، وكذلك بعض الأمور الأخرى التي تعرض لنا في حياتنا. لِنرَ مورد نزول الآية حتى نتعرف مدى التزامنا بها، فقد ورد في بعض التفاسير أن الآية نزلت في الزبير ورجلٍ من الأنصار لهما بستانان متجاوران ، وقع نزاع بينهما في

١-صفات الشيعة لابن بابويه (٣٨١هـ) ، الاعلمي، طهران: ٣١.
٢-كنز العمال: ١ / ١٥٠.
٣-النساء: ٦٥.

سقيهما ، وهذا يحصل كثيراً، فجاءا يتحاكمان إلى رسول الله ﷺ، التفتوا لا ننظر إلى هذه الواقعة على أنها وقعت في زمن مضى وانتهى حكمها، بل لها مصداق في هذا الزمان، فالذي يحكم بعد النبي (صلّى الله عليه وآله) الإمام المعصوم، ويأتي بعد المعصوم الفقيه العادل الجامع للشرائط الذي نصّبه الإمام المعصوم؛ إذ قال: هو حجّتي عليكم ، فإذا تنازعنا عند الفقيه الجامع للشرائط قد يكون موقف مثل الموقف الذي صدر من هذا الرجل من الأنصار، عندما حكم النبيّ ﷺ للزبير ؟ وقال للزبير: اسقِ ثم أرسل الى جارك، فما كان ردة الفعل هذا الرجل من الأنصار وهو يؤمن برسول الله، ويخاطبه بـ(يا رسول الله)، قال له: يا رسول الله ، لئن كان ابن عمّتك. يعني: لأنّ هذا ابنُ عمّتك تحكم له، وشاهدوا الخلق العظيم للنبيّ ﷺ ،على الرغم مما في كلام الرجل من اتّهام بأنّه ﷺ انحاز الى ابن عمّته، ماذا صدر من ردّ فعلٍ من النبيّ ﷺ ؟ تلوّن وجه رسول الله ﷺ فقط، ثم خرجا -الزبير وهذا الرجل- فمرّ على المقداد ، فقال لهذا الرجل الذي من الأنصار: لمن كان القضاء يا أبا حاطب بن أبي بلتعة ؟ قال: قضى لابن عمّته -لاحظوا- حَكَمَ للزبير؛ لأنّه ابنُ عمّته، ولوى شدقه [1]، يعني الجانب من الفمّ تحت الخدّ، فهو غير راضٍ عن هذا الحكم والقضاء من رسول الله ﷺ، فنزلت الآية تنبّه المسلمين ، ماذا تقولُ لهم؟ يُقسم الله تعالى لهم، لعظم هذا الأمر بقوله: ((فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ)) أي: لا يبلغون مرتبة الإيمان ((حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ))، وهنا نحتاج الى الالتفات هل نحن مطبّقون لهذه الآية أو لا؛ لأن الله تعالى يقول: لا تبلغون الإيمان إلّا بثلاثة أمور:

الأول: إذا كان هناك نزاع واختلاف، تارةً يكون في أمور عامّة وتارة يكون في أمور خاصّة، فمن أمثلة النزاع في الأمور العامّة: قضية حرب أو سلم، أو قضية عامة المطلوب اتّخاذ موقف فيها، وكثيرة هي الأمور العامة التي نحتاج فيها الى اتّخاذ موقف نحرز به رضا الله تعالى، ومن امثلة الأمور الخاصة: النزاع العشائريّ، أو نزاع

١-بحار الأنوار: ٢٢/ ٢٠.

في ميراث، أو نزاع في وصيّة، أو في مسألة اجتماعية، أو في قضيّة شخصية. وقد يكون هناك نزاع في قضيّة فكريّة، أو قضية عقائدية، ويلتبس علينا الأمر لا نعرف هل هذه القضية العقائدية أو الفكرية المطروحة صحيحة أو لا؟ وموارد النزاع كثيرة كما يفهم من إعمام الآية الكريمة((فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ..)) أي: فيما حصل بينهم من نزاعاتٍ وخصومات واختلافات يأتون اليك فيها، في كل هذه الأمور عامها وخاصها لمن نرجع حتى نكون مسلمين حقيقيّين؟ لمن نرجع حتى نفضّ النزاع؟ الآية تأمر بالرجوع إلى النبي، ومنْ بعده الإمام المعصوم، ولكن لمن نرجع الآن في مورد النزاع؟ فإذا كان الإمام غير موجود، هل تموت الآية، ولا يبقى لها تطبيق؟ لا، لقد نصّب الإمام المعصوم بعده الفقيه العادل الجامع للشرائط يرجع اليه، وقال: ((هم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله عليهم)) حدد لنا من نحتكم اليه، ((فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا..)).

الأمر الثاني: (..ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ...) يعني بعد أن يصدر الحكم إذا كنت مسلماً حقيقيّاً لا تجد ضيقاً ، ولا تتضجّر ، ولا ترفض هذا الحكم الذي صدر، (..ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ..) يعني في قلوبهم (..حَرَجًا..) يعني شكّاً أو ضيقاً قلبياً، بل تسلّم تخضع (..وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).

الثالث: وهو التطبيق لهذا الحكم، وحتّى نطبّق هذه القضية في زماننا، فإذا حصل نزاع كما في النزاع على إرث، أو في قضية وصيّة أو وَقْف، أو قضية نكاح وطلاق وغيرها من الأمور، في هذه الموارد التي نختلف فيها لَمنْ نرجع؟ نرجع الى الفقيه العادل الذي هو جامعٌ للشرائط أو الى الوكلاء الذين يوثق بهم، ليتبيّن لنا الحكم، فما المطلوب منّا؟ أن نسلّم بقلوبنا ونرضى فلا نرفض هذا الحكم، لاحظوا – إخواني - الذي يحصل أحياناً أننا نُبعّض الإسلام ،نُبعّض الأحكام نقبل ببعضها ونطبّقها لأنّها تتوافق مع مصالحنا الشخصية وأهوائنا، ونرفض بعضها الآخر ؛ لأنّها تتعارض مع أهوائنا ومصالحنا الشخصية ، فإذا حصل ذلك لم نصل الى مرتبة الإسلام الحقيقيّ. وحتّى

في المواقف العامّة، يعترض بعضهم إذا قال له الفقيه العادل الجامع للشرائط: الموقف المطلوب تجاه القضية الفلانية كذا، يقول: لا، أنا أرى كذا، التفتوا إخواني هذا مُشكِل، هذا يعكس أنّه لم يصل هذا الإنسان الى مرتبة الخضوع التامّ والانقياد والتسليم الذي أشار له الإمام الصادق(عليه السلام)، نحن نريد أن نطبّق الإسلام كيف نطبقه والإمام الصادق غير موجود؟ الإمام المعصوم غائب(عليه السلام)، الى مَنْ نرجع؟ هذه الوصيّة وصيّة الإمام لِمَنْ؟ لشيعته في وقته؟ لا – إخواني – هذه الوصيّة لشيعته في كلّ زمانٍ وكلّ مكان، ما هو التسليم الآن؟ هذه القضايا العامّة نسلّم فيها بحكم الفقيه العادل حتى لو كان لي رأي آخر، سواء كان في قضية سياسية، أو موقف عام، أو قضية اجتماعية أو اقتصادية مالية أو شرعية عبادية أو معاملاتية، نأتي الآن الى قضيّة العشائر وحتّى في بقية القضايا كمشاكل اجتماعية أو مشاكل على إرث أو على وصية أو وَقْف، يوجد حلّ لا تبقى مشكلةٌ عالقة إن أرجعناها الى من يبيّنون أحكام الله تعالى، ولكن المشكلة أين؟ هي أنّنا لا نسلّم لها، ولا نخضع لها، ولا نعمل على تطبيقها، المشكلة هنا وإلّا لا تبقى لنا مشكلة مع هذا التسليم الذي بيّنّاه. قضية العشائر الآن نزاعات على أمورٍ بعضها بسيط جدّاً يقود الى اقتتال وسفك دماء وانتهاك أعراض، ودماء مواطنين أبرياء، ما هو الحلّ؟ قلنا نرجع الى الفقيه العادل الجامع للشرائط أو وكيله الذي يثق به، نفترض لو أنّ فلاناً قتل فلاناً ما هو الحكم الشرعيّ؟ ننقاد له نسلّم به ونعمل على تطبيقه، أمّا –وهنا المشكلة– إذا كنّا نخضع لأهوائنا وأمزجتنا وما في داخل أنفسنا من حبّ للدنيا والتسلّط والترفّع على الآخرين، وأن يكون لي الكلام ولي السلطة على الآخرين، هنا المشكلة وقد يكون هذا الشخص يصلّي ويصوم لكنّه حينما يصل الى هذا الموقع تغلب عليه حبّ الدنيا، حبّ الدنيا ليس فقط حبّ المال، لا.. فأحيانا يحبّ الإنسان التسلّط أو أن يكون هو الحاكم و كلمته هي المسموعة وهو الآمر والناهي، المشكلة هنا دخل حبّ الدنيا الى القلب وربّما أحياناً تقع وتسيل دماء وتحصل مشاكل اجتماعية يصعب حلّها؛ لذلك أنا أُنادي الجميع من هذا المكان خصوصاً ما يتعلّق للالتفات إلى هذه القضية انظر ماذا يقول الله تعالى لكم؟ (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ...) وقد بيّنّا أن الحاكم بعد النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) الإمام المعصوم ثمّ مَنْ يقوم بهذا الدور في الوقت الحالي.

ومن جملة الموارد التي يذكر فيها معنى التسليم الانقياد للأحكام التكوينية من قدرٍ وقضاء، يعني ما يقدّر الله تعالى لي من ابتلاء من مرض أو فقر أو من ابتلاء بحاكم ظالم أنا أسلّم له تعالى وأنقاد له وأرضى بقضائه وقدره، ففي حديث مهمّ جدا وفيه من المضامين العالية، عن أمير المؤمنين(عليه السلام) : (أوحى الله عزّ وجلّ الى داود -على نبيّنا وآله وعليه أفضل التحيّة والسلام-: يا داود تريد وأريد...) يعني الله تعالى يخاطبه ((..يَا دَاوُدُ تُرِيدُ وَأُرِيدُ وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا أُرِيد..))[١] يعني أنّ كلّ شيء يحصل إنّما هو من الله تعالى، وهذا لا يناقض مسألة الاختيار، هذه مسألة أخرى نريد أن نبيّن أن لا مؤثّر في الوجود إلّا الله تعالى، ماذا يوجّه الله تعالى في هذا الحديث نبيه؟ يقول: (فإن أسلمتَ..) يُبيّن معنى التسليم (..فإن أسلمتَ لما أُريد أعطيتُك ما تريد..) المعنى إذا أنت خضعت وانقدت وسلّمت بما أنا أريده سأعطيك ما تريد أنت، (وإن لم تسلّم لما أُريد أتعبتك فيما تُريد، ثمّ لا يكون إلّا ما أُريد)، يعني إذا لم تسلّم ولم تخضع بل تضجر ولا تقبل بذلك سوف تتعب في الحصول على ما تريد، وتشقى حتى تحصل على ما تريد، والنتيجة ما هي؟ يقول له: الذي سيكون ما أريده لا الذي أنت تريده، فتكون قد تعبت وشقيت ولم تحصل على ما تريد، بالنتيجة يقول له: سلّم بما أريد أنا، سأعطيك ما تريد، والتسليم ليس لحظة فالمسألة قد تطول سنين يقبل ويرضى الإنسان بهذا القضاء والقدر ويصبر عليه ثم بعد ذلك الله تعالى يعطيه ما يريد حتى يختبر صبره وتوكّله على الله تعالى، (وإن لم تسلّم لما أُريد) لم تقبل ورفضت ولم تنصَعْ فحينئذٍ فما النتيجة؟ (أتعبتك فيما تريد) يعني هذا الشيء الذي تُريد الحصول عليه ستتعب وتشقى والنتيجة، قال الله تعالى :(ثمّ لا يكون إلّا ما أريد)، فلابُدّ أن يكون هناك تسليم بقضاء الله تعالى حتى ندخل في جملة المسلمين الحقيقيّين الذين ورد في الكثير من الأحاديث أنّهم من الفائزين وأنّهم من المتوكّلين ومن المُخبتين.

نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لذلك وأن نعمل بهذه المضامين التربوية للإمام الصادق(عليه السلام) ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمدٍ وآله الطيّبين الطاهرين.

١-التوحيد، للصدوق: ٣٣٧.

الجمعة ٤ ربيع الثاني ١٤٣٧ هـ
الموافق ١٥ كانون الثاني ٢٠١٦ م

نصّ الخطبة الثانية

أيّها الإخوة والأخوات أودّ أن أعرض على مسامعكم الكريمة الأمرين الآتيين:

الأمر الأوّل : شهدت العاصمةُ الحبيبة بغداد في الأيّام الماضية خروقات أمنية تمثّلت بمهاجمة مجموعةٍ من الإرهابيّين الدواعش بأسلحتهم الرشاشة لجموع المواطنين في بعض الأسواق المكتظّة بالمتبضّعين، فضلا عن التفجيرات المعتادة بالأحزمة الناسفة والسيارات المفخّخة في الأماكن العامّة، وقد أرادت عصابات داعش أن تعبّر بهذه الاعتداءات عن قدرتها على تكييف أعمالها الإجرامية مع متغيّرات الساحة القتالية التي شهدت في المدّة الأخيرة انتصاراتٍ متوالية للقوّات المسلّحة ومن يساندها من المتطوّعين وأبناء العشائر الغيارى، وحيث إنّ هذه الخروقات لا يُمكن تفادي وقوعها بالأساليب الأمنيّة التقليدية ككثرة السيطرات وإجراءات التفتيش الروتينية، فمن الضروري العمل على تطوير القدرات الاستخبارية لأجهزة الأمن العراقية والاستعانة بعناصر شعبيّة للحصول على المعلومات اللازمة من حواضن العصابات الإرهابية، لإجهاض مخطّطاتها الإجرامية قبل تنفيذها، وأيضاً شهدت مدينة المقدادية في محافظة ديالى قبل أيّام أعمالاً إرهابيّة واعتداءات مؤسفة على عددٍ من المساجد ومنازل المواطنين ممّا له تداعيات خطيرة على السلم الأهليّ والعيش المشترك لأبناء هذا الوطن، وإنّنا إذ ندين بشدّة هذه الاعتداءات نحمّل القوّات الأمنية الحكوميّة المسؤوليّة ونطالب بمنع

تكرارها وعدم السماح بوجود مسلّحين خارج إطار الدولة يهدّدون أمن المواطنين من أيّ مكوّنٍ أو طائفةٍ كانوا، وأمّا ما يتعلّق بجبهات القتال فإنّ المأمول من قوّاتنا المسلّحة والمتطوّعين الأبطال إدامة الحذر واليقظة من محاولات العدوّ شنّ هجماتٍ تعرّضية هنا وهناك لاستعادة معنويّاته بعد هزائمه الأخيرة في محافظة الأنبار وجبال مكحول، مع تأكيدنا أن تدعم المؤسّسة العسكرية المقاتلين الأبطال من المتطوّعين وأبناء العشائر العراقية الغيورة بما يحتاجون اليه من السلاح والعتاد ليتمكّنوا من القيام بما عهد إليهم من إسناد القوّات المسلّحة في مواجهة الإرهابيّين.

الأمر الثاني: يعلم الجميع أنّ العراق يعيش أوضاعاً مالية واقتصاديةً صعبة نتيجةً للانخفاض المستمرّ لأسعار النفط الذي يشكّل وارده الماليّ معظم مدخولات العراق لموازنته السنوية، خصوصاً رواتب الموظّفين والمتقاعدين، ولا يمكن تجاوز هذه المرحلة العصيبة بأقلّ الخسائر إلّا بتكاتف الجميع وتعاونهم واتّباع خططٍ علمية مدروسة يضعها أهل الخبرة والاختصاص بعيداً عن القرارات المرتجلة التي يُمكن أن تحدث هزّاتٍ اجتماعية خطيرة وتهدّد المقوّمات الأساسية لمعيشة المواطن العراقي، إنّ اهتمام الحكومة بالملفّ الأمنيّ ودفع الخطر الأعظم وهو الإرهاب الداعشيّ لا يبرّر عدم عناية الجهات ذات العلاقة بوضع سياسةٍ اقتصادية ومالية مناسبة مستعينة بالخبرات العراقية والعالمية لمعالجة الأزمة الراهنة معالجة صحيحة.

الجمعة ١١ ربيع الثاني ١٤٣٧ هـ
الموافق ٢٢ كانون الثاني ٢٠١٦ م

بإمامة سماحة السيد أحمد الصافي

نصّ الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله النبيّ المصطفى محمد وعلى آله الطيّبين الطاهرين، اللهم لك الحمدُ على ما تأخذ وتعطي، وعلى ما تُعافي وتبتلي، حمداً يكون أرضى الحمد لك، وأحبَّ الحمد اليك، وأفضل الحمد عندك، حمداً يملأ ما خلقت، ويبلغ ما أردت، حمداً لا يحجب عنك ولا يقصر دونك، حمداً لا ينقطع عددُه ولا يفنى مددُه.

إخوتي أهل الكرامة، أبنائي أهل الإحسان، آبائي أهل الفضل، أخواتي بنات العفّة، بناتي ربيبات النجابة، أمّهاتي مربّيات الفضيلة والأخلاق، السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته. أوصيكم -إخوتي، أخواتي- ونفسي الجانية بتقوى الله تبارك وتعالى، والتمسّك بحبله وبعروته الوثقى ؛ فإنّه من تمسّك بها نجا، نسأله تبارك وتعالى التوفيق لما يحبّ ويرضى.

قد ذكرنا في الخطبة السابقة موضوع الربا بشكلٍ مختصر على نحو الإشارة ، ووعدنا أن نتمّم الحديث عنه بكلام مستقل، وقبل أن أدخل في هذا الموضوع أودّ أن أنبّه على مقدّمة قد تطرّقنا لها سابقاً ألا وهي مفهوم الطاعة، فلا يخفى على حضراتكم أنّ

نسبتنا الى الله تعالى هي نسبة العبد الى سيّده، ونسبة المحتاج الى الغنيّ، ونسبة المخلوق إلى خالقه، ونحن لا نملك من الأمر شيئاً إلّا أنّ الله تبارك وتعالى هو الذي أفاض علينا هذه النعمة، نعمة الوجود، وأعطانا العقل وأرسل الينا الأنبياء والرسل حتى نسير مسيرةً طيبةً في هذه الحياة الدنيا، ونلقاه يوم القيامة بحالةٍ أخرى هي حالة جزاء ما عملنا. والله تعالى لا تضرّه المعصية ، ولو فرضنا أنّ كلّ من خلقه الله قد عصاه –والعياذ بالله– ، فلن يضره شيئا، ولو فرضنا أيضاً أنّ كلّ من خلقه أطاعه ؛ فلا يزداد الله تعالى بالطاعة ولا ينتفع بها، فهو الغنيّ المطلق، لكن الله تعالى هو ربّ العالمين بمقتضى ربوبيته وقيموميته علينا يرشدنا تبارك وتعالى وينبّهنا ويوجّهنا الى ما فيه صلاحنا، ونحن بالخيار إن اتّبعنا هذا الطريق –طريق الهدى– سيجزينا الله تعالى الجزاء الأوفى، وإن اتّبعنا الطريق الآخر– لا سامح الله– سيحتجّ الله تعالى علينا، وسنجد ما كسبت أيدينا يوم القيامة.

وهناك مجموعةٌ من التكاليف هيّأها الله تبارك وتعالى وبيّنها، وكان قسمٌ منها لا يتعلّق على نحو الوضع الشخصيّ للإنسان، وإنّما يترك آثاراً كبيرة على ما يُحيطنا في مجتمعنا. والمشكلة أنّنا قليلاً ما نتأدّب بآداب الله تعالى؛ وذلك لأنّ هناك نزوات وشهوات وغرائز لم نعتنِ بها ولم نربِّها جيدا ، فتُحاول أن تخرج عن المسار ؛ لأنّ لها هذه الجذبة والقوّة ما لم تُكبَحْ وتُوَجَّه ستوردنا المهالك، وقد بيّن القرآن الكريم والعترة الطاهرة في الأحاديث الشريفة أهمّية المجاهدة، أي يجاهد الإنسان نفسه ((فَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا))[1]، وهذه قلّة التأدّب مع الله تعالى تجعلنا في بعض الحالات نعترض ونتخطّى الحدود، والحقيقة أن مفهوم الطاعة يحتاج الى مراجعة والتفات منّا، ما معنى أنا أطيع الله سبحانه وتعالى؟ ما معنى أنا أطيع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ؟ أو الأئمّة أو العلماء؟ ما معنى الطاعة؟ فهذه اللفظة يسهل على الإنسان أن يتكلّم بها، لكن في مواطن عندما تكون طاعة الله تعالى على خلاف ما يُريد تجده دائماً يبرّر، ويحاول أن يلتفّ ويوجِّه، وهو يعلم أنّ هذا التوجيه والالتفاف هو نحوٌ من أنحاء التمرّد.

١-الكافي: ٨ / ١٤٣.

إنّ مفهوم الطاعة مفهوم ثقافة وهو مفهوم راق، فالإنسان بطبيعته، عقله يرشده الى ذلك، فيقول له : أنت محتاج وفقير وعاجز، والله غنيّ وقويّ وأبديّ وسرمديّ، فإذا وجّه العقل، يقول: اتّبع ما أراد الله، اتّبع ما أنزل الله، لكن الإنسان يضعف أمام كثير من الأشياء، يقول: أنا أُطيع النبيّ ﷺ ولكن عندما يأمره النبيّ بشيء لا يُوافق مزاجه ، تراه يبتعد و يؤوّل ((إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَة)) [١] البيوت ليست عورة ، ولكن وسيلة الى أن يتملّص من الجهاد مثلاً، وأمير المؤمنين عندما بايعه بعض الناس ،قالوا: نذهب الى العمرة، قال: ((وَاللهِ مَا يُرِيدَانِ الْعُمْرَةَ وَإِنَّمَا يُرِيدَانِ الْغَدْرَة))[٢].

مفهوم الطاعة -إخواني- مفهوم منج لنا، ابن نوح هو ابنُ نبيٍّ من أنبياء الله تعالى الذين صبروا ما صبروا في تحمّل الرسالة، ولمْ تنفعه هذه النسبة عندما جاء أمرُ الله تبارك وتعالى ؛لأنّه لم يُطِعْ، يقول الإنسان: إنّي أُطيع ، وعندما يوجّه الأئمّة الأطهار(عليهم السلام) بتعاليم لا نجده متبعاً لها . وسأقرأ لكم بعض الروايات المرعبة، وعلى الرغم من ذلك ترتكب الناس الحرام، وكأنّ شيئاً لم يكن، قد يدعي الإنسان طاعة علمائه ويقول: إنّي أُطيع العالم الفلاني، ولكن أن نبّهه على قضية لم يسمح بها ولم يرخّص بها فتجده يحاول أن يتمرّد ويبرر، مفهوم الطاعة ليس مفهوماً مزاجياً، بل يبتني على أسس وواقعيات ويبتني على حالة من الرّضا.

قليلاً ما يُقسم القرآن الكريم بربّ العزّة، ولكننا عندما نقرأ ((فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ)) لاحظوا الخطاب للنبيّ ﷺ قال: ((فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ)) ثم ماذا قال؟: (حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ) في مورد الخصومة والنزاع نتعرّض ويتعرّض غيرُنا لهذه المسألة، يقول فلان: أريد الحكم الشرعي، وعندما يجلس فعلاً ، ويرى أنّ الحق ليس له، يضرب الحكم الشرعيّ عرض الحائط، لماذا؟ لأنّه يريد أن يكيّف الأمور وفق ما يشتهي، يقرّعنا القرآن الكريم بهذه الآية الشريفة: ((فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ)) ينفي

١-الأحزاب:١٣.
٢-الإحتجاج على أهل اللجاج، للطبرسي : ١/ ١٦١.

صفة الإيمان عنهم ((..حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ)) أنت الحكم الفصل ،ولا ينتهي الامر عند هذا الحد. بل قال: ((ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ)) أي لا يجدون حرجاً ممّا قضيت بل لابُدّ أن يسلّموا ((..وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا))، سواء كان هذا الحكم له او عليه . والشرع يمنع اليد السارقة أن تبقى سارقة، يقول: ارجعْ المال الى أهله، على الانسان أن يلتز م بذلك، التديّن ليس في عامّة الصلاة والصوم فحسب لكن في المعاملات التي أصبحت مشوبة بالباطل والحرام، لاحظوا الآن في معاملتنا السوقية، الحكم الشرعي موجود، ولكن الناس في غفلة عنه يصطدمون به كأنهم يسمعونه أول مرة، لماذا؟ لأننا لا نبذل جهدا من اجل ديننا ، ومن أجل اللقمة الحلال، وسأذكر هذه الرواية في الكافي عن أمير المؤمنين(عليه السلام) ، وليلتفت الإخوة الذين يعملون في البقالة ، ويبيعون الفاكهة والخضروات، دخل أمير المؤمنين(عليه السلام) سوق التّمارين –أي الذين يبيعون التمر– فإذا امرأة قائمةٌ تبكي وهي تُخاصم رجلاً تمّاراً، فقال لها: ما لك؟ فقالت: يا أمير المؤمنين اشتريتُ من هذا تمراً بدرهم ،وخرج أسفله رديئاً ليس مثل الذي رأيت...، وهذه المسألة ابتلائية في الوقت الحاضر لعلّ أكثر الإخوة عندما يشترون يرون أنّ ظاهر البضاعة شيء حسن والباطن رديء، وهذا الذي يبيع يعتقد أنّه أحرز نصراً وكسب مالاً وجعل هذا المسكين يشتري ، والواقع أن البائع هو المسكين ،وهو الذي يحتاج أن يبكى عليه ؛ إذ تجده يجمع من المال الحرام، ثم بعد ذلك إذا حانت ساعة المنيّة ، أو يسمع بعد ثلاثين سنة رواية من خطيب وتأخذه صحوة الموت لمدّة نصف ساعة أو ساعة يتذكّر أنّه لمدّة ثلاثين سنة عمل بالغش ، فكيف أن يستحلل من هؤلاء، أين يجدهم؟ يقول الشيطان له أيضاً: هذا الأمرُ صعبٌ عليك. يؤنّبه ضميره لمدّة نصف ساعة أو ساعة ثم يرجع مرة ثانية ((رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم))[1]، الشيطان يُحاول أن يكبّل الإنسان ((لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ))[2] قلنا سابقاً أنّ مهمّة إبليس هي الإغواء، ليس له عمل آخر، يصطاد في كلّ يوم وله مجموعة تقع فيه شباكه، ويوم القيامة يتبرّأ منهم، فيقول: دعوتكم فاستجبتم لي، يرى العقوبة هناك عقوبة شديدة ليست كعقوبة الدنيا قطعاً يحاول أن يتبرّأ.

١–المطففين: ١٤.
٢–ص: ٨٢.

أميرُ المؤمنينعليه السلام قال لتلك المرأة : ما لك؟ قالت: يا أمير المؤمنين ، اشتريت من هذا تمراً بدرهم ، وخرج أسفله رديئاً ليس مثل الذي رأيت، فقال: ردّ عليها. فأبى، حتى قالها ثلاثاً فأبى، فعلاه بالدرّة حتى ردّ عليها [1] -الدرّة يعني السوط-. لاحظ الطريقة المرعبة في الروايات الشريفة، وهذه الروايات ليس فيها مبالغة ، لأنّ هذا بيان لحكمٍ شرعيّ، والإمامعليه السلام يريد أن يبيّنه.

لقد أصبحت مسألة الربا متعارفاً عليها في الوقت الحالي، ومفهوم الرّبا موجود في الرسائل العملية للعلماء أعلى الله مقامهم وحفظ الله الحاضرين جميعاً يمكن مراجعته ، ولكن أتكلّم عليه بإيجاز، الربا تارةً في المعاوضة، يعني نشتري ونبيع، نشتري شيئاً موزوناً ونبيع أيضاً بشيء موزون، هذه بحمد الله تقريباً قليلة الآن ؛باعتبار الشراء حاليا يكون بالعملة بالنقد، هذا لا أتكلّم عليه ، لكن الربا الذي هو موضع الابتلاء الآن ، هو الرّبا القرضيّ، يعني أن يقرض أحدنا الآخر مقابل فائدة، وهذه المسألة - مما يؤسف عليه - شائعة ، أقرض بمئة وأشرط أخذ مئة وعشرة، والناس تتعاطى هذه المعاملة بشكلٍ كبير، ولها آثار عامة في المجتمع كله، نقلت لحضرتكم رواية تُسمّى «صحيحة أبي ولّاد» ، نقرأها في بعض الكتب الدراسية (المكاسب)، فحوى الرواية - ذكرتها وأعيدها الآن لشاهد - ، شخص يستأجر بغلاً من فلان الى المنطقة الفلانية، ثم يذهب فلا يجد صاحبه، قالوا له: ذهب الى المنطقة الأخرى ، فيذهب على البغل أيضاً ، وهذا كلّه ليس فيه رضا صاحب البغل، بعد مدّة أرجَعَ البغل الى صاحبه فأراد أن يسأل فسأل أحدهم، قال له: ما دمت أرجعت البغلَ سليماً لا شيء عليك، يقول: بقي في نفسي شيء، فسأل الإمام الصادقعليه السلام ، فتأذى الإمام، قال: ((في مثل هذا القضاء وشبهه تحبس السّماء مائها وتمنع الأرض بركتها))[2]، أنا أسألكم كم من هذا عندنا الآن؟، قد يتكلّم الإنسان بلا ضوابط ولا حريجة، فيحلل ويحرم بهواه ، ونحن وظيفتنا أن نحذّر وننبّه، وهذه الوظيفة غير مختصّة بنا فقط ،وهذه الأحكام الشرعية غير مختصّة بجهةٍ دون أخرى، أنا أتمنّى من

١-الكافي: ٥/ ٢٣٠.
٢- جامع أحاديث الشيعة، للبروجردي: ٢٤/ ١١٤.

الإخوة الذين يتصدّون الى معاملات فيها شبهات أن يأتوا الى الشيخ الفلاني أو السيد الفلاني فيطلبوا منه دورات يفقّههم فيها ، نسمع الآن دوائر الدولة من مؤسّسات أو شركات تريد أن تفتح شيئاً تعلن أنّ هناك دورة لتعليم الفنّ الفلاني لمدّة اسبوعين أو ثلاثة، لماذا لا يفكّر التاجر؟ لا يفكّر المتصدّي أن يدخل دورة؟ بدلا من أن يسمع الحكم الشرعي على نحو الصدفة -كما نقول-؟ لماذا لا يكون هناك حرص لديه؟

الربا متفشّ الآن ،وبعض مشاكلنا التي نُعاني منها ليس من البعيد أن تكون مرتبطة بهذه الأعمال، طفلُنا يتكلّم كلاماً نابياً، والشاب غير ورع، والمرأة لا تلتزم بالضوابط، شيخ كبير يقضي وقته في السفاسف، والأسواق كلّها تعمل بالرّبا، والإنسان يقول: أنا مطيع!! كما تقول زينب(عليها السلام): ((بِفِيكَ أَيُّهَا الْقَائِلُ الْكَثْكَثُ [1] وَلَكَ الْأَثْلَب [2]))[3] أي الرمل أو التراب ، يستعجل الإنسان حتفه بطريقةٍ يعتقد أنّ رزقه ينقطع إذا لم يكسب بهذه المعاملة الباطلة، وأنا أذكر روايات متعدّدة بهذا الشأن ، لاحظوا هذه الرواية المختصرة، قال أبو عبد الله الإمام الصادق(عليه السلام) -روحي فداه-: ((دِرْهَمٌ وَاحِدٌ رِبًا أَعْظَمُ مِنْ عِشْرِينَ زَنْيَةً كُلُّهَا بِذَاتِ مَحْرَم))[4] يعني العمّة والخالة، بربّك كيف نتقزّز نحن من الزنية؟ درهمٌ واحدٌ كما يقول الإمام أعظم من ذلك كله ، وأنت تتوقّع أن مالَكَ بدأ ينمو، تتبضّع لعائلتك من هذا السُّحْت ، والواقع أنت ترتكب هذه المحرّمات التي هي أعظم من عشرين زنية، ما الذي دفعك لذلك؟ في الوقت الذي عندنا روايات تؤكّد أنّ (إقراض المؤمن أفضل من الصدقة) تقول الرواية: ((صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ))[5] وإقراض المؤمن أفضل من الصدقة، لأنّك في الإقراض يرجع المال لك وتقرضه مرة أخرى . وبعض الإخوة - جزاهم الله خيراً - عندهم مشروعٌ في القرضة الحسنة ، وشتّان ما بين هذا الدرهم الذي فيه هذه الآثار وما بين إنسان يقرض الناس المحتاجين، ويستغلّ هذه الحاجة ويفرض عليه أموالاً أكثر، من

١- الْكَثْكَثُ: دُقَاقُ التُّرَاب ، ينظر: المحيط في اللغة: ٦/ ١٣٧ .
٢- الْأَثْلَب: فُتَاتُ الحِجَارَة ، ينظر: المحيط في اللغة: ١٠/ ١٤٩ .
٣-الإحتجاج على أهل اللجاج : ٢/ ٣٠٣.
٤-تهذيب الأحكام: ٧/ ١٥ .
٥-الكافي: ٤/ ٧.

أين سيُعطي؟ بالنتيجة سيرهن بيته أو يبيع بيته أو يبيع أثاثه ويحاول أن يسدّد، هذه العائلة سوف تذهب الى الشارع، ساعدت –للأسف- في تدمير عائلة، أعطاك الله مالا حلالاً فأخذته واتّبعت الشيطان، الله يرزق والشيطان يُعبَد!!

لاحظوا هذه الرواية الأخرى يقول زرارة – وزرارة رجلٌ عظيم –، يقول عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إنّي سمعت الله يقول: ((يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ)) يُربي يعني: يُنمي، ويمحق يعني: يُنهي الأشياء، قال: وقد أرى من يأكل الرّبا يربو مالُهُ، يعني: أرى الذي يأكل الربا مالُه يزداد ، فقال الإمام عليه السلام منبّها زرارة : ((أَيُّ مَحْقٍ أَمْحَقُ مِنْ دِرْهَمِ رِبًا يَمْحَقُ الدِّين))[1]، المحقُ أن تفقد شيئا عظيما عزيزا لا يأتي بمال وهو دينُك، والإنسانُ إذا محق دينُه تختلف رؤيته للأشياء فتزيّن له نفسه القبيح، قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: مَنْ شرُّ الإخوان؟ قال: ((مَنْ زيّن لك معصية الله)). اجلس الآن أمام أشخاص مختلفين واطرح رأي الشارع المقدّس، سيدلون بدلوهم وقد يحتجّون، فالذي نما بدنُهُ من أموال الحرام لا يرى حقيقة الأشياء ، بل الرؤية عنده تقلّ الى أن تنعدم، ((وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ...))، عن عليّ عليه السلام في روايةٍ أخرى ، قال: ((لعن رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم الرّبا وآكله وبائعه ومشتريه وكاتبه وشاهديه))، درهمٌ واحد ماذا خلّف؟ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول هذه المجموعة كلّها ملعونة ؛لأنّهم يُحاربون الله تعالى فيحلون ما حرم ((وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا))[2] يُحارب الله تعالى ، ويُحارب رسول الله مع الآثار السيئة التي يتركها الربا، ويجلس صباحاً يفتح باب رزقه فيقول: توكّلت على الله. أنت كذّاب، لم تتوكّل على الله في هذا العمل، أنت عصيت الله تعالى في هذا العمل وتستغلّ ضعاف الناس في الحالة المادية لتُرابي ، عجيب هذا الإنسان جعل الله تعالى له معاملات كثيرة حلالا فلا يعمل بها، ويركن إلى الحرام ، ويبرّر ذلك فيقول: إذا أقرضت مالي فلاناً وفلاناً بلا ربا سينتهي مالي ؛وذلك لأن الرؤية الحقيقة للأشياء عنده معدومة.

في حديثٍ أيضاً عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال من جملة ما قال: ((مَنْ أَكَلَ الرِّبَا مَلَأَ اللهُ

١-فقه القرآن: قطب الدين الراوندي(ت ٥٧٣هـ) ، تحقيق: احمد الحسيني ، ط١ ، ١٤٠٥هـ : ٢ / ٤٩.
٢-البقرة: ٢٧٥.

بَطْنَهُ نَارَ جَهَنَّمَ بِقَدْرِ مَا أَكَلَ فَإِنْ كَسَبَ مِنْهُ مَالًا لَمْ يَقْبَلِ اللهُ تَعَالَى شَيْئاً مِنْ عَمَلِهِ وَلَمْ يَزَلْ فِي لَعْنَةِ اللهِ وَمَلَائِكَتِهِ مَا دَامَ مَعَهُ قِيرَاط))[1]، هذا كلّه حماية لنا حتى لا نقع في نار جهنّم، لذّة وقتية ليس لها قيمة، حفنة من الدراهم المعدودة تجعل الإنسان يخسر الدنيا والآخرة، ففي الدنيا غير مرتاح ، وهذا وعد لأن أهل الباطل وإن كانت أموالهم أموالاً هائلة غير مرتاحين ((أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ))[2] القلب لا يطمئنّ إلّا بذكر الله تعالى، وإن أوتي ما أوتي، وظلّ يتخبّط ويبتليه الله تعالى بابتلاءات لا يخرج منها، وانظروا إلى القصصَ واعتبروا ، شاهدوا الآن كثيراً من الناس زلّت بهم النعمة، هو أزلّها وانتهى به الى أن يكون شخصاً آخر.

إنّ مشاكل المجتمع كثيرة ، وكلٌّ منّا عليه أن يبيّن، لكن بعض المفاسد وبعض المحرّمات تحتاج الى همّة من الجميع، تحتاج الى حالة من الاستياء لهذا المحرَّم، لابُدّ أن نخلق جوّاً أمام الرشوة وأمام الرّبا وأمام الكذب وغيرها من الكبائر، حتى تستوحش الناس الباطل، فإذا استوحشت الناس شيئا تركته، ويتحمّل الجميع عواقب عدم النهي عن ذلك، آمر بالمعروف وانهَ عن المنكر، هذه حالةٌ من الحالات الصحية أن الإنسان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، والرّبا من أشدّ المنكرات التي يعيشها الناس الآن.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجنّبنا وإيّاكم أكلَ الحرام ، والمالَ الحرام ، والفعلَ الحرام ، والكلامَ الحرام، وأن يُبارك لكم جميعاً وإيّانا في أرزاقنا ، ونسأله تبارك وتعالى أن يمنّ على الجميع بالعافية وقبول العمل، وحسن التديّن ،وطاعة الله ورسوله والأئمّة الأطهار(عليهم السلام)، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

١- جامع الأخبار، للشعيري: ١٤٥، وسائل الشيعة: ١٨/ ١٢٢.
٢-الرعد: ٢٨.

الجمعة ١١ ربيع الثاني ١٤٣٧ هـ
الموافق ٢٢ كانون الثاني ٢٠١٦ م

نصّ الخطبة الثانية

اعرض على مسامعكم الكريمة الأمر الآتي:

يعلم الجميع أنّ بلدنا العزيز العراق يمتلك مقوّمات الدولة القويّة اقتصادياً ومالياً ؛ بما أنعم الله تبارك وتعالى عليه من نِعَم شتّى وإمكانات واسعة، سواء من عقول وسواعد أبنائه أو الثروات الطبيعية في باطن الأرض وظاهرها، ولكنّ الحكومات المتعاقبة على البلد منذ عقودٍ من الزمن لم تعمل على تسخير هذه الإمكانات لخدمة الشعب وتوفير الحياة الكريمة له ، بل أهدرت معظم موارده المالية في الحروب المتتالية والنزوات الوقتية للحكّام المستبدّين.

وفي السنوات الأخيرة بالرغم من قيام حكوماتٍ منبعثة من انتخاباتٍ حرّة إلّا إنّ الأوضاع لم تتغيّر نحو الأحسن في كثيرٍ من المجالات، بل ازدادت معاناة المواطنين من جوانب عديدة، فسوء الإدارة والحجم الواسع للفساد الماليّ والإداري من جهة ، والأوضاع الأمنية المتردّية من جهةٍ أخرى منعت استغلال إمكانات البلد ، وموارده المالية في سبيل خدمة أبنائه وسعادتهم.

واليوم يُعاني العراق من مشاكل حقيقيّة وتحدّيات كبيرة، فبالإضافة الى التحدّي الأكبر في محاربة الإرهاب الداعشي ، والتحدّيات الأمنية الأخرى الناجمة

من احتضان بعض للإرهابيّين ودعمهم لهم في الفتك بإخوانهم وشركائهم في الوطن بالأحزمة الناسفة والسيارات المفخّخة، وفي المقابل اعتداء بعض حاملي السلاح خارج إطار الدولة على المواطنين الآمنين والتعدّي على أموالهم وممتلكاتهم، بالإضافة الى التحدّي الأمني بمختلف صوره، هناك التحدّي الاقتصادي والماليّ الذي يهدّد بانهيار الأوضاع المعيشيّة للمواطنين نتيجةً لانخفاض أسعار النفط في الآونة الاخيرة من جهة، وغياب الخطط الاقتصادية المناسبة وعدم مكافحة الفساد بخطواتٍ جدّية من جهةٍ أخرى.

وقد بُحّت أصواتنا بلا جدوى من تكرار دعوة الأطراف المعنيّة من مختلف المكوّنات الى رعاية السلم الأهلي، والتعايش السلمي بين أبناء هذا الوطن، وحصر السلاح بيد الدولة ودعوة المسؤولين والقوى السياسية التي بيدها زمام الأمور الى أن يعوا حجم المسؤولية الملقاة على عواتقهم وينبذوا الخلافات السياسية التي ليس وراءها إلّا المصالح الشخصية والفئوية والمناطقية، ويجمعوا كلمتهم على إدارة البلد بما يحقّق الرفاه والسعادة والتقدّم لأبناء شعبهم.

هذا كلّه ذكرناه حتى بُحّت أصواتنا، إنّ هذا الشعب الكريم الذي أعطى وضحّى وقدّم أبناؤه البررة كلّ ما أمكنهم من دماءٍ وأموال في الدفاع عن كرامته وأرضه ومقدّساته ، وسطّر ملاحم البطولة مندفعاً بكلّ شجاعة وبسالة في محاربة الإرهابيّين، هذا الشعب يستحقّ من المتصدّين لإدارة البلد غير هذا الذي يقومون به، يستحقّ أن يسخّروا كلّ إمكاناتهم في سبيل بناء البلد ، وتطوير مؤسّساته وتطهيرها من الفساد والفاسدين ، وإصلاح القوانين والأنظمة الإدارية ، وإيجاد منافذ مالية جديدة ، ووضع خططٍ اقتصاديّة مناسبة للخروج من الأزمة الخانقة الراهنة، نسأل الله تعالى أن يُلهم هؤلاء الرّشاد فيما يقومون به.

الجمعة ١٨ ربيع الثاني ١٤٣٧ هـ
الموافق ٢٩ كانون الثاني ٢٠١٦ م

بإمامة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائيّ

نصّ الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي جلّ عن اتّخاذ صاحبةٍ أو ولد، وعظم عن أن يكون له كفواً أحد، رافع السماء بغير عمد، ومجري السحاب بغير صفد، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، السميع لمن دعاه، الرؤوف بمن عصاه، وأشهد أنّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عبده الصادع بآياته، ورسوله الداعي الى بيّناته، أرسله رحمةً للعالمين ونوراً للمهتدين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الغرّ الميامين، والحفظة المنتجبين.

أوصيكم عباد الله تعالى وقبل ذلك أوصي نفسي ، بتقوى الله تعالى، واسمعوا لما وعظكم به، وإذا سمعتم فَعُوا ، وإذا وعيتم فاعملوا، وإذا عملتم فأخلصوا، فإنّما هي حججُ الله تُقام عليكم ، وبيّناته تُتلى ونُذُره تُقدّم، فإن أعرضتم عن سماعها كنتم من الغافلين، وإن أضعتموها بعد العلم بها كُتبتم من الخاسرين.

أيّها الإخوة والأخوات سلامٌ عليكم جميعاً من ربٍّ رحيم غفور ورحمةٌ منه وبركات، قال تعالى: ((وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ

رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ))[1].

بيّنّا – أيّها الإخوة والأخوات – في الخطب السابقة أنّ الدنيا دارٌ جعلها الله تعالى للابتلاء، أي الاختبار والامتحان، كما ورد في قوله تعالى: ((الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ))[2]، وذكرنا في خطبٍ سابقة بعض الحِكَم من هذه الابتلاءات التي هي سنّةٌ ثابتة لا تقبل التغيير، يتعرض لها جميع البشر حتى الأنبياء والأئمّة(عليهم السلام) ، ولكن اختبارهم أشدّ وأثقل، ويشمل الابتلاء الأمم والشعوب كما يشمل الأفراد، فالابتلاءات لا تشمل الأفراد فرداً فرداً فقط بل تشمل الأمم والشعوب بأكملها، إنّما نذكر الحِكَم من الابتلاء؛ لكي نعرف أنّ هذه الامتحانات الشديدة إنّما هي لمصلحتنا، ومن أجل تكاملنا وتربيتنا لكي نصل الى تلك المراتب من الإيمان التي يريدها الله تعالى لنا. ومعرفة المؤمن للحكمة من الابتلاء والاختبار تجعله يندفع ويتحفّز لمواجهة هذه الامتحانات والابتلاءات ومصاعب الحياة ومشاكلها، ويبحث عن حلولٍ لكي ينجح ويفلح في مواجهة هذه المصاعب والمشاكل التي يمرّ بها في حياته؛ لذلك علينا أن نتعرّف شيئاً من هذه الحكم لتحقيق هذا الغرض، ثم سنذكر العوامل التي تساعدنا على تجاوز هذه الامتحانات .

من جملة موارد الحكمة في الابتلاء هو التربية والتكامل، ما معنى ذلك؟ تعلمون أنّ الإنسان يمرّ في حياته بكثيرٍ من المشاكل والأزمات والمحن وعوامل الضغط في الحياة، فيحتاج الى مجموعة من الصفات ؛لكي يقوى ويصمد ويتغلّب على هذه المشاكل والأزمات، ومرتبة من هذه الصفات كالثبات والمقاومة والصبر والتحمّل وغير ذلك من الصفات ربّما لا توجد عند الإنسان المؤمن ؛ لكي يقوى على تحمّل هذه الابتلاءات والمشاكل؛ فيعرّضه الله تعالى الى امتحاناتٍ تختلف في المرتبة والشدّة فيبدأ بالامتحان الضعيف كما تلاحظون- أيّها الإخوة والأخوات - الطالب لا يرتقي الى مستوى العلوم التي تُدرّس في الجامعات، ثم الى المراتب العليا إلّا من خلال مروره بمرحلة

١-البقرة: ١٥٥-١٥٧.
٢-الملك: ٢.

الابتدائية والامتحان فيها ،ثمّ المتوسّطة والامتحان فيها ، ثمّ الإعدادية والامتحان فيها، ثمّ الكلّية، وهكذا يترقّى الى أن يصل الى المرتبة العليا في العمل، والجنديّ كذلك حينما يزجّ في معسكرات التدريب يترقّى في قدراته البدنيّة والقتالية؛ لكي يكون لديه الاستعداد والتحمّل لمواجهة مشاكل الحرب الحقيقية والنجاح فيها، كذلك الإنسان المؤمن يحتاج الى هذه المراتب من الامتحانات؛ لكي يتدرّج في مرتبة الصبر والقدرة على التحمّل والثبات والمقاومة حتى لا يضعف وينهزم أمام هذه المشاكل ،ويفشل في هذه الحياة الدنيا والآخرة، فيتعرّض الى ابتلاءات وامتحانات مختلفة في الشدّة ، وحينئذٍ تبدأ تنمو وتتربّى لديه صفة الصبر والثبات والمقاومة، فإذا ما واجه مشاكل وأزمات صعبة وقاسية استطاع أن ينجح في هذه الامتحانات التي يمرّ فيها؛ لذلك من جملة حِكَم التعرّض الى الابتلاء هو تربية هذه الصفات وتنميتها لكي يستطيع أن يواجه هذه الأزمات والابتلاءات ممّا يؤدّي الى نجاحه فيها.

الحكمة الثانية: الرجوع الى الله تعالى، ونلتفت الى هذه الحكمة ؛ فربّما الكثير منّا مبتلى بهذه المسألة نلاحظ أنّ الله تعالى حينما يُنعِمُ على الكثير من الناس ، ويُغدق عليهم بالمال والأولاد والتنعّم بالحياة ، وقد يمنّ عليهم بالسلطة والجاه والقوّة وغير ذلك من الأمور، قد لا يوظّف هذه النعم في طاعة الله تعالى؛ بسبب إقباله على الدنيا وتعلّقه فيها، فيضعف دينه ويبتعد عن الله تعالى ، وقد يؤدّي ذلك الى الإسراف والتبذير وهدر الأموال، ثم الطغيان والبطر والتجبّر ،ثم الغفلة وقسوة القلب، ويريد الله تعالى أن يعيده الى ساحته فيعرّضه الى الامتحان والابتلاء، وحينئذٍ يبدأ هذا الإنسان يتذكّر- حينما يعرّض الى الابتلاء والامتحان- أنه ضعيف عاجز عن أن يواجه هذه المشاكل والأزمات، ويشعر حينئذٍ بالحاجة الى الله تعالى. المؤمن الحقيقي يلتفت الى أنّه ربّما وقع في ساحة البُعْد عن الله تعالى وارتكب هذه المعاصي، حينئذٍ يبدأ بالتوجّه الى الله تعالى والدعاء، ويلتفت الى هذه المعاصي بعد أن كان في غفلةٍ عنها فيبدأ بالعودة الى الله تعالى؛ لذلك إذا وجد المؤمن في بعض الأحيان نفسه بعد أن يقع في هذه الأمور، ويرتكب

المعاصي أنّه يتعرّض الى امتحان فهذا تنبيه؛ لأن الإنسان أحيانا لا يكفيه النصح والموعظة والإرشاد فيحتاج الى هزٍّ عنيف، وهذا الهزّ العنيف يوقظه من الغفلة، وينبّهه أنّه قد وقع في المعاصي والابتعاد عن الله تعالى، هذا الهزّ العنيف يكون بالابتلاء ، ربّما يقع تحت سطوة حاكم ظالم حينئذٍ شعوره بالحاجة الى الله تعالى يدفعه الى الرجوع الى الله تعالى وعدم الوقوع في المعاصي؛ لذلك ورد في بعض الأحاديث :((أشدّ الناس بلاءً الأنبياء ثمّ الأمثل))، ((يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلباً زيد له في البلاء))[1] هذا حديثٌ يشير إلى أن بعض الابتلاءات التي تترى على المؤمنين تكون كاشفة عن الإيمان، هذا أمرٌ أودّ التنبيه عليه ،فبعض المؤمنين يتعرّضون الى ابتلاءاتٍ متواصلة، ربّما تكون كاشفة عن مرتبة الإيمان لهم، لذلك عليه أن يشكر الله تعالى ويتوجّه إليه للخروج من هذا البلاء بما يُرضي الله تعالى ؛لأنّه كاشفٌ عن هذه المرتبة.

نأتي الآن الى وسائل النجاح في الاختبارات والابتلاءات.

الأمر الأوّل: هو استمداد القوّة من الله تعالى في مواجهة هذه الامتحانات، كثيراً ما يتعرّض الإنسان الى عوامل ضغطٍ في الحياة، من محن وأزمات ومشاكل وهموم، هنا يحتاج الإنسان لكونه ضعيفاً عاجزاً عن أن يواجه مثل هذه التحدّيات والأزمات ، يحتاج الى أن يرجع الى الله تعالى فيطلب منه العون والتسديد والتوفيق لنصرته ، ويبدأ بتقوية إيمانه ؛ لكي يأتيه الفيض واللّطف الإلهي في مواجهة هذه الأزمات، لذلك - أيّها الإخوة والأخوات- نحن محتاجون سواء في الأزمات الخاصّة الشخصية، أو الأزمات والمحن العامّة التي تُبتلى بها الأمّة ويُبتلى بها أفراد الشعب كافّة أن نتوجّه الى الله تعالى ،ونطلب منه العون والتأييد والتسديد والقوّة، وأن يُعيننا على تجاوز هذه المشاكل والأزمات، كما ورد في وعده تعالى لعباده المؤمنين ، هذا الوعد مرتبط بمرتبة إيمان الإنسان، ومرتبة أفراد الأمّة بأجمعهم في العودة الى الله تعالى ((ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ))[2]، حقّ على الله تعالى أن ينجّي المؤمنين ممّا يمرّون به من محن وأزمات ((كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ)).

١-الكافي: ٥ / ٧٦٤.
٢-يونس: ١٠٣.

الأمر الثاني: هو شعور المؤمن أنّ المحنة والأزمة والابتلاء الذي يمرّ به هو بعين الله تعالى، وهو ناظرٌ الى ما يتعرّض اليه المؤمنون من المحن والابتلاءات؛ لذلك فإنّ الإمام أبا عبد الله الحسين(عليه السلام) حينما اشتدّت عليه الأمور ، قال: ((هَوَّنَ عَلَيَّ مَا نَزَلَ بِي أَنَّهُ بِعَيْنِ الله))[1] يعني هان عليّ هذا الأمر وسهل عليّ هذا الأمر ؛لأن الله ناظر إليه، ولا شكّ أنّ الله تعالى لطيفٌ رحيمٌ رؤوفٌ بعباده المؤمنين، حينما يكون بعين الله تعالى يكون حينئذٍ لدى الإنسان القوّة والقدرة على التحمّل، إن استمداد القدرة والقوّة على تحمّل المصاعب والأزمات والمشاكل هذه مسألةٌ مهمّة؛ لأنّ الله تعالى مع المؤمن يؤيّده ويسدّده في الوصول الى الوسائل التي يخرج فيها من الامتحان بنجاح.

الأمر الثالث : هو الإصلاح ومحاربة الفساد والدعوة الى الله تعالى ،كما أشارت الى ذلك الكثير من الآيات القرآنية. والصلاح إنّما يبدأ من النفس ؛ لذلك في هذه الدعوة لابُدّ أن ندعو أنفسنا ،نبتدئ بأنفسنا ونحاول أن نعالج ما فيها من الفساد والانحراف ، ثمّ نتوجّه الى الآخرين وندعوهم الى الصلاح وننهاهم عن الفساد، كما ورد في الآية القرآنية التي تدعو الى تغيير النفس أوّلاً ، ثمّ يأتي المددُ الإلهي بعد ذلك ليغيّر ما تمر فيه الأمة من هذه المحن ((إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ))[2]، لذلك نحن نحتاج إلى أن يؤشّر كل منا حالات الفساد والانحراف في نفسه فيبدأ بها أوّلاً ثمّ يدعو الآخرين الى الانتهاء عن هذا الفساد ، قال تعالى: ((فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ))[3].

ومن العوامل والوسائل الأخرى نشر العدل ورفع الظلم وإعطاء الحقوق الى أهلها، فيبدأ كلُّ واحدٍ منّا في أسرته، ربّما يكون أحدنا ظالما في داخل أسرته، أي ظالم لزوجته أو لأولاده أو ظالمٌ لأبويه أو ظالمٌ لأرحامه وأقربائه أو ظالمٌ لبعض أفراد

١-بحار الأنوار: ٤٥/ ٤٦.
٢-الرعد: ١١.
٣-هود:١١٦-١١٧.

المجتمع، يبتدئ من داخل الأسرة يُراجع كلّ واحدٍ منّا سلوكه وأداءه للحقوق مع أهله، ثم يعود إلى السوق والشارع ، وفي المدرسة، وفي الدائرة ، وفي كلّ مكانٍ ينشر العدل، وإذا وجد حالةً من الظلم ينهى عنها، ويعطي الحقوق الى أهلها، سواء الحقوق الشرعية أو الحقوق الأخرى، ولنلتفت الى هذه المسألة في الوقت الحاضر، فهناك الكثير من الأيتام والأرامل والفقراء والمستضعفين، هؤلاء تارةً لهم حقوق شرعية قد فرضها الله تعالى وشرّعها، وهناك حقوق وأموال وامتيازات تُعطيها لهم دوائر الدولة أو المؤسّسات الخيريّة، علينا أن نلتفت إذا كانت هناك حقوق للشهداء أو حقوق للأيتام أو حقوق للفقراء ، علينا أن نسأل تلك الدائرة لمن تُقسّمُ هذه الحقوق ؟ هذه الأرض التي تُمنح للشهيد أو للأيتام أو لهذه العائلة، لَمنْ تكون ؟ وعلى مَن تقسم الأموال التي تمنحها هذه المؤسّسة الخيرية للأيتام أو لعائلة شهيد؟ هذه أمور تكون بحسب مانحها، نعم.. هناك الحقوق الشرعيّة نرجع الى أهل الشرع ونسألهم عن كيفيّة تقسيمها ، ولكن هناك أموال وحقوق وامتيازات تمنحها دوائر الدولة أو مؤسّسات رعاية الأيتام، نرى أحيانا الأخ أو الأب يصرف المال الذي يعطى لعائلة الشهيد في مجلس الفاتحة، ولكن هذه الجهة قد أعطت هذا المال الى عائلة الشهيد ليُقسم بين أولاده وزوجته وأبويه . علينا أن نرجع ونسأل تلك المؤسّسة الخيرية أو الجهة الحكوميّة التي منحت هؤلاء الأيتام، ولنراجع أنفسنا فيما يتعلّق بالحقوق التي تُمنح لهؤلاء الأشخاص؛ لذلك قد يقع الإنسان أحياناً في ظلم لعائلة الشهيد أو للأيتام أو لهؤلاء المستضعفين والمحرومين، فعلينا أن نكون دقيقين في هذه الأمور، ونسأل عنها حتى لا نقع في ظلم لمثل هذه الشرائح، وقد توعّدت الكثيرُ من الآيات القرآنية والأحاديث بعذاب شديد لمن يرتكب مثل هذه الأمور ((إِنَّ اللهَ يُمْهِلُ الظَّالِمَ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْه))[1] وبعد أن ذكر رسول الله ﷺ هذا الحديث تلا هذه الآية القرآنية ((وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ))[2] هذا يشمل المدن التي واجهت الأنبياء بالعناد وعدم التصديق والتكذيب لهم، لكن الظلم يعمّ مثل هذه المصاديق.

١-بحار الانوار: ٦٧/ ٣٣٦.
٢-هود: ١٠٢.

الأمر الرابع: هو الابتعاد عن المعاصي واللهو والعبث والغفلة ، والاشتغال بطاعة الله تعالى، قد ينعم الله تعالى على الإنسان بالمال ،وينعم عليه بأمور أخرى من جاهٍ وسلطةٍ فيقع الإنسان بسبب غفلته وانشغاله وتعلّقه بالدنيا في المعصية، ويسرف ويهدر الكثير من هذه الأموال ؛ لذلك علينا أن ننتبه - أيّها الإخوة والأخوات- كذلك مسألة الوقت وصرفه في أمور عبثية ولهوية ، هذه أمور أيضاً ربّما تسبّب نزول العذاب الإلهي؛ لذلك علينا أن نكون دقيقين حتّى في صرف ما يُنعم الله تعالى به علينا، قال تعالى : ((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ..))(١) يعني ينزل الخير من السماء ويعمّ ((وَلكن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ))، ولذلك إذا أنعم الله تعالى على عبدٍ وبقي يرتكب المعاصي فربّما كان هذا استدراجا له، ثم ينزل العذاب الشديد به، كما جاء عن النبيّ ﷺ: ((إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يُحِبُّ وَ هُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعْصِيَتِهِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ اسْتِدْرَاج))(٢)، يأتي البلاء فيكون نعمة؛ لكي ننتبه على هذه المعاصي التي نرتكبها، كما قال تعالى: ((فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ))(٣).

الأمر الخامس: وهو التوبة والاستغفار والدعاء والتضرّع الى الله تعالى والاستعانة به في مثل هذه الأمور، في مثل هذه الأزمات والامتحانات التي نمرّ بها نحتاج جميعاً الى التوجّه الى الله تعالى بالتضرّع والدعاء والتوبة والاستغفار الحقيقي، وكذلك من الأمور المهمّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأودّ أن أبيّن النقطة الآتية: كثيراً ما نرى في بعض مدننا حتى في بعض المدن المقدّسة جهراً بالمعاصي، فلا يقول الواحدُ منّا إنّ هذا لا يعنيني طالما أنّني لم أرتكب هذه المعصية؛ هذا الجهر بالمعاصي والسكوت عنه ليس صحيحاً كما نرى في بعض المدن من إقامة حفلات الأعراس التي يعصى فيها الله علناً ، أو أنّه تُعرَضُ في بعض المحلّات الأمور التي تثير الشهوة لدى الشباب والرجال أو بعض الظواهر من المعاصي التي تُرتكب علناً حتى في المدن

١-الاعراف: ٩٦.
٢-مجموعة ورام: ٢/ ٢٣٢، بحار الأنوار: ٦٤/ ١٩٨.
٣-الانعام: ٤٤.

المقدّسة التي يجب أن تُراعى فيها حرمة هذه الأماكن المقدّسة، ليس من الصحيح أن يسكت الآخرون عن مثل هذه الظواهر، هذا الواجب -الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- يبدأ من داخل البيت - كما قلنا قبل قليل- إنّ الإنسان عليه أن يراقب نفسه في مسألة الظلم من داخل البيت، هل الواجبات يُعمَلُ بها ؟ وهل المنكر يُنتهى عنه أولا؟ فيبتدئ بنفسه وأسرته ثمّ ينتقل الى السوق والشارع، هذا واجبنا إخواني، هذا الواجب المهمّ العظيم الذي أكّدته الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، إذا وجدنا في السوق والشارع وفي المدرسة وفي الدائرة معاصي تُرتكب علينا أن ننهى عن هذه المعاصي، هذا واجب على الجميع فلا يقلْ أحدٌ إنّ هذا الأمر لا يعنيني، ولا يهمّني، أنا لا أرتكب هذه المعصية، الآخرون يرتكبونها، هذا خطأٌ كبير؛ لأنّ هذا الواجب قد يتوهّم بعضُنا أنّه يتعلّق برجال الدين فقط، وهذا ليس بصحيح، بل هو واجبٌ على الجميع ؛ لذلك على كلّ فردٍ حينما يرى مثل هذه الظواهر أن ينهى عن هذه المعصية ،مع توفّر الشروط المذكورة في الكتب الفقهية، لذلك جميع المؤمنين مخاطَبون بهذا الأمر، وقد ورد التحذير الشديد أنّ الأمّة التي لا يُنهى فيها عن المنكر سينزل عليها العذاب ويعمّ الجميع؛ لذلك أصبح من الضروريّ الالتفات الى أداء هذا الواجب حتّى يكون هذا النهي المجتمعيّ رادعاً للآخرين عن ارتكاب المعاصي، كما ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ((والذي نفسي بيده لتأمُرُنّ بالمعروف ولتنهُنَّ عن المنكر أو ليوشكنّ الله أن يبعث عليكم))[1] -لاحظوا صيغة العموم- ((..عقاباً منه، ثمّ تدعونه فلا يُستجاب))؛ لذلك أيّها الإخوة والأخوات ، الجميع مدعوٌّ الى أن يؤدّي هذا الواجب حتى نحصّن أنفسنا؛ لأنّه لا ندري هذا المنكر الذي يُرتكب علناً في منطقةٍ ما ربّما في المستقبل سيدخل بيتي، وينتقل الى أولادي وأسرتي، نحن لا يُمكن أن ننفكّ عن تأثيرات المجتمع الذي من حولنا، من هنا فإنّ هذا الرجل وهذه المرأة التي تقوم بأداء هذا الواجب إنّما هي تحصّن نفسها ، والرجل يحصّن نفسه وأسرته ويحصّن مجتمعه، لذلك على الجميع أن يؤدّوا هذا الواجب.

١-كنز العمال: ٣ / ٦٨.

المسألة الأخيرة التي أودّ بيانها، نمرّ الآن بأزمةٍ ماليّةٍ صعبة في العراق، وقد ذكرنا بعض الوسائل لتجاوز الابتلاء والامتحان، وهنا أؤشّر على شيءٍ بسيط من الحلول، وإلّا فالحلول الكبرى تتعلّق بالمسؤولين في الدولة. من جملة الأمور التي نحتاج اليها لتجاوز مثل هذه الأزمات الابتعاد عن النمط الاستهلاكي، فلا تتقدّم المجتمعات، ولا تستطيع أن تُعالج مثل هذه الأزمات لغرقها في النمط الاستهلاكي في الحياة المعيشية ، والابتعاد عن النمط الإنتاجي لأسباب متعدّدة، أذكر أمثلةً عن ذلك -أيّها الإخوة والأخوات - فهل من الضروريّ أن الإنسان الذي أنعم الله تعالى عليه بالمال أن يستبدل السيارة ذات الموديل (٢٠١٢) ويعتبرها موديلاً قديماً ؟ هل من الضروري أن الإنسان الذي يمتلك جهازاً -هذا الهاتف النقّال- أن يقول هذا قديم وهو يفي بالغرض الذي يريده منه؟ وأن يستبدل به جهاز آخر؟ هل من الضروريّ أن الأثاث الذي يفي بالغرض لهذه العائلة يستبدل به أثاث آخر؛ لأنّها تراه بحسب مستواها المالي أو غير ذلك غير مناسب؟ هل من الضروريّ أن تُستبدل الأجهزة الكهربائية وهذا يتطلّب صرف الكثير من المال، على الرغم من أن هذه الأجهزة تؤدّي الغرض والفائدة المرجوّة؟ هل من الصحيح مثل هذه الظواهر الكثيرة؟

ثمّ في مسألة ترشيد الاستهلاك -لاحظوا- النمط استهلاكيّ ،والابتعاد عن النمط الإنتاجي، المطلوب أن نتوجّه نحو الإنتاج. إذا اكتفت هذه العائلة بهذه السيارة وبهذه الأجهزة الكهربائية وهذا الأثاث وغيرها ستوفّر مجموعةً من الأموال من الممكن أن تُصرف في أعمالٍ إنتاجية وبنائية، ومن الممكن أن تُصرف على الفقراء والأيتام والاحتياجات الأخرى لهذه الطبقة، نحتاج الى أن نغيّر نمط حياتنا من النمط الاستهلاكي الى النمط الانتاجي. نعم، هذه الأمور يحتاجها الإنسان لكن عليه أن يجعلها في مرتبة لا تضرّ بالوضع الماليّ له والوضع الاقتصادي له وللمجتمع، لذلك علينا أن نراجع أنفسنا ، ثمّ يأتي أيضاً شيءٌ آخر ترشيد الاستهلاك في الكهرباء وفي الماء وفي الأمور الأخرى هذه الأجهزة التي يعمل بها الموظف أو بقية أفراد المجتمع في

البيت، هل يمكنك أن تستمرّ لسنواتٍ أخرى وتحافظ عليها بحسن الاستخدام؟ هل من الممكن صيانتها لتدوم أكثر ومن ثم توفّر لنفسك وبلدك أموالاً يمكن أن تصرفها في موارد أخرى؟ فبعض الأزمات نحتاج في معالجتها ، والخروج منها الى أن نفكّر بنمط من العلم والتفكير والتأمّل والإجراءات الاقتصادية التي تشمل مستوى الفرد العادي، وفي ظلّ هذا الوضع نحن نحتاج الى مجموعة من الإجراءات ، لكننا نحن نخاطب المواطنين باعتبار أنّ هذه المرحلة التي نمرّ فيها هي مرحلة من الأزمة الخطيرة التي تحتاج الى بعض المعالجات التي يُمكن أن نخرج منها بسلام.

أختم هذه الخطبة بحديثٍ لأمير المؤمنين عليه السلام : ((وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ وَتَزُولَ عَنْهُمُ النِّعَمُ فَزِعُوا إِلَى رَبِّهِم))[1] الرجوع الى الله تعالى ليس بالدعاء فحسب ، بل الابتعاد عن المعاصي والتوجّه الى الله تعالى بالطاعات، ومراجعة نمط الحياة التي نعيشها ((رجعوا الى ربّهم بنيّاتٍ خالصة وقلوبٍ والهة لأصلح الله لهم كلّ فاسدٍ ولأرجع لهم كلّ شارد)).

نسأل الله تعالى أن يسلك بنا سبيل الرشاد، ويصلح الفاسد من أمورنا إنّه سميع الدعاء، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمدٍ وآله الطاهرين.

١-شرح نهج البلاغة: ١٠/ ٦١.

الجمعة ١٨ ربيع الثاني ١٤٣٧ هـ
الموافق ٢٩ كانون الثاني ٢٠١٦ م

نصّ الخطبة الثانية

لقد اتّصفت السنواتُ الماضية بعد تغيير النظام بتوالي الأزمات المعقّدة على البلد ، وما كادت تخفّ أزمةٌ صعبة وقاسية حتى برزت أزمة أخرى لا تقلّ صعوبةً وشدّة عن سابقتها، وكان بالإمكان تجنّب الكثير منها لو كان مَنْ بيدهم الأمور من القوى السياسية الحاكمة قد أحسنوا التصرّف، ولم يلهثوا وراء المصالح الشخصية والفئوية والمناطقية، بل قدّموا المصالح العُليا للعراق والعراقيّين على جميع المصالح الأخرى.

إنّنا لا ننكر أنّ المهمّة لم تكن سهلة ويسيرة ، ولاسيّما مع تعقيدات الأوضاع الداخلية من جهةٍ وتدخّل الكثير من الأطراف الخارجية في الشأن العراقيّ من جهةٍ أخرى، ولكنّها بالتأكيد لم تكن مهمّةً مستحيلة بل كانت ممكنة جدّاً لو توفّرت الإرادة الوطنية الصادقة لمن هم في مواقع القرار لمواجهة المشاكل ، وتجاوزها من خلال معالجة جذورها قبل أن تتحوّل الى أزماتٍ خانقة.

قد أوضحنا في الخطب الماضية في مرات عديدة ما يتطلّبه تجاوز أزمات البلد في الوقت الحاضر من قرارات حاسمة وإجراءات فاعلة، سواءً على مستوى مكافحة الفساد المالي والإداري أو إنهاء نظام المحاصصة في تسلّم المواقع الحكومية أو غير ذلك، ممّا لا نجد ضرورةً في تكراره على مسامعكم ،ولكن نكتفي هنا بالإشارة الى أنّ الأزمة

المالية للبلد بلغت حدّاً خطيراً حتى باتت المستشفيات تشتكي من عدم توفّر الأموال اللازمة لشراء الأدوية والمستلزمات الطبّية الضرورية لإجراء العمليات الجراحية، ولم يعد يوفّر رواتب الموظفين والمتقاعدين كاملة.

إنّ الحكومة مدعوّةٌ الى الاستعانة بفريقٍ من الخبراء المحلّيّين والدوليّين لوضع خطّةِ طوارئ لتجاوز الأزمة الراهنة، وأن تتّخذ إجراءاتٍ تقشّفية لكثير من المصروفات غير الضرورية في الوزارات والدوائر الحكومية كقسم من الإيفادات الخارجية التي لا جدوى منها، ولا نحبّذ الاستغراق بذكر الموارد الأخرى. وليس بحقّ عامّة الشعب والطبقات المحرومة ، ولا فيما يحتاجه أعزّتنا المقاتلون في جبهات المنازلة مع الإرهابيّين، نتضرّع الى الله العليّ القدير أن يأخذ بأيدي المسؤولين الى ما فيه صلاحُ شعبنا وخيره وسعادته إنّه سميعٌ مجيب.

خطب الجمعة

لشهر

شباط
٢٠١٦م

ربيع الثاني
جمادى الاولى
١٤٣٧هـ

الجمعة ٢٥ ربيع الثاني
٥ شباط
بإمامة سماحة السيد أحمد الصافي

الجمعة ٣ جمادى الاولى
١٢ شباط
بإمامة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

الجمعة ١٠ جمادى الاولى
١٩ شباط
بإمامة سماحة السيد أحمد الصافي

الجمعة ١٧ جمادى الاولى
٢٦ شباط
بإمامة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

الجمعة ٢٥ ربيع الثاني ١٤٣٧ هـ
الموافق ٥ شباط ٢٠١٦ م

بإمامة سماحة السيد أحمد الصافي

نصّ الخطبة الأولى

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمد وعلى آله الطيّبين الطاهرين، اللهمّ لك الحمد على كلّ خير أعطيتناه، ولك الحمد على كلّ شرٍّ صرفته عنّا، ولك الحمد على ما خلقت وذرأت وبرأتَ وأنشأت، ولك الحمد عدد ما أبليت وأوليت وأفقرت وأخذت وأعطيت.

إخوتي الأفاضل ،أبنائي الأعزّاء ،آبائي الأجلّاء ،أخواتي المؤمنات، بناتي العفيفات ،أمّهاتي المربّيات، السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

أوصيكم جميعاً ونفسي الغارقة في بحار الخطايا والآثام بتقوى الله تبارك وتعالى، والعمل بطاعته والابتعاد عن معصيته فإنّه ((فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)) [1] وفّقنا الله تبارك وتعالى جميعاً للأخذ بطاعته، والابتعاد عن معصيته، وألبسنا الله تعالى وإيّاكم لباس التقوى.

لعلّ من المسائل المهمّة التي أولاها الشارع المقدّس أهمّية كبيرة هو موضوع الأسرة، وسنتحدّث بما يسمح به الوقت عن موضوع الأسرة ؛ لأهمّيته من جهة ،وللآثار

١-الزلزلة: ٧-٨ .

السلبية التي تبرز في حال عدم الاعتناء بالأسرة. تعلمون أنّ الله تبارك وتعالى أوجدنا في هذه الدنيا، وكلّفنا وبيّن ذلك بياناً جليّاً من خلال الرسالات السماوية التي بعثها، وقام الأنبياء(عليهم سلام) بوظيفتهم في تبلغيها ، وبيّنوا ذلك الى أن وصل الأمر الى خاتمهم سيّد الخلق النبيّ المصطفى(صلى الله عليه وآله وسلم) ،وهو خاتم الرسل. وذكر في القرآن الكريم وسنّته المطهّرة مجموعة من الآداب والمقوّمات في مسألة بناء الأسرة، و أكمل الأئمّة(صلوات الله عليهم) من بعده هذا المشوار ؛لأهمّية الأسرة اجتماعياً، ولعلّنا لا نتكلّم على الموضوع من ناحيته الفقهيّه بقدر ما نريد أن نعكس هذا الاهتمام الكبير من الشارع المقدّس والآثار المترتبة على الإغفال عنه، إذ يحدّد الشارع المقدّس صفات الرجل وصفات المرأة بدءاً من تكوين الأسرة ؛ لأنّ مشروع الأسرة ليس مشروعاً جزئياً أو مشروعاً مؤقّتاً وإنّما هو مشروع بناء، ولذلك كان التركيز في جانب الرجل على أن يكون صاحب خلق ودين؛ لأنّ ذلك سيُعطي حمايةً للزوجة أن لا يتجاوز عليها ولا يغمطها حقّها ؛ لأنّ دينه سيكون مانعاً من الظلم، ومن صفات المرأة أن تكون لها حالة من التديّن، والإنسان إذا أقدَمَ يُقدّم ذات الدِّين على الجمال أو على المال، لماذا؟ لأنّ هذه المرأة ستكون وعاءً صالحاً، وستُزرع في رحمها نطفة، فإذا كانت عندها صفات الدِّين ستحافظ عليها الى أن يأتي هذا المولود . وهناك آداب شرعية يبتدئ فيها الشارع المقدّس من حين ولادة هذا الطفل، مثلا أن يؤذّن في أُذنه اليُمنى ويُقام في اليسرى، ثم بعد أيّام يتصدّق بوزن شعره ويُعَقّ عنه ،وأمثال ذلك، ما الهدف من ذلك؟ فضلاً عن الجانب الاستحبابي يدلّ ذلك على أنّ هناك أهمّية شرعيّة في تكوين الأسرة. من المسؤول عن ذلك؟ لا شكّ أنّ المسؤولية تتحدّد عند الأب وعند الأم في الدرجة الأولى، وعليهم أن يحسنوا الاهتمام بهذا الوليد الى أن يكبر، ويلزم الشارع المقدّس الأبوين أن لا يتقاعسا عن مسؤوليّتهما تجاه هذا الولد، فيعلّمونه ويتابعونه ويهتمّون به في كفالته وصحّته ورضاعته، وهذه مسألة واضحة للعيان، إذن هناك دورٌ مهمّ جداً لابُدّ أن يقوم به الأب والأم، فإذا تخلّى الأب عن مسؤوليّته وتخلّت الأم عن مسؤوليّتها ،فلا تتوقّعا من هذا الولد أن يكون وفق ما تريدان؛ لأنّهما لم يقوما بهذه المهمّة بشكلٍ جيد ،وإنّما تركوا هذا

الولد إلى رحمة الظرف الخارجيّ، فيجبّ أن لا يُقصّر الوالدان بمقدارٍ ما في هذا الجانب الى أن يكبر وينضج الولد.

وقد ركّز الإسلام على العلاقة الاجتماعية بشكلٍ خاص، فالعلاقة مع الجار لها أهمّية كبيرة جدّاً حتى إن كان الجار غير مسلم، وركز على العلاقة مع الأقرباء والعلاقة في المحيط الذي يعمل به، لكن يبقى تنظيمُ الأسرة هو الأساس لجميع هذه العلاقات، ويجب أن يتربّى الإنسان داخل الأسرة تربيةً إذا ما زجّت الأسرة بهذا الولد الى الشارع يكون عنصراً نافعاً، تأدّب بآداب الأسرة ، ثم انتقل الى آدابٍ أخرى هي آداب المدرسة.

هنا -إخواني- سنتحدّث صراحة؛ لأنّ هناك مشكلة تواجهنا الآن وتعصف ببناء مجتمعاتنا، ألا وهي حالة ترك الأبوين الأولاد ، فقد يكون الوالد منشغلاً والأمّ منشغلة أيضا، فلا يقتطعان جزءا من وقتهما لتربية الولد، وهذا يؤدي إلى حالة من التفكّك الأسريّ من حيث لا نعلم، كيف يكون التفكّك الأسريّ؟ يعيش المجتمع اليوم تطوّرا تكنولوجيّا ، والجانب التكنولوجي له فوائد من جهة، وإذا لم نحسن الاستعمال ستكون له مضارّ، إذ أصبحت الأُسر لا يلتقي بعضُهم مع بعض، تقول: أين ذهبوا؟ نعم ، هم في البيت لكن الولد منشغل بالأنترنت ، والأب أيضاً منشغل ، والأم منشغلة، وتجد العلاقات الأسرية بدأت تتفكك شيئاً فشيئاً ، فالولد ينتمي لأب وينتمي لأمّ ، لكنه لا يلمس جانب الأبوّة وجانب الأمومة وحالة الحنان الخاص والدفء الخاص الذي لابُدّ أن تهيّئه الأسرة ، وفجأةً يرى الإنسان نفسه بدأ يفقد التأثير في ولده، أو الولد بدأ يشعر أنّ حالة الرأفة والرحمة والحنان أخذت تقلّ، ليس ذلك بسبب رفض الأب ولده ولا الأم كذلك، لكن هناك مجموعة من الاهتمامات زادت وكثرت فأثّرت في هذا الجانب الاجتماعي الذي يُعاني منه بعض الأبناء الآن .

قسّم الله تعالى الأوقات الى ليلٍ للراحة والنوم، ونهارٍ للعمل والكسب، بعض هذه الوسائل قلبت حياة بعضنا ، يتّخذ الليلَ للعمل والسهر بلا مبرّر ، وفي النهار تجده عاطلاً متشائماً لا يقوى على العمل بسبب هذه الآثار النفسيّة التي بدأت تضرب شبابنا

وبناتنا، الأب له مسؤولية عُظمى في أن يوجّه الأولاد، لا يُمكن أن نُسيء استخدام بعض الوسائل في مقابل أن تتفكّك عرى الأسر، الأسرة نواة المجتمع عندما نرى بعض التصرّفات عند الأولاد نعتب على الأبوَيْن ، نقول: لماذا لم يمارس الأبوان مسؤوليّتهما تجاه هذا الولد؟ وعندما تأتي الى الأب تجد أنّ جلّ وقته منصرف عن ولده.

أقول: -إخواني- هذه المسائل مع التطوّرات السريعة ، لابُدّ أن يتيقّظ الإنسان لها؛ لأن الولد أمانة في أعناق الأبوين، والولد إذا كبر سيكون برٌّ والديه أمانةً في عنقه فيتعامل معهما تعامل من يسمع لهما، الآن أصبح الولد يتمرّد وأصبح الأب غير مكترث، وبدأ كلٌّ منهما يعيش حياته الخاصّة ويكون البيت مكاناً للأكل فقط من دون أن يكون مكاناً للتوجيه، أو أن تجتمع الأسرة ويتحدّث أحدهم مع الآخر لحل مشكلة أو لتوجيه أو تربية، ثم بعد ذلك يأتي هذا الشاب الى المدرسة وتبدأ مشكلة كبيرة. الآن أنا لا أريد أن أتحدّث بالتفصيل عن مشاكل المدارس سواءً في الابتدائية في هذه الأعمار الصغيرة ام في غيرها ، نعم.. هناك مشاكل كبيرة جدّاً لا يجرؤ الرجل الكبير أن يعمل مثل هذه الأعمال ، والآن أطفال في أعمار صغيرة يعملون أعمالاً بلا حياء، وتُعاني منها المدرسة ، ويُعاني منها المعلِّم والمعلِّمة، بسبب ماذا ؟ جزء من ذلك غياب المسؤولية الأسريّة عن ذلك، فلابُدّ من الاهتمام -إخواني- بهذه النواة، الأولاد نواة الأُسر، على الأب أن يوفّر -ما استطاع الى ذلك سبيلاً- حياةً فيها حصانة للولد، أن يأتي به في مواطن الاجتماعات التي ندب اليها الشارع المقدّس، وأن يشارك الناس في أفراحهم وأتراحهم وأحزانهم، هذه الاختلاط الاجتماعي مطلوب، ليعيش الإنسان حالة من المدنيّة والاختلاط مع الآخرين، الجانب الاجتماعي مهمّ مع ملاحظة التوجيه والإرشاد؛ لأن الإنسان سيعيش مع جهازٍ ينفتح على العالم ويعيش حالة الوحدة، وسيكون عنصراً -إذا لم يُحسن الاستخدام- سيئاً غير صالح، وتبدأ هذه المعاول تحاول أن تفكّك عرى الأُسر، وبالنتيجة تنعكس على مجتمعاتنا.

هناك حالةٌ صحّية ندب الشارع المقدّس اليها، فلا يُمكن أن نغفل هذه القضايا

الاجتماعية ؛ لأنها لا تتغيّر مع التطوّرات العلمية، بمعنى أنّ حالة المحبّة، وحالة الغريزة ،وحالة الرأفة ،هذه ليست لها علاقة بالتطوّر فلا تنعدم بالتطوّر، فالتطوّر التكنولوجي ملاكه علوم طبيعية وعلوم رياضية وهندسية ، وهذه لها ملاك آخر، هذه من الأمور الخاصة الطبيعية عند الإنسان، فالإنسان الآن أو قبل ألفي سنة يُحِبّ ويكره ويعطش ويتحنّن على أولاده، هذه المسائل غير مرتبطة بعالم التكنولوجيا ، نعم.. إذا أسأنا الاستخدام فإنّها تدفعنا الى أن نقلّل من هذه المشاعر، ثم ينقلب الإنسان شيئاً فشيئاً الى شيءٍ آخر تنعدم فيه هذه الأحاسيس، وتنعدم فيه المسؤولية إذا لم يلتفت، ولذلك يشجّع النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمّة الأطهار(عليهم السلام) في مجموعةٍ من الأحاديث على الإتيان بهديةٍ للأولاد إذا دخل الوالد الى البيت بعد سفر ، وأن يقبّل ابنته ويقبّل ولده ، أكثر من ذلك ((مَنْ كان له صبيّ فليتصابَ له))، يحاول أن يلعب مع ولده بمقتضى إدراك هذا الولد، والنبيّ كان يجعل الحسن والحسين على ظهره. هذا الشعور عندما يبتعد عن الإنسان ينحى منحىً آخر ،فتقلّ وتنعدم هذه الخصلة ،ويصبح الإنسان جامداً، بلا أحاسيس بلا مشاعر، ويتحوّل الى كائنٍ أشبه بالكائن الصخريّ، بلا رأفة. -إخواني- الله تبارك وتعالى رحيم، رؤوف، وهذه من أسمائه وصفاته، وهذه الرحمة جعلها فينا، والنبيّ كان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، أقول: هذه الأشياء إذا انعدمت، الأب منشغل يكسب رزقه ثمّ يحاول أن يشتغل مرّة ثانية حتى ينمّي الرزق ،ويأتي الى البيت متعباً ثمّ يتوجّه الى هذه الوسائل التكنولوجية والأمّ كذلك، ويأتي هذا الطفل المسكين يلتفت يميناً يساراً لا يجد أحداً يعتني به ، ثمّ عندما يكبر يصنع مثلهما أيضاً لأنه تعلّم منهما، ثمّ بعد ذلك يكون هؤلاء كغرباء في البيت، لا يعرف أحدهم الآخر، هذا له حياته ،وهذا له حياته الاخرى فضلاً عن المشاكل الجانبية التي تحدث بسبب ذلك، ولا نريد أن ندخل في هذه التفاصيل.

كيان الأسرة -إخواني- أمانة، الإنسان عندما يقدم على تكوين الأسرة تراه يحدّد صفات المرأة، والمرأة كذلك عندما يأتيها أحد تشترط ، على أمل أن تتكوّن بذرة

صحيحة ، أولاد وبنات يحملون هذا الهدف الذي زرعه الأبوان عندهما. لا نحاول -إخواني- أن نقلب عقائدنا بشكلٍ خاطئ، فأكثر المشاكل تنشأ من غياب الدِّين وليس من الدِّين، هذه فرية يتكلّم بها بعضهم والآخر كالببغاء يردّدها، أغلب مشاكلنا الآن؛ لأنّنا بعيدون عن الدِّين، الدِّين يحدّد وظيفتي تجاه الآخر ،ويحدّد وظيفة الآخر تجاهي، لو كنت ملتزماً بما أمرني الله تعالى لما حدثت مشاكل، وهذا هو السرّ الذي جعل المشاكل تترى علينا، ألمْ يحرّم الله الرّبا؟ قرأنا في الخطبة السابقة ، حرّم الله الرّبا، لماذا نرابي؟ ابتعدنا عن الدِّين فوقعنا في الرّبا ، كذلك هنا الاسرة قد حماها الله وقدّسها ووضع لها احكاما في كلّ جزئية ، نحن تركنا هذه الأمور جنباً وتعاملنا مع غير الدِّين فوقعنا في المشكلة، نريد الآن أن نتخلّص من المشكلة لا نستطيع إلا بالرّجوع الى الدِّين، أما الرجوع إلى غيره فينطوي على مشكلة أخرى. وبدأت المشاكل تكثر الآن في مستويات متعدّدة، المشاكل في الجامعات وهي مشاكل مرعبة، وهذه كلّها بدأت تنخر في مجتمعاتنا الأصيلة التي لها واقعية ولها حضارة وتراث، ابتعدنا عن الدين فوقعنا في مشكلة، تأتينا مشاكل – والله – يشيب لها الوِلْدان، بسبب ماذا؟ الأمّ غير ملتفتة ولا الأب ، ولا يوجد من ينبّه هذا الشاب ، ولا المدرس يعمل بوظيفته الأخرى وظيفة التربية، اجتمعت مجموعةُ مشاكل أنتجت مساوئ، وبعض المشاكل لا نستطيع حتى أن نتحدّث بها، وهذا ينشأ من تقصير، وفي بعض الحالات يكون تقصيراً اجتماعيّاً غير تقصير الأسرة، المجتمع لا يكترث ولا يُبالي، هنا أحبّ -حتى لا أُطيل- أن أُلفت النظر الى قضيةٍ هي أن المسائل الفرديّة التي نمرّ بها، متأتية من مسائل اجتماعية، بمعنى هناك جوّ اجتماعيّ يقبل هذا الفعل وجوّ اجتماعي لا يقبل هذا الفعل، وجزء من الحصانة أن يكون هذا المجتمع يقبل الأشياء المقبولة ويرفض الأشياء الأخرى، مثلاً الآن مسألة الرشوة، لو جنابك ذهبت الى دائرة معيّنة من دوائر الدولة أو مؤسّسة من المؤسّسات ، ولست وحدك بل مجموعة وشاهدتم الرشوة، ما ردود الفعل؟ تارةً ردود الفعل تكون قويّة من الجميع أمام الراشي والمرتشي، وتارةً تكون ردود الفعل لا مبالاة،في الحالة الأولى سنقضي على الرّشوة لو كانت ردود الفعل قوية، لا تتكرّر الرشوة، وبعد ذلك سيشعر المرتشي بالخوف ؛لأنّه

يعلم أنّه مجرم، وحالة الرفض هذه يكون فيها فضلا عن الجانب الدِّيني جانب أخلاقي وجانب اقتصادي ، لكن في الحالة الثانية لا يشعر المرتشي بالخوف بل يصرّح علناً، ويعتقد أنّه لم يفعل شيئاً فلا يجرّم نفسه، نعم.. في بداية الحال قد يؤنّبه ضميره ، لكن عندما تنمو هذه الحالة عنده يرى الحقّ باطلاً والباطل حقّاً، جزءٌ من مساعدة انتشار هذا المرض هو هذا الجوّ الاجتماعي المفقود. وهكذا الآن في كثيرٍ من أمورنا العامّة هناك حالات عامّة ، يعرض بعض أصحاب المحلّات أشياء هي خلاف الحياء، لكن لا أحد يعترض بالنتيجة سيكون أمراً مطلوباً وأمراً جيداً، وسيواجه المعترض اعتراضاً؛ لأنّ الجوّ العام كان سبباً في تسخيف عملية الأمر بالمعروف، المجتمع قطعاً له علاقة، الجوّ الاجتماعي لابُدّ أن تلاحظ فيه هذه الأشياء، المسؤول عنه بالدرجة الأساس الأسرة، لأننا عندما نواجه هذه المشكلة ونُحدث جوّاً في البيت فسنأتي الى المجتمع ،ونحن نملك هذا الجوّ من الرفض لهذه الحالة الاجتماعية التي قد تؤثّر فيهم، نعم.. إذا لم تكترث الأسرة -كما قلنا - سيطغى الجوّ الاجتماعي، وأنتم تلاحظون الآن -إخواني- الكلّ يعترض بداخله إلى مشكلة اجتماعية، لكن لا يقوى على حلّها؛ لأن الجوّ الاجتماعي لا يساعد كثيراً على إنهاء بعض الظواهر الشاذّة ، والظواهر المنحرفة والباطلة.

أختم الخطبة الأولى بمطلبٍ من الإخوة، والكلمة ليست لها علاقة سياسيّة ،وإنّما لها علاقة بواقع اجتماعي، تعلمون المشاكل الاقتصادية للدولة ، وهذا يؤثّر في بعض الفعّاليات، من جملتها مسألة النظافة، وهذه مسألة مرتبطة بأكثر من جهة ، مرتبطة بالبيئة ومرتبطة بالصحّة، ومرتبطة بتفشّي بعض الأمراض، والمواطن يدفع الثمن ، فهذه الأنقاض تتجمّع هنا وهناك، وهناك أسباب تتعلّق بالدّولة، مثلاً أن لا تُنظَّف بسبب مشاكل مالية أو اقتصادية أو ما أشبه، لكن بقاء هذه النفايات على واقعها أمرٌ سلبيّ نشعر به جميعاً، فلابُدّ من حلٍّ في هذا الجانب -أتكلّم على جانبٍ اجتماعي- لابُدّ أن يكون له جوّ وهذا الحلّ بأيدينا، لابُدّ أن تتهيّأ فرقٌ من شبابنا ورجالنا هم حرص على البلد، ونقضي على هذه الظاهرة، كيف نقضي على هذه الظاهرة؟ نستعين

بهمّة الإخوة ، وأن يكون الكلّ مسؤولاً عن منطقته بقدر المستطاع، وستسعى العتبتان المقدّستان بما تملك من وسائل للمبادرة الأولى في ذلك، على أن يتعاون الجميع في هذه المسألة، حفاظاً على البيئة ومنعا من انتشار الأمراض ، لكن هذه ظاهرة قد تسبّب مشاكل، سنبدأ بمعونة الجميع -إن شاء الله تعالى- نتعاون على تنظيف ما يُمكن ، وما تصل يدنا له مع مشاركة كلّ من يسمع صوتنا.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا وإيّاكم لما يحبّ ويرضى، وأن يجعل الأُسر الكريمة أسراً مؤمنة واعية تعمل بجدٍّ ونشاطٍ من أجل أن تضخّ الى المجتمع أولاداً بررةً صالحين ، يبنون مجتمعاتهم ويرضون الله تبارك وتعالى، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله تعالى على نبيّنا محمد وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

الجمعة ٢٥ ربيع الثاني ١٤٣٧ هـ
الموافق ٥ شباط ٢٠١٦ م

نصّ الخطبة الثانية

إخوتي وأخواتي، كان دأبنا في كلّ جمعةٍ أن نقرأ في الخطبة الثانية نصّاً مكتوباً يمثّل رؤى وأنظار المرجعيّة العُليا في الشأن العراقيّ، ولكن قد تقرّر أن لا يكون ذلك أسبوعيّاً في الوقت الحاضر بل حسبما يستجدّ من الأمور وتقتضيه المناسبات، ومن هنا نكتفي بتلاوة مقاطع من دعاء الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) لأهل الثغور:

((اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِه، وَحَصِّنْ ثُغُورَ الْمُسْلِمِينَ بِعِزَّتِكَ، وَأَيِّدْ حُمَاتَهَا بِقُوَّتِكَ، وَأَسْبغَ عَطَايَاهُمْ مِنْ جِدَتِكَ. اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِه، وَكَثِّرْ عِدَّتَهُمْ، وَاشْحَذْ أَسْلِحَتَهُمْ، وَاحْرُسْ حَوْزَتَهُمْ، وَامْنَعْ حَوْمَتَهُمْ، وَأَلِّفْ جَمْعَهُمْ، وَدَبِّرْ أَمْرَهُمْ، وَوَاتِرْ بَيْنَ مِيَرِهِمْ، وَتَوَحَّدْ بِكِفَايَةِ مؤَنِهِمْ، وَاعْضُدْهُمْ بِالنَّصْرِ، وَأَعِنْهُمْ بِالصَّبْرِ، وَالْطُفْ لَهُمْ فِي الْمَكْرِ. اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآله، وَعَرِّفْهُمْ مَا يَجْهَلُونَ، وَعَلِّمْهُمْ مَا لاَ يَعْلَمُونَ، وَبَصِّرْهُمْ مَا لاَ يُبْصِرُونَ. اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِه، وَأَنْسِهِمْ عِنْدَ لِقَائِهِمُ الْعَدُوَّ ذِكْرَ دُنْيَاهُمُ الْخَدَّاعَةِ الْغَرُورِ، وَامْحُ عَنْ قُلُوبِهِمْ خَطَرَاتِ الْمَالِ الْفَتُونِ، وَاجْعَلِ الْجَنَّةَ نَصْبَ أَعْيُنِهِمْ وَلَوِّحْ مِنْهَا لأَبْصَارِهِمْ مَا أَعْدَدْتَ فِيهَا مِنْ مَسَاكِنِ الْخُلْدِ وَمَنَازِلِ الْكَرَامَةِ وَالْحُورِ الْحِسَانِ وَالأَنْهَارِ الْمُطَّرِدَةِ بِأَنْوَاعِ الأَشْرِبَةِ، وَالأَشْجَارِ الْمُتَدَلِّيَةِ بِصُنُوفِ الثَّمَرِ، حَتَّى لاَ يَهُمَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِالأَدْبَارِ، وَلا يُحَدِّثَ نَفْسَهُ عَنْ قِرْنِهِ بِفِرَار. اللهُمَّ افْلُلْ بِذلِكَ عَدُوَّهُمْ، وَاقْلِمْ عَنْهُمْ أَظْفَارَهُمْ، وَفَرِّقْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَسْلِحَتِهِمْ، وَاخْلَعْ وَثَائِقَ أَفْئِدَتِهِمْ، وَبَاعِدْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ

أَزْودَتهِمْ، وَحَيِّرْهُمْ فِي سُبُلِهِمْ، وَضَلِّلْهُمْ عَنْ وَجْهِهِمْ، وَاقْطَعْ عَنْهُمُ الْمَدَدَ وَانْقُصْ مِنْهُمُ الْعَدَدَ، وَامْلأْ أَفْئِدَتَهُمُ الرُّعْبَ، وَاقْبِضْ أَيْدِيَهُمْ عَنِ الْبَسْطِ، وَاخْزِمْ أَلْسِنَتَهُمْ عَنِ النُّطْقِ، وَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ، وَنَكِّلْ بِهِمْ مَنْ وَرَاءَهُمْ، وَاقْطَعْ بِخِزْيِهِمْ أَطْمَاعَ مَنْ بَعْدَهُمْ. أَللَّهُمَّ عَقِّمْ أَرْحَامَ نِسَائِهِمْ، وَيَبِّسْ أَصْلاَبَ رِجَالِهِمْ،

وَاقْطَعْ نَسْلَ دَوَابِّهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ، لاَ تَأْذَنْ لِسَمَائِهِمْ فِي قَطْرٍ وَلاَ لارْضِهِمْ فِي نَبَاتٍ. اللهُمَّ وَقَوِّ بِذَلِكَ مِحَالَّ أَهْلِ الإِسْلاَمِ ، وَحَصِّنْ بِهِ دِيَارَهُمْ ، وَثَمِّرْ بِهِ أَمْوَالَهُمْ ، وَفَرِّغْهُمْ عَنْ مُحَارَبَتِهِمْ لِعِبَادَتِكَ وَعَنْ مُنَابَذَتِهِمْ لِلْخَلْوَةِ بِكَ، حَتَّى لا يُعْبَدَ فِي بِقَاعِ الارْضِ غَيْرُكَ وَلاَ تُعَفَّرَ لاحَدٍ مِنْهُمْ جَبْهَةٌ دُونَكَ. اللهُمَّ اغْزُ بِكُلِّ نَاحِيَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَنْ بِإِزَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَأَمْدِدْهُمْ بِمَلائِكَةٍ مِنْ عِنْدِكَ مُرْدِفِينَ حَتَّى يَكْشِفُوهُمْ إِلَى مُنْقَطَعِ التُّرَابِ قَتْلاً فِي أَرْضِكَ وَأَسْراً أَوْ يُقِرُّوا بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ. اللهُمَّ وَاعْمُمْ بِذَلِكَ أَعْدَاءَكَ فِي أَقْطَارِ الْبِلاَدِ مِنَ الْهِنْدِ وَالرُّومِ وَالتُّرْكِ وَالْخَزَرِ وَالْحَبَشِ وَالنُّوبَةِ وَالزِّنْجِ وَالسَّقَالِبَةِ وَالدَّيَالِمَةِ وَسَائِرِ أُمَمِ الشِّرْكِ الَّذِي تَخْفَى أَسْمَاؤُهُمْ وَصِفَاتُهُمْ، وَقَدْ أَحْصَيْتَهُمْ بِمَعْرِفَتِكَ، وَأَشْرَفْتَ عَلَيْهِمْ بِقُدْرَتِكَ. اللهُمَّ اشْغَلِ الْمُشْرِكِينَ بِالْمُشْرِكِينَ عَنْ تَنَاوُلِ أَطْرَافِ الْمُسْلِمِينَ، وَخُذْهُمْ بِالنَّقْصِ عَنْ تَنَقُّصِهِمْ، وَثَبِّطْهُمْ بِالْفُرْقَةِ عَنِ الاحْتِشَادِ عَلَيْهِمْ. اللهُمَّ أَخْلِ قُلُوبَهُمْ مِنَ الأَمَنَةِ وَأَبْدَانَهُمْ مِنَ الْقُوَّةِ وَأَذْهِلْ قُلُوبَهُمْ عَنِ الاحْتِيَالِ وَأَوْهِنْ أَرْكَانَهُمْ عَنْ مُنَازَلَةِ الرِّجَالِ وَجَبِّنْهُمْ عَنْ مُقَارَعَةِ الأَبْطَالِ، وَابْعَثْ عَلَيْهِمْ جُنْداً مِنْ مَلاَئِكَتِكَ بِبَأْسٍ مِنْ بَأْسِكَ كَفِعْلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ تَقْطَعُ بِهِ دَابِرَهُمْ وَتَحْصُدُ بِهِ شَوْكَتَهُمْ، وَتُفَرِّقُ بِهِ عَدَدَهُمْ. اللهُمَّ وَامْزُجْ مِيَاهَهُمْ بِالْوَبَاءِ وَأَطْعِمَتَهُمْ بِالأَدْوَاءِ وَارْمِ بِلاَدَهُمْ بِالْخُسُوفِ وَأَلِحَّ عَلَيْهَا بِالْقُذُوفِ وَافْرَعْهَا بِالْمُحُولِ. وَاجْعَلْ مِيَرَهُمْ فِي أَحَصِّ أَرْضِكَ وَأَبْعَدِهَا عَنْهُمْ، وَامْنَعْ حُصُونَهَا مِنْهُمْ، أَصِبْهُمْ بِالْجُوعِ الْمُقِيمِ وَالسُّقْمِ الالِيمِ. اللهُمَّ وَأَيُّمَا غَازٍ غَزَاهُمْ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِكَ أَوْ مُجَاهِدٍ جَاهَدَهُمْ مِنْ أَتْبَاعِ سُنَّتِكَ لِيَكُونَ دِينُكَ الاعْلَى وَحِزْبُكَ الأَقْوَى وَحَظُّكَ الأَوْفَى فَلَقِّهِ الْيُسْرَ، وَهَيِّئْ لَهُ الأَمْرَ، وَتَوَلَّهُ بِالنُّجْحِ، وَتَخَيَّرْ لَهُ الأَصْحَابَ، وَاسْتَقْوِ لَهُ الظَّهْرَ، وَأَسْبِغْ عَلَيْهِ فِي النَّفَقَةِ وَمَتِّعْهُ

بالنَّشَاط، وَأَطْف عَنْهُ حَرارَةَ الشَّوْق، وَأَجِرْهُ مِنْ غَمِّ الْوَحْشَة، وَأَنْسه ذكْرَ الاهْل وَالْوَلَد وَأْثُرْ لَهُ حُسْنَ النِّيَّة وَتوَلَّه بالْعَافيَة، وَأَصْحبْهُ السَّلاَمَةَ، وَأَعْفه منَ الْجُبْن، وَأَلْهمْهُ الْجُرْأَةَ وَارْزُقْهُ الشِّدَّةَ وَأَيِّدْهُ بالنُّصْرَة، وَعَلِّمهُ السِّيَرَ وَالسُّنَنَ، وَسَدِّدْهُ في الْحُكْم، وَاعْزلْ عَنْهُ الرِّياءَ، وخَلِّصْهُ منَ السُّمْعَة وَاجْعَلْ فكرَهُ وَذكْرَهُ وَظَعْنَهُ وَإقَامَتَهُ فيْكَ وَلَكَ، فَإذا صَافَّ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُ فَقَلِّلْهُمْ في عَيْنه وَصَغِّرْ شَأْنَهُمْ في قَلْبه وَأَدل لَهُ منْهُمْ وَلاَ تُدلْهُمْ منْهُ فَإنْ خَتَمْتَ لَهُ بالسَّعَادَة وَقَضَيْتَ لَهُ بالشَّهَادَة فَبَعْدَ أَنْ يَجْتَاحَ عَدُوَّكَ بالْقَتْل وَبَعْدَ أَنْ يَجْهَدَ بهمُ الأَسْرُ وَبَعْدَ أن تَأْمَنَ أطرَافُ الْمُسْلمينَ وَبَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ عَدُوُّكَ مُدْبرينَ. اللهُمَّ وَأَيُّمَا مُسْلم خَلَفَ غَازياً أَوْ مُرَابطاً في دَاره أَوْ تَعَهَّدَ خَالفيْه في غَيْبَته، أَوْ أَعَانَهُ بطَائفَة منْ مَاله، أَوْ أَمَدَّهُ بعتَاد، أَوْ شَحَذَهُ عَلَى جهَاد، أَوْ أَتْبَعَهُ في وَجْهه دَعْوَةً، أَوْ رَعَى لَهُ منْ وَرَائه حُرْمَةً. فَأَجر لَهُ مثْلَ أَجْره وَزْناً بوَزْن وَمثْلاً بمثْل وَعَوِّضْهُ منْ فعْله عوَضاً حَاضراً يَتَعَجَّلُ به نَفْعَ مَا قَدَّمَ، وَسُرُورَ مَا أَتَى به، إلَى أَنْ يَنْتَهيَ به الْوَقْتُ إلَى مَا أَجْرَيْتَ لَهُ منْ فَضْلكَ، وَأَعْدَدْتَ لَهُ منْ كَرَامَتكَ. اللهُمَّ وَأَيُّمَا مُسْلم أَهَمَّهُ أَمْرُ الإسْلاَم وَأَحْزَنَهُ تَحَزُّبُ أَهْل الشِّرْك عَلَيْهمْ فَنَوَى غَزْواً أَوْ هَمَّ بجهَاد فَقَعَدَ به ضَعْفٌ أَوْ أَبطَأَتْ به فَاقَةٌ، أَوْ أَخَّرَهُ عَنْهُ حَادثٌ، أَوْ عَرَضَ لَهُ دُونَ إرَادَته مَانعٌ، فَاكْتُب اسْمَهُ في الْعَابدينَ وَأَوْجبْ لَهُ ثَوَابَ الْمُجَاهدينَ وَاجْعَلْهُ في نظَام الشُّهَدَاء وَالصَّالحينَ. اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد عَبْدكَ وَرَسُولكَ وَآل مُحَمَّد صَلاَةً عَاليَةً عَلَى الصَّلَوَات مُشْرفَةً فَوْقَ التَّحيَّات، صَلاَةً لاَ يَنْتَهي أَمَدُهَا وَلا يَنْقَطعُ عَدَدُهَا كَأَتَمِّ مَا مَضَى منْ صَلَوَاتكَ عَلَى أَحَد منْ أَوْليَائكَ، إنَّكَ الْمَنَّانُ الْحَميدُ الْمُبْدئُ الْمُعيدُ الفَعَّالُ لمَا تُريْدُ))[١].

١-الصحيفة السجادية: ١٣٢.

الجمعة ٣ جمادى الاولى ١٤٣٧ هـ
الموافق ١٢ شباط ٢٠١٦م

بإمامة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

نصّ الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي يُجيب المضطرّ إذا دعاه، ويكشف السوء عمّن ضرع اليه فناداه، ويحقّق الأمل لمن انقطع اليه فرجاه، راحم العبرة، ومقيل العثرة، وله العزّة والقدرة، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عبده ورسوله الذي أوجب له الطاعة، وحباه بالكرامة، واختصّه بالكتاب، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيّبين الطاهرين، سادات المتقين الذين اصطفاهم على علمٍ على العالمين.

أوصيكم عباد الله تعالى وقبل ذلك أوصي نفسي بتقوى الله تعالى ، فإنّها مفتاحُ سدادٍ وذخيرة معاد، ونجاة من كلّ هلكةٍ، بها ينجح الطالب وينجو الهارب وتُنال الرغائب، ((وأيقظوا بها نومكم، واقطعوا بها يومكم، وأشعروها قلوبكم ،وارحضوا بها ذنوبكم وداووا بها أسقامكم))، هكذا أيّها الإخوة والأخوات أوصانا سيّد المتّقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بتقوى الله تعالى والتحرّز عن الحرمات والمآثم. أيّها الإخوة والأخوات سلامٌ عليكم جميعاً من ربٍّ رحيمٍ غفور ورحمةٌ منه وبركات.

في دعاء للإمام السجاد عليه السلام لجيرانه وأوليائه إذا ذكرهم، هو دعاء تضمّن الكثير من بيان الحقوق التي للجيران أوّلاً، وحقوق بعضنا على بعض، وتضمّن الكثير من

الأخلاق الفاضلة ومحاسن الآداب التي ينبغي لشيعة أهل البيت أن يتحلّوا بها ،وتكون الميزان والمعيار في المعاشرة فيما بينهم، فنذكر هذا الدعاء ونشرح المقطع الأوّل منه ؛لكي نبيّن ما هذه الأخلاق؟ ما هذه الآداب التي ينبغي أن تكون سمة المعاشرة فيما بيننا، وما هذه الحقوق التي ينبغي مراعاتها؟ فقال(عليه السلام) : ((اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآله وَتَولَّني في جيراني وَمَوالِيَّ وَالْعَارِفِينَ بِحَقِّنَا وَالْمُنابِذِينَ لأعْدَائِنَا بِأَفْضَلِ وَلاَيَتِكَ، وَوَفِّقْهُمْ لإقَامَةِ سُنَّتِكَ وَالأَخْذِ بِمَحَاسِنِ أَدَبِكَ فِي إرْفَاقِ ضَعِيفِهِمْ، وَسَدِّ خَلَّتِهِمْ، وَعِيَادَةِ مَرِيضِهِمْ، وَهِدَايَةِ مُسْتَرْشِدِهِمْ، وَمُنَاصَحَةِ مُسْتَشِيرِهِمْ، وَتَعَهُّدِ قَادِمِهِمْ، وَكِتْمَانِ أَسْرَارِهِمْ، وَسَتْرِ عَوْرَاتِهِمْ، وَنُصْرَةِ مَظْلُومِهِمْ، وَحُسْنِ مُوَاسَاتِهِمْ بِالْمَاعُونِ، وَالْعَوْدِ عَلَيْهِمْ بِالْجِدَةِ وَالإِفْضَالِ، وَإعْطَاءِ مَا يَجِبُ لَهُمْ قَبْلَ السُّؤالِ...))[1]، نكتفي بهذا المقطع وسنأتي على ذكر المقطع الثاني الذي يبدأ بـ ((واجعلني اللهمّ..)) في خطبةٍ أخرى إن شاء الله .

يقول الإمام(عليه السلام) : ((اللهم صلّ على محمد وآله وتولّني في جيراني وَمَوَالِيَّ)) التولّي هنا من (تولّاه الله) أي: كان معيناً له ،وكافلاً لمصالحه، وقائماً بأموره . يدعو الإمام الله تعالى أن يكون عوناً له وناصراً له، وكافلاً وقائماً بأموره فيما يتعلّق بجيرانه وأوليائه. المَوالي جمع المَوْلى ،هنا بمعنى المحبّ والناصر ، والمعين. من هؤلاء المَوالي الذين دعا الإمام(عليه السلام) أن يتولّاهم بهذه الصفات؟ قال: ((العارفين بحقّنا)) العارف بحقّ أهل البيت هو المعتقد بإمامتهم ،والذي يعتقد بأنّ طاعتهم مفترضة ،والانقياد اليهم ولمنهجهم واجب، والتسليم اليهم هذه صفة، وأيضاً الصفة الأخرى هي صفة المنابذة للأعداء ،أي المخالفة لأعداء أهل البيت، فيقول الإمام(عليه السلام) : ((وتولّني في جيراني))، نأتي أوّلاً الى هذا المقطع؛ لكي نتعرّف من هنا حقوق الجوار ،ونذكر في ضمن حقوق الجوار مجموعة من الأمور: أوّلاً ما حدود الجوار؟ ثانياً ما أقسام الجيران؟ ثالثاً ما منزلة مراعاة حقوق الجوار؟ ثلاثة أمور نذكرها.

الأمر الأوّل: حدود الجوار، اختُلف في الجار الذي علينا أن نراعي حقّه على

١-الصحيفة السجادية: ١٢٤.

ثلاثة أقوال . قولٌ يرى أنّه الذي يلي الدار الى أربعين ذراعاً، القول الثاني: الذي يلي الدار الى أربعين داراً من كلّ جانب، على هذا القول يعني نحسب من الدار الذي أنت تسكنه الى أربعين داراً من كلّ جانب، هذا جارك عليك أن تُراعي حقوقه يستندون في ذلك الى رواية عن النبيّ ﷺ ، يقول فيها: ((الجيران الى أربعين داراً من كلّ جانب من بين يديك وعن يمينك وعن شمالك ومن خلفك))[١] بحسب هذه الرواية يكون الجار الى أربعين داراً، وفي قولٍ ثالث: الجار يرجع في تحديده الى العرف، يعني الآن بحسب المتعارف بين الناس من هو الجار؟ هذا بحسب العرف نعتبره جاراً ،ويلحظ فيه هذه الحقوق.

الأمر الثاني: أقسام الجار -أيّها الإخوة والأخوات- ثلاثة: الجار الذي له حقّ واحد ، وهو الجار المشرك، والجار الذي له حقّان، وهو الجار المسلم، والجار الذي له ثلاثة حقوق ،وهو الجار المسلم ذو الرحم، كما ورد عن النبيّ ﷺ: ((الجيران ثلاثة: جار له حقّ واحد وهو الجار المشرك له حقّ الجوار، وجارٌ له حقّان حقّ الجوار وحقّ الإسلام ،وهو الجار المسلم، وجار له ثلاثة حقوق حقّ الجوار وحقّ الإسلام وحقّ الرحم، وهو الجار المسلم ذو الرحم))[٢].

الأمر الثالث: التفتوا -أيّها الإخوة والأخوات - الى مكانة حقوق الجوار، تُعتبر رابطة الجوار لها دورٌ عظيم في البناء الاجتماعي بناءً إيجابيّاً حتى انّها تأتي في المرتبة الثانية بعد رابطة الأسرة في بناء المجتمع بناءً سليماً؛ لذلك نجد أنّ الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة اعتنت اعتناءً شديداً ببيان حقوق الجوار ، وسنذكر هنا بعضاً منها، لاحظوا هذا الحديث ((مَا زَالَ جَبْرَائِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ يُوَرَّثُ بِشَيْءٍ))[٣] وفي بعض الروايات: ((مَا زَالَ جَبْرَائِيلُ يُوصِينِي)) يعني يأتي جبرائيل ويوصيه بالجار ،ثمّ بعد مدة يأتيه ويوصيه بالجار ، ثمّ بعد مدة يأتيه ويوصيه بالجار، ما زال جبرائيل مستمرّاً يوصيني بالجار ((حتى ظننتُ أنّه سيورّثه، فمن قصّر في حقّه عداوةً أو بخلاً فهو آثم))،

١-الوافي: ٥ / ٥٢١.
٢-م.ن: ٥ / ٤٩١.
٣- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: ٨/ ٤٢٢.

ولاحظوا حديثاً آخر التفتوا الى مضمونه ((من آذى جاره فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله)) ،في حديث آخر أيضاً ولاحظوا التأكيد من خلال عدّة مضامين ((حُرْمَةُ الْجَارِ عَلَى الْإِنْسَانِ كَحُرْمَةِ أُمِّه))[1] ، وفي روايةٍ عن الإمام الكاظم عليه السلام يبيّن فيها منزلة مراعاة حقوق الجوار: كان في بني إسرائيل رجلٌ مؤمن وجارُهُ رجل كافر غير مؤمن، ولكن هذا الرجل الكافر كان رفيقاً بجاره المؤمن، وأيضاً كان يوليه المعروف يُسدي اليه المعروف ويفعل معه الخير، فما جزاؤه كما ورد في هذه الرواية ؟ أنّ الله تعالى بنى له بيتاً، كان له بيت في النار من طين، هذا البيت الذي من الطين كان يقي الكافر من حرّ جهنّم ويأتي له رزقٌ من خارج جهنّم، هو في النار ولكن كان هذا البيت الذي من الطين يقيه من حرّ جهنّم ويأتي الرزق من خارج جهنّم وكان يُقال له هذا جزاؤك ؛ لأنّك كافر، ولكنك كنت رفيقاً بجارك توليه المعروف ، كذلك عن الإمام الكاظم عليه السلام : كان في بني إسرائيل رجلٌ مؤمن وكان له جارٌ كافر ،كان يرفق بالمؤمن ويوليه المعروف وفعل الخير في الدنيا ،فلمّا مات الكافر بنى الله له بيتاً في النار من طين فكان يقيه حرّها ويأتيه الرزق من غيرها، وقيل له: هذا الجزاء لما كنت تدخل على جارك المؤمن فلان بن فلان هذا الجار المؤمن من الرفق وتوليه من المعروف في الدنيا ، كان جزاؤه ذلك مع أنّه كان كافراً، هذا هو بيان المنزلة لمراعاة حقوق الجوار.

وبيّن الإمام السجاد -ولعلّه ذكرنا ذلك سابقاً- في رسالة حقوقه المطلوب من هذه الحقوق، ونذكر أنّ حقّ الجار ليس كفّ الأذى عن الجار فحسب بل هناك أمور أخرى فضلا عن كفّ الأذى عن الجار، فيقول الإمام عليه السلام : ((وحقّ جارك أن تحفظه غائباً، وإكرامه شاهداً، ونصرته إذا كان مظلوماً، ولا تتّبع له عورة، فإن علمت له سوءً سترته عليه، وتقيل عثرته، وتغفر ذنبه، وتعاشره معاشرةً كريمة..))[2]؛ لذلك قال الإمام عليه السلام : ((وتولّني في جيراني ومَواليّ... بأفضل ولايتك))

الأمر الثاني: مولى محبّ ناصر ومتّبع لمنهج أهل البيت هذا له حقوق، فعلينا

١-بحار الانوار: ٧٣/ ١٥٤.
٢-الوافي: ٥ / ٧١٧.

أن نراعي بعضنا حقوق بعض، ويدعو الإمام لهؤلاء الموالين أن يوفّقهم في إقامة سنّته، والأخذ بمحاسن أدبه ، هكذا يقول الإمام يا أتباع أهل البيت يا شيعة أهل البيت ،هذه الأخلاق الفاضلة وهذه الآداب الحميدة التزموا بها فإن التزمتم بها كنتم صدقاً من شيعة أهل البيت، وإن لم تلتزموا بها فأنتم لستم على هذه السيرة، ولستم على هذا الاتّباع؛ لأنّ المحبّة وحدها لا تكفي بل لابُدّ أن يكون هناك اتّباع لمنهج أهل البيت، حتى يكون هذا المُوالي صادقاً في ولائه لأهل البيت.

نأتي الآن أيّها الإخوة والأخوات نتعرّف من خلال الدعاء هذه الأخلاق الفاضلة؟ فما هذه الآداب الحميدة التي ينبغي أن نعلم بها نتعرّفها، ونلتزم بتطبيقها ،فيقول الإمام(سلام الله عليه): ((ووفّقهم لإقامة سنّتك..)) ما معنى إقامة السنّة؟ السنّة في الأصل هي الطريقة، ولكن معناها هنا هي منهج وأحكام الله تعالى سواءً كانت من الأحكام العبادية أو غيرها، وإقامة السنّة لها معنيان ، الأوّل: هو الجدّ والاجتهاد في الإتيان بهذه الأحكام من غير توانٍ ولا ملل ، المعنى الثاني: هو حفظ وصيانة هذه السنّة من أن يدخل فيها شيءٌ من الزيف والانحراف . هذا الذي يوصي به الإمام: (ووفّقهم لإقامة سنّتك) أوّلاً (والأخذ بمحاسن أدبك) الأدب هو رياضةُ النفس، الإنسان يروّض نفسه على الأخلاق الفاضلة، ما محاسن الأدب؟ ما هذه الأخلاق الفاضلة التي ينبغي لنا شيعة أهل البيت أن نلتزم بها فيما بيننا، مع أفراد المجتمع الآخرين؟ قال: (في إرفاق ضعيفهم وسدّ خلّتهم) إرفاق الضعيف هو الرّفق ، هو لين الجانب ولطافة الفعل، الضعيف قد يكون الضعيف جسديّاً ،قد يكون الضعيف معنويّاً ماديّاً، هذا الإنسان الضعيف قد يُكلَّف بعمل كن لطيفاً في التعامل معه، وحينما يعجز عن أداء هذا العمل لا تستخدم معه الأسلوب العنيف، تارةً يكون إنسان - امرأة أو رجل- يخدم في البيت أو يخدم في الدائرة يكون ضعيفاً في جسده لا يقوى على ذلك، كن لطيفاً في التعامل معه ولا تكن شديداً وعنيفاً، وتارة يكون ضعيفاً في أمور أخرى كن لطيفاً في التعامل معه أيضاً ،ولا تستخدم هذا الأسلوب العنيف. أو الإرفاق هنا

بمعنى المنفعة، فلينفع القويُّ منكم الضعيفَ . ((في إرفاق ضعيفهم وسدّ خلّتهم)) الخلّة بمعنى الحاجة والعوز والعسرة، والسدّ بمعنى الجبر والإزالة، الغنيّ هو المتمكّن، فليجبر ويُزيل ما لدى هذا الإنسان الذي هو صاحب الخلّة من حاجةٍ أو عسر أو دين أو أمر آخر فليتّصف بهذه الصفة.

ونذكر هنا بعض هذه الأحاديث التي تنبّهنا على أهمّية الاتّصاف بهذه الصفات، والأئمّة(عليهم السلام) حينما كان يأتي اليهم بعض أصحابهم يسألونهم عن حال الشيعة في ذلك المكان ، فأحد أصحاب الإمام الباقرعليه السلام يأتي اليه يقول: إنّ الشيعة عندنا لكثير، يعني عندنا من الشيعة في منطقتنا كثير، يسأله الإمام حتى يبيّن له صدق الاتّصاف بالتشيّع ،فقال: ((هل يعطف الغنيُّ على الفقير؟ ويتجاوز المحسنُ عن المسيء؟)) صفتان، (ويتواسون؟..) يعني بعضُهم يشارك بعضا في ماله في مساعدته، فقلت: لا.. هذه الصفات ليست عندنا، فقال: ((ليس هؤلاء الشيعة، الشيعةُ من يفعل هذا)) يعطف الغنيّ على الفقير ويتجاوز المحسن عن المسيء ويتواسون فيما بينهم. وعن الإمام الصادقعليه السلام دخل رجلٌ سلّم على الإمام الصادقعليه السلام فسأله: ((كيف من خلّفت من إخوانك؟) قال: فأحسن الثناء وأخذ يمدح ويُطري على هؤلاء الذين خلّفهم في صفاتهم وشمائلهم، فأراد الإمام(سلام الله عليه) أن يبيّن له هل هذا الثناء باستحقاق أو لا؟ فسأله: ((كيف عيادةُ أغنيائهم على فقرائهم؟)) قال: قليل، أي قليل من أغنيائهم يعودون على فقرائهم، قال:((كيف مشاهدة أغنيائهم لفقرائهم؟)) قال: قليل، ((كَيْفَ صِلَةُ أَغْنِيَائِهِمْ لِفُقَرَائِهِمْ فِي ذَاتِ أَيْدِيهِم))[1] قال: قليل، ثمّ قال: ((إنّك لتذكر أخلاقاً قلّ ما هي في مَنْ عندنا))، هذه الأخلاق التي ذكرتها ، وهي ممّا ينبغي أن يتّصف به أتباع أهل البيت قليل من يتصف بها، فقال: ((فكيف يزعم هؤلاء أنّهم شيعة؟)) الشيعةُ الحقيقيّون هم من يتّصفون بهذه الصفات، سدّ خلّة أصحاب الحاجة ، أصحاب الفقر والعوز وأصحاب العسرة فإذا كان الأغنياء لديهم هذه الإمكانات يعودون ويتواصلون ويُواسون هؤلاء أصحاب الحاجة حينئذٍ أصبحوا شيعةً وموالين لأهل

١-الكافي: ٢ / ١٧٣.

البيت حقّاً وصدقاً، وإذا لم يكونوا كذلك فهؤلاء ليسوا من شيعة أهل البيت، نعم.. هم بألسنتهم وبمحبّتهم من المُوالين والمحبّين لكن لم يبلغوا مرتبة التشيّع، لاحظوا – إخواني – يبيّن الأئمّة لنا هذه المراتب: (محبّ، وموالي، وشيعي)، الذي يكون من شيعة أهل البيت حقّاً ، ويريد أن يصل الى هذه المرتبة عليه أن يمتلك هذه الصفات، كثيراً ما كان الأئمّة(عليهم السلام) ينبّهون على هذه المرتبة ، وما صفاتها؟ ما معاييرها؟ فيقول: (فكيف يزعم هؤلاء أنّهم شيعة؟).

ثمّ يقول: ((وسدّ خلّتهم وعيادة مريضهم))، ومن الآداب والأخلاق الحسنة عيادة المريض فإذا مرض أحدكم فعليكم أن تعودوه حتى ورد في بعض الأحاديث أنّ ((من عاد مريضاً فكأنّما عاد الله)) عيادة المريض كأنّها عيادة لله تعالى، هذا كناية عن القرب من الله تعالى، ولها آداب مذكورة في محلّها؛ ولذلك ورد عن الإمام الصادق عليه السلام ((مَنْ عَادَ مَرِيضاً شَيَّعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَنْزِلِه))[1] يستغفر لك في اللحظة التي تزور المريض سبعون ألف ملك الى أن تعود الى منزلك وهم في حال الاستغفار لك، لاحظ هذه المنزلة لعيادة المريض، وهناك آداب من جملتها تقليل وقت الزيارة ، وطلب الدعاء من المريض، وغير ذلك من هذه الأمور.

((وهداية مسترشدهم ومناصحة مستشيرهم..)) الذي يطلب الهداية اهدِهِ وبيّن له، ولا تتوانى عن أن تقدّم الهداية والنصح والموعظة والإرشاد لهؤلاء الذين يطلبون الرشد ويطلبون الاستشارة وكن ناصحاً في هذه الاستشارة وبيّن لهم الحقّ، (وتعهّد قادمهم..) التعهّد هي المواصلة ،وتجديد العهد، يعني تجديد اللقاء، فخُلُقٌ لطيف وأدبٌ جمّ أنّه الذي يأتي من السفر تذهب لزيارته وتجدّد العهد معه، الإمام(سلام الله عليه) يريد أن يُبقي هذا التواصل حتى تقوى الأواصر فيما بين أفراد المجتمع، اذهب الي الذي يأتي من السفر وزُرْه واسأل عن أحواله وعن سفره وغيرها من الأمور.

((وكتمان أسرارهم وستر عوراتهم..)) كتمان الأسرار، السرّ هو الشيء الذي

١-الكافي : ٣/ ١٢٠.

يُخفيه ويكتمه الإنسان، والأسرار أنواع، تارةً تكون أسراراً اجتماعية، وتارةً تكون ماليّة اقتصادية أو عسكرية أمنيّة أو عقائديّة وظيفيّة، وكتمان الأسرار فيه معنيان فتارةً الإنسان يكتم هو سرّه، فليس صحيحاً أن يكون الإنسان مذياعاً مهذاراً، يذيع بكلّ شيء، وتارة يكتم سر غيره، ربّما أحد من أفراد أسرته أساء وارتكب أمراً فيه قبح عليه أن لا يتكلّم به، فهناك أسرار ماليّة لا يتكلّم بها ؛ لئلا ينتبه بعض من ضعاف النفوس والسرّاق فيسرق هذا الإنسان، أو أسرار اقتصادية أو أسرار أمنيّة، ليس من الصحيح لرجل الأمن أن يتحدّث بكلّ ما لديه من معلومات، أو أسرار عسكرية فليس من الصحيح أن يتكلّم الفرد في القوّات المسلّحة بما لديه من أسرار فتُفشى وتصل الى الأعداء، وهناك وأسرار وظيفيّة، ربّما الموظّف في داخل عمله توجد بعض الأسرار المتعلّقة بعمله ووظيفته ليس من الصحيح إبرازها، ولا نقصد هنا أموراً تتعلّق بالفساد، لا أبداً، فهناك أمور ربّما يجب إظهارُها وبيانُها للآخرين ممّن يجب اتّخاذ موقف بحقّهم، أو يقوم إنسان بجريمة أو قتل أو غير ذلك. فذاك أمر آخر إنّما نتحدّث بخصوص ما يكون سرّاً يريد الإنسان أن يكتمه عن الآخرين، فمن الصفات الحسنة أنت تكتم أسرارك، المرأة في البيت أو الزوجة والأمّ ليس من الصحيح أن تتحدّث ببعض الأمور الخاصة أمام الآخرين؛ إذ لا يرضى الزوج أو لا ترضى العائلة أن تظهر وتبرز وتُنشر مثل هذه الأمور التي هي من الأسرار في داخل البيت، ليس من الصحيح أن يكون الإنسان مهذاراً عليه أن يكون دقيقاً في كلامه وينتبه، ربّما إذاعة بعض الأمور الخاصّة بالعائلة تسبّب مشاكل والكثير من الأضرار لهذه العائلة، وكذلك- أيّها الإخوة والأخوات- حينما يكون لديكم صديق يسرّكم ببعض الأمور ولا يقبل أن تذاع هذه الأمور للآخرين، فأنت عليك أن تكتمها، هذا من حقوقه عليك كتمان الأسرار .

((وستر عوراتهم ونصرة مظلومهم..)) ستر العورات. الإنسان معرّض للخطأ، وقد يرتكب فاحشةً أو أمراً سيّئاً وقبيحاً، فمن حقّه عليك أن لا تُذيع ذلك؛ فكلّنا نقع في الخطأ ،وكلّنا عندنا عورات ولدينا صفاتٌ قبيحة، وليس من الصحيح أن

أتكلّم على هذه العائلة ، وعلى هذه المرأة ، أو هذا الرجل ، أو هذا الشاب بما ارتكبه من أعمال قبيحة ومشينة، لابُدّ أن أستر على هذا الإنسان، فستر القبيح من الآداب المطلوبة والأخلاق الفاضلة ، لذلك ورد في بعض الأحاديث أنّ الله تعالى يستر على العبد حينما يستر عورة أخيه، وما يصدر منه من فعلٍ مشين أو فاحشة ، ربّما في بعض الأحاديث يستر الله تعالى عليه سبعين عورةً من عوراته في الدنيا والآخرة.

((ونصرة مظلومهم وحسن مواساتهم بالماعون والعود عليهم بالجدة والإفضال)) إن شاء الله تعالى نُكمل في الخطبة القادمة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على محمدٍ وآله الطاهرين..

الجمعة ٣ جمادى الاولى ١٤٣٧ هـ
الموافق ١٢ شباط ٢٠١٦م

نصّ الخطبة الثانية

أيّها الإخوة والأخوات في هذه الخطبة نتلو مقاطع من كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) الى مالك بن الحارث الأشتر (رضوان الله عليه) حين عينه والياً على مصر ، نقرأ هذه المقاطع لنتذكّر كيف كان يوجّه إمام المسلمين مَنْ يكون في موقع السلطة في التعامل مع المواطنين ورعاية حقوقهم، قال (عليه السلام) :

((اعْلَمْ يَا مَالِكُ: أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ -مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ- وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلَاةِ قَبْلَكَ وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ))[1].

وقال (عليه السلام) :

((وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِهِمْ وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَأِ فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ

١- شرح نهج البلاغة : ١٧/ ٣٠.

وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ وَاللهُ فَوْقَ مَنْ وَلَّاكَ))[1].

وقال عليه السلام :

((أَنْصف اللهَ وَأَنْصف النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمْ وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهِ كَانَ اللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ وَمَنْ خَاصَمَهُ اللهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ وَكَانَ لِلَّهِ حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَدِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ))[2].

وقال عليه السلام :

((وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَئُونَةً فِي الرَّخَاءِ وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ[3] وَأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ الْإِعْطَاءِ وَأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ الْمَنْعِ وَأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ وَجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ لَهُمْ وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ))[4].

١- شرح نهج البلاغة :١٧/ ٣٢.
٢- م.ن : ١٧/ ٣٤.
٣- والإلحاف في السؤال الاستقصاء فيه وهو مذموم قال الله تعالى ((لا يَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحافا)) البقرة٢٧٣، شرح نهج البلاغة : ١٠/ ١٦٨.
٤-م. ن : ١٠/ ١٦٨.

الجمعة ١٠ جمادى الاولى ١٤٣٧ هـ
الموافق ١٩ شباط ٢٠١٦ م

بإمامة سماحة السيد أحمد الصافي

نصّ الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أبي القاسم محمد وعلى آله الطيّبين الطاهرين، الحمد لله مستحقّ الحمد لذاته ،ولما هو عليه من عزّ صفاته، العليّ فلا حدّ لعلوّه ولا نهاية، الكبير فلا أمد لكبريائه ولا غاية، محدِّد الحدود فلا يسمو شيءٌ منها لقدس جلاله، ومكيّف الكيفيات فلا يتطاول شيءٌ منها الى عظيم جماله.

إخوتي الأفاضل ، أبنائي البررة ، آبائي أهل الوفاء ، أخواتي شرفي ، بناتي حسناتي ، أمّهاتي مربّياتي ،السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

أوصيكم – أحبّتي- جميعاً بتقوى الله تبارك وتعالى، والاستغفار من الذنوب، فإنّه قد ورد عن أمير المؤمنين(صلوات الله وسلامه عليه) أنّه قال: ((تَعَطَّرُوا بِالاسْتِغْفَارِ لَا تَفْضَحْكُمْ رَوَائِحُ الذُّنُوب))[1]، سلّمنا الله تعالى وإيّاكم من الخطايا، وألبسنا لباس العافية من أمراض البدن والروح.

لقد مرّت علينا بعض الروايات الشريفة والأحاديث والآيات بما يتعرّض إليه

١-الأمالي، للطوسي: ٣٧٢.

المؤمن من حالة الذنب، فإذا أذنب المؤمن لابُدّ أن يتدارك هذا الذنب بعمل حتى لا تستمرّ عملية الذنوب، ثم بعد ذلك يحيد رويداً رويداً عن التعرض الى رحمة الله تبارك وتعالى؛ ولذلك حرص الشارع الأقدس حفاظاً علينا أن ينبّهنا على مسألة التوبة دائماً ، وقد ذكرنا في هذه المقدّمة في حديث أمير المؤمنين أنه يقول: ((تَعَطَّرُوا بِالاسْتِغْفَارِ)) ؛لأنّ لهذه الذنوب روائح كريهة مهما كانت صغيرة ، وهذا التعبير تعبيرٌ تقريبيّ حتّى نفهم أنّ الإنسان عندما تمرّ به رائحةٌ كريهة ينفر منه الآخرون، لابُدّ أن يسرع الى ما يزيل هذه الرائحة الكريهة عنه، وهذا المزيل تارةً يستعمل له هذه المنظّفات المادّية الصابون وما أشبه، وتارةً تكون الرائحة من نوع آخر وهي تنفّر الملائكة فيبعد الإنسان نفسه عن رحمة الله، أمير المؤمنين عليه السلام يقول: تعطّروا بشيءٍ حتّى لا تمكث هذه الروائح ولا تبقى ، أزيلوا هذه الروائح بماذا؟ قال: تعطّروا بالاستغفار، وحقيقة الاستغفار -كما قلنا قبل مدّة في مفهوم الشكر هو نوع من التربية – أنه نوع من التربية، الله تبارك وتعالى يربّينا، ويبقى معنا يدارينا ، ويوجّهنا ويُرسل الأنبياء والرسل من أجل أن لا نخسر، ولو خسرنا فالخسارة علينا لا عليه، لكن رحمته سبقت غضبه، الله تبارك وتعالى يلطف بخلقه.

ويحذّر القرآن الكريم والروايات الشريفة الإنسان من أن يقنط من رحمة الله، ، ((قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ)) [1]، والإسراف معناه أنّ يُكثر الإنسان من الذنوب لا أن يذنب فحسب، يقول الله تبارك وتعالى لهذا المسرف : لا تقنطْ من رحمة الله؛ إنّ رحمة الله تعالى أكبر وأوسع من ذلك، لماذا؟ لأنّنا لابُدّ أن نستشعر الأمل ، لابُدّ أن نحيا مسألة الأمل بشكلٍ عملي، لا أن يعتقد الإنسان بوجود أمل و ليس له علاقة بذلك من الناحية العملية ،وهذا من الأمل الممدوح، أنّ الإنسان إذا أذنب فلا يعتقد أنّ الطرق قد أغلقت أمامه؛ لأنّه سيُصاب بالإحباط، ويعتبر هذا هو نهاية المطاف، بل لابُدّ أن يأمل ؛لأنّ الله تعالى يفتح أبواباً للتوبة وقد جعل باب التوبة باباً

١-الزمر ٥٣.

مفتوحاً . نحن مأمورون أن نتوب الآن لكن باب التوبة لله تبارك وتعالى مفتوح دائماً، ونحن مأمورون أن نسارع إلى التوبة أيضاً (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ)[١]؛ لذلك أفرد الإمام السجّادعليه السلام في هذه الصحيفة السجادية المباركة دعاءً مهمّاً هو الدعاء الحادي والثلاثون وهو دعاء التوبة، أرجو من الإخوة - مَنّ الله تبارك وتعالى علينا وعليهم بالعافية والابتعاد عن الذنوب دائماً- أن يتابعوا معنا فقرات هذا الدعاء فقرة فقرة، ونتناول منه بما يتّسع له الوقت.

قبل ذلك لابُدّ أن نتعامل مع هذه الأدعية تعاملاً ذا شقّين:

الشق الأول: هو التعامل بأصل الاستحباب، يكون الإنسان دعّاء، لأن المؤمن دعّاء ، صيغة مبالغة، يعني: كثير الدعاء ((قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ))[٢] ، الدعاء مطلوب نفسيّاً وتربويّاً وأخلاقيّاً وفقهيّاً ، والإنسان إذا استمرّ على الدعاء يحقّق نوعاً من أنواع الطاعة والعبادة، فهو مستحبّ دائماً .

الشق الثاني: فضلاً عن الجانب التعبّدي والاستحبابي ،هناك شيء آخر مهم ، أنّ أدعية الأئمّة(سلام الله عليهم) تضع برنامجا للإنسان في كيفية التعامل مع الأشياء، أوّلاً تصوير الإمامعليه السلام لحالة المذنب في الدعاء تصوير في غاية الدقّة ، لعلّ المذنب نفسه لو أراد أن يعبّر عنها لم يستطع، فهناك دقّة عند تناول أيّ مقطع من مقاطع أدعية الأئمّة(صلوات الله وسلامه عليهم)، ثانياً هناك جانب سلوكي في التعامل مع الدعاء بمعنى أنّ الدعاء يريد أن يرشدني الى شيء لأتصف به؟ فلابُدّ أن أكون بعد أن أدعو على حالة تختلف عما قبل الدعاء، بمعنى أنّني حصلت على شيء ممّا أراده الأئمّة(صلوات الله وسلامه عليهم)، فلا نغفل – إخواني – عن هذه المسألة، فالدعاء يربّي فضلاً عن الجانب الاستحبابي، فقد يفزع الإنسان في بعض الحالات الى الله تعالى إذا كان عنده مريض -أجارنا الله وإيّاكم- يفزع الى الله تعالى في مقابل (اللهمّ اشفِ مريضي) ، يقصر الدعاء

١-آل عمران: ١٣٣.
٢-الفرقان: ٧٧.

على هذا الطلب من الله تعالى، وهذا شيء مطلوب ومستحبّ، لعلّه يستجاب الدعاء أيضا، وتارةً ليست لحاجة عرضت وإنّما قضيّة تربويّة، لنتعلم كيف نتعامل إذا أصابتنا بعض الأشياء ما دمنا في هذه الدنيا، كيف أتعامل مع أبويّ؟ كيف أتعامل مع جيراني؟ كيف أمجّد الله تبارك وتعالى؟ كيف أصلّي على النبي وآله صلى الله عليه وآله وسلم؟ ولذلك هذه الصحيفة المباركة فيها زاد وفير من الآداب التربوية والمعاني الأخلاقية؛ لذلك إخواني، فضلاً عن الجانب الاستحبابي لابُدّ من التعامل مع الدعاء بتعامل تربويّ آخر، حتى يترك بصمة، أي يترك الإمام زين العابدين عليه السلام بصمة فينا أنّنا قد مشينا مع هذه الأدعية مشية التلميذ مع المعلّم، ومشية المأموم مع الإمام، ومشية الذي يحبّ أن يتربّى مع مربّيه، فتتحقّق جزء من هذه الفائدة.

الدعاء الحادي والثلاثون من الصحيفة السجادية الموسوم بدعاء في ذكر التوبة وطلبها. وكثيرٌ من العلماء الأعلام كانوا يوصون بعض من يهمّهم أمره أن لا تغيب عن ذكره جملة من الأشياء، منها هذا الدعاء حتى يشعر بالرّقابة الإلهية، ولعلّ قوّة الدين والتعلّق بالله تعالى تتمثل في تركّز قوّة الرقابة الإلهية عند الإنسان، إذ يعتقد الإنسان -وهو معتقدنا- أنّ الله تعالى يراه، ولا تحجبه الحجب، لكن العيون لا ترى الله، وأنّ الله تعالى لا يُمكن أن يُغلب فلا يوجد شيءٌ أقوى من الله تعالى، ويعتقد أنّ مصيرنا اليه، وهنا تكمن حالة الخطورة -إخواني- إنّ مصائر الخلق الى الخالق، والله تبارك وتعالى لنا بالمرصاد، يتابع أفعالنا جميعاً ويتابع سلوكيّاتنا جميعاً، لكن لا ينتقم منّا في الدنيا دائما؛ لأنّه لم يجعل الدنيا دار انتقام ودار جزاء. نعم، لمصالح معيّنة الله قد ينتقم من فلان وفلان، لكن عذابات الدنيا لا تُقاس بعذابات الآخرة، هذه الدنيا الله تعالى جعلها حتى نعيش فيها، والآخرة وجهنّم خلقها الله حتى يعذّب فيها، هذه تختلف عن تلك، أي إن عذاب الله تعالى، وجعل عاليها سافلها، هذا عذاب دنيويّ مستعجل لا يُقاس بعذاب الآخرة، ذلك العذاب الذي أعدّه الله تبارك وتعالى وجعل عليه ملائكة غلاظاً شداداً مهيّأة للعذاب، بخلاف الدنيا فهي غير مهيّأة للعذاب، يمكن أن يتنعّم الإنسان

من جهة ويتأذّى من جهة فهو بين راحة وتعب، أمّا العذاب الذي أعدّه الله تبارك وتعالى فليس كذلك، إذن عندما يدرك الإنسان أنّه لا يمكن أن يخرج من سلطان الله تعالى فإنه يتقي الله تعالى، الذي يستعجل الله بعجلة العباد، مَنْ الذي يستعجل ؟ الذي يستعجل الذي يخاف الفوت، أنّ يفوته هذا الأمر، أستعجل رزقي ؛ لأنّي إذا لم أحصل على هذا الرزق قد يفوتني وقد يحصل عليه فلان، أو لا يأتيني فأحاول أن أستعجل ؛لأنّي أخاف الفوت ، ممّن يخاف الله تعالى ؟!! الله تعالى لا يخشى الفوت، ولا يخاف من الفوت، وإنّما مصائر الأمور كلّها تكون تحت سلطانه سواء كان في البحر أو في البرّ أو على قمّة جبل أو في الوادي أو كان في العراء أو دخل الى قصر وجعل عنده ألف حاجب، هذه الأمور كلّها واحدة عند الله تبارك وتعالى، فالله لا يخشى ولا يخاف الفوت ولا يستعجل بعجلة العباد، الله تعالى يُمهل يترك بني آدم، لكن الله لا يُهْمل؟ حاشاه ثمّ حاشاه لا يُهمل المظلوم الذي يقضي حفنة من السنين يرزح تحت ظلم الظالمين، ولا يُهْمِل الظالم الذي سخّر كلّ ما أنعم الله عليه لظلم البشر، الله تعالى لا يُهمل هذا ولا يُهمل هذا، نعم.. يُمهل عسى أن يكون بهذا الإمهال حالة من الرجوع الى الله تبارك وتعالى.

بعد هذه المقدّمة، ندخل في بعض مضامين هذا الدعاء الشريف ، لقد علمنا الأئمّة(عليهم السلام) أن لا ندخل في ذكر الطلب فجأة، بل حاولْ أن تهيّئ نفسك للدعاء، أن تحمد الله تعالى ، وهذا أدب الأئمّة(سلام الله عليهم) رأيناه في كلّ الأدعية الشريفة، وكذلك القرآن الكريم يبدأ دائما بذكر رحمة الله تعالى ، (بسم الله الرحمن الرحيم) ، وقد خلت من ذلك سورة التوبة لنكتة في محلّها، وإلّا عموم الأدعية لابُدّ فيها نوع من التمجيد والحمد لله. نعم، دعاء أبي حمزة الثمالي يخلو من ذلك يبدأ الدعاء -ويبدو أنّه ليس فيه حذف - بقوله :((إِلَهِي لَا تُؤَدِّبْنِي بِعُقُوبَتِك...))[1] هذا أوّل شيء يبدأ به ، وكأنّ حالة من الاعتراف من هذا العبد يريد الله تعالى بها أن لا يؤدّبه بالعقوبة ، وهو نوع من أنواع التمجيد بطريقةٍ أخرى، وهذا الدعاء الشريف أيضاً على شاكلة هذه الأدعية، سنقرأ مقطعاً أو مقطعين ثمّ ننهي المطلب.

١-مصباح المتهجد وسلاح المتعبد:٢/ ٥٨٢.

بدأ عليه السلام الدعاء في ذكر التوبة وطلبها بالمقطع الآتي: (اللهُمَّ يَامَنْ لَا يَصِفُهُ نَعْتُ الْوَاصِفِينَ، وَيَامَنْ لَا يُجَاوِزُهُ رَجَاءُ الرَّاجِين..)، تارة يذكر الإنسان التوبة وتارةً يطلب التوبة، فقد يعرّف التوبة ويبين ما هي التوبة؟ فيقول: كذا وكذا ، وتارةً يطلبها ، أي كيف يتوب؟ الحرّ(رضوان الله تبارك وتعالى عليه) قال له الإمام: ((إنْ تُبْتَ تَابَ اللهُ عَلَيْك))[1] لكن كيف أطلب التوبة؟ قطعاً لها منافذ ؛فإذا كنت عاكفاً على المعاصي -والعياذ بالله- لا أكون طالباً للتوبة بل أكون طالباً للمعصية، لكن عندما أبتعد عن المعصية أطلب التوبة، والتوبة أيضاً لها أبواب.

((اللهُمَّ يَامَنْ لَا يَصِفُهُ نَعْتُ الْوَاصِفِينَ وَيَامَنْ لَا يُجَاوِزُهُ رَجَاءُ الرَّاجِينَ، وَيَامَنْ لَا يَضِيعُ لَدَيْهِ أَجْرُ الْمُحْسِنِينَ، وَيَامَنْ هُوَ مُنْتَهَى خَوْفِ الْعَابِدِين...)) ، قال (اللهُمَّ يَامَنْ لَا يَصِفُهُ نَعْتُ الْوَاصِفِينَ) امتنعت ذاتُ الله تبارك وتعالى من أن نحيط بها، لا يمكن أن يحيط بذاته أهل السماء ولا أهل الأرض، ولذلك يقول الإمام الباقر في حديثٍ له: ((انّ أهل السماء يطلبونه كما تطلبونه أنتم))؛ لأن كلّ شيءٍ مثّلناه في عقولنا فهو مصنوع مثلنا، وليس الله، نعم، الله تبارك وتعالى دلّ بذاته على ذاته ، وتدل عليه هذه الآثار ، وهذه المخلوقات ، وهذه الصنائع ، وهذه الدقّة والحكمة الى آخر البراهين التي تُذكر. هنا يقول الإمام : لا يُمكن أن يصف الله نعت ، فمهما وصفه الواصف يكون هو حالة أخرى، نعم.. الصفة من باب أثر ومؤثّر ، من باب أنّنا نحاول أن ندعو ، وقد أمرنا الله أن ندعوه بأسمائه الحسنى وبأوصافه، لكن واقع القضية كما يقول الإمام لا يصفه نعتُ الواصفين.

(وَيَامَنْ لَا يُجَاوِزُهُ رَجَاءُ الرَّاجِينَ)، ما الشيء الذي نرجوه من الله تعالى ؟ أنا أرجو منك شيئاً فأنت إنسان مؤمن وعفيف ونبيل ، وتارةً أرجو من الله تعالى، لا يُمكن أن يكون رجاؤك أكبر من رجاء الله تعالى؛ لأنّك مهما أعطيت ، ومهما كنتُ راجياً منك ستبقى محدوداً، ومحتاجا، مفتقرا، ومن ثم سوف تلجأ الى الله تعالى مهما يكن شأنك،

١-بحار الأنوار: ٤٢/ ٣٣٧.

فقطعاً إنّ رجاءك أقلّ من الرجاء الذي أريده من الله، أنا أريد من الله أشياء لا تقدر عليها، أُريد من الله تعالى أن يتوب عليّ في يومٍ لا يوجد أحدٌ يسندني؛ إذ كلّ الخلائق تتبرّأ منّي، أمّي تقول لا شأن لي بك، وكذلك أبيٍ وَ أخي وأولادي وزوجتي، يوم يفرّ المرء في تلك اللحظات من كل هؤلاء، الى من تتوجّه عيني؟ من أرجوه في ذلك اليوم؟ قطعاً الله تبارك وتعالى، أرجو الله تعالى في ذلك اليوم أن يخلّصني من تلك الأهوال، هذه ليست بيد أحد إلا الله تبارك وتعالى، وقد أعطى الله تعالى وأذن لبعض أوليائه أن يدركني في تلك اللحظات، وعلى رأس هؤلاء الأولياء النبيّ ﷺ والأئمّة الهداة(عليهم السلام) . أرجو الله تعالى هناك أن يعفو عنّي ويستر خطاياي، لأن الإنسان عنده خطايا لا يعلم بها إلّا الله تعالى، وأنا أستحي أن تظهر أمام الملأ فأطلب من الله تعالى أن يسترها، هذه أشياء أرجوها من الله تعالى، وفي الدنيا أيضاً كلّ ما عندي هو نعمةٌ من نِعَم الله تعالى، أرجوه أن يطيل في عمري، وأرجوه أن يعينني على نفسي، وأرجوه أن يقوّي فهمي، هذه الأشياء ليست بيدك ولا بيدي . نعم. أنا أرجوك لقضيّة معاملة تتوسّط في إجرائها، وهذا مسكين فقير ،وذاك عنده مشكلة يُعاني من أزمة صحّية وأنت عندك الدواء، نعم.. رجائي أن تسهّل أمره قربةً الى الله تعالى، لكن قطعاً هذا الرجاء أمام ما نرجوه من الله تبارك وتعالى لا شيء، بل هذا الرجاء هو جزءٌ من الرجاء الى الله تعالى، لولا أنّ الله تعالى جعل فينا هذه الآلات البسيطة وآلات التنعّم بالدنيا ما استطاع أحدٌ منّا أن يفعل شيئاً ، لذا النعم كلها ترجع الى الله تعالى.

لاحظوا –إخواني– عندما يبدأ الإمام الدعاء ينتقي هذه الأشياء ؛لأنّ لها مهمّة فيما سيأتي من الدعاء، نحن يجب أن لا نيأس بل نتفاءل مع الله تعالى، لابُدّ أن يكون لنا أمل أنّ الله تبارك وتعالى يغفر، ولكن لابُدّ أن نضع أرجلنا على طريق التوبة والهداية ، على طريق الأمل حتى لا نكون قد غرّرنا بأنفسنا، تعلمون من الكبائر اليأس من روح الله تعالى، كذلك من الكبائر الأمن من مكر الله تعالى، فالذي يأمن من مكر الله تعالى يعصي ولا يُبالي ، ولسان حاله يقول: لو كان الله موجوداً لفعل بي ما فعل!!فهذا الأمن

من مكر الله من الكبائر، واليأس من الكبائر أيضا ؛ لذا المؤمن بين الرجاء والخوف دائما ، ذكرنا -سابقاً- في رواية عن أحد الأئمّة الأطهار(عليهم السلام) مضمونها أن المؤمن بين الرجاء والخوف دائما، هذا هو المؤمن المتوازن، مهما يأتي بأعمال يتوقّع أنّ الله يردّها، ومهما يأتي من ذنوب يتوقّع أنّ الله تعالى يغفرها ((خَفِ اللهَ خِيفَةً لَوْ جِئْتَهُ بِبِرِّ الثَّقَلَيْنِ لَعَذَّبَكَ وَ ارْجُ اللهَ رَجَاءً لَوْ جِئْتَهُ بِذُنُوبِ الثَّقَلَيْنِ لَرَحِمَكَ)) [1] .

الإمام السجّاد(عليه السلام) معلّمٌ ومرشد، وهذه الأدعية هي من الواجبات الأخلاقية ، ومن الواجبات التي لابُدّ للإنسان أن يفهمها حتى تعينه على معيشته في هذه الدنيا.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن نكون من الذّاكرين للتوبة ، ومن الطّالبين لها، إن شاء الله تعالى سنمضي مع هذا الدعاء ما وفّقنا الله سبحانه وتعالى لذلك ، ونسأله تبارك وتعالى أن يعيننا على أنفسنا كما أعان الصالحين على أنفسهم ، وأن يجعلنا وإيّاكم في مستقرّ رحمته، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على محمد وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

١- وسائل الشيعة: ١٥/ ٢١٦.

الجمعة ١٠ جمادى الاولى ١٤٣٧ هـ
الموافق ١٩ شباط ٢٠١٦ م

نصّ الخطبة الثانية

أخوتي الأفاضل أخواتي المؤمنات أعرض لكم الأمر الآتي:

لقد كتب أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى والي البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري عندما بلغه أنّه دُعِي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى اليها، فكتب إليه رسالة شديدة في اللفظ تؤنّبه على استجابته لتلك الدعوة وحضوره في تلك المأدبة، ويذكّره بما يجب أن يسير عليه مَنْ يتولّى السلطة ويكون في موقع المسؤولية في مواساة الفقراء والمحرومين، قال عليه السلام :

((أَمَّا بَعْدُ يَا ابْنَ حُنَيْف[1] فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَأْدُبَةٍ فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلُهُمْ مَجْفُو))[2] أي فقيرهم، ((عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هَذَا الْمَقْضَمِ[3] فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وَجْهِهِ [وُجُوهِهِ] فَنَلْ مِنْهُ

١ - أبو محمد عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الله بن عثمان بن حنيف الأنصاري، الأوسي، الامامي نسبة إلى أبي امامة بن سهل، المدني، وقيل المديني. من خواص أصحاب الإمام عليه السلام، ومن فضلاء محدثي الأمامية، وكان كثير الحديث، عالما بالسيرة، ينظر: الفايق في رواة وأصحاب الإمام الصادق عليه السلام، عبد الحسين الشبستري، الطبعة الاولى ١٤١٨ هـ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين لقم المشرفة: ٢/ ٢١٦.

٢-شرح نهج البلاغة :١٦/ ٢٠٥.

٣- القَضْمُ أكل بأَطراف الأَسنان والأَضراس وقيل هو أَكل الشيء اليابس قَضِمَ يَقْضَم قَضْماً ، ينظر: لسان العرب: ١٢/ ٤٨٧.

أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَلَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ فَوَاللهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً وَلَا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً وَلَا أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً وَلَا حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِبْراً))[1] الفظه أي: أخرجه من فمك، الفظ النواة أي: أخرجها من فمك.

إلى أن قال عليه السلام: ((وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ وَلُبَابِ هَذَا الْقَمْحِ وَنَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ))، يعني الحرير

((وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ وَيَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الْأَطْعِمَةِ وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ بِالْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى وَأَكْبَادٌ حَرَّى أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ

وَحَسْبُكَ عَاراً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ ... وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى الْقِدِّ(*)

((أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغُلُهَا تَقَمُّمُهَا تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلَافِهَا وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا أَوْ أُتْرَكَ سُدًى أَوْ أُهْمَلَ عَابِثاً أَوْ أَجُرَّ حَبْلَ الضَّلَالَةِ أَوْ أَعْتَسِفَ طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ))[2].

نقول: صلوات الله وسلامه عليك يا أمير المؤمنين، يا إمام الفقراء والمحرومين، نسأل الله تبارك وتعالى أن يشملنا برحمته، ويعيننا في السير على نهجك، والاقتداء بسيرتك، وصلى الله عليك حيّاً وميّتاً ويوم تبعث حيّاً، وصلّى الله على محمّدٍ وآله الطيّبين الطاهرين.

١- شرح نهج البلاغة :١٦/ ٢٠٥.
٢- م.ن: ١٦/ ٢٨٧.
* - القِدّ بالكسر: سير من جلد غير مدبوغ.

الجمعة ١٧ جمادي الأول ١٤٣٧ هـ
الموافق ٢٦ شباط ٢٠١٦ م

- بإمامة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي.
- نصّ الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تواضع كلّ شيءٍ لعظمته، وذلّ كلّ شيءٍ لعزّته، واستسلم كلّ شيءٍ لقدرته، وخضع كلّ شيءٍ لهيبته، ربّ كلّ مربوب، كاشف كلّ مكروب، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، شهادةً نقّاها من الرّيْب، وارتضاها في الشهادة والغيب، وأشهد أنّ محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) عبده الكريم ونبيّه العظيم، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

أوصيكم عباد الله تعالى وقبل ذلك أوصي نفسي بتقوى الله تعالى ، واتّباع دينه الذي ارتضاه لكم وشرّفكم به، والخروج من ذلّ المعاصي الى عزّ الطاعة والتقوى، فإن أردتم غنىً بلا مال، وعزّاً بلا عشيرة، وأنساً بلا أنيس ، فعليكم بالتقوى والطاعة لله تعالى واجتناب نواهيه، واعلموا أنّكم في زمانٍ كثرت فيه المزالق، وتنوّعت فيه مغريات الدنيا وفتنها، ولا ينجو فيه إلّا الثابتون على الدين، المخلصون في العقيدة ،الصادقون في العمل، فاثبتوا واصبروا واذكروا الله كثيراً لعلّكم تفلحون.

أيّها الإخوة والأخوات سلامٌ عليكم جميعاً من ربٍّ رحيمٍ غفورٍ ورحمةٌ منه وبركات.

ذكرنا سابقاً في دعاءٍ للإمام السجّادعليه السلام دعاءه لجيرانه وأوليائه إذا ذكرهم، وذكرنا أنّ الإمامعليه السلام بيّن في هذا الدعاء قواعد التعايش والمعاشرة الحسنة التي لو طبّقها الإنسان ،لأمكن أن يضمن السعادة والاستقرار والتكافل والتعاون بين أفراد المجتمع، وكان في ذلك كفالة السعادة للفرد والمجتمع. وقد أشار الإمامعليه السلام إلى هذا المعنى في آخر الدعاء أنّه متى ما طبّقتم هذه القواعد في المعاشرة والتعايش فيما بينكم ضمنت لكم السعادة فرداً ومجتمعاً، فيقول في آخر الدعاء: ((اللهمّ صلّ على محمدٍ وآله وارزقني مثل ذلك منهم واجعل لي أوفى الحظوظ فيما عندهم وزدهم بصيرةً في حقّي ومعرفةً بفضلي..)) لماذا؟ يقول: ((حتى يسعدوا بي وأسعد بهم))، أنتم تسعدون به، أي بالإمام حينما تطبّقون، يسعد المجتمع ويسعد الإنسان نفسه، يقول : حتى يسعدوا بي وأسعد بهم، فتطبيق هذه القواعد فيه ضمان لهذه النتيجة والثمرة الكبيرة، وهي السعادة للفرد والمجتمع.

فقال مبينا قواعد التعايش مع الجيران ،وقواعد التعايش بين الفرد وبقيّة إخوته، وبين المرأة وأخواتها من المؤمنات: ((اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِه، وَ تَوَلَّنِي فِي جِيرَانِي وَ مَوَالِيَّ الْعَارِفِينَ بِحَقِّنَا، وَ الْمُنَابِذِينَ لِأَعْدَائِنَا بِأَفْضَلِ وَلَايَتِكَ وَوَفِّقْهُمْ لِإِقَامَةِ سُنَّتِكَ، وَالْأَخْذِ بِمَحَاسِنِ أَدَبِكَ فِي إِرْفَاقِ ضَعِيفِهِمْ، وَسَدِّ خَلَّتِهِمْ، وَعِيَادَةِ مَرِيضِهِمْ، وَهِدَايَةِ مُسْتَرْشِدِهِمْ، وَمُنَاصَحَةِ مُسْتَشِيرِهِمْ، وَتَعَهُّدِ قَادِمِهِمْ، وَكِتْمَانِ أَسْرَارِهِمْ، وَسَتْرِ عَوْرَاتِهِم))[1] ، وصلنا إلى المقطع الثاني من الدعاء الذي يبين فيه بقية الصفات وقواعد المعاشرة، يقولعليه السلام : ((وَنُصْرَةِ مَظْلُومِهِمْ، وَحُسْنِ مُوَاسَاتِهِمْ بِالْمَاعُونِ، وَالْعَوْدِ عَلَيْهِمْ بِالْجِدَةِ وَالْإِفْضَالِ، وَإِعْطَاءِ مَا يَجِبُ لَهُمْ قَبْلَ السُّؤَال))[2]، النصرة، نصرتُهُ : أعنتُهُ وقوّيتُهُ ،فمعنى النصرة هنا الإعانة، نصرةُ المظلوم لها صور مختلفة قد يُظلم أحدكم، يُظلم جاركم، تارةً يكون الظلم جسديا وتارةً معنويا وأخرى ماليا، فقد يُظلم الإنسان من حاكمٍ أو مسؤولٍ ، وقد يُظلم من رَحِمِه، الزوجة قد تظلم زوجها ، والزوج قد

١- الصحيفة السجادية: ١٢٤.
٢- م.ن: ١٢٤.

يظلم زوجته، الابن قد يظلم أبيه ، والأب قد يظلم ابنه، فما هو المطلوب منك أيّها الأخ المؤمن ،أيّتها الأخت المؤمنة؟ إذا رأيتم أحداً من الجيران أو أحداً من إخوانكم، أو الأخت المؤمنة رأت إحدى أخواتها المؤمنات قد ظُلمت أو رأيتم أحداً ما قد ظُلِم، ما الموقف؟ هل هو التفرّج و السكوت؟ هل هو عدم ردّ الفعل؟ ما القاعدة في التعايش التي تضمن لنا السعادة والاستقرار والتكافل فيما بينا؟ يقول الإمام: (نصرة مظلومهم) ، أي أن لا أقف موقف المتفرّج إذا ظُلم أحدٌ في جسده، أحاول أن أرفع وأمنع الظلم عنه ، وإذا ظُلم أحدهم ظلماً معنوياً، تجاوز أحد على آخر فسبّه وشتمه واعتدى عليه بأحد أنواع الاعتداء المعنويّ، أحاول أن أمنع هذا المعتدي بالأسلوب الحكيم من أن يظلم أخاه أو يظلم جاره، وإذا حصل ظلمٌ في المال ، غصب أحدهم مال الآخر بغير حقّ، أحاول أن أمنع هذا الظالم من أن يظلم أخاه؛ لذلك يبيّن الإمام(سلام الله عليه) المطلوب منّا بالأسلوب الحكيم، والأسلوب المقبول شرعاً وعرفاً أن لا أقف موقف المتفرّج والساكت على حصول الظلم، بل الموقف المطلوب هو نصرة المظلوم ؛ لذلك قال الإمام عليه السلام : (ونصرة مظلومهم)، الإمام يدعو ويقول: اللهمّ وفّق هؤلاء الأتباع ،وفّق هؤلاء المحبّين أنّ الواحد منهم إذا ظُلِم نصرته البقية في رفع هذا الظلم عنه.

((ونصرة مظلومهم وحسن مواساتهم بالماعون)) هذه قاعدة من قواعد التعايش أيضاً ، فما المقصود بالمواساة، وما المقصود بالماعون؟ المواساة: هي المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق، أي بعضكم يساهم ويشارك الآخرين في تحمّل معاشهم ورزقهم، وسيتّضح من خلال ذكر بعض الأمثلة، ما المقصود هنا بالماعون؟ وفي حسن المواساة بالماعون ثلاثة تفسيرات، المعنى الأوّل الذي ذُكِر: هو المعروف كلّه ،أي: عمل المعروف مطلوب فيما بينكم، فيساهم الواحد منكم مع الآخرين في إسداء المعروف الى إخوانه والى جيرانه. المعنى الثاني: الماعون هو اسمٌ جامع لما لا يُمنَعُ في العادة، ويسأله الفقير والغنيّ على حدٍّ سواء في الغالب، وكذلك لا يُنسب سائله الى اللؤم ، فإذا سأل أحد هذا الشيء لا يُنسب الى اللؤم، بل مانعه يُنسب الى اللؤم والبخل، ويضربون أمثلةً

للاسم الجامع لما لا يمنع في العادة من مثل: الفأس والقدر والدلو ، وكلّ ما فيه منفعة من قليل وكثير كالملح والنار ،وغير ذلك من هذه الأمور المتعارفة الموجودة في البيت، فالمواساة بالماعون بمعنى المواساة بهذه الأمور ، ومشاركة الآخرين في تحمّل معاشهم بهذه الأمور. المعنى الثالث: الذي وردت فيه الرواية هو مطلق المنفعة، أي ما ينتفع به الإنسان وما تنفع به أخاك، لاحظوا هذه الرواية التي وردت عن الإمام الصادق(عليه السلام) حينما سأله أبو بصير عن الماعون الذي ورد في إحدى الآيات القرآنية، قال: ما معنى الماعون؟ قال: ((هُوَ الْقَرْضُ تُقْرِضُهُ وَالْمَعْرُوف تَصْنَعُ هُوَ مَتَاعًا لْبَيْت تِعِيرُهُ وَمِنْهُ الزَّكَاة))[1]، صفة منع الماعون صفة ذميمة ،وإعطاء مثل هذه الأمور صفة ممدوحة، فما هذا الماعون الذي أشار اليه الإمام أيّها الإخوة المؤمنون أيّتها الأخوات المؤمنات ؟ مواساة بعضكم بعضاً في هذه الأمور :القرض تقرضه، والمعروف تصنعه، ومتاع البيت هذا الذي عندك تعيره لجارك أو لأخيك المؤمن .(...ومنه الزكاة) ، ثم يسأله أنّ الإنسان إذا أعار شيئاً لجاره أو أخيه فأفسده وكسره، هل عليه جُناح أن يمنعه؟ فقال له:((إِنَّ لَنَا جِيرَاناً إِذَا أَعَرْنَاهُمْ مَتَاعاً كَسَرُوهُ وَ أَفْسَدُوهُ فَعَلَيْنَا جُنَاحٌ إِنْ نَمْنَعْهُمْ فَقَالَ لَا لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ إِنْ تَمْنَعُوهُمْ إِذَا كَانُوا كَذَلِك))[2] .

فإذن لدينا هذه الصفة التي ينبغي أن نتحلّى بها فيما بيننا ، وهي أن يصنع الإنسان المعروف لأخيه، فيعيره متاع البيت ،ولكن في الوقت نفسه كن أنت محافظاً على هذا المتاع الذي تستعيره أو هذا الشيء الذي تستعيره من أخيك، هذه وصيّة مهمّة حتى لا نقطع المعروف فيما بيننا ، وحتى لا تمنع أخاك من أن يسدي اليك المعروف أو يعيرك المتاع أو يقرضك القرض، حتى لا تمنع هذه الصفة الحسنة حافظ عليها . مثلاً كتابٌ تستعيره منه حافظ عليه وأعِدْه اليه فيما بعد ، أو يستعير أدوات لسيّارته أو لآلته فينسى ويبقى عنده سنين، وذاك الشخص يبحث عنه فلا يجده، فيمتنع هذا الشخص في المستقبل من القيام بمثل هذا المعروف. هذه أمانةٌ عندك حافظ عليها، وأعِدْها الى صاحبها حينئذٍ تشجّع

١-رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين: ٤/ ١٥٨.
٢- الكافي: ٣/ ٤٩٩.

الآخرين على أن يستمرّوا في هذه الصفة الحسنة وفي أداء الأمانة، وفي أن يعطي ما يطلبه أخوه؛ لذلك على الجار أن يحافظ على المتاع الذي يستعيره من جاره، وعلى الأخ المؤمن أن يحافظ على ما اقترضه ويعيده إلى صاحبه ، فمهما يكن المستعار ليس بالضرورة متاع البيت كما في بيان هذا المعنى، فحاول أن تحافظ عليه، تذكّر أنّك بعدم محافظتك على ما تستعير ستمنع هذه الصفة من أن تستمرّ في المجتمع، فـ(حسن المواساة بالماعون) صفةٌ حسنةٌ ينبغي أن نتعايش بها فيما بيننا ، وفي قبالها منع الماعون، منع هذه الأعمال على المعنى الذي ذكرناه ما جزاءه ، ما جزاء هذه الصفة السيئة إن اتّصفنا بها؟ لاحظوا هذا الحديث إن منعتَ الماعون منع الله عنك الخير يوم القيامة، أنت تمنع عن عبادي مثل هذه الأمور، أنا أيضاً أجازيك بأن أمنع عنك الخير يوم القيامة، فورد في الحديث عن النبي ﷺ : (من منع الماعون جاره منعه الله خيره يوم القيامة ووكله الى نفسه، ومن وكله الى نفسه فما أسوء حاله) ؛ لذلك ورد عن بعض العلماء من الفضائل والأمور الحسنة الطيبة التي يتّصف بها الإنسان أن يكثر من المتاع في بيته ،ولا يقتصر على قدر الضرورة التي يحتاجها ، دع شيئاً زائداً من المتاع لماذا؟ حتى إذا طلب جاره أو أخوه المؤمن منه شيئاً ، أعاره هذا الشيء، فكان له بذلك الخير يوم القيامة.

ومن قواعد التعايش فيما بيننا ((...والعود عليهم بالجِدَة والإفضال)) معنى الجِدَة :الغنى والثروة ومعنى الإفضال: الإكثار، أي يعود الغنيّ منكم على الفقير بصورةٍ متكرّرة ، ويكثر عليه من المال والمساعدة ليس مرّةً واحدة فقط، يقول: (والعود عليهم) يعني: الرجوع مرّةً وثانيةً وثالثةً ورابعةً وهكذا، ((والعود عليهم بالجِدَة والإفضال)) يكثر ويغدق على المحتاج والفقير ممّا يحتاج اليه من المال حتى يجعله متمكّناً من قضاء حاجاته، كما ورد في بعض الأحاديث التي ذكرنا بعضاً منها سابقاً في بيان صفات الشيعة التي ذكرها الإمام (سلام الله عليه) ، عن أبي عبد الله عليه السلام دخل رجلٌ عليه فسلّم على الإمام، فسأله: كيف مَنْ خلفت مِنْ إخوانك؟ يسأله عن حال أتباعه ومحبّيه، قال: فأحسن الثناء وزكّى وأطرى ، أي مدح وأثنى على الذين معه، فقال عليه السلام : كيف

مشاهدة أغنيائهم لفقرائهم؟ فقال: قليلة، ثمّ سأل: كيف صلة أغنيائهم لفقرائهم في ذات أيديهم؟ كيف يتواصل الأغنياء مع الفقراء؟ الأغنياء ربّما هنا بمعنى المتمكّن فليس بالضرورة الغنيّ من يمتلك ثروةً كبيرةً، كيف صلة أغنيائهم لفقرائهم في ذات أيديهم؟ هل يتفقّد الغني الفقير؟ يسأل عن احتياجاته؟ وإذا علم أنّ له حاجة يغدق عليه ويعطيه ويعود عليه بهذا الإعطاء؟ فقال هذا الراوي: إنّك لتذكر أخلاقاً قلّما هي في مَنْ عندنا. هذه الأخلاق التي تصف بها شيعتك قليلة ليست متفشّية عندنا، فقال عليه السلام: فكيف يزعم هؤلاء أنّهم شيعة؟! إن قلّت هذه الصفات لسنا حقيقةً من الشيعة لأهل البيت(عليهم السلام)، فإن اتّصفنا بها كنّا من شيعة أهل البيت حقّاً، لذلك الإمام عليه السلام يؤكّد والإمام الباقر أيضاً وبقيّة الأئمّة يؤكّدون هذه الصفات لأتباعهم ومحبّيهم حتى يكونوا حقّاً متّبعين لهم.

((وإعطاء ما يجب لهم قبل السؤال)) لاحظوا –إخواني- هذه من الصفات الحسنة جدّاً، أنا لديّ أخ مؤمن أو جار محتاج، والحاجة هنا تارةً حاجة مادّية، يحتاج مالاً في بناء أو في استئجار دار أو في مرض، وتارةً لديه حاجة نفسية يمرّ بهمّ أو كرب أو غمّ يحتاج أن يفرّج همّه وغمّه ويدخل السرور على قلبه، وأحياناً حاجة معنوية هو في قطيعة مع رحمه، مع أبيه أو إخوانه يحتاج أحداً من إخوانه ليصلح الشأن بينه وبين أرحامه وإخوانه، التفتوا –إخواني- الحاجة قد تكون مادية أو معنوية أو نفسية، قضاء الحوائج للإخوان في هذه المجالات من الصفات الحسنة التي أكّدها الإمام عليه السلام. ونلتفت الى خلق عظيم وصفة حسنة جدّاً، فتارة يأتي الإنسان المحتاج ويطلب منّي أن أقضي له حاجته من المال وغيره فأعطيه، يقول الإمام: لا. أنت –أيّها المؤمن- قبل أن يأتيك ويسألك هذه الحاجة بادر من دون أن يأتي ويسألك لقضاء حاجته، لماذا؟ يريد الإمام عليه السلام أن يحفظ للإنسان كرامته وعزّته، يحفظ له ماء وجهه، أنتم تعلمون أن السؤال فيه ذل، فلو سأل الإنسان عن الطريق أو عيادة فهذا السؤال فيه ذلّة، فكيف إذا سأل مالاً أو سأل شيئاً آخر؟! يقول الإمام عليه السلام: لا، بادر وأعطي ما يجب لأخيك عليك قبل أن يسألك،

أيّها الأخ المؤمن ، أيّتها الأخت المؤمنة قبل أن تأتي هذه المرأة الفقيرة المحتاجة أو هذه المرأة الواقعة في المشكلة ، قبل أن تأتي وتسأل أنتِ بادري الى أن تقضي حاجة هذه المرأة المؤمنة، أنت أيّها الأخ المؤمن بادر لقضاء هذه الحاجة لكي تحفظ لأخيك ماء وجهه وتحفظ له كرامته، هكذا الإسلام يريد أن يحافظ على كرامة الإنسان المؤمن، لذلك يقول الإمام: ((وإعطاء ما يجب لهم قبل السؤال)) وفي هذا المعنى رواية عن الإمام الصادق عليه السلام في بيان حقوق المؤمن، ماذا يقول؟: ((وإذا علمت أنّ له حاجةً تبادر الى قضائها ولا تلجئه أن يسألك إيّاها ولكن تبادره مبادرةً))[١] لا تدعه يضطرّ بعد ذلك ويلجأ ؛لأنّه يرى أنْ لا أحد يبادر الى قضاء حاجته، قبل أن تضطرّه فكرامته وعزّة نفسه تمنعه من أن يأتي ويسأل قد يبقى يوماً أو أيّاماً ، وهو في أشدّ العوز والفاقة والحاجة وكرامته تمنعه ، ثمّ بعد ذلك يضطرّ أن يريق ماء وجهه ، ويأتي ويسألك الحاجة، يقول الإمام عليه السلام : لا. حقّ أخيك هذا ، وحقّ أختك المؤمنة ،أيّتها الأخت المؤمنة أنّه ((إذا علمت أنّ له حاجةً تبادر الى قضائها ولا تُلجئْه أن يسألك إيّاها ولكن تبادره مبادرةً)) لذا ورد عن الأئمة (سلام الله عليهم) أحاديث تحفّزكم على المبادرة لقضاء حوائج المؤمنين، في بعض الروايات يقطع الإمام المعصوم الطواف- طواف مستحبّ -،عندما يأتيه إنسان مؤمن عنده حاجة ، مع العلم أن هذا عملٌ عبادي وله ثوابٌ عظيم، يقطع الطواف ويذهب مع هذا الإنسان المؤمن الذي سأله ليقضي حاجته، لذلك كثيرة هي الأحاديث التي أكّدت أهمّية قضاء حوائج الناس كما في هذا الحديث، الإمام الصادق عليه السلام يُقسم ((والذي بعث محمداً بالحقّ بشيراً ونذيراً لقضاءُ حاجة امرئ مسلم وتنفيس كربته...)) ولا نتصوّر أن الحاجة للمال فقط، لا، أحياناً تكون الحاجة نفسية أو معنوية، مثلا إنسانٌ مؤمنٌ في غمّ وكرب ، أسأله ما كربتك؟ ما همّك؟ لماذا أنت في هذه الحالة؟ أحاول أن أساعده على تجاوز مشكلته وهمّه، وقد تكون له مشكلة في داخل البيت أو مع أرحامه أو مع أصدقائه ويحتاج الى من يصلح بينه وبين أرحامه وإخوانه، أبادر الى إصلاح ذات البين بينهم، يقول: ((...وتنفيس كربته أفضل من حجّةٍ وطواف حجّةٍ

١-الوافي: ٥ /٥٥٨.

وطواف -يعدّد الإمام الى عشرة-)) قضاء حاجة المؤمن أفضل من هذا العمل العبادي ((..حتى عقد عشرة ثم خلّى يده ،وقال: اتّقوا الله ولا تملّوا من الخير ولا تكسلوا...)) ، ما معنى (لا تملّوا من الخير ولا تكسلوا)؟ يعني تعدد الحاجات وكثرتها لدى أخيك المؤمن، أو كثرة المحتاجين من إخوانك لا تجعلك تمل من فعل هذا الخير ولا تكسل عن أداء حوائج إخوانك المؤمنين ((...فإنّ لكم من الثواب أضعاف أضعاف ما تتوقّعون، فإنّ الله عزّوجلّ ورسوله غنيّان عنكم وعن أعمالكم...)) ليس بهم حاجة، الله تعالى والنبيّ ليست بهم حاجة أن نأتي بهذه الأعمال (...وأنتم الفقراء الى الله عزّوجلّ...) إذا لم يكونوا بهم حاجة الى أعمال فلماذا؟ يقول: إنّ الله تعالى يريد سبباً حتى يدخلكم الجنّة من لطفه ورحمته، يريد أسباباً حتى تدخلوا بها الى الجنة ، جعل من أسباب الدخول الى الجنّة قضاء حوائج المؤمنين ((وأنتم الفقراء الى الله عزّوجلّ، وإنّما أراد الله عزّوجلّ بلطفه سبباً يدخلكم به الجنة)).

لذلك جاءت هذه الأعمال لتكون سبباً لهذا الثواب العظيم، فيقول الإمام(عليه السلام) : (وإعطائهم ما يجب لهم قبل السؤال، واجعلني اللهمّ أجزي بالإحسان مسيئهم..) هذا المقطع الثاني من الدعاء يبيّن الإمام(عليه السلام) أيضاً قواعد أخرى لكيفية التعايش، هذا التعايش الذي يؤدّي الى السعادة والاستقرار والراحة في الدنيا والآخرة، كما بيّن الإمام(عليه السلام) في آخر الدعاء، إن شاء الله نبيّنها في الخطبة القادمة . نسأل الله تعالى التوفيق لذلك، وأن يجعلنا من العاملين بما أرشدنا اليه الأئمّة(عليهم السلام)، وصلّى الله على نبيّنا محمدٍ وآله الطاهرين وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الجمعة ١٧ جمادي الأول ١٤٣٧ هـ
الموافق ٢٦ شباط ٢٠١٦ م

نصّ الخطبة الثانية

أيّها الإخوة والأخوات في هذه الخطبة نقرأ على نسق الخطبة الماضية مقاطع أخرى من كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لعامله مالك بن الحارث الأشتر لمّا ولّاه مصر، ينصحه فيها ويوجّهه كيف يدير شؤون الناس، وهو ممّا يصلح أن يكون منهاجاً لمَنْ هم في مواقع المسؤولية في هذا البلد وفي سائر البلاد، قال(عليه السلام) :

((انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ، فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَاراً وَلاَ تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وأَثَرَةً، فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ..إلى أن قال(عليه السلام) : ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الأَمَانَةِ وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ، وَتَحَفَّظْ مِنَ الأَعْوَانِ فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ اكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِداً فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ وَوَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهَمَةِ..))[١].

وقال(عليه السلام) :

((وَاجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ للهِ الَّذِي خَلَقَكَ وَتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه

١- شرح نهج البلاغة: ١٧/ ٦٩.

وآله وسلم) يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ))(١).

وقال عليه السلام :

((وَلَا تُقْطِعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَّتِكَ قَطِيعَةً وَلَا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ فِي شِرْبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ يَحْمِلُونَ مَئُونَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ فَيَكُونَ مَهْنَأُ ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ وَكُنْ فِي ذَلِكَ صَابِراً مُحْتَسِباً وَاقِعاً ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ وَابْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذَلِكَ مَحْمُودَةٌ))(٢).

وقال عليه السلام :

((إِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنِقْمَةٍ وَلَا أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ وَلَا أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ وَانْقِطَاعِ مُدَّةٍ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِئٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ))(٣).

وقال عليه السلام :

((وَإِيَّاكَ وَالْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا وَحُبَّ الْإِطْرَاءِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ وَإِيَّاكَ وَالْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ أَوِ التَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الْإِحْسَانَ وَالتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ وَالْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ))(٤).

١- شرح نهج البلاغة: ١٧/ ٨٧.
٢- م. ن: ١٧/ ٩٧.
٣- م. ن: ١٧/ ١١١.
٤-م. ن: ١٧/ ١١٣.

وقال عليه السلام :

((وَإِيَّاكَ وَالاسْتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ وَالتَّغَابِيَ عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ الْأُمُورِ وَيُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ))[١].

١- شرح نهج البلاغة: ١٧/ ١١٣.

خطب الجمعة

لشهر

آذار

٢٠١٦م

جمادى الاولى

جمادى الاخرة

١٤٣٧هـ

الجمعة ٢٤ جمادى الاولى
٤ آذار
بإمامة سماحة السيد أحمد الصافي

الجمعة ١ جمادى الاخرة
١١ آذار
بإمامة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

الجمعة ٨ جمادى الاخرة
١٨ ذار
بإمامة سماحة السيد أحمد الصافي

الجمعة ١٥ جمادى الاخرة
٢٥ آذار
بإمامة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

الجمعة ٢٤ جمادي الأول ١٤٣٧هـ
الموافق ٤ آذار ٢٠١٦ م

- بإمامة سماحة السيد الصافي.
- نصّ الخطبة الأولى

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله ربّ العالمين ، والصّلاة والسلام على خير خلقه أبي القاسم محمد وعلى آله الطيّبين الطاهرين، الحمدُ لله الذي لبس العزّ والكبرياء واختارهما لنفسه دون خلقه، وجعلهما حمىً وحرماً على غيره، واصطفاهما لجلاله، وجعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده.

إخوتي ، آبائي ، أبنائي رفع الله شأنكم جميعاً ، أخواتي ، بناتي، أمّهاتي زاد الله تعالى في توفيقكنّ، السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته. أوصيكم جميعاً ونفسي الأمّارة بالسوء بتقوى الله تعالى والامتثال لأوامره والانتهاء عند نهيه، سائلين الله تبارك وتعالى أن يلبسنا وإيّاكم لباس التقوى ؛فإنّه نعم الذخيرة ليوم الفاقة، أخذ الله تعالى بأيدينا وأيديكم جميعاً الى ما يحبّ ويرضى.

كنّا مع الإمام السجاد(عليه السلام) في دعائه الكريم في طلب التوبة، وقد ذكرنا مقدّمة لبيان حاجتنا الحقيقيّة إلى الله تبارك وتعالى، فإنّنا لا يمكن بأيّ حال أن نخرج عن سلطانه جلّ شأنه، وإن اعتقد الإنسان اعتقادات باطلة فإنها لا تغيّر الواقع، فالواقع نحن عباد لنا حاجة حقيقية الى الله تعالى، نحن محض الحاجة، ومحض الافتقار ،ومحض

الفقر، والله تبارك وتعالى هو الغنيّ المطلق. والتوبة فضلاً عن كونها حالة صحّية أن الإنسان قد يزل عن الحق ولكنّه سرعان ما يؤوب ويرجع الى الله تعالى، فهي من الأمور المربّية؛ إذ هي تلزم أن يعتقد الإنسان أنّ به حاجة دائماً الى غيره ، يحاول أن يُرضيه، ومن ثَمّ لابُدّ أن نشعر دائماً أنّنا محتاجون الى الله، لأننا تارةً نشعر بهذا الواقع وتارةً لا نشعر، قد يحتطب الإنسان على ظهره الآثام وهو لا يكترث الى أن يصل الى مشارف نهاية العمر فيلتفت، ويشعر بالانكسار فيُحاول أن يصحّح ما فات ، وسيعترف هناك بأنّه محتاج الى الله تعالى، سيرى حقيقة هذا الاحتياج ؛لأنّه أُسقط ما في يده، وكلّ ما كان يتقوّى به قد خرج منه، وهو بينه وبين الآخرة لحظات ثمّ يصبح جثّةً هامدة ، وينتقل الى ذلك المكان الذي لابُدّ أن ننتقل اليه جميعاً؛ ولذلك التوبة فضلاً عن أنّها عود العبد الى الله ورجوعه اليه ، فهي حالة مربّية تجعل الإنسان دائماً في يقظة، ينتبه أن هناك مَنْ يراه ، وهناك مَنْ ينظر اليه ،وهناك مَنْ تحتاجه بمجرّد أن تلتفت، فلا يخدعنّك أحد عن هذا الاحتياج، لا يقول إنسان: أنا قويّ وأنا حصلت على هذه الأشياء بجهدي وعلمي؛ لأنّه سيرجع ويتنكّر لهذه الأشياء ، يقول الله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ))[1] (أيّها الناس) غير مرتبطة بالمؤمن ،وإنّما أيّ إنسان هو فقيرٌ الى الله، وهو قد يلتفت ويعمل على هذا الاحتياج ، وتارةً لا يلتفت لكنّه سيُقهر على هذا ،وسيأتي مطأطئ الرأس محتاجا الى الله تعالى، ولذلك التوبة سيماء الصالحين، يكونون دائماً في حالة توبة ورجوع الى الله تبارك وتعالى، وقد صدّر الإمام السجّاد هذا الدعاء بهذه الطريقة، طريقة النعت ،وطريقة الثناء ،وطريقة الحمد الى الله تبارك وتعالى استدراراً لرحمة الله تعالى .

أنتم تعلمون – إخواني - أنّ الله تعالى سريع الرضا كما يقول أمير المؤمنين في دعائه: (يا سريع الرّضا)، الله تبارك وتعالى يرضى عنّا بمجرّد أن نهيّئ أسباب الرضا، ولذلك- كما قلنا في موضع سابق- اليأس من رَوْح الله من الكبائر ، فالإنسان كلّما عصفت به الدنيا، وحاول أن يذهب يميناً ويساراً لابُدّ أن يرجع الى الله تعالى، عزّة العبد بالرجوع الى الله تعالى، عزّة الإنسان تكون بمقدار قصر المسافة بينه وبين الله

١-فاطر: ١٥.

تعالى، فلا مسافة بيننا وبين الله تعالى من جهته فهو أقرب الينا من حبل الوريد، ولكن نحن قد نبتعد، الله لا يحتجب عنّا. نعم، الذنوب والخطايا تحجب دعاءنا عن الله تبارك وتعالى، والله بعد ذلك لا يُبالي بنا بأيّ وادٍ هلكنا، سيكون حالنا حال بقيّة العجماوات ، المخلوقات التي لا عقل لها ولا قيمة ، إزاء ما كرّم الله تعالى بني آدم بهذا التكريم، ولذا كلّما اقترب الإنسان من الله تعالى ازداد عزّةً، ولاحظوا هناك بعض الأحاديث الشريفة مثل هذا الحديث الذي على الرغم من اختصاره فمضامينه عالية يقول: ((مَنْ خَافَ اللهَ أَخَافَ اللهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْء))[1]،هذا عجيبٌ غريب!! أن الإنسان المؤمن إذا خاف اللهَ، فالله تعالى سيجعل هذا الرجل مهاباً عند الآخرين، سيجعل له سطوة ويخاف الآخرون منه، وهو لا يملك إلّا هذه العلاقة مع الله، لماذا؟ لأنّ القرآن يقول: ((إنّ الله يُدافعُ عن الذين آمنوا..)) الله هو يتولّى الدفاع، ومَنْ يتولَّ اللهُ الدفاع عنه قطعاً لا يخشى دركاً ولا يخشى خسارة ولا خذلاناً؛ لأنّه مع الله، والشخص الذي لم يخف اللهَ تعالى أخافه اللهُ من كلّ شيء، يبقى هذا الإنسان يخاف من كلّ شيء ؛لأنّ هذا القلب قلبٌ فارغ ،لا تجد الله تعالى فيه ، والقلب الفارغ كالخشب المسنّدة يحسب كلّ صيحة عليه؛ لذا -إخواني- مسألة التوبة مسألة تربوية ؛ لأن الإنسان يؤوب الى الله تعالى، ويعود إليه.

الإمام السجاد -عليه السلام- يقول: ((اللهُمَّ يَا مَنْ لَا يَصِفُهُ نَعْتُ الْوَاصِفِينَ وَيَامَنْ لَا يُجَاوِزُهُ رَجَاءُ الرَّاجِينَ وَيَامَنْ لَا يَضِيعُ لَدَيْهِ أَجْرُ الْمُحْسِنِين))[2]، وصلنا الى هذه الفقرة، مَنْ هو المحسن؟ لاحظوا -إخواني - كلٌّ منّا يحبّ نفسه، وحبّ الإنسان نفسه ليس عيباً، لكن العاقل هو الذي يأخذ بنفسه الى موارد الأمان، محبّة الإنسان لنفسه تقتضي أن يكون مطيعاً لله؛ لأنّه يخاف على هذه النفس، ومن محبّة الإنسان لنفسه أن يسعى وراء البرّ، المُحسن لا تجد عنده إلّا حالة الإحسان لمن يعرف ولمن لا يعرف، وهذا الإحسان مآله الله تعالى؛لأن الله تبارك وتعالى أودع فينا آلات وأودع فينا أفكاراً أرشدنا فيها الى موارد البرّ، ففي الحديث:((إنّ الله أولى بحسنات العبد منه..)) يعني من نفس

١- الكافي: ٢/ ٦٨.
٢- الصحيفة السجادية: ١٣٨.

العبد، هذا الحديث ينطبق على الأفكار والقواعد العقلية، والذهن عندما يفكّر يجد أنّ هذا الكلام سليم تامّ ؛ لأنّ الله تعالى هو الذي أودعه فينا، نعم. نحن نختار ، لكن قوّة الاختيار وطريقة الاختيار من الله تبارك وتعالى، ويقول الله تبارك وتعالى للمحسن: إنّه لا يضيع أجر هذا المحسن، وهذا خلاف ما يحصل في الدنيا؛ إذ كثيرٌ من المحسنين لا يحصلون على أجرهم دنيويّاً ، بل قد تحارب الناس المُحسن، ((ما لَنا لا نَرى رِجالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرار))[1]، يوم القيامة يفتّش أهل النار في النار وفي زوايا جهنّم يفتقدون أناساً، مَنْ هؤلاء؟ ويقول المؤمنون: ما لنا لا نرى رجالاً كنّا نعدّهم من الأشرار، في حال الدنيا نعده شرّيراً مع أنّ هذا الشرّير هو مُحسن في الواقع، وأراح الناس من تصرّفاته فلا يعتدي ،ولا يأكل أموال الناس بالباطل، ولا ينتهك أعراضهم، فالذي كفّ شرّه عن الناس إنسان مؤمن، هو في تعب –كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه في وصف المتّقين- ((هو فِي تَعَبٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَة))[2]، فهؤلاء الذين عددناهم أشرارا: قد لا يوجد جزاء لهم في الدنيا ، لكن الله تبارك وتعالى يقول: الله لا يُضيع أجر المحسن، مع أنّ الإحسان كان من الله، كما في مسألة القرض ((مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَنا))[3]، تتصوّرون نحن نقرض الله تعالى، الله غير محتاج لقرضنا، وهل نقرضه مالاً وخزائنه لا تفنى ؟ الله تعالى لا يحتاج عملنا، لكن هذا التعبير البليغ ؛عطفاً على العبد ورأفةً به لا يُضيع الله هذا الأجر ، يقول: أقرضني، هو منّي لكن الآن أصبح بيدك، لأرى كيف تعمل بهذه الطاقة المالية والوجاهية ، فإذا عملت عملاً لي، فهذا قرض يضاعفه الله تعالى، ولا يمكن في حالٍ من الأحوال أن يغفل الله تعالى – وحاشاه – عن عمل من الأعمال سلباً ولا إيجاباً، فلا يتصور الذي يثب على المعصية أنّ الله لا يراه، وكذلك الذي يعمل البرّ . نعم، قد يستر الله تعالى المعصية فلا يتشجّع الإنسان ويبارز الله تعالى بمعصيته، والأمر الثاني عمل البرّ بالسرّ((مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ أَصْلَحَ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاس))[4]، إخواني التفتوا، هذه وصيّة لي قبل أن تكون لكم، لابُدّ أن

١- الكافي: ٨/ ٣٦.
٢-م. ن: ٢/ ٤٧.
٣- الصحيفة السجادية: ١٩٤.
٤- شرح نهج البلاغة: ١٨/ ٢٤٢.

تكون للإنسان علاقة خاصّة مع الله لا يطّلع عليها إلّا هو، من بكاء أو دعاءً أو إنابة أو تصدّق ((صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّب))[١] دقّقوا في فحوى الحديث، فالغضب حالة من حالات استمكان النفور من هذا الفعل، فالإنسان قد يرى فعلاً يكفهرّ منه تارةً ويتألّم تارةً ثم يغضب، معنى ذلك أنّ هذا الفعل وصل الى حالةٍ يحتاج الى جزاء، يقول الحديث: إنّ صدقة السرّ تطفئ غضب الربّ، يعني الله تعالى وصل الى أن يغضب ، والذي يطفئ الغضب صدقة السرّ، فكم يحتاج الإنسان أن يتصدّق بلا هتك، فلا يجلس في أيّ مكان ، ويقول: تصدّقت على فلان، ولا تتبع هذه الصدقة بمنٍّ، تريد أن يطفئ الله تعالى غضبه عليك ، عليك بالكتم، نعم.. إذا أردت أن تشيع هذا الفعل حتّى تتعلّم الناس فلا تذكر هذه الجزئيات. إخواني ، موازين الله تبارك وتعالى مختلفة ، فقد يعيش الإنسان ستّين عاماً، فيُقبل منه عملٌ من الأعمال عند الله تبارك وتعالى لخصوصية مفقودة في بقيّة الأعمال؛ لذلك لابُدّ من وجود علاقة خاصّة مع الله تعالى ادّخرها، وكلّما عوّد الإنسان نفسه أن تكون له هذه العلاقة الخاصّة مع الله شعر بارتياح حتى إن أصبح العالم بأسره ضدّه. وقد علّمنا والأئمّة الأطهار (عليهم السلام) أشياء يحتاج الإنسان أن يلتفت لها ،ونحن الآن بجنب سيد الشهداء(عليه السلام) الذي كان العالم ضده تماماً، لكن الإمام الحسين لم يبالِ ولم يتراجع ولا أصحابه هؤلاء الكوكبة، لماذا؟ لأنّ هذه العلاقة مع الله تعالى جعلته لا يرى إلّا الله تعالى، والله تبارك وتعالى أكرم سيّد الشهداء(عليه السلام) بكرامة في الدنيا وكرامة في الآخرة، أذعن الطغاة لسيّد الشهداء، فلا يأتي طاغوت مهما علا شأنه إلا وطأطأ عند الحسين رأسه، لماذا؟ بسبب هذه العلاقة بين الحسين(عليه السلام) والله . وما وردنا عن الأئمة لا يمثل إلا جزءا يسيرا من الواقع ، فكم ليلة للإمام الحسين مع الله تعالى لم يصلنا منها شيء، يذكر أن أبا الدرداء تتبّع أمير المؤمنين(عليه السلام) فسمع أمير المؤمنين ساجداً يصلّي ثم انقطع صوتُهُ، فنعى أبو الدرداء أمير المؤمنين(عليه السلام) الى الزهراء(عليها السلام) قال: عليّ قد مات؛ لأنّ هذا لا يعرف أمير المؤمنين، أوّل مرة يرى هذا المنظر، فعندما أخبر الزهراء قالت: هذه عادة أمير المؤمنين(عليه السلام) ، كم ليلةٍ قضاها أميرُ المؤمنين

١-الكافي : ٤/ ٧.

وهل كلّ الليالي نقلت لنا؟ المصطفى ﷺ هذه الطاقة البشرية الهائلة التي لم يخلق الله تعالى مثلها قطّ، لم تنقل لنا تماماً، القرآن يعرّج في سورة النجم يقول: ((مَا كَذَبَ الفُؤادُ ما رأى))[1]، لاحظوا هذا المعنى النبيّ ﷺ في الدنيا وذهب الى الآخرة، وهذه لم تعطَ لأحدٍ غير النبيّ ﷺ، ماذا نُقِل لنا من العلاقة الخاصّة بين النبيّ والله تعالى ؟ وكذلك بقية الأئمّة الأطهار(عليهم السلام) ، الإمام الكاظم عليه السلام كان في السجن أكثر من خمسة عشر عاماً نقل لنا أنّه كان يحمد الله تعالى ، لماذا؟ كان يأنس ويلتذّ بالعلاقة بينه وبين الله تعالى، بالنتيجة ماذا حصل؟ مَنْ الذي يقود العالم الآن؟ سيّد الشهداء عليه السلام ، في كلّ بقعةٍ وزاوية تجد له رايةً ، أقول هذه التربية للأئمّة الأطهار(عليهم السلام) وهذا الدعاء للإمام السجّاد ، فكيف كان يدعو به الإمام عليه السلام ؟ كان يدعو به مثلما أنا أدعو به، هل كان يدعو بكلام لا أفهم معناه أم كان يدعو به بطريقةٍ خاصّة؟ كان عليه السلام عندما يتوضّأ يرتعد ويصفرّ وجهه ، ويبدو أنّ هذه حالة طبيعية، لماذا يا بن رسول الله؟ قال: جاء وقت أمانةٍ عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها خوفاً وحملها الإنسان، فلا أدري أؤدّي الأمانة أو لا؟ لاحظوا هذا الفهم ، الإمام السجّاد كان يُمارس أدعية الصحيفة السجّادية بطريقة فهي ليست صحيفة جلس الإمام في يومين أو ثلاثة أو شهر فألفها ، وقد نقلت لنا لمصلحة، أمّا كيف كان يدعو الإمام عليه السلام فقد مرّت على حضراتكم الرواية، أن بعض العلويّات اشتكت لبعض الأصحاب من الإمام السجّاد حفاظاً عليه، ويبدو أنّه كان ممّن عنده شأنية أو مقام، فكلّم الإمامَ علي بن الحسين أن يرفق بنفسه إذا صلّى ودعا ، فقال له الإمام : ناولني تلك الصحيفة ،والصحيفة عبارة عن قراطيس موضوعة على الرفّ ، فناوله الصحيفة قرأ الإمام منها شيئاً ورماها متألّماً ، قال: من يقدر على عبادة علي بن أبي طالب!! لاحظوا إخواني هذه الصورة، لا يأتينا الشيطانُ، ويقول: هؤلاء معصومون ،لا تفعلوا شيئا فلن تصلوا اليهم، نحن لا نصل قطعاً وهم معصومون، ولكن الحدّ الأدنى لابُدّ أن نعمل به، الحدّ الذي يجعلنا نقتدي بهم ، ونسعى وراءه، ولنا في رسول الله أسوة حسنة، والعصمة رحمة وليست مانعة لنا

١-النجم: ١١.

منا أن نعمل، فالإمام﵇ بشر يتعب، ويعرق، ويُجرح ويتألّم ، وسيّد الشهداء في واقعة الطفّ له جراحات كثيرة، ونزف دمه الشريف، كباقي البشر . فالعصمة تجعلنا نندفع وننهل من الأئمّة الأطهار(عليهم السلام)،لا أن نتقاعس.

كان الإمام السجّاد ﵇ يدعو بهذه الأدعية بطريقته، عندما نتكلّم مع الله تبارك وتعالى، يتكلم بحالة من الواقعية ، وبحالة من اللّجوء الى الله تعالى، فتؤثّر في سلوكيّاتنا هذه العبارات. فطريقة اداء العبادة له الأثر الأكبر في قبولها ، الآن يأتي الإنسان الى سيّد الشهداء ويقف عند مكان إجابة الدعاء، ويذكر الدعاء في خمس دقائق ناظراً الى ساعته مستعجلاً ؛ لارتباطه بالتزام أو وليمة أو غيرها فلا يجد قيمة في دعائه ، لأن الدعاء يحتاج إلى إقبال النفس وقد لا يتيسّر دائماً، فالإنسان ليس دائماً مقبلاً على الله تعالى، تصيبه حالة من الإدبار، تارةً يقرأ بخشوع وأناة، وتارةً يقرأ بدموع ،وتارةً يقرأ صفحةً أو صفحتين وهو لا يعلم ماذا يفعل، لذلك إخواني الدعاء تربية، نأتي الى التوبة، التوبة حالة من التربية الإمام يقول من جملة ما قال ﵇ : (..وَيَامَنْ لَا يَضِيعُ لَدَيْهِ أَجْرُ الْمُحْسِنِين...) الله تعالى يُكافئنا ولا نغيب عن ناظره ورعايته قطعاً، وهو المطّلع علينا ((وَيَامَنْ هُوَ مُنْتَهى خَوْفِ الْعَابِدِين))، يقول الله تعالى: ((إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ))[١] عباد الله تعالى كثيرون، من هؤلاء العباد؟ مجموعة العلماء، هؤلاء يخشون الله ويخافونه ،لماذا؟ لأنّهم يعلمون، الخوف من الله تبارك وتعالى مصدر قوّة للإنسان، ولذلك لاحظوا الإمام ماذا يقول: ((وَيَامَنْ هُوَ مُنْتَهى خَوْفِ الْعَابِدِين)) العابد لا يخاف من غير الله تعالى ، والخوف ليس مسألة سلبيّة ، الخوف من الغرائز وليس من الرذائل، الجبن هو الرذيلة وليس الخوف ، ولذلك يقول القرآن الكريم: ((فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ* قُلْنَا لَا تَخَفْ..))[٢]، الخوف حالةٌ من حالات الغرائز كالأكل والجوع، هذا العابد بعد أن علم أنّه لا شيء فعلاً يستحقّ الخوف إلّا الله، يكون الله تعالى منتهى خوفه، يعني لا يوجد شيءٌ بعد الله تعالى يخاف منه الإنسان، والإنسان إذا خاف الله

١-فاطر: ٢٨.
٢- طه:٦٧-٦٨.

تعالى كما قلنا في صدر بعض الروايات يكون قويّاً وعزيزاً ومنيعاً، فأغلب الشجاعة تأتي من الخوف من الله تعالى، الذي يخاف الله تعالى لا يُبالي لا يُجامل لا يُداهن، ويكون موقفه صارما وتكون حياته واقعية ، فيها أمل بالله تبارك وتعالى، فيها من يسند هذا العبد وهو الله تبارك وتعالى ، وهذا منتهى خوف العابدين، العابد هو الذي لا يرى شيئاً يستحقّ العبادة إلّا الله تبارك وتعالى، ولذلك دائماً هو في عبادة سواءً كانت العبادة المرسومة أو علاقته مع الله تبارك وتعالى وحالة الانقياد لله تعالى، فنحن عبيد الله تعالى شئنا أم أبينا، التفتنا أم لم نلتفت ،سيحشرنا يوم القيامة بين كافر و مؤمن ، بالنتيجة هؤلاء الخلق أمام الله تعالى شئت أم أبيت، هو السيّد ونحن العبيد، هو المولى، وهو العظيم ،وهو الدائم ،وكلّ ما يتعلّق بالنواقص تجده فينا؛ ولذلك إخواني في الوقت الذي يبكي الإنسان عند ذكر الله تبارك وتعالى ويذلّ نفسه لله فإن هذه الأدعية تعطيه قوّة، فلا يوجد نبيّ من الأنبياء لم يكن قويّاً، لا يوجد إمام من الأئمّة لم يكن قويّاً، لا يوجد مؤمنٌ حقيقي ليس قويّاً، لا يوجد عالمٌ لم يكن قويّاً، وهذا بمقدار العلاقة مع الله تبارك وتعالى، لذا فالتوبة تحصيل القوّة ، عندما يتوب الإنسان يلجأ الى الله، فيحصّل القوّة من الله تعالى، التوبة تحصيل للقوّة، التوبة الاعتماد على القوّة، التوبة الركون الى القوّة، وهذه قوّة في كلّ شيء، قوّة على الغرائز وقوّة العقل وقوّة الموقف .

أبو ذر(رضوان الله تعالى عليه) كان فرداً واحداً لكنه كان أمّة، لماذا؟ لأنّ أبا ذر خاف على دينه فشَعَر بالقوّة، لا يهمّ في أيّ أرضٍ كان، سواءً كان في الربذة أو كان في قصور الشام لا يهمّه ذلك، لأنّه أينما يكن فالله تبارك وتعالى معه، لأنه غضب لله تعالى فالله معه؛ لذلك إخواني ، التوبة هي الرجوع الى القوّة ،الرجوع الى الله تبارك وتعالى ، والتوبة الاتّكاء على الذي لا يمكن أن يضعف أبداً الذي هو الله تبارك وتعالى، ونسأله بحقّ مَنْ نحن بجواره أن يجعلنا دائماً من الأوّابين دائماً ،من التوّابين دائماً من الذين نلجأ إليه سبحانه وتعالى، أعاننا الله تعالى وإيّاكم على أنفسنا كما أعان الصالحين على أنفسهم وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمدٍ وآله الطاهرين.

الجمعة ٢٤ جمادي الأول ١٤٣٧هـ
الموافق ٤ آذار ٢٠١٦ م

نصّ الخطبة الثانية

إخوتي أخواتي في هذه الخطبة نتلو فقرات من كتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الى عددٍ من ولاته وعمّاله.

كتب عليه السلام في عهده الى محمد بن أبي بكر حين قلّده مصر يرشده كيف يتعامل مع أهلها، قال: ((فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ وأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ وابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ والنَّظْرَةِ حَتَّى لا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ ولا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ))[١].

وكتب الى أحد ولاته ، وهو الأسود بن قطبة يأمره بالعدل بين الناس، فقال: ((إِنَّ الْوَالِيَ إِذَا اخْتَلَفَ هَوَاهُ مَنَعَهُ ذلِكَ كَثِيراً مِنَ الْعَدْلِ، فَلْيَكُنْ أَمْرُ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي الْحَقِّ سَوَاءً، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْجَوْرِ عِوَضٌ مِنَ الْعَدْلِ، فَاجْتَنِبْ مَا تُنْكِرُ أَمْثَالَهُ، وَابْتَذِلْ نَفْسَكَ فِيمَا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكَ، رَاجِياً ثَوَابَهُ، وَمُتَخَوِّفاً عِقَابَهُ))[٢].

وكتب عليه السلام الى بعض عمّاله ممّن خان الأمانة واستحوذ على الأموال العامّة_ ينبغي الالتفات الى هذه المقاطع - اذ قال عليه السلام : (كَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ وَتَنْوِي غِرَّتَهُمْ عَنْ فَيْئِهِمْ(اي حقوقهم) فَلَمَّا أَمْكَنَتْكَ الشِّدَّةُ فِي خِيَانَةِ الْأُمَّةِ

١-شرح نهج البلاغة: ١٥/ ١٦٣.
٢- م. ن: ١٧/ ١٤٥.

أَسْرَعْتَ الْكَرَّةَ وَعَاجَلْتَ الْوَثْبَةَ وَاخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ الْمَصُونَةِ لأَرَامِلِهِمْ وَأَيْتَامِهِمُ اخْتِطَافَ الذِّئْبِ الأَزَلِّ (سريع الوثبة) دَامِيَةَ الْمِعْزَى الْكَسِيرَةَ فَحَمَلْتَهُ إِلَى الْحِجَازِ رَحِيبَ الصَّدْرِ بِحَمْلِهِ غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ مِنْ أَخْذِهِ كَأَنَّكَ لاَ أَبَا لِغَيْرِكَ حَدَرْتَ إِلَى أَهْلِكَ تُرَاثَكَ مِنْ أَبِيكَ وَأُمِّكَ فَسُبْحَانَ اللَّهِ أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ أَوَ مَا تَخَافُ نِقَاشَ الْحِسَابِ أَيُّهَا الْمَعْدُودُ كَانَ عِنْدَنَا مِنْ أُولِي الأَلْبَابِ كَيْفَ تُسِيغُ شَرَاباً وَطَعَاماً وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَاماً وَتَشْرَبُ حَرَاماً وَتَبْتَاعُ الإِمَاءَ وَتَنْكِحُ النِّسَاءَ مِنْ أَمْوَالِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الأَمْوَالَ وَأَحْرَزَ بِهِمْ هَذِهِ الْبِلاَدَ فَاتَّقِ اللَّهَ وَارْدُدْ إِلَى هَؤُلاَءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْكَ لأُعْذِرَنَّ إِلَى اللَّهِ فِيكَ وَلأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَداً إِلاَّ دَخَلَ النَّارَ وَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ أَوَ الْحُسَيْنَ فَعَلاَ مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ وَلاَ ظَفِرَا مِنِّي بِإِرَادَةٍ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُمَا وَأُزِيحَ الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِمَا))[1].

رحمك الله يا سيّدي يا مولاي يا أمير المؤمنين، ووفّقنا دائماً للاهتداء والاقتداء بسنتّك.

١-شرح نهج البلاغة: ١٦/ ١٦٨.

١ جمادى الاخرة ١٤٣٧ هـ
الموافق ١١ آذار ٢٠١٦م

- بإمامة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي.
- نصّ الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله إطاعةً لأمره، وإجلالاً لذكره، وأداءً لحقّه، واعترافاً بعظمته، ووفاءً لنعمته، وتعرّضاً لرحمته، وطلباً للمزيد من كرمه. وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، جلّ أن يُماثله شيءٌ أو تُغالبه قوّة، أو يُعادله سلطان، وأشهد أنّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عبده ورسوله وخير أنبيائه وأفضل أدلّائه، صلّى الله عليه وعلى آله أطائب عترته وبراهين دعوته.

أوصيكم عباد الله تعالى وقبل ذلك أوصي نفسي بتقوى الله تعالى؛ فبتقوى الله تُصلحون ما مضى من أعمالكم ، وتبيّضون ما اسودّ من صحائفكم ، وتحرزون السعادة والفوز في آخرتكم ودنياكم واستشعروا في جميع أحوالكم رقابة ربّكم، فإنّ استشعار رقابة الله توقظ الضمير، وتنبّه الفكر، وتجلو البصيرة ، وتعزّز التقوى، والله خبيرٌ بما تعملون.

أيّها الإخوة والأخوات سلامٌ عليكم جميعاً من ربٍّ رحيمٍ غفور ورحمة منه وبركات.

ما زلنا في دعاء الإمام السجاد(عليه السلام) لجيرانه وأوليائه إذا ذكرهم، وبيّنّا في خطب سابقة أنّ هذا الدعاء تضمّن مجموعةً من قواعد المعاشرة الاجتماعية وكرائم الأخلاق التي لو ضمنّا تطبيقها لأمكننا أن نصل الى السعادة ،سعادة الفرد والمجتمع، وأن نحقّق الأمن النفسيّ والاجتماعي. وقد وصلنا الى المقطع الثاني الذي يقول فيه الإمام(عليه السلام) :

((وَاجْعَلْنِي اللهُمَّ أَجْزِي بِالْإِحْسَانِ مُسِيئَهُمْ، وَأُعْرِضُ بِالتَّجَاوُزِ عَنْ ظَالِمِهِمْ، وَأَسْتَعْمِلُ حُسْنَ الظَّنِّ فِي كَافَّتِهِمْ، وَأَتَوَلَّى بِالْبِرِّ عَامَّتَهُمْ، وَأَغُضُّ بَصَرِي عَنْهُمْ عِفَّة))[1] الى آخر هذا المقطع، نذكر الآن القاعدة الأولى من هذه القواعد، قواعد الأخلاق والمعاشرة الاجتماعية الرفيعة التي ينبغي الأخذ بها، قال(عليه السلام) : ((وَاجْعَلْنِي اللهُمَّ أَجْزِي بِالْإِحْسَانِ مُسِيئَهُمْ)) أيّها الإخوة والأخوات ، ربّما يتعرّض أحدنا الى تجاوزٍ وإساءة من أخيه أو من جيرانه، بغيبة أو بسبٍّ أو شتم أو إيذاء أو كلام بذيء يجرح مشاعره ، فما ردّ الفعل المناسب؟ ما الموقف الذي ينبغي اتّخاذه تجاه هذا التجاوز وهذه الإساءة بمختلف أنواعها؟ ذكر الإمام لنا هذه القاعدة الاجتماعية.

نحن نرى في المجتمع ثلاثة مواقف، ثلاثة ردود أفعال تجاه الإساءات والتجاوزات التي تصدر من إخواننا:

الموقف الأول: أن أقابل الإساءة بالإساءة، فأغتابه كما اغتابني، أو أتجاوز عليه بكلام بذيء كما تجاوز ، هذه معاملة الإساءة بالإساءة ، وهذا يعدّ من قبائح العيوب لدى المؤمن، بل يعدّ أحياناً من أعظم الذنوب، لماذا؟ لأنّ هذا التجاوز أحياناً يدخل في عنوان الذنب والمعصية؛ لأنّ ارتكاب أخيك معصية بحقك لا يبرر لك أن تقابله بمعصية أنت أيضاً؛ لذلك نلتفت الى هذه الأحاديث والآيات التي بيّنت لنا الموقف تجاه الإساءة ، فنذكر هذا الحديث عن الإمام علي(عليه السلام) : ((قِلَّةُ الْعَفْوِ أَقْبَحُ الْعُيُوبِ وَالتَّسَرُّعُ إِلَى الِانْتِقَامِ أَعْظَمُ الذُّنُوب))[2]، ما معنى التسرّع إلى الانتقام؟ لاحظوا إخواني حينما

١- الصحيفة السجادية: ١٢٤.
٢- عيون الحكم والمواعظ، لليثي: ٣٧١.

يسمع الإنسان هذا التجاوز والإساءة من الآخرين تدفعه نفسُه الى أن يتشفّى وينتقم ، فيُلقي الشيطان في روعه أن يردّ هذه الإساءة بالإساءة، وهذا يعني أنّ هذا الإنسان المؤمن فقد السيطرة على انفعالاته وأعصابه ، ولم يكن يمتلك القدرة على مغالبة هوى النفس بالتشفّي والانتقام، ولم يمتلك القدرة على مواجهة الشيطان الذي هو ألدّ الأعداء للإنسان، وهذه صفة لا تليق بالإنسان المؤمن، ينبغي للمؤمن أن يسيطر على انفعالاته النفسية وعلى حالته العصبية التي هو فيها، وينبغي أن لا يردّ على ذلك بمثله، فضلاً عن الآثار الاجتماعية التي تترتّب على ردّ الإساءة بالإساءة في تفاقم المشكلة وتعقّدها ، وربّما تؤدّي أحياناً الى حالة من ارتكاب الجريمة القتل أو الضرب، فيصعب حلّها حينئذ ، وكذلك تؤدّي الى حصول حالة من العداوة والبغضاء والإحن وانقطاع الصلة بين المؤمنين.

نلتفت -إخواني - الى أن الإسلام يحرص أشدّ الحرص على أن تكون العلاقات بين المؤمنين علاقة المودّة والمحبّة والتواصل والأُلفة بين المؤمنين، ردّ الإساءة بإساءة يؤدّي إلى حالة من الحقد، والعداوة، والبغضاء التي تؤدّي الى انقطاع الصلات بين المؤمنين، وأحياناً انقطاع الصلة بين الأرحام ، و كثيراً ما يؤكّد الإسلام على أن يبتعد المجتمع عن هذه الحالة التي تؤدّي الى انقطاع الصلات بين المؤمنين وتفكّك الأواصر بين المجتمع، من هنا ورد أنّه ليس من خلق المؤمن أن يردّ على أخيه المؤمن إذا أساء اليه بإساءة مثلها فهذا ليس من أخلاق المؤمنين وصفاتهم.

الموقف الثاني: هو الإعراض والتجاوز والصفح والعفو عن هذه الإساءة ، وهو ما يُعبَّر عنه بخُلُق التسامح، هذا الخلق الرفيع الذي ورد مدحه في الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة ،وله الكثير من المردودات الأخلاقية والاجتماعية والنفسية في الدنيا والآخرة . الحالة التي ينبغي للمؤمن أن يكون فيها حينما يكون أخوك قد صدرت منه إساءة وتجاوز تحت تأثير الانفعال النفسي وحالة من الغضب هو أن تسيطر على حالتك العصبيّة والانفعالية ، ولا تردّ على هذه الإساءة والتجاوز بتجاوزٍ

مثله، ونذكر هنا إخواني بعض الآثار الدنيويّة والأخروية لذلك :

الأثر الأوّل :هو الحفاظ على العلاقة الطيّبة مع المؤمنين والجيران، يحرص الإسلام على أن تكون العلاقة بين المؤمنين علاقة طيّبة تسودها المحبّة والانسجام والتوادد والتواصل، العفو والتجاوز عن الإساءة لأخيك المؤمن ولجيرانك يؤدّي الى إبقاء العلاقة الطيّبة ، وإبقاء حالة التوادد والتآلف والمحبّة التي تؤدّي الى تقوية الأواصر، وتُديم حالة التعاون والتكافل بين أبناء المجتمع هذا أوّلاً.

الأثر الثاني: مغفرة الذنوب، فنحن بنا حاجة شديدة الى مغفرة الله تعالى وعفوه عن الذنوب ، وإن عبدنا الله تعالى كثيراً في صلاة وصوم وحجّ وأداء للعبادات ، من نتائج التخلّق بهذا الخلق الكريم -العفو والتسامح- هو أنّ الله تعالى يعفو عن ذنوبي حينما أعفو عن أخي وجيراني إذا ما أساء ؛ لذلك ورد في الآيات القرآنية قوله تعالى: ((وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا...)) ما الثمرة؟ ((أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ))[1] ،إذا كنتم تحبّون أن يغفر الله لكم اغفروا لإخوانكم وجيرانكم إذا ما صدرت منهم الإساءة، إذن مغفرة الذنوب جزءٌ من هذه الثمار والنتائج التي تترتّب على هذا الخُلق.

ومن النتائج طول العمر، كما ورد في الحديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ((وَمَنْ كَثُرَ عَفْوُهُ مُدَّ فِي عُمُرِهِ))[2]، ومن النتائج الأخرى العزّة، نلتفت الى هذه القضية، أحياناً قد تحصل مشكلة أو نزاع أو تجاوز من شخص على شخص آخر، وربّما هذا الشخص الذي حصل التجاوز عليه له مكانةٌ ومنزلة اجتماعية لا يقبل أن يتنازل ويعفو عن أخيه، فتدفعه نفسه أن يردّ على الإساءة بإساءة، لماذا؟ يفكّر هكذا، يقول: أنا إذا تنازلت يؤدّي ذلك الى ذلّي وهواني، ويحطّ من منزلتي وقدري في المجتمع، لاحظوا الله تعالى الذي بيده وحده العزّة والمكانة الاجتماعية والمنزلة للإنسان، فقد ورد في بعض الأحاديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الله

١-النور: ٢٢.
٢- بحار الأنوار: ٧٢/ ٣٥٩.

تعالى يقول: ((بيدي العزّة أنا أعطيها أنا أسلبها)) المكانة الاجتماعية والمنزلة والتقدير عند المجتمع بيد الله تعالى، هو يضع لها الأسباب فيُعطيها ،وهو بيده يرفع الأسباب ويسلب هذه العزّة، ورد في هذا الحديث: ((وَالْعَفْوَ لَا يَزِيدُ الْعَبْدَ إِلَّا عِزّاً، فَاعْفُوا يُعِزَّكُمُ الله)) [١]، لاحظوا -إخواني - قد يتصوّر الإنسان أحياناً إذا تجاوز عليه الآخرون حُطَّ من منزلته ، ولم يبقَ له قدر في المجتمع، فلابدّ أن يردّ حتى يُحافظ على هذه المكانة؛ ظنا أن هذا يحطّ من شأنه يوهن من مقامه ، لكن النبيّ(صلّى الله عليه وآله) يقول: (اعفُوا...) هذا أمر نتيجته (يعزّكم الله) ؛ لذلك إخواني ، أيّ إنسان حصل عليه تجاوز من الآخرين ، وربّما انقطعت صلته مع أخيه أو أرحامه أو أصدقائه فليبادر الى أن يصل هذا الرحم أو يصل هذا الأخ المؤمن، الأخوات المؤمنات إن كان هناك تنازع وخصام وتجاوز بينهنّ فلتبادر الى أن تصل علاقتها مع أخواتها المؤمنات وتبادر الى العفو عن ذلك والتجاوز ؛ فإنّ في ذلك رفعاً لهذه المنزلة والمقام الاجتماعي.

ومن جملة الآثار أيضا الوقاية من سوء الأقدار، قد يُقدَّر لإنسان قدر سوء، الله تعالى يقول: أنت تعفو عن أخيك فأقيك أنا من سوء الأقدار، ورد في الحديث:

((تَجَاوَزُوا عَنْ عَثَرَاتِ الْخَاطِئِينَ يقيكم [يَقِكُمُ] الله بِذَلِكَ سُوءَ الْأَقْدَار))[٢]، ومن جملة الآثار النجاة من النار، كما قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ((تجاوزوا عن ذنوب الناس يدفع الله عنكم بذلك عذاب النار))[٣]، وغيرها من الآثار الكثيرة التي تترتّب على خُلُق العفو.

الموقف الثالث والمرتبة الثالثة من رد الفعل تجاه الإساءة : رد الإساءة بالإحسان ،فإذا أردتم أن تتحلّوا بمكارم الأخلاق وخير أخلاق الدنيا والآخرة تعالوا الى هذا الخلق الذي أشار اليه الإمامُ السجاد عليه السلام بقوله في هذا الدعاء :(واجعلني اللهم

١- الأصول الستة عشر: ٢٤٣.
٢- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر المعروف بمجموعة ورّام، ورام بن أبي فراس، مسعود بن عيسى(ت٦٠٥)هـ، مكتبة الفقيه،الأولى: ٢/ ١٢٠.
٣-م.ن: ٢/ ١٢٠.

أجزي...) ، الإمام يقول اجعلني أي يطلب من الله تعالى ذلك: ((وَاجْعَلْنِي اللهُمَّ أَجْزِي بِالْإِحْسَانِ مُسِيئَهُم))[1]، فإن أردتم أن يكون الواحد منكم متّصفاً بالتقوى أوّلاً، متّصفاً بأكرم أخلاق الدنيا والآخرة ثانياً، وثالثاً متّصفاً بالكمالات النفسانية، تعالوا الى هذا المقطع وتخلّقوا بهذا الخلق، وهو مقابلة الإساءة بالإحسان وليس العفو فقط ؛ فهذا الخلق تخلّق به النبيّ(صلّى الله عليه وآله) والأئمّة(عليهم السلام) ، وكان من جملة نتائج هذا الخلق –مقابلة الإحسان بالعفو وزيادة– وهو الإحسان الى المسيء، أن اهتدى كثيرٌ ممّن لا يدين بالإسلام أو كثير من المخالفين اهتدوا الى الإسلام ليس بالمناقشة العقائدية أو بالطرح العقائدي، وإنّما بهذا الخُلُق السامي من النبيّ ﷺ والأئمّة الأطهار.

التقوى، أكرم أخلاق الدنيا والآخرة، وتترتب عليها كمالات نفسانية، يقول تعالى: ((وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ))[2] من المتّقون؟ لهم صفات وهي: ((الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ)) هذه صفة، (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) صفة ثانية ، (وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) ثالثاً، ثلاث صفات أوّل شيء كظم الغيظ، ما معنى ذلك؟ شخص أساء اليّ أمتلئ غضباً وغيظاً ؛ لأنّه تجاوز عليّ، لكن أكظم غيظي وأسيطر على انفعالاتي النفسانية، ويغتنم الشيطان هذه اللحظات، ماذا يفعل؟ يُلقي في روع هذا الإنسان أن يرد على هذا التجاوز ، الإنسان المؤمن المتّقي يتّصف بهذه الصفة يكظم ويصبر ، هذا اولا ، وثانياً يعفو، قلبُه رحيم ليّن متساهل كريم في صفاته وأخلاقه يعفو عنه، الثالث (وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) يُحسن اليه، ورد – كما تقرأون – عن النبيّ ﷺ كيف تعامل مع جاره اليهوديّ أو مع الشخص اليهودي، والإمام الكاظم عليه السلام كيف تعامل مع المخالف الذي كان يسبّه ويسبّ جدّه أمير المؤمنين، كذلك أحد العلماء بلغه أنّ فلاناً يغتابه يتكلّم عليه فبعث اليه بطبق من تمر، وهكذا هذا الخلق الذي ورد عن النبيّ(صلّى الله عليه وآله) والأئمّة الأطهار أنّ نتجاوز عن المسيء ونُحسن اليه، لذلك ورد في هذه الآية القرآنية أن هذه

١- الصحيفة السجادية: ١٢٤.
٢-آل عمران: ١٣٣.

الكمالات النفسانية وهذا الخلق لا يُلقّاه إلّا ذو حظّ عظيم ((وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ))[١]، الإسلام لا يريد العِداء والبغض والإحن والأحقاد بين المؤمنين التي تؤدّي الى قطع الصلات فيما بينهم ويضعف المجتمع، هذه العداوة يريدها أن تتحوّل الى صداقةٍ حميمة، كيف؟ أتجاوز عن هذا المسيء وأبدل هذه الإساءة بهذا الخلق وهو العفو عنه، ((فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ))، لكن من هؤلاء الذين يستطيعون الوصول الى هذه الصفة؟ ((وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ))[٢]، الحظّ العظيم لا يأتي اعتباطاً لا يأتي من دون تعب ومشقّة، يحتاج الى قدراتٍ نفسانية ومجاهدات نفسانية، ليتغلّب الإنسان على هواه وعلى الشيطان ، فيستطيع أن يتملّك انفعالاته وغضبه ويسيطر على أعصابه ، حينئذٍ يتمكّن من الوصول الى هذه الصفة، والأخلاق لها مراتب أيضاً، أكرم الأخلاق وخير الأخلاق هو العفو ، عن النبيّ ((أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ خَلَائِقِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْعَفْوُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ وَتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ وَالْإِحْسَانُ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ وَإِعْطَاءُ مَنْ حَرَمَكَ))[٣]،إخواني أخواتي اعتنوا كثيراً بالصحيفة السجّادية، ما أعظمها ! ما أعظم مضامينها! لاحظوا هذا الخلق الرفيع والعظيم من الإمام، وفي دعاءٍ آخر للإمام «دعاؤه في مكارم الأخلاق ومرضيّ الأفعال» ماذا يقول الإمام السجاد عليه السلام ؟ أنتم أتباع أمير المؤمنين ، أتباع الإمام السجادعليه السلام محبّو أهل البيت جميعاً، إذا أردتم أن تكونوا من محبّيهم ، صادقين في حبّهم التفتوا الى هذا المقطع، يقول: ((اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَسَدِّدْنِي لأَنْ أُعَارِضَ مَنْ غَشَّنِي بِالنُّصْحِ)) هل أجزي الذي يغشّني بالغشّ؟ يقول: لا، انصح له في المعاملة وفي غير المعاملة، (وَأَجْزِيَ مَنْ هَجَرَنِي بِالْبِرِّ...) هذا هجرني وقاطعني بماذا أجزيه؟ بأن أهجره أيضاً؟ لا، أجزيه بالإحسان والتواصل، (وَأُثِيبَ مَنْ حَرَمَنِي بِالْبَذْلِ...) هذا الذي لي حقوق عليه وحرمني من هذه الحقوق، هل أحرمه أنا أيضاً من حقوقه عليّ؟ يقول: لا، أنا أبذل مقابل الحرمان الذي تعامل به معي،

١-فصلت: ٣٤.
٢-فصلت: ٣٥.
٣-الكافي: ٣ / ٢٧٧.

أقابله بالبذل، (وَأُكَافِئَ مَنْ قَطَعَنِي بِالصِّلَةِ...) شخصٌ من الأرحام أو من الأصدقاء قاطعني لسببٍ من الأسباب، هل أقاطعه أيضاً ؟ يقول الإمام لا، ((وأُكافئ مَنْ قاطعني بالصّلة)) أجعل المكافأة على هذه القطيعة أن أذهب أنا وأتواصل معه، ((وأُخَالِفَ مَنِ اغْتَابَنِي إِلَى حُسْنِ الذِّكْرِ...)) هذا الذي اغتابني هل أغتابه أيضاً؟ يقول: لا، أنا أذكره بذكر حسن الإمام عليه السلام يقول هذه الأخلاق الرفيعة التي ينبغي للمؤمن أن يتحلى بها ، ((...وَأَنْ أَشْكُرَ الْحَسَنَةَ وَأُغْضِيَ عَنِ السَّيِّئَةِ))، فإذن هذه المواقف الثلاثة أرفعها مرتبة أن نقابل الإساءة ليس بالعفو فقط بل بالإحسان.

والخلق الثاني ((وَأُعْرِضُ بِالتَّجَاوُزِ عَنْ ظَالِمِهِم)) الإعراض: مِن أعرضتُ عن الشيء ،أضربتُ ووليّتُ عنه، يعني أعفو وأتجاوز عن ظلم الظالمين من إخواني ، كما ورد أن جبرائيل عليه السلام حينما نزل على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بقوله تعالى: ((خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)) [١]، فقال: يا محمّد جئتك بأكرم أخلاق الأوّلين والآخرين، الأخلاق لها مراتب ، أكرم الأخلاق ما هو؟ ((صل مَنْ قطعك وأعطِ من حرمك واعفُ عمّن ظلمك)) [٢]. إخواني ، قد يحصل بيننا نزاع وسوء تفاهم ومشاكل تؤدّي الى التجاوز وحصول حالة من الظلم، ولا نقصد هنا حصول ظلم بحقٍّ ماليّ وغير ذلك ، قطعاً من حقّ الإنسان أن يطالب بحقّه بالأسلوب الشرعيّ، وإن استنفدَ الوسائل الشرعيّة يلجأْ الى الوسيلة القانونية بالحسنى، ولكن أقصد إساءة أو كلام أو تجاوز كما بيّنّا في المصاديق التي ذكرناها قبل قليل، الإمام عليه السلام يقول: يرشدنا إلى الإعراض والصفح إن حصل ظلمي (وأعرض بالتجاوز عن ظالمهم)، ونلتفت – إخواني – الى هذه الرواية المهمّة عن الإمام الصادق عليه السلام لاحظوا الأئمّة (عليهم السلام) كم هم حريصون على أن تسود علاقات المودّة والمحبّة والتفاهم والانسجام والتواصل بين المؤمنين، حتى مع حصول حالات التجاوز والإساءة، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((لَا يَفْتَرِقُ رَجُلَانِ

١- الأعراف: ١٩٩.
٢-جامع السعادات ، المولى محمد مهدي النراقي(ت١٢٠٩هـ)، تحقيق: السيد محمد كلانتر ، دار النعمان للطباعة والنشر ، ٣/ ٢٣٨.

عَلَى الْهِجْرَانِ إِلَّا اسْتَوْجَبَ أَحَدُهُمَا الْبَرَاءَةَ وَاللَّعْنَةَ وَرُبَّمَا اسْتَحَقَّ ذَلِكَ كِلَاهُمَا...)) (١)، اثنان افترقا، أحدهما قاطع الآخر وهجره وقطع الصلة معه، يستوجب عليهما البراءة واللعن أحدهما ظالم والآخر مظلوم، الظالم يستحقّ ذلك ،ولكن لماذا المظلوم؟ التفتوا الى هذه الرواية، (وربّما استوجب ذلك -يعني البراءة واللعن- كلاهما) ، فقال له معتّب: جعلني الله فداك هذا الظالم يستحقّ البراءة واللعن، فما بال المظلوم؟ ، قال(عليه السلام) : ((لِأَنَّهُ لَا يَدْعُو أَخَاهُ إِلَى صِلَتِهِ وَلَا يَتَغَامَسُ لَهُ عَن كَلَامِهِ)) ؛ لأنّه لا يدعو أخاه، لا يقول له: أنت هجرتني وقاطعتني أنا أدعوك الى الصلة والتواصل معك ، لا أريد أن نتهاجر ونتقاطع فيما بيننا، ولا يتغامس: يعني لا يتغافل ويتجاهل (ولا يتغامس له عن كلامه) كأنّي لم أسمع فأتغافل وأتجاهل عن هذه الإساءة، كأنّه لم تصدر هذه الإساءة، يقول الإمام الصادق: سمعت أبي الإمام الباقر(عليه السلام) يقول لاحظوا إخواني، توجيه الإمام الباقر(عليه السلام) لنا، شاهدوا الخلق الرفيع ((فَلْيَرْجِع الْمَظْلُومُ إِلَى صَاحِبِهِ حَتَّى يَقُولَ لِصَاحِبِهِ أَيْ أَخِي أَنَا الظَّالِمُ حَتَّى يَقْطَعَ الْهِجْرَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبِهِ)) (٢) يعني إذا حصل تجاوز وحصلت بينهما عداوة ، يأتي المظلوم ، فيقول له : أخي أنا تجاوزت ، ولكن لا أريد أن يحصل بيننا نفورٌ وقطيعة ، لماذا؟ (حَتَّى يَقْطَعَ الْهِجْرَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبِهِ).

قد يقول المظلوم: أنا مظلوم، فأين ذهب حقّي؟ وفق ذلك أعتذر وأقول له: أنا الظالم ولا أريد حصول قطيعة، أين سيذهب حقّ صاحب الظلامة ؟ هل سيُهدر حقّ هذا الإنسان المظلوم؟ يُلاحظ الإمام الحالة النفسانية عند الإنسان، فيقول الإمام : ((فإنّ الله تعالى حَكَمٌ عدلٌ يأخذ للمظلوم من الظالم))، يقول له: لا تخف على حقّك سيؤخذ حقّك ، وربّما في الدنيا.

أيّها المؤمنون، أيّتها المؤمنات نريدكم متصافين متحابّين متوادّين في الدنيا ، تسود بينكم المحبّة والانسجام والمودّة والتآلف والتزاور والتواصل، ولا يكون بينكم التهاجر والقطيعة والتدابر، فهذا لا يليق بالمؤمنين، ويوم القيامة هناك الميزان العدل ،

١- الكافي: ٢/ ٣٤٤.
٢- م.ن: ٢/ ٣٤٤.

((فإنّ الله تعالى حَكَمٌ عدلٌ يأخذ للمظلوم من الظالم)).

نسأل الله تعالى أن يوفّقنا للتخلّق بهذه الأخلاق الكريمة، الأخلاق القرآنية وأخلاق النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمد وآله الطيّبين الطاهرين.

١ جمادى الاخرة ١٤٣٧ هـ
الموافق ١١ آذار ٢٠١٦م.

نصّ الخطبة الثانية

في هذه الخطبة نقرأ -كما دأبنا في الأسابيع الأخيرة - بعض كلمات إمامنا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) أيّام خلافته، وفيها دروس مهمّة لِمَنْ هم في مواقع المسؤولية، فمن كلامٍ له(عليه السلام) يتبرّأ فيه من الظلم والتعدّي على حقوق الناس قوله:

((وَاللهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً أَوْ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبِلَى قُفُولُهَا وَيَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولُهَا))[1].

ثم وصف(عليه السلام) كيف تعامل مع أخيه عقيل عندما طلب من بيت المال أكثر من استحقاقه: ((وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ غُبْرَ الْأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ وَعَاوَدَنِي مُؤَكِّداً وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ مُفَارِقاً طَرِيقَتِي فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا فَقُلْتُ لَهُ ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ يَا عَقِيلُ أَ تَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ وَتَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ أَ تَئِنُّ مِنَ الْأَذَى وَلَا أَئِنُّ مِنْ لَظَى))[2].

١-شرح نهج البلاغة: ١١/ ٢٤٥.
٢- م. ن: ١١/ ٢٤٥.

ثم حكى عليه السلام ما قاله لمن أراد أن يستميله بتقديم هديّة اليه: ((وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وِعَائِهَا وَ مَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا فَقُلْتُ أَ صِلَةٌ أَمْ زَكَاةٌ أَمْ صَدَقَةٌ فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَقَالَ لَا ذَا وَ لَا ذَاكَ وَ لَكِنَّهَا هَدِيَّةٌ فَقُلْتُ هَبِلَتْكَ الْهَبُولُ أَعَنْ دِينِ اللهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي أَ مُخْتَبِطٌ [أَنْتَ] أَمْ ذُو جِنَّةٍ أَمْ تَهْجُرُ وَ اللهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ وَ إِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا مَا لِعَلِيٍّ وَ لِنَعِيمٍ يَفْنَى وَ لَذَّةٍ لَا تَبْقَى نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ وَ قُبْحِ الزَّلَلِ وَ بِهِ نَسْتَعِينُ))(١).

ومن كلام له عليه السلام خاطب به مَنْ أكثروا الثّناء عليه: ((فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ وَ لَا تَتَحَفَّظُوا بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ وَلَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالًا فِي حَقٍّ قِيلَ لِي وَ لَا الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ وَ لَا آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي إِلَّا أَنْ يَكْفِيَ اللهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا))(٢).

نسأل الله تعالى أن يعيننا على أنفسنا بما يعين الصالحين على أنفسهم ، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، اللهم احفظ بلدنا وشعبنا من شرور أعدائنا ، وادفع عنا مكرهم وكيدهم؛ انك سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين.

١- شرح نهج البلاغة : ١١/ ٢٤٥، ٢٤٦.
٢-م.ن : ١١/ ١٠١، ١٠٢.

الجمعة ٨ جمادى الآخرة ١٤٣٧ هـ
الموافق ١٨ آذار ٢٠١٦ م .

بإمامة سماحة السيد أحمد الصافي .

نصّ الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربّ العالمين ،والصلاة والسلام على خير خلقه أبي القاسم محمد وعلى آله الطيّبين الطاهرين، الحمد لله الذي لا يُلهيه من عباده حالٌ عن حال، ولا يغلطه سؤالٌ عن سؤال، لا تُغشي بصره الظلمة، ولا يُستَتَر منه بستر، ولا يواري منه جدار، ولا يغيب عنه برٌّ ولا بحر.

إخوتي أبنائي آبائي أعزّكم الله بعزّه ونصركم بنصره، أخواتي بناتي أمّهاتي رفع الله قدركنّ وألبسكنّ لباس الحياء والعفّة، السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

أوصيكم جميعاً ونفسي الأمّارة بالسوء بتقوى الله تبارك وتعالى، ولا تكونوا ممّن خدعته العاجلة وغرّته الأُمنية، فاستهوته الخدعة فركن الى دار سوء سريعة الزوال ، وشيكة الانتقال، فعلى ما تعرجون؟ وماذا تنتظرون؟ فخذوا الأُهبة لحلول النقلة، وأعدّوا الزاد لقرب الرحلة، فإنّ كلّ امرئ على ما قدّم قادم، وعلى ما خلّف نادم.

كنّا في ضيافة الإمام السجّاد(عليه السلام) ،وهو يوجّهنا في مدرسته التربوية ، وقلنا إنّه ذكر في هذه الصحيفة الكريمة -الصحيفة السجادية- مجموعةً من المعارف الإلهية بثّها(عليه السلام) على شكل دعاء، وقد تقدّم شطر من الدعاء الحادي والثلاثين ،وهو الدعاء

الذي كان مختصّاً بالتوبة، ولعلّنا نؤكّد مطلباً هنا، وهو أنّ التوبة هي الرجوع الى الله تبارك وتعالى، إذ يفكّر الإنسان دائما أنّه لابُدّ أن يترك الدنيا، لابُدّ أن تأتي لحظة سيُفارق فيها كلّ شيء، مهما تعلّق قلبه في الدنيا بأشياء، فإنّ هذه الأشياء ستفارقه قهراً شاء أم لم يشأ، ولابُدّ أن ينتقل من هذه الدار الى دار أخرى، وفي دعاء أبي حمزة الثمالي - وهو من الأدعية العالية المضامين جدّاً، وقد ذكرنا بعضاً منه في أيّام شهر رمضان المبارك- وصف دقيق لهذه الحالة التي يمر بها الإنسان، وهي مسألة الانتقال من هذا العالم الى عالم آخر، يحفّزنا الإمام (عليه السلام) فيه على أن نمهّد قبورنا، وأن نمهّد دارنا الأخرى ، وأن نؤثّث تلك الدار بالعمل الصالح، فإنّ أثاث كلّ شيء بحسبه، والإمام(عليه السلام) هنا يبيّن أنّنا لابُدّ أن نتقدّم خطوةً الى الله تبارك وتعالى، وأن نسير بالاتّجاه الصحيح ؛ لأنّ الإنسان إذا سار باتّجاه خاطئ كلّما مشى أكثر ابتعد أكثر، وهذه مفارقة أن الإنسان يمشي وهو يتصوّر أنّه سيقترب من الهدف وبالنتيجة يبتعد ؛لأنّه لا دليل له، وفي هذه الأدعية الشريفة يريد الأئمّة الأطهار(عليهم السلام) منّا أن نتنبه على الاتّجاه الصحيح، والبوصلة المؤدّية الى النجاة، وقطعاً الآيات الشريفة والروايات، ومقدار هائل من التراث المعرفيّ للنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمّة الهداة يرشدنا الى ذلك، لكن الإنسان يغفل أو يتغافل، وفي بعض الحالات يتسامح ويتهاون، ولذلك بعض الكلمات تهزّ الإنسان هزّاً بحسب الحالة التي هو فيها، تريد أن تخرجه من حالة الى الحالة الصحيحة، والتوبة من الحالة الصحّية للإنسان ، التوبة أوبة، كونُ الإنسان أوّاباً هذه من صفات بعض الأنبياء، أي دائم الرجوع الى الله تعالى، ماذا يقول الإمام السجّاد في الفقرة القادمة بعد أن حمد الله وأثنى عليه؟ أرجو أن تتفاعلوا إخواني مع هذا الدعاء، وليس لقلقة لسان تقتصر على لفظ دعاء التوبة ، هذا في الواقع لا قيمة حقيقية له. نعم، قد يؤجر بمقدار التوجّه، لكن القيمة الكبرى في تفاعل الإنسان مع المعاني التي ينبه عليها الإمام والتزامها ، إن الله تعالى ينبّه العبد على أنّ مصيره لابُدّ أن يكون إليّ ((إلينا مرجِعُكم...)) شئتم أم أبيتم ((..فنُنَبّئُكم بما كنتُم تعمَلُون))[1] ولا تخفى على الله تعالى خافية، الله تبارك وتعالى لا يستعجل بعجلة

١-يونس: ٢٣.

العباد، يُعطي الإنسان مجالاً واسعاً كبيراً، ويوم القيامة عندما نَفِد على الله تبارك وتعالى لا نجد اعتذاراً يُقبل منّا، بأيّ شيء نعتذر لله تعالى؟ ستكون حجّته دامغة علينا، ألم أفعل كذا بك؟ ألم أفعل كذا؟ ألم أفعل؟ نبدأ نتذكّر ونقول: نعم. وما دمنا في الدنيا -إخواني- فلنستثمر الفرصة فلا يعلم الإنسان بأيّ حالة سيحلّ عليه الموت، هل يوجد منّا أحد الآن يجزم أنّ الموت سيحلّ عليه في اليوم الفلاني، هل هو يمكن أن يعيش بعد لحظات أو دقائق أو ساعة، لا يمكن، فإذن نحن لسنا أمام خيارات متعدّدة وإنّما أمام شيء واحد لابُدّ أن نواجهه بثبات وثقة بالله تبارك وتعالى، إنّنا تحت محطّ ونظر عين الله تبارك وتعالى، إذا كنّا ننام فمن ينم لم ينم عنه الله، الله تعالى لا تخفى عليه لا ينام ولا يعجزه شيء، الإمام السجّاد عليه السلام يُعطينا هذه الجوهرة، أنتم يا معاشر الناس كيف تتعاملون؟ عندكم وقت؟ المعاش له وقت ، والراحة لها وقت، عندكم وقت تأمّلوا فيه، ووقت كونوا فيه عباداً ابحثوا عن رضا الله تعالى، الإمام في هذا الدعاء عليه السلام بعد أن -كما قلنا- حمد الله تبارك وتعالى وأثنى عليه، قال: ((هَذَا مَقَامُ مَنْ تَدَاوَلَتْهُ أَيْدِي الذُّنُوبِ، وَ قَادَتْهُ أَزِمَّةُ الْخَطَايَا، وَ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ، فَقَصَّرَ عَمَّا أَمَرْتَ بِهِ تَفْرِيطا)).

لاحظوا تعبير الإمام عليه السلام البليغ عن الواقع الذي نتعايشه في أنفسنا، يقول: ((هَذَا مَقَامُ مَنْ تَدَاوَلَتْهُ أَيْدِي الذُّنُوب)) فتعبير الإمام أنّ الذنوب لها أيدٍ نوعٌ من أنواع البلاغة في الاستعارات، ماذا يريد أن يبيّن الإمام عليه السلام ؟ إن مقام التوبة إلى الله يقتضي الاعتراف بالذنب، والإنسان عندما يعترف أمام الله تبارك وتعالى ماذا يعني ذلك؟ الاعتراف بداية طيّبة للإنسان أمام الله، لأنّنا اعترفنا أم لم نعترف الله تعالى مطّلع، الاعتراف يكشف حقيقةً أمامك وأمامي ، لكن أمام الله اعترفنا أم لم نعترف فالله تعالى هو المطّلع، لكن عندما يعترف الإنسان أمام الله فهذه بداية طيبة، يعني يا ربّ العالمين يا من كلّه رحمة، أنا أعترف حتى أبدأ من جديد، يقول الإمام: ((هَذَا مَقَامُ مَنْ تَدَاوَلَتْهُ أَيْدِي الذُّنُوب)) يعني أنا كنتُ دائماً من ذنب الى آخر، لا أفرغ من ذنب حتى يستلمني ذنبٌ آخر، فأفرغ منه ويستلمني ذنبٌ آخر، كما تكون الكرة بين صبيان تتقاذفها أيديهم،

هذه هي المداولة ((هَذَا مَقَامُ مَنْ تَدَاوَلَتْهُ أَيْدِي الذُّنُوبِ)) وهذا الاعتراف من العبد أمام الله تبارك وتعالى -كما قلنا- هي حالة صحّية، عندما يتأمّل الإنسان حقيقة أعماله في الدنيا ومقامه فإنه يحتاج فيها إلى العقل الرياضي، لنقسّم أعمارنا على أعمالنا ، ونرى أعمار العمل، وأعمار الراحة ،وأعمار النوم ، وأعمار العمل أيضاً عندما تُقسّم بين عملٍ كان لله وعملٍ كانت تتقاذفنا فيه أيدي الذنوب، ماذا يبقى لنا؟ واقعاً الإنسان غافل، بمجرّد أن يلتفت يرى هناك حقائق مرعبة في حياة كلٍّ منّا، القيمة الحقيقية للإنسان كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام : ((قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِن))[1]، إذا كنّا نائمين فماذا نُحسن؟ إذا كنّا بين ذنب وآخر ماذا نُحسن؟ إذا كنّا نعمل عملاً صالحاً ما أدرانا أنّنا سنختم أعمارنا بهذا العمل؟ كم من شخص عمل عملاً صالحاً لكنّه بعد ذلك انقلب على عقبيه، فخسر الدنيا والآخرة . هذا الاعتراف -إخواني - مربّي، التربية ليست أمراً معقّداً ؛لكنّها ليست أمراً سهلاً أيضاً، قطعاً تحتاج الى مجاهدة وتوجّه، من غير المعقول أن الإنسان يلعب ويغفل دائماً لا يكترث على أمل أن يكبر ثمّ يتوب، على أمل أن أخلص من هذا الأمر ثمّ أتوجّه، ويبقى في هذه الدوّامة الى أن يأتيه الأجل، وهو لا يستطيع أن يحرّك ساكناً، واقعاً وَضْعُنا أخرويّاً صعب جدّاً ، ((حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَ حُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَات))[2] الإنسان لو تُعرض عليه شهوة تجده يقفز ويركض لها، يعبّر الإمام عن ذلك في دعاء أبي حمزة فيقول: ((أنا الذي أعطى على معاصي الجليل الرُّشا)) تعبيرٌ في منتهى الروعة، ثم يقول: ((أَنَا الَّذِي حِينَ بُشِّرْتُ بِهَا خَرَجْتُ إِلَيْهَا أَسْعَى))[3]، والإنسان يمشي الآن سريعاً ، ما وراءك؟ يقول: عندي أمرٌ مهمّ، فيقبل على ذنب ويُعطي مالاً حتى يُذنب، ، ثم بعد ذلك يلتفت ماذا فعلت؟ إخواني نحن الآن في عصر التكنولوجيا ، حقيقةً بعض الذنوب قد تأخذ مساحةً أكبر من السابق؛ لأنّ الإنسان من الممكن أن يكتب فيفتري و يكذب على شخص بمجرّد أنّه لم يرتح له، فيحاول أن يسقط شخصيته، فإذا كتب تلاقفته عيونُ القرّاء، ثم بعد ذلك يتوب، لأني وجدت هذا الموضوع ليس له أصل،

١-تحف العقول: ٢٠١.
٢- مجموعة ورّام: ١/ ١٩٠.
٣-البلد الامين والدرع الحصين: ٢٠٩.

لكن كم قرأ ما كتبت ، وما حال هذه الشخصية التي حاولت أن تنال منها؟ يوم القيامة بأيّ ذنب ستأتي الله تبارك وتعالى؟ ،يقول: ((وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ))[١]، الإمام هنا يقول ((هَذَا مَقَامُ مَنْ تَدَاوَلَتْهُ أَيْدِي الذُّنُوبِ)) لا تتصوّر أنّ الذنب يقتصر على الكبائر الظاهرة كشرب الخمر ، تأمّل ستجد أنّ أوزاراً حملتها على ظهرك، فالذنب ليس خمراً أو فاحشةً فقط، لا تنحصر الذنوب في ذلك؟ هناك ذنوب تنهدّ لها الجبال، لابُدّ أن يلتفت الإنسان لها، يقول (تداولته) لاحظوا التعبير ((هَذَا مَقَامُ مَنْ تَدَاوَلَتْهُ أَيْدِي الذُّنُوبِ، وَقَادَتْهُ أَزِمَّةُ الْخَطَايَا)) أزمّة :جمع الزمام، زمام الناقة ما يسحب به الناقة لتوجّهها، فالزمام مقود التوجيه، يقول: هذا المقام مقام من تداولته أيدي الذنوب وقادته أزمّة الخطايا، فإذا أخذ الإنسان يسرق ويكذب وينتهك وهو غافل عن هذه الذنوب، يبدأ الإنسان بالتعوّد على الذنوب، فيصبح منقادا يوجهه زمام الخطايا.

ذكرنا فيما سبق مضمون روايات تقول إنّ الجوارح كلّها تلتفت الى اللّسان كأنّها تستغيث به «نحن بذمّتك» -كما نقول-، هذا اللّسان اعصمه تريّث ولا تنطق بشيء ، نحن مأمورون إذا رأينا شيئاً نستره ولسنا مأمورين إذا لم نرَ شيئاً نعلنه، بعض الروايات الشريفة تشير الى الجار السوء، بأنه إذا رأى حسنةً أخفاها وإذا رأى سيئةً أذاعها، وهذا خلاف الأدب إخواني، الأدب مع الله تبارك وتعالى والأئمّة الأطهار(عليهم السلام) غير ذلك، مدرسة أهل البيت فيها نسق واضح وفيها طريق مستقيم، وهذا الطريق المستقيم بالنتيجة لابُدّ أن يوصل الى الله تبارك وتعالى ((هَذَا مَقَامُ مَنْ تَدَاوَلَتْهُ أَيْدِي الذُّنُوبِ، وَقَادَتْهُ أَزِمَّةُ الْخَطَايَا، وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانِ)) لاحظوا هذا التعبير (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانِ) صار هذا المذنب تحت يد الشيطان؛ فاستحوذ وسيطر عليه بحيث بدأ يوجّهه بهذه الوجهة أو تلك، هذه هي حقيقة الإنسان المذنب، لعلّك تقول كيف؟ اختبر آخرين أو اختبر نفسك وكنْ موضوعيّاً، لو ندخل الآن جميعاً في تجربةٍ يوميّة أنا وأنتم ، نبدأ من الغد ، وكلٌّ منّا يضع دفتراً صغيراً وقلماً في جيبه، ويُحاول أن يراقب كلّ فعلٍ من أفعاله، يُحاول أن يخرج عمّا تعوّد عليه إن كان سوءً، ويسجّل بينه وبين نفسه ما

١- الصافات:٢٤.

ارتكب، فإذا جلس في السوق وتفكّه على أعراض الناس، يسجّل هذا الذنب، وإذا مشى في السوق ونظر نظرةً محرّمة يسجّل ذلك ، وإذا باع ولم ينصفْ المشتري يسجّل، وإذا تكلّم بكلام غير طيّب يسجّل، ثمّ يبدأ يُحصي في اليوم ماذا عمل، قبل أن ينام يخرج دفتر الحسابً هذا كما يعمل دفتراً للناس الذين يطلبهم مثلاً، فهناك الآخرة تطلبني أيضاً ،يخرج دفتر الحساب هذا ويعدّ، ماذا سيرى؟ ذنبٌ واحد جيّد، في السنّة ثلاثمائة وستون ذنباً إذا كان ذنباً واحداً، بعض الذنوب فيها مشاكل تحدث أمام عشرة أو عشرين من الناس ونلت من فلان، وهؤلاء سمعوه وذهبوا الى مجالسهم وبعضهم سافر الى بلادٍ بعيدة وأيضاً تحدّثوا بها، كم ذنباً يُحسب هذا ؟ كيف يتعامل الإنسان مع الله تعالى خصوصاً الذي تعوّد على الشيء وكلّما مشى العمر بنا وكنّا متعوّدين على شيء صرنا أكثر لصوقاً به؛ لذلك إخواني التوبة فقهاً وأخلاقاً لا يُستحسن أن تؤجّل بل يجب أن تكون التوبة فوراً، قد لا يلتفت الإنسان، فيقول: الحمد لله ليس عندي ذنوب ،هكذا نسمع كثيراً من الناس، ، لكنه لم يدقّق، لو تحسب الأمور حساباً جيداً كما تقول أنا لست مطلوب الى الآخرين، من أين علمت؟ لأنّه لم تستدِنْ من أحد ولم تقترضْ كذا فتعرف، دفتر حسابك واضح، أيضاً دفتر حساب الآخرة لابُدّ أن يكون بهذا الوضوح حتى تصل الى هذه النتيجة، إذن- إخواني- نحن في مشكلةٍ حقيقيّة ، وهذه المشكلة يُمكن حلّها بالرجوع الى الله تعالى، فرّوا من الله الى الله تعالى، الجنّة لله والنارُ لله نفرّ من هذه الى هذه، والإمام(عليه السلام) يريد أن يربّينا في هذا الدعاء، يقول: لابُدّ أن نعترف ونتهيّأ نفسيّاً لقبول الرحمة ؛لأنّنا عندما نعترف ، ماذا نريد بعد ذلك؟ في الدعاء الشريف نحتاج شيئاً من الله تعالى، طبعاً نحن دائماً في حاجة الى الله ، لكن نريد أن نخضع أنفسنا لذلك ، لابُدّ أن نتملّق الى الله تعالى، الله تعالى رحيم، الله تعالى واسع المغفرة ، في بعض الأدعية ((إلَهي إنْ أَخَذْتَني بِجُرْمي أَخَذْتُكَ بِعَفْوِك))[1]،((إنْ دَعاني إلَى النّارِ عَظيمُ عِقابِكَ فَقَدْ دَعاني إلَى الْجَنَّةِ جَزيلُ ثَوابِك))[2].

١-إقبال الأعمال: ٢/ ٦٨٦.
٢- م. ن: ٢/ ٦٨٧.

هذا نوع من التملّق ،أجعل الرحمة الإلهية تسبق غضبي، إلهي إنّك تجد غيري من تعذّبه، لكن واقعاً أنا لا أجد غيرك يرحمني، لابُدّ أن نخطو الخطوة الأولى وهي الاعتراف، بأني مذنب تداولتني أيدي الذنوب وقادتني أزمّة الخطايا واستحوذ عليّ الشيطان، وتصرّفت تصرّفاً سيّئاً ، فلابُدّ أن أتوب.

((فَقَصَّرَ عَمَّا أَمَرْتَ بِهِ تَفْرِيطا)) تفريطاً : تضييعاً، فإذا قصر الإنسان في هذا، ثم في أمر آخر وأمر ثالث ،فإنه سيمر بحالة الابتعاد والنكوص عن الله تبارك وتعالى، ((وَتَعَاطَى مَا نَهَيْتَ عَنْهُ تَغْرِيرا))[1] الأصحّ نسخةً (تعزيراً)، يعني بتعبير آخر وقع في ورطة وهَلَكة فأصبح في موطن الخسارة، فأصبح كما في دعاء الإمام: ((.. كَالْجَاهِلِ بِقُدْرَتِكَ عَلَيْه..)) هو عالمٌ أنّ الله يقدر لكن إذا عملت هذه الأعمال كأنّني جاهل، النتيجة واحدة، كأنّني جاهل بقدرتك عليّ ؛لأنّي لو كنت ملتفتاً الى أنّك يمكن أن تفعل بي ما تفعل ما عملت ، لكنّني عملته كأنّني في غفلة، فحالي حال الجاهل، أنا لست جاهلاً، أعلم أنّ الله تعالى يقدر لكن ((كَالْجَاهِلِ بِقُدْرَتِكَ عَلَيْهِ، أَوْ كَالْمُنْكِرِ فَضْلَ إِحْسَانِكَ إِلَيْه)) إحسان الله تبارك وتعالى، الإمام يقول في دعاءٍ آخر: ((وَأَنَا الْقَلِيلُ الَّذِي كَثَّرْتَه وَأَنَا الْجَاهِلُ الَّذِي عَلَّمْتَه وَأَنَا الضَّعِيفُ الَّذِي قَوَّيْتَه)) وهذه المقارنات بيني وبين رحمة الله تعالى لا تنتهي، فأيّ إحسانٍ أفضل من ذلك؟ الله تعالى هدانا، الله أوجدنا من عالم العدم الى عالم الوجود، الله تعالى أفاض علينا هذه الرّحمات ثم نُنكر بعد ذلك ، والغريب فينا – إخواني- أنّ الله تعالى هو الرازق والعبادة لغيره، هذا شيءٌ غريب حقيقةً، الله هو الرازق ،هو المُعطي ،ونحن نتمسّح بأذيال الشيطان، نعبد الشيطان، نبتعد عن الله تعالى، الله لا يريد منّا شيئاً، الله عندما يُعطينا فذاك رحمة منه ، عادته الإحسان الى المسيئين، الله تعالى عادته أن يعطي، لكنّ المشكلة فينا نحن الذين لا نعرف كيف نتعامل مع رزق الله تعالى، تجد إنسانا لا تتحمّله الأرض من طغيانه، إذا مشى كأنّه شيءٌ آخر يختلف عن الآخرين، ينظر الى الآخرين نظرة ازدراء واحتقار، لماذا؟ لأنّه يملك أشياء يعتقد أنّها مفخرة. إذا ابتُلِيَ بمرض تجده يَعود، إلهي أرجوك افسح لي المجال لأكوننّ من الصالحين، بمجرّد أن

١- الصحيفة السجادية: ١٤٠.

الله تعالى يُعطيه ويُنعم عليه يرجع أكثر ممّا سبق، هذه طريقة بني آدم –للأسف–، الله تعالى عادته الإحسان الى المسيئين، الله تعالى لا يعجزه الفوت، ينتقم منّا إن أسأنا، لكن ليس كما نريد نحن، ولعلّ القرآن الكريم مشفوع ومملوء بقصص تجعل الإنسان يهتزّ.

نسأل الله أن يُجيرنا وإيّاكم من سوء العاقبة، على كلٍّ –إخواني– نبقى مع الإمام(عليه السلام) في ضيافته فيما يأتي إن أبقانا الله تعالى، سائلين الله بمحمد وآله ،وبمن نحن قرب مرقده الشريف الإمام الحسين(عليه السلام) أن يمنّ علينا وعليكم بالتوبة ويجعلنا من التائبين بل من التوّابين –التوّاب يعني كثير التوبة من صيغة المبالغة– نسأله تبارك وتعالى أن نكون من التوّابين، ويكون الله تعالى هو التوّاب علينا، أي يقبل التوبة، فالتوّاب صفة للعبد بأن يتوب ، وصفة واسم من أسماء الله تعالى، بأن يقبل التوبة، وحقيقةً إذا وصلنا الى تلك الدار الآخرة ذلك اليوم الذي تكون فيه وجوه ضاحكة ذلك هو الفوز، أمّا إذا كان في الأخرى –والعياذ بالله– فهذا الخسران وما بعده خسران. نسأل الله تعالى أن تشملنا وإيّاكم رحمته ، وأن يتلطّف علينا بصالح الأعمال والقبول، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله على محمد وآله الطيّبين الطاهرين.

الجمعة ٨ جمادى الآخرة ١٤٣٧ هـ
الموافق ١٨ آذار ٢٠١٦ م .

نصّ الخطبة الثانية

إخوتي أخواتي في هذه الخطبة نقرأ فقراتٍ ممّا كتبه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الى اثنين من ولاته، فقد كتب الى مالك الأشتر -رحمه الله- لما ولّاه مصر يصفُ فيها حال الولاة الحاكمين على الناس، فقال: ((وَلَيْسَ يَبْقَى مِنْ أُمُورِ الْوُلَاةِ إِلَّا ذِكْرُهُمْ وَلَيْسُوا يُذْكَرُونَ إِلَّا بِسِيرَتِهِمْ وَآثَارِهِمْ حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً فَأَمَّا الْأَمْوَالُ فَلَابُدَّ أَنْ يُؤْتَى عَلَيْهَا فَيَكُونَ نَفْعُهَا لِغَيْرِهِ لِنَائِبَةٍ مِنْ نَوَائِبِ الدَّهْرِ تَأْتِي عَلَيْهَا فَتَكُونُ حَسْرَةً عَلَى أَهْلِهَا وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَعْرِفَ عَوَاقِبَ الْإِحْسَانِ وَالْإِسَاءَةِ وَضَيَاعَ الْعُقُولِ بَيْنَ ذَلِكَ فَانْظُرْ فِي أُمُورِ مَنْ مَضَى مِنْ صَالِحِي الْوُلَاةِ وَشِرَارِهِمْ فَهَلْ تَجِدُ مِنْهُمْ أَحَداً مِمَّن حَسُنَتْ فِي النَّاسِ سِيرَتُهُ وَخَفَّتْ عَلَيْهِمْ مَئُونَتُهُ وَسَخَتْ بِإِعْطَاءِ حَقٍّ نَفْسه أَضَرَّ بِهِ ذَلِكَ فِي شِدَّةِ مُلْكِهِ أَوْ فِي لَذَّاتِ بَدَنِهِ أَوْ فِي حُسْنِ ذِكْرِهِ فِي النَّاسِ أَوْ هَلْ تَجِدُ أَحَداً مِمَّنْ سَاءَتْ فِي النَّاسِ سِيرَتُهُ وَاشْتَدَّتْ عَلَيْهِمْ مَئُونَتُهُ كَانَ لَهُ بِذَلِكَ مِنَ الْعِزِّ فِي مُلْكِهِ مِثْلُ مَا دَخَلَ عَلَيْهِ مِنَ النَّقْصِ بِهِ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ فَلَا تَنْظُرْ إِلَى مَا تَجْمَعُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى مَا تَجْمَعُ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَتَعْمَلُ مِنَ الْحَسَنَاتِ فَإِنَّ الْمُحْسِنَ مُعَانٌ))[١].

وكتب عليه السلام الى محمد بن أبي بكر لما ولّاه مصر، فقال:

((أَنِّي وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِي فِي نَفْسِي أَهْلَ مِصْرَ وَ أَنْتَ مَحْقُوقٌ أَنْ تَخَافَ عَلَى

١ - دعائم الإسلام ابن حيون، نعمان بن محمد المغربي٣٦٣هـ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم: ١/ ٣٦٤.

نَفْسكَ وَ أَنْ تحْذرَ فيهِ عَلَى دِينكَ وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ النَّهَار فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تُسْخطَ رَبَّكَ برضَا أَحَد منْ خَلْقه فَافْعَلْ فَإِنَّ فِي الله خَلَفاً منْ غَيْره وَ لَا فِي شَيْءٍ خَلَفٌ مِنَ الله اشْدُدْ عَلَى الظَّالم وَ خُذْ عَلَى يَدَيْه وَ لِنْ لِأَهْل الْخَيْر وَ قَرِّبْهُمْ منْكَ وَ اجْعَلْهُمْ بطَانَتَكَ وَ إِخْوَانَك))[1] ، ((وَأَحبَّ لِعَامَّة رَعِيَّتِكَ مَا تُحبُّ لِنَفْسكَ وأَهْلِ بَيْتِك وَ اكْرَهْ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسكَ وَ أَهْلِ بَيْتك وَ الْزَم الْحُجَّةَ عِنْدَ الله وَ أَصْلحْ رَعِيَّتَكَ وَ خُض الْغَمَرَات إِلَى الْحَقِّ ولَا تَخَفْ فِي الله لَوْمَةَ لَائِمٍ وَأَقِمْ وَجْهَكَ وَانْصَحْ لِلْمَرْءِ الْمُسْلِم إِذَا اسْتَشَارَكَ وَاجْعَلْ نَفْسَكَ أُسْوَةً لِقَرِيبِ الْمُسْلِمِينَ وَبَعِيدِهِم...))[2].

صلوات وسلامه عليك يا مولاي يا ابا الحسن، والحمد لله رب العالمين.

١- شرح نهج البلاغة: ٦/ ٦٧.
٢- م. ن : ٦/ ٧٢.

الجمعة ١٥ جمادى الآخرة ١٤٣٧ هـ
الموافق ٢٥ آذار ٢٠١٦ م

- بإمامة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائيّ.
- نصّ الخطبة الأولى

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله الذي ملك الملوك بقدرته، واستعبَدَ الأرباب بعزّه، وساد العظماء بجوده، وعلا أهل السلطان بسلطانه، وأباد الجبابرة بقهره، ووسع كلّ شيء برحمته، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، مجيب الدعاء رافع السماء، وأشهد أنّ محمداً(صلّى الله عليه وآله) عبده ورسوله الذي أوضح بقرآنه الدليل، وأبان بنوره السبيل، صلّى الله عليه وعلى آله شموس الإمامة ومعادن الكرامة.

أوصيكم عباد الله تعالى وقبل ذلك أوصي نفسي بتقوى الله تعالى، وأكثروا في هذا اليوم المبارك -يوم الجمعة- من البرّ ،وتزوّدوا من الخير، والتزموا التقوى ،واجأروا الى الله بالدعاء، وتقرّبوا اليه بمواساة ضعفائكم ،وبالصدقة على فقرائكم ،وبالصّلة لأرحامكم، وبكّروا الى المساجد وحضور جمعتكم، فقد ورد في الحديث ((وَإِنَّكُمْ تَتَسَابَقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ على قَدْرِ سَبْقِكُمْ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَإِنَّ أَبْوَابَ السَّمَاءِ لَتُفَتَّحُ لِصُعُودِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ)) (١)، وتحابّوا في الله وتواصوا في مرضاته ،وتناصروا في سبيله ،وتآزروا على إحياء دينه، تنالوا بذلك سعادة الدنيا وكمال الدين.

١- الكافي: ٦/ ٤٤٩.

أيّها الإخوة والأخوات سلامٌ عليكم جميعاً من ربّ رحيم غفور ورحمة منه وبركات.

ما زلنا في دعاء الإمام السجّاد عليه السلام الذي بيّن فيه قواعد المعاشرة والمخالطة بين الفرد المؤمن وجيرانه، وأوليائه الذين يعتقدون بحقّ أهل البيت، وبيّنّا أنّ هذه القواعد الاجتماعية قواعد المعاشرة الاجتماعية لو التُزِمَ بتطبيقها لأمكن ضمان السعادة والاستقرار للفرد والمجتمع، فقال عليه السلام مبيناً قواعد المعاشرة الأخلاقية في تعاملنا مع الجيران ،وتعاملنا مع الموالي العارفين بحقّ أهل البيت والمنابذين لأعدائهم، فقال: ((واجعلني اللهمّ أجزي بالإحسان مسيئهم، وأعرض بالتجاوز عن ظالمهم)) ووصلنا الى القواعد الأخلاقية الآتية: ((وأستعمل حسن الظنّ في كافّتهم، وأتولّى بالبرّ عامّتهم، وأغضّ بصري عنهم عفّةً، وألين جانبي لهم تواضعاً)) الى آخر هذه الفقرة من الدعاء، ونحن نتناول في هذه الخطبة قاعدة واحدة من هذه القواعد المهمّة ألا وهي حسن الظنّ، قال: ((وأستعمل حسن الظنّ في كافّتهم)) يعني أعمل بحسن الظنّ في كافّتهم ، أي: في جميعهم . أيّها الإخوة والأخوات حتى نصل الى تطبيق هذه القاعدة الأخلاقية، وهي أن يكون تعاملنا مبنيّاً على حسن الظنّ، لابُدّ أن نعرف ما هو الضدّ؟ الحالة الغالبة عندنا هي سوء الظنّ ، هذه الرذيلة الأخلاقية الفتّاكة في الفرد والمجتمع التي تؤدّي الى الكثير من الجرائم والوقوع في الكثير من المحرّمات فلنلتفت اليها، فما أسباب سوء الظنّ ؟ ما أنواعه ومراتبه؟ كيف نتخلّص من سوء الظنّ؟ لنصل الى تطبيق هذه القاعدة الأخلاقية التي دعانا اليها الإمام عليه السلام بقوله: ((وأستعمل حسن الظنّ في كافّتهم))، أذكر الآن مقدّمة ، بعد ذلك نتعرّض الى هذه التفاصيل.

أيّها الإخوة والأخوات ، نلاحظ في كثيرٍ من الأحيان أن طبيعة تعامل بعضنا مع بعض قائم على سوء الظن ، فنحكم على الشخص عندما يصدر منه كلام أو فعل أو سلوك أو تصرّف بحكم معيّن مبنيّ على التصوّرات والأوهام والتخيّلات والتحليل الشخصي، وسنذكر أمثلةً على هذا الظنّ السيّء الذي استند الى أمورٍ متوهّمة تخيّلية ،

بينما المطلوب شرعاً وعقلاً أن الإنسان إذا رأى شخصاً تصرّف بتصرّف معيّن، أو صدر منه كلام أو حصل حدث معيّن ،ولا يعلم من الذي ارتكب هذا الحدث، كأن تكون سرقة مثلاً ولا يعلم من الذي ارتكب هذا الحدث فيحكم مباشرةً متسرّعاً على شخص معيّن بأنّه ارتكب ذلك الحدث، بينما الإنسان العاقل المؤمن الذي يستند في أحكامه الى القواعد الشرعية والعقلية ، في مثل هذه الحالات لا يخضع لانفعالاته ولا يخضع للأوهام والتخمينات والتحليلات الشخصية، وإنّما يتأنّى يتريّث ولا ينفعل، يحاول أن يبحث عن الدليل والحجّة وإذا وصل الى الدليل حينئذٍ يمكن أن يُصدر حكمه على الآخرين في كلامهم أو في أقوالهم وأفعالهم وتصرّفاتهم ، كما ورد في الآية القرآنية: ((وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا))(١)، الشيء الذي ليس لديك عليه دليل وبرهان تقطع به في حكمك ، فلا تتّبع الظنون والأوهام والتخيّلات والتحليلات الشخصية، ربّما الشيطان في كثير من الأحيان يجد مدخلاً في مثل هذه الحالات خصوصاً ؛ إذ يدخل الشيطان في حالة الانفعال والغضب ويبدأ بإيقاع هذه التخيّلات والأوهام في عقل الإنسان ليصدر حكماً ، وربّما تصدر منه غيبة ، أو يصدر منه اتّهام ،أو جريمة بناءً على هذه الأوهام والتخيّلات. إن الإنسان المؤمن في مثل هذه الحالات يتريّث ويبحث عن الدليل ، ثم بعد ذلك يصدر حكمه.

هنا – بعد هذه المقدّمة – نبيّن ما يتعلّق بهذه الرذيلة الاجتماعية ،وآثارها على الفرد والمجتمع، بيّنت الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة ، ونهت بصراحة وشدّة عن مثل هذه الأمور لما لها من آثار، كما في قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا))(٢)، كثيراً ما يطرق أسماعكم هذا الحديث الشريف: أنّ دم المسلم ،وماله ،وعرضه حرام . وفي بعض الأحاديث أضيف اليه أمرٌ رابع ، وهو ظنّ السوء بأخيك المؤمن، جعل ظنّ السوء في سياق هذه الأمور الثلاثة كما في هذا الحديث: ((إِنَّ اللهَ تَعَالَى حَرَّمَ مِنَ الْمُسْلِمِ

١-الاسراء : ٣٦.
٢- الحجرات:١٢.

دَمَهُ وَمَالَهُ وَأَنْ يُظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ))[1] يعني كما جعل الاعتداء على حياة المسلم حراما ، والاعتداء على مال المسلم، وهتك عرض المسلم حراما، كذلك ظنّ السوء، جعل هذا الأمر مع هذه الأمور الثلاثة: الاعتداء على حياة الإنسان والاعتداء على المال ، والاعتداء على العرض ، ثم يأتي الاعتداء المعنوي، لاحظوا –إخواني- اهتمام الإسلام بالأمن الاجتماعي والأمن الأخلاقي الذي يتحقّق من خلال هذه المقدّمات، وهو أن نحسن الظنّ بالآخرين عدا في بعض الحالات. نأتي الآن لنلتفت الى الكثير من دقائق الأمور، وكيف أنّه يغيب عنّا ،ونغفل عن كثير من الأمور التي تدخل في سوء الظنّ ، فنذكر أنواع سوء الظنّ ، ومراتب سوء الظنّ.

النوع الأوّل من أنواع سوء الظنّ: أن يحصل أمرٌ سيء ولا يُعلم فاعله ، ولكن الإنسان يحكم على شخص ما بأنّه فعل ذلك الأمر السيء فيظنّ به ظنّ السوء ، وقد يقوده هذا الى الوقوع في المحرّمات، فأحياناً قد يكون هناك مالٌ سُرق لا يُعلم من السارق، في بعض الأحيان لديك انطباع سيء عن شخص ما كأن يكون هذا الشخص لديه اعتداء على أموال الآخرين ولديه تصرّفات سيّئة، فتتسرّع وتحكم على ذلك الإنسان بأنّه هو الذي سَرَق، الخطورة هنا -أيّها الإخوة والأخوات- أنّه قد يقود هذا الظنّ السيء الى أن يتسرّع الإنسان فيغتاب هذا الشخص أو يشتكي عليه ، وهذه الشكوى قد تقوده الى السجن وربّما يبقى في السجن ظُلماً عدّة شهور ، ثم يتبيّن بطلان هذه التهمة، فتكون قد بنيت على سوء الظنّ. هذا يحصل كثيراً فقد يضيع شيء في البيت فيُتّهم الخادم أو الخادمة ، أو يضيع في الدائرة شيء ويتهم أحدهم بأنّه هو الذي أخذ ذلك، وغير ذلك من هذه الأمثلة، لذلك فنحن لا نعلم، علم الغيب عند الله تعالى، في كثير من الأحيان ربّما نحكم بنسبة ٩٠٪ أو ٩٩٪ أنّ فلاناً هو الذي ارتكب هذا الفعل، ولكن يتبيّن أن هذه النسبة نسبة ٩٥٪ باطلة، ونسبة ٥٪ تكون هي الحقّ، إذ يتبيّن أنّ الذي قام بهذا الفعل شخص آخر.

١- بحار الانوار: ٧٢/ ٢٠١.

النوع الثاني: إساءة الظنّ بالنيّة والقصد، بأن يكون هناك فعل ظاهرُهُ حسن ،ويحتمل في النية والمقصد احتمالين: نيّة حسنة أو نيّة سيئة، نضرب مثالاً نرى شخصاً يصلّي ويصوم ويتصدّق ويفعل فعلاً خيّراً، أي يقوم بالإحسان والبرّ على الناس ، فنظنّ أنّ نيّته وقصده وغايته من هذا الفعل الحسن أنّه يُرائي الناس، أو يُحاول أن يحصل على مكانة اجتماعية، أو يحاول أن يحصل على منصب أو مال أو غير ذلك من النيات السيئة، نحن لا نعلم ماذا في القلوب، ونظنّ أنّ نيّته وقصده أمرٌ ليس حسناً، هذا ظنّ سيء أيضاً، ونرتّب الآثار على هذا الظنّ بالنية والقصد.

النوع الثالث: هو أن يكون الفعل سيئاً في ظاهره ، ويحتمل أنّ قيام هذا الإنسان بهذا الفعل لسببٍ مسوّغ مقبول شرعاً أو عقلاً، مثلاً نرى إنساناً في شهر رمضان قد أفطر ، وهذا الإفطار لسببٍ مقبول شرعاً كأن يكون مسافراً ،أو مريضاً ،أو لسببٍ آخر، فنحن نقول إنّ هذا الإنسان يرتكب المعصية بترك الصوم، صحيح أنه فعل غير مقبول ، ولكن يُحتمل أن يكون له مسوغ، أو ربّما نرى إنساناً مع امرأة أجنبية نظنّ به ظنّ السوء ، ولكن يُحتمل أن هذه المرأة الأجنبية من محارمه ، قد تكون زوجته أو حتى لو كانت أجنبية ربّما هناك مقصد مقبولٌ شرعاً وعقلاً وعرفاً، فنحن نأتي ونتّهمه بأن تكون نيّته نيّة سيّئة. هذه ثلاثة أنواع من سوء الظنّ ، فلنلتفت الى كلّ واحد منها.

ومراتب سوء الظنّ مرتبتان، المرتبة الأولى: هي مرتبة الظنّ النفسي، قد تطرق الإنسان أحيانا خلجات وخواطر ؛ فيظنّ ظنّاً سيئاً في قلبه على مستوى الخلجات والخواطر، نلتفت الى هذه النقطة الحسّاسة هنا، وهي أن القلب قد يعقد على هذه الخواطر أحياناً، كما لو ظننت ظنّاً سيئاً بشخصٍ فتتحوّل هذه الخاطرة والخلجات الى حالة من الكراهية والنفرة وعدم الاحترام ، وقد يتحوّل هذا الظنّ السيء الى فعل وهو المرتبة الأشدّ، ورد في الحديث أن حالة الخلجات والخواطر كثيراً ما تأتينا بظنّ سيّء على إنسان، وهي حالة لا ينفكّ عنها المؤمن أبداً كما ورد في الحديث، ولكن الحديث ينبّه على أنك إذا ظننت ظنّاً سيئاً بأخيك المؤمن فلا يتحوّل الظنّ السيّئ الى حالة من

الحقد والكراهية والنفرة وعدم الاحترام، بل أبقِهِ في حالة الخاطرة والخلجات فقط ، يقول :((ثلاث لا ينفكّ عنها المؤمن..)) وفي بعض الأحاديث: ((ثلاثٌ في المؤمن لا تُستحسن)) منها قضيّة الظنّ ، ومنها الحسد ، ومنها الطيرة والتطيّر :التشاؤم. كيف نتخلّص من هذا ؟ أن ننتبه؛ لأنّ سوء الظنّ قد يتفاعل داخل الإنسان ويتحوّل الى غيبة واتّهام ثم جريمة قتل أحياناً، كما سنذكر بعض الأمثلة، نلتفت هنا الحديث ماذا يقول؟ ((...وله منهنّ مخرج –أي الحسد والظنّ والطيرة- فمخرجه من سوء الظنّ أن لا يحقّقه...))[1] ما معنى عدم التحقيق؟ يعني أن لا يتحوّل سوء الظنّ الذي في قلبك إلى أن تكره هذا الإنسان أو تعاديه أو تبتعد وتنفر منه ، وإنّما تُبقي الظن في حالة الخواطر ، ولا تنتقل به الى حالة عقد القلب.

المرتبة الثانية التي هي الأشدّ ، وهي مرتبة سوء الظنّ اللّساني والفعلي، وهو أن يتحوّل سوء الظنّ الى أن تتّهم هذا الشخص، ومسألة سوء الظنّ لا تتعلّق بالجانب العبادي فقط، بل بالجانب العبادي والاجتماعي والأخلاقي والسياسي أحياناً ،فسوء الظن يدخل في هذه المجالات الحياتية كلها، وقد يؤدّي الى حدوث جرائم وقتل بحقّ أشخاص ، الظنّ غير المبنيّ على الدليل والحجة والبرهان مرتبته الأشد هي سوء الظنّ اللّساني والفعلي بأن يتحوّل سوء الظنّ هذا الى فعل ، وهو ما نهت عنه الشريعة الإسلامية.

نأتي الآن الى آثار سوء الظنّ ، فنذكر أربعة منها : تخريب العلاقات بين أفراد المجتمع وفقدان الثقة؛ لأنك حين تسيء الظن بالأشخاص الآخرين تبتعد عنهم وتخاف منهم فتفقد الثقة بهم ، وهذه الحالة من تخريب العلاقات تؤدّي الى فقدان التعاون والتكاتف والتعاضد بين أفراد المجتمع ،وتنقطع العلاقات فيما بينهم ،وتتحوّل العلاقات الى علاقات عِداء ، وكثيراً ما ينهى الإسلام عن ذلك ويدعو إلى عكس ذلك ، وهو حسن الظنّ ؛ لأنه يؤدّي الى الاحترام وتقوية العلاقات والتقارب والتكاتف

1-بحار الانوار: ٧٢/ ٢٠١.

والتعاون بين أفراد المجتمع الذي يحرص عليه الإسلام؛ لذلك ورد في بعض الأحاديث ((مَنْ سَاءَتْ ظُنُونُهُ اعْتَقَدَ الْخِيَانَةَ بِمَنْ لَا يَخُونُه))[١]، هذا الذي يعيش سوء الظنّ حتّى الذي لا يخونه يعتقد أنّه يخونه، ولذلك يؤدّي الى هذه النتيجة، وفي بعض الأحاديث ((شَرُّ النَّاسِ مَنْ لَا يَثِقُ بِأَحَدٍ لِسُوءِ ظَنِّهِ وَ لَا يَثِقُ بِهِ أَحَدٌ لِسُوءِ فِعْلِه))[٢] فقدان الثقة هذه إحدى نتائج سوء الظنّ.

الأثر الثاني :هو تدمير الهدوء النفسي والروحي للفرد والمجتمع، هذا الذي عنده سوء الظنّ يعيش حالة الخوف والتوجّس من الآخرين، لأنّه يُسيء الظنّ بأفعالهم وأهدافهم ومقاصدهم تجاهه، هذه الحالة حينما يعيشها الإنسان فإنه يعيش حالة الهمّ ، كيف يتخلّص من نيّات الآخرين وأفعالهم التي بناها على سوء الظنّ؟

الأثر الثالث : وهو الخطير ، سوء الظنّ قد يقود الى ارتكاب الجرائم خصوصاً إذا كان سوء الظنّ يتعلّق بالعِرْض، وأحياناً يتعلّق بأمور أخرى، وأذكر هنا مثالاً نحن كثيراً ما يرد الينا أنّ هذه المرأة قُتِلَت، لماذا؟ لأنّه صدر منها فعلٌ ما ، وهذا الشخص الذي هو قريب منها بنى بسوء ظنّه على أنّها ارتكبت جريمة مخلّة بالشرف، فيقوم بقتل تلك المرأة ،ثم يتبيّن أنّها بريئة من ذلك الفعل، أو أنّها ارتكبت فعلاً مشيناً لكنّه لا يستحقّ القتل، نذكر هذا الحادث - إخواني - هو حادثٌ واضح على آثار سوء الظنّ للإنسان، في إحدى المصحّات العقليّة، مستشفى لأصحاب الأمراض العقلية والمجانين، جاء الطبيب النفسيّ يتفقّد مرضاه فوجد مريضاً يردّد كلمة (منديل) دائماً ، هذه الكلمة يُعيدها حينما سأل ما السبب الذي أدّى بهذا الشخص أن يؤتى به الى هذه المستشفى وأن يردّد كلمة (منديل)؟ فوجد أنّ هذا الشخص قد قتل زوجته؛ لأنّه في يوم من الأيّام جاء الى البيت ،ووجد في حقيبة زوجته منديلاً فيه قنينة عطر، وفيه شيء من الهدايا الخاصّة بالرجال، لاحظوا إخواني هذا سوء الظنّ، كيف يتفاعل عندنا؟ وكيف يدخل الشيطان الينا من هذا المنفذ؟ أساء الظنّ بزوجته فتوهّم -سيطر عليه

١- تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٦٤.
٢- م. ن: ٢٦٣.

الوهم والتخيّلات والشيطان- أنّ هذه الهدية من زوجته لشخص أجنبيّ مرتبطة معه بعلاقة غير مشروعة، سيطر عليه الغضب والانفعال، واعتبر هذه قضيّة تتعلّق بعرضه، حينما سيطر عليه الغضب والانفعال الشديد دخله الشيطان فقام بقتلها بعد ذلك، نقف عند هذه النقطة، ماذا يفعل المؤمن العاقل في مثل هذه الحالة وبقية الحالات؟ عليه في كلّ أمرٍ حصل فيه ظنّ وانفعال وسوء ظنّ أن يتريّث ويتأنّى ولا يتسرّع في الحكم على الآخرين، وإنّما يتوقّف ليحاول أن يبحث عن الدليل والحجّة فيما يظنّه فربّما يكون خاطئاً ومتوهّماً -كما ذكرنا- ((وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)) فربّما يتبيّن فيما بعد أنّ ظنّه أصلاً مبنيٌّ على تخيّلات وأوهام قد أدخلها الشيطان في روعه، ولا يجعل نفسه خاضعة للانفعال والغضب الشديد ، هذا الإنسان بعد أن هدأ وفحص ، فتح المنديل فوجد بين طيّات المنديل هذه العبارة: «هذه هديّتي الى زوجي بمناسبة ذكرى عيد ميلاده»، أصابه وخزُ الضمير وتأنيبُه فحصل الجنون لديه، هذه حادثةٌ واقعيّة، هل هذا غريب عن واقعنا في بعض الأحيان؟ لا، في كثيرٍ من الأحيان قد يُسيء الزوج الظنّ بزوجته من غير أن يبني ذلك الظنّ على دليل أو برهان، أو الزوجة تسيء الظنّ بزوجها أو الأخ المؤمن يسيء الظنّ بأخيه المؤمن ويتّهمه في بعض الأفعال التي هو بريء منها، وقد يقود هذا الإنسان الذي أُسيء به الظنّ الى السجن ، وقد يقود به ربّما الى القتل أحياناً ،وانتهاك الأعراض والتعدّي على الأموال كما يحصل في كثير من الأحيان، لذلك علينا أن نلتفت في كلّ هذه الحالات، خصوصاً في هذه الأمور التي تتعلّق بالعِرْض، كثيراً ما تقتل نساء ويتبيّن بعد التحقّق والتثبّت أنّ هذه المرأة بريئة ، ماذا سيفعل الإنسان حينئذٍ وقد قتل نفساً بريئةً؟ أو أحياناً يتصوّر الإنسان أنّ الآخرين يتآمرون عليه ويريدون الوقيعة به، ربّما هذا الإنسان يمتلك قوّة سلطة، فيعمل على التخلّص من هؤلاء الذين يسيء الظنّ بهم، ربّما يقوم بأعمال إجرامية بحقّهم، أو يكيد لهم أو يتّهمهم باتّهاماتٍ باطلة، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : ((سُوءُ الظَّنِّ يُفْسِدُ الْأُمُورَ وَ يَبْعَثُ عَلَى الشُّرُور))[1] يبعث على الشرّ؛ لذلك نتنبّه منه فإنه يفقد الإنسان أصدقاءه ورفاقه بسرعة ؛لأنّ كلّ واحدٍ منّا يريد من

١-غرر الحكم و درر الكلم: ٣٩٩.

الآخرين أن يُحسنوا الظنّ به ، وأن يُحتَرَموه، ويعتقدون بصحّة أفعاله وأعماله وسلوكيّاته وأقواله، أمّا الشخص الذي يرى الآخر يسيء الظنّ بأفعاله وبسلوكه ويتهمه بأمور لم يرتكبها ، فلا يكون صديقاً ورفيقاً له، لذلك ورد في الحديث عن أمير المؤمنين(عليه السلام) : ((مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ سُوءُ الظَّنِّ لَمْ يَتْرُكْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَليلٍ صُلْحاً))[١]، أي لا تبقى علاقة بينه وبين هؤلاء الآخرين الذين يتّهمونه بذلك، ما العلاج؟ في مقابل ذلك نبّهنا الإمام السجّاد(عليه السلام) بقوله(عليه السلام) :(وأستعمل حسن الظنّ في كافّتهم). نبيّن هنا آثار حسن الظنّ، ورد عن أمير المؤمنين(عليه السلام) : ((حُسْنُ الظَّنِّ مِنْ أَفْضَلِ السَّجَايَا وَأَجْزَلِ الْعَطَايَا))[٢]، ومن التأثيرات النفسية الراحة والاطمئنان النفسي للإنسان الذي يبتعد عن سوء الظنّ، وفي هذا الحديث: ((حُسْنُ الظَّنِّ يُخَفِّفُ الْهَمَّ وَ يُنْجِي مِنْ تَقَلُّدِ الْإِثْم))[٣]، لأن سوء الظن يقود الى الغيبة والتّهمة والافتراء والسبّ والطعن أو القتل، ربّما في حديثٍ آخر ((مَنْ حَسُنَ ظَنُّهُ بِالنَّاسِ حَازَ مِنْهُمُ الْمَحَبَّةَ))[٤]، الإنسان الذي يتعامل بحسن الظنّ يحبّه الآخرون ،ويودّون أن يتعاملوا معه ويتعاشروا ، لذلك ورد في كثير من الأحاديث حثّ المؤمنين على حسن الظنّ والانتباه من آثار ما هو قباله، ومن جملة الأحاديث ((ضَعْ أَمْرَ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ حَتّى يَأْتِيَكَ مَا يَغْلِبُكَ مِنْه))[٥] وفي حديثٍ آخر ((ولَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَخِيكَ سُوءاً))[٦] إذا بلّغك شخص أنّه تكلّم عليك أخاك بالكلام الفلاني، ربّما هو يقصد به مقصداً حسناً، ويحتمل أن يكون له وجهٌ حسن ومقصد حسن، فلا تحمله على السوء ، وإنّما احمله على محمل حسن الى أن يأتيك ما يدلّ وتقطع به على أنّه يقصد به مقصداً سيّئاً، فقال :((ولَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَخِيكَ سُوءاً وأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مَحْمِلا)) طالما يمكن أن نحمل كلام هذا الأخ ،وفعل هذا الأخ على المحمل الحسن والخير، فلنحمله على هذا المحمل الحسن -وإن كان بدرجة الاحتمال- فقال(عليه السلام) : ((ولَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَخِيكَ سُوءاً وأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مَحْمِلا))، ((مَا رَأَتْهُ

١-غرر الحكم و درر الكلم: ٦٥٠.
٢-م. ن: ٣٤٥.
٣- عيون الحكم والمواعظ، لليثي: ٢٢٨.
٤- م. ن: ٤٣٥.
٥-الكافي : ٢/ ٣٦٢.
٦- م. ن: ٢/ ٣٦٢.

عَيْنَاكَ فَهُوَ الْحَقُّ وَمَا سَمِعَتْهُ أُذُنَاكَ فَأَكْثَرُهُ بَاطِل))[1]، لذلك فحسن الظن من جملة قواعد المعاشرة الاجتماعية التي تضمن لنا هذه السعادة، الإمام(عليه السلام) في آخر الدعاء يقول: (حَتَّى يَسْعَدُوا بِي وَأَسْعَدَ بِهِم) هؤلاء إخواني يسعدون بي حينما أتعامل معهم بهذه القواعد الأخلاقية ، وأنا أسعد أيضاً بعلاقتي معهم حينما أتعامل معهم بهذه القواعد. نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لأن نعي ونفهم ونعمل على تطبيق هذه القواعد الأخلاقية التي أمرنا بها الأئمّة(عليهم السلام)، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمدٍ وآله الطاهرين.

١-بحار الانوار: ٧٢/١٩٦.

الجمعة ١٥ جمادى الآخرة ١٤٣٧ هـ
الموافق ٢٥ آذار ٢٠١٦ م

نصّ الخطبة الثانية

نقرأ عدداً من وصايا الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام) الى المؤمنين:

روى زيدُ الشحّام قال: ((قالَ لي أبو عبدالله(عليه السلام) : اقْرَأْ عَلَى مَنْ تَرَى أَنَّهُ يُطِيعُنِي مِنْهُمْ وَيَأْخُذُ بِقَوْلِيَ السَّلَامَ، وَأُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْوَرَعِ فِي دِينِكُمْ، وَالاجْتِهَادِ لِلَّهِ، وَصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَطُولِ السُّجُودِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ؛ فَبِهَذَا جَاءَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم.

أَدُّوا الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكُمْ عَلَيْهَا بَرّاً أَوْ فَاجِراً؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم كَانَ يَأْمُرُ بِأَدَاءِ الْخَيْطِ وَالْمِخْيَطِ، صِلُوا عَشَائِرَكُمْ، وَاشْهَدُوا جَنَائِزَهُمْ، وَعُودُوا مَرْضَاهُمْ، وَأَدُّوا حُقُوقَهُمْ ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا وَرِعَ فِي دِينِهِ، وَصَدَقَ الْحَدِيثَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَحَسُنَ خُلُقُهُ مَعَ النَّاسِ، قِيلَ هَذَا جَعْفَرِيٌّ، فَيَسُرُّنِي ذَلِكَ وَيَدْخُلُ عَلَيَّ مِنْهُ السُّرُورُ، وَقِيلَ هَذَا أَدَبُ جَعْفَرٍ.

وَإِذَا كَانَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيَّ بَلَاؤُهُ وَعَارُهُ، وَقِيلَ هَذَا أَدَبُ جَعْفَرٍ، فَوَاللهِ لَحَدَّثَنِي أَبِي عليه السلام: أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَكُونُ فِي الْقَبِيلَةِ مِنْ شِيعَةِ عَلِيٍّ عليه السلام فَيَكُونُ زَيْنَهَا اداهُمْ لِلْأَمَانَةِ، وَأَقْضَاهُمْ لِلْحُقُوقِ، وَأَصْدَقَهُمْ لِلْحَدِيثِ، إِلَيْهِ وَصَايَاهُمْ، وَوَدَائِعُهُمْ، تُسْأَلُ الْعَشِيرَةُ عَنْهُ فَتَقُولُ: مَنْ مِثْلُ فُلَانٍ إِنَّهُ لَأَدَانَا لِلْأَمَانَةِ وَأَصْدَقُنَا

لِلْحَدِيثِ))[1].

وروى خيثمة قال: دخلت على أبي عبد الله جعفر بن محمد(عليهما السلام) أودّعه، وأنا أريد الشخوص إلى المدينة، فقال(عليه السلام) : ((أبلغ عنّي موالينا السلام، وأوصهم بتقوى الله، والعمل الصالح، وأن يعود صحيحُهم مريضَهم، وأن يعين غنيُّهم فقيرَهم، وأن يشهد حيُّهم جنازة ميّتِهم، وأن يتلاقوا في بيوتهم، فإنّ في ذلك حياة لأمرنا، رحم الله عبداً أحيى أمرنا، واعلمهم يا خيثمة أنّه لا يغني عنهم من الله شيء إلّا العمل الصالح، فإنّ ولايتنا لا تُنال إلّا بالورع، وإنَّ أشدّ الناس حسرةً يوم القيامة مَنْ وصف عدلاً ثمّ خالفه الى غيره))[2].

وروى أبو المَغرَاءِ عن أبي عبدالله(عليه السلام) أنّه قال:((المُسلمُ أخو المسلم لا يظلِمُه ولا يَخذلهُ ولا يَخونُه ويَحِقُّ على المسلمين الاجتهاد في التواصُل والتعاون علىَ التعاطف والمُواساةُ لأهلِ الحاجة وتعاطفُ بَعضهِم على بعض حتى تكونوا كما أمركم الله عزّوجلّ، رحماء بينكم مُتراحمين مُغتمِّين لِما غابَ عَنكُمْ من أمرهم على ما مضى عَلَيه معشرُ الأنصارِ على عَهدِ رسولِ الله(صلى الله عليه وآله وسلم)))[3].

وروى كليب الصّيداويِّ عَنْ أبي عبدالله(عليه السلام) أنّه قال: ((تَواصلُوا وتَبارُّوا وتَراحمُوا وكُونُوا إخوَةً بَرَرَة كَما أمرَكُمُ الله عَزَّوجَلَّ))[4].

١-الكافي: ٢ / ٦٣٦.
٢-م. ن : ٥ / ٥٤٩.
٣-م. ن : ٢ / ١٧٤.
٤-م. ن :٢/ ١٧٥.

خطب الجمعة

لشهر

نيسان
٢٠١٦م

جمادى الاخرة
رجب
١٤٣٧هـ

الجمعة ٢٢جمادى الاخرة
١ نيسان
بإمامة سماحة السيد أحمد الصافي

الجمعة ٢٩جمادى الاخرة
٨نيسان
بإمامة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

الجمعة ٧ رجب
١٥نيسان
بإمامة سماحة السيد أحمد الصافي

الجمعة ١٤رجب
٢٢ نيسان
بإمامة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

الجمعة ٢١رجب
٢٩نيسان
بإمامة سماحة السيد أحمد الصافي.

---

٢٢ جمادى الآخرة ١٤٣٧ هـ
الموافق ١ نيسان ٢٠١٦ م

- بإمامة سماحة السيد أحمد الصافي .
- نصّ الخطبة الأولى

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه أبي القاسم محمد وعلى آله الطيّبين الطاهرين، الحمد لله اللّطيف بعباده، الرؤوف بهم ،الخبير بفقرهم ،العليم بضعفهم، فطرهم على الحاجة اليه ،واضطرهم الى اللجوء له، فأغناهم من فقر، وقوّاهم من ضعف، وأعزّهم من ذلّ.

إخوتي أبنائي آبائي رفعكم الله وأعلى شأنكم، أخواتي بناتي أمّهاتي ألبسكنّ الله لباس الحياء والعافية، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أوصيكم ونفسي الجانية بتقوى الله تبارك وتعالى آناء الليل وأطراف النهار ، وفي كلّ همسةٍ وكلمةٍ وفكرة وخطرات قلب؛ فإنّها نعم المعين في يوم يفرّ المرء من أمّه وأبيه وصاحبته وبنيه أعاننا الله تعالى وإيّاكم على ذلك اليوم، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يلطف بنا في ذلك اليوم الذي لا ينفع إلّا من أتى الله بقلبٍ سليم ، ونقدّم بين يدي حاجاتنا في الدنيا والآخرة الوجود المبارك للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة الأطهار(عليهم السلام) عسى الله تعالى أن يدركنا برحمةٍ منه ببركات وجودهم الشريف، بدءًا نهنّئكم بولادة سيدة النساء

الزهراء(عليها السلام) أمّ الأئمّة الأطهار، وحبيبة نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم، وزوجة أمير المؤمنين عليه السلام سائلين الله تعالى أن يوفّقنا دائماً للاستزادة من بركاتها، ونسأله تعالى أن يجعلها شفيعةً لنا في ذلك اليوم.

كنّا قد عرضنا فقرات من دعاء الإمام السجاد عليه السلام ،وهو يعرج بنا الى ساحة الفيض الإلهي في مسألة طلب التوبة من الله تبارك وتعالى بعد أن يشخّص لنا(صلوات الله وسلامه عليه) تلك الحالات التي يمرّ بها العبد، وهي حالة الذنب، ثم بعد ذلك حالة الاستفاقة من الذنب ،وطلب التوبة من الله تبارك وتعالى. وتقدّم منّا سابقاً بعض ما له علاقة بهذا الدعاء الكريم وهو الدعاء الحادي والثلاثون في الصحيفة السجادية المباركة، وقبل أن أشرع بما وصلنا اليه سابقاً أحبّ أن أذكر مسألة، ورد عندنا في بعض الروايات أنّ الله تعالى مع الجماعة، وعندنا أيضاً مجموعة من المستحبّات ، ولعلّ أهمّها صلاة الجماعة، وبعض الندب كصلاة العيدين مثلاً وصلاة الجمعة، وقد تعارف بعض المؤمنين (أعلى الله شأنهم) على المراسيم الجماعية في الدعاء ، وهذا مطلبٌ مهمّ جدّاً، مثلاً بعض المؤمنين تعوّدوا على أنْ يهتموا كثيرا بدعاء النّدبة يوم الجمعة صباحاً ، وهو مطلبٌ حسن جدّاً وخير ما فعلوا، وترويض النفس على هذه المطالب الجماعية خصوصاً مع الدعاء أعتقد أنه فاتحة خير، ولا بأس أيضاً أن تكون هناك مجالس عامة لأدعية أخرى كدعاء طلب التوبة الذي نحن بصدده بحيث يفزع الجميع الى الله تبارك وتعالى ويطلب التوبة منه، وطلب التوبة ليست كلمة -كما قلنا سابقاً- تقال ، وإنّما هو سلوكٌ عمليّ يوميّ يحتاجه الإنسان دائماً ؛ ليغسل هذه الأدران والعوالق الدنيوية من خلال هذا الفزع الى الله تبارك وتعالى، ولا بأس أن تعقد الحلقات الجماعية مجالس لطلب التوبة من خلال الدعاء، والإنسان يتفاعل عادةً مع طلب التوبة لأهمّية التوبة عنده ،وكلٌّ منّا يحتاج أن يفزع الى الله تبارك وتعالى دائماً.

ولعلّه وصلنا في عرضنا لفقرات من دعاء التوبة الذي نحن بصدده إلى قول الإمام عليه السلام : ((هَذَا مَقَامُ مَنْ تَدَاوَلَتْهُ أَيْدِي الذُّنُوبِ، وَقَادَتْهُ أَزِمَّةُ الْخَطَايَا، وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ

الشَّيْطَانُ، فَقَصَّرَ عَمَّا أَمَرْتَ بِهِ تَفْرِيطاً، وَتَعَاطَى مَا نَهَيْتَ عَنْهُ تَغْرِيراً، كَالْجَاهِلِ بِقُدْرَتِكَ عَلَيْهِ، أَوْ كَالْمُنْكِرِ فَضْلَ إِحْسَانِكَ إِلَيْهِ حَتَّى إِذَا انْفَتَحَ لَهُ بَصَرُ الْهُدَى، وَتَقَشَّعَتْ عَنْهُ سَحَائِبُ الْعَمَى، أَحْصَى مَا ظَلَمَ بِهِ نَفْسَهُ، وَفَكَّرَ فِيمَا خَالَفَ بِهِ رَبَّهُ، فَرَأَى كَبِيرَ عِصْيَانِهِ كَبِيراً وَجَلِيلَ مُخَالَفَتِهِ جَلِيلًا)) [١].

أنا أرغب من الإخوة - وأدعو نفسي أيضا - أن يتوجّهوا إلى أمثال هذه المطالب فعلاً، لابُدّ أن يكون معه تفاعل وجداني، وليس شرحاً علمياً بحتا ، عندما يطلب الإنسان من الله تبارك وتعالى ويتوجّه اليه فهذا نابع من حالة غير منفكّة وهي حالة العبودية، وحالة العبودية تحتاج الى التفات من الإنسان حتى تتحقّق عنده هذه النزعة وهذه الرغبة وهذا الفرار من الله اليه، وإلّا فالإنسان عبدٌ علم أم لم يعلم، شاء أم لم يشأ، آمن أو كفر، بالنتيجة القرآن يقول: ((إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ))[٢] إنّا لله وإنّا اليه راجعون، لكن الإنسان عندما يتوجّه يكسب وينتفع.

الدعاء الشريف -كما قلنا- بدأ بهذا التحميد والتهليل ،ثمّ بيّن حالة الاستكانة فقال: ((هذا مقام من تداولته أيدي الذنوب)) شبّه الذنب بشيء له أيدٍ ، وكل ذنب يحوّله الى ذنب، ذنبٌ يأخذه ويرميه وذنبٌ آخر يتلقّفه وهكذا، فيعيش هذا العبد حالة الإنسان المذنب حتى يشعر بالتقصير فيبحث عن الحلّ، إذا شعر الإنسان بالتقصير سيبحث عن الحلّ، يقول: أنا مقصّر، ما الحلّ؟ فتُرسَمُ له خريطة الحلّ فيأخذ هذا الذي ((واسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ، فَقَصَّرَ عَمَّا أَمَرْتَ بِهِ تَفْرِيطا)) بها، لكن التفتوا، الإنسان عندما يلتفت قد تتعاظم الحجّة عليه، فلابُدّ أن يرتّب أثراً، ما هو الأثر؟ يقول: ((حَتَّى إِذَا انْفَتَحَ لَهُ بَصَرُ الْهُدَى)) متى ينفتح بصرُ الهدى؟ وهل بصرُ الهدى مغلق حتى ينفتح؟!! الله تعالى لا يغلق عن الإنسان طرقَ الهداية أو بصرَ الهداية، حاشاه ثم حاشاه ((وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ))[٣]، لكن الإنسان عندما يُذنب ،ويلتذّ ببعض الذنوب ينكفئ ويخضع للذّنب

١- الصحيفة السجادية: ١٤٠.
٢-يونس: ٢٣.
٣-البلد: ١٠.

كأنّه لا يرى شيئاً آخر وراءه، فهذه هي حياته، وقد بين الإمام أنّ هذا الشخص الغارق في الذنوب تتلاقفه وتقوده أزمّة الخطايا، وهو عقلاً يؤمن أنّ الله تعالى مطّلع والله تعالى لابُدّ أن يُجازيه ولكنّه - كما قلنا في السابق- (كالجاهل بقدرتك عليه) نتيجة الانغماس، فكأنّ بصرَ الهدى قد عمي عنه ثمّ انتبه، حتى إذا ما انفتح له بصرُ الهدى جاءته حالة اليقظة والالتفات ((وتقشّعت عنه سحائبُ العمى)) سحائبُ العمى هذه الغشاوة التي تكون أمام الإنسان الأعمى فلا يبصر ما وراءه، في البصيرة كذلك يغلّف قلب الإنسان ((بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم))[1] ، كما يعبّر القرآن الكريم ، لكن عندما تنفتح أو ينفتح بصرُ الهدى وتتقشّع هذه السحائب -سحائبُ العمى- يبدأ الإنسان يلتفت إلى فعله، وكم من معصيةٍ عمل، لاحظوا يقول الإمام: ((أحصى ما ظلَمَ به نفسَه)) بدأ يزن ويعدّ ويثبّت التفَتَ إلى نفسه ، ماذا عملت؟ مَنْ قد عصيتُ ؟ ولماذا؟ وما المرّات التي عصيتُ فيها؟ هذه المحاسبة الدقيقة من هذا العبد، (أحصى ما ظلم به نفسه) فمن أبشع الظلم أن الإنسان يظلم نفسه، إذ النفس ليست ملكك إنّما هي أمانة ووديعة لا تظلمها، وظلم الإنسان نفسه عندما يضعها في غير الموضع الذي أراده الله تعالى لها، وتعبير أمير المؤمنين عليه السلام في صفات المتّقين تعبيرٌ في منتهى الروعة ((نَفْسِهِ مِنْهُ فِي تَعَبٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَة))[2]، الذي نفسه في تعب من أعدل الناس مع نفسه و ليس ظالماً لنفسه، يُتعب هذه النفس الآن، يقول لها : يا نفس ، ما دُمنا في هذه الدنيا فهذه الأيّام وقتُ عملٍ، اتعبي يا نفس ؛ هذا هو وقتُ العمل وغداً سيبدأ الحصاد، ، راحتُك في التعب، يقول الإمام: هذا المسكين المذنب بعد أن التفت وتقشّعت عنه تلك السحائب (أحصى ما ظلم به نفسه) ثمّ (وفكّر فيما خالف به ربّه) الله تبارك وتعالى يقول له: افعل ، وهو لا يفعل، الله تعالى يقول له : انتهِ، هو لا ينتهي، هناك أناس -والعياذ بالله- كأنّه جُبلت أنفسهم على المخالفة، فهذا المسكين بعد لأيٍ أدركته رحمةُ الله تبارك وتعالى، والتفت إلى فعله فوجد هناك مسألتين مهمّتين، الأولى: كان من الظالمين لنفسه، والثانية: كان من المخالفين لربّه، فأحصى وَعَدّ وضبط فوجد المسألة مخيفة ما بين ظلمه لنفسه وما بين

١- المطففين: ١٤.
٢- بحار الانوار: ٧٢/ ٥٣.

مخالفته لربّه ، والإنسان إذا ظلم نفسه خالف ربّه ، وإذا خالف ربّه ظلم نفسه، لكن من حيثيّتين، من حيثية الظلم كانت نفسه مظلومة هو ظلمها، وأمّا من حيث الله تعالى ف، قد خالف ربّه مخالفةً فوصل الى هذه النتيجة، لاحظوا -إخواني- لابُدّ أن يكون التفاعل حاضراً عندنا ، ونحن لو نَعُدُّ الآن سيّئاتنا بميزانٍ دقيق، وأنا أتحدّث عن نفسي -الله تعالى يجيركم جميعاً- فالإنسان ما بعد التكليف عندما يبدأ الجدّ في حياته ويترك اللّعب، ذاك عمرٌ ولّى ، عمر الطفولة وعمر الصّبا وعمر اللامسوؤلية ولّى، يبدأ العمر الجادّ عمر المسؤولية وعمر الحساب، لو كان له في كلّ يوم ذنبٌ واحد ، ففي كلّ سنة له أكثر من ثلاثمائة وستين ذنباً، إذا كان له عشر سنوات خرجَ الصّبا بثلاثة آلاف ذنب، عشرين سنة ستّة آلاف ذنب، وإذا بالرقم يكبر كلّما كبرنا، عندما نعدّ حقيقةً ونتحاسب نجد المسألة في منتهى الرعب، فإذا كان ذنبٌ واحد يرتعد الإنسان له فما بالك بهذا الكم ؟!.

ستأتي بعض فقرات هذا الدعاء رجائي من الإخوة أن يتفاعلوا مع هذا الدعاء في كلّ يوم حتى عندما نمرّ ببعض فقرات الدعاء فنستشعر الحالة الحقيقية لنا ولأنفسنا، بعض العقل الرياضيّ قد نحتاجه للحساب، أعتقد ذكرت سابقاً بعض علماء التشريح مثلاً أو البايلوجي يقولون: إنّ هذه الكروموسومات عند الإنسان مرتّبة بشكلٍ دقيق لو تُفتح قد يصل طولُها من هنا الى مقدار بُعدِها عن الشمس، هذه موجودة في جسم الإنسان ، وهم يصوّرونها من باب التقريب، نحن لا نلتفت لبعض الجزئيات الصغيرة عندما نُحصي -هذا الشاهد- نجد أنّنا نُفاجأ بأرقام قد تكون مرعبة، وحقيقةً -إخواني- نحن لا نعلم، نحن أعطينا العدد بالحدّ الأدنى في كلّ يوم ذنبٌ، ونحن لا نعلم أنّ هذه الذنوب تُغفر أو لا، لا شكّ في رحمة الله ، لكن الإنسانَ قد يُقارف ما قد يصعب معه الرجوع الى الله تعالى، خصوصاً إذا تعوّد؛ لأنّ الإنسان يألف ما تعوّد عليه، إنسانٌ قد يتعوّد على منكر لكنّه غير ملتفت، تسامح فيه ، فعندما يريد أن يلتفت يُبعده الشيطانُ عن التفكير أصلاً، أنت لاحظ الإنسان تمرّ به حالة يشعر أنّه مقصّر لكن يحاول أن يجد ملجأ حتّى لا يراه أحد، لكن الله تعالى لا تخفى عليه خافية، هذه عملية الاستهانة

وعملية التأجيل والتسويف يُفترض أن لا تكون لها محطّة في أنفسنا، نعم.. جُبِلَت أنفسنا على التسويف ،لكن هذا جزءٌ من المرض، لكن هذا الذي التفَتَ الى نفسه و ((أحصى ما ظلم به نفسه، وفكّر في ما خالف به ربّه)) ماذا رأى؟ ((فرأى كبيرَ عصيانه كبيراً)) علم أن هذا الذي فيه هو معصية كبيرة لكنه غافل عنها ، ((رأى كبيرَ عصيانه كبيراً وجليلَ مخالفته جليلاً))عظيم هذا الذنب الذي ارتكبه وجده فعلاً عظيماً، والإنسان عندما يلتفت الى عظم هذا الذنب وضخامته سيستشعر المسؤولية قطعاً ، ماذا فعل؟ من عصى؟ ما الجهة التي حاول أن يهتك سترها؟ في دعاء الإمام السجاد(عليه السلام) -دعاء أبي حمزة الثمالي- ((أنا الذي عصيتُ جبّار السماوات)) حقيقةً من يحمينا؟ الله تبارك وتعالى بيده كلّ شيء، ومطّلع على كلّ شيء، ((أمهلني حتى كأنّه استحياني)) -كما في الدعاء- ومع ذلك ما زلت عاصياً، إخواني ، مسألة التوبة ليست مسألة طارئة على حياتنا ، وليست مسألة شكلية أو كمالية وليست مسألة قابلة للتأجيل؛ لأنّها ليست من مشاريع الدنيا التي تقبل التأجيل، بعض مشاريع الدنيا تقبل التأجيل فقد يؤخّر الإنسان بناء بيته أو يؤخّر زواجه أو يؤخّر عمله ومشاريعه كلها قابلة للتأجيل، لكن التوبة ليست مشروعاً قابلاً للتأجيل، التوبة حالة تربوية يوميّة ، نحن لا نعلم متى يصرخ بنا الصارخ ونكون أجداثاً لا نعلم، هذه المعصية التي يبيّنها الإمام(سلام الله عليه) ليست فيها مبالغة، واقعاً الشيء الذي ارتكبناه شيء جليل وعظيم ؛ ولذلك كثيرٌ من علماء الأخلاق ، ولعلّ الفقهاء أيضاً يقولون: المعصية لا تُقسم الى كبيرة وصغيرة، المعاصي كبائر كلّها ، لأنّ الإنسان عندما يهتك ستر الله وعندما يعصي الله تعالى فإنّه تجاوز الحدّ، فإذا تقشّعت عنّا سحائبُ العمى وانفتحت أمامنا بصائرُ الهدى ،وجدت نفسي كنت ألتذّ بهذا الذنب، والآن ذهبت لذائذ الذنب وبدأت أبصر وأرى ، ويا عظيم ويا لهول ما رأيت!! رأى بعد أن أحصى كبيرَ عصيانه كبيراً، لم يكن يستصغر هذا الذنب، وجده فعلاً كبيراً، يا للهول!! ماذا فعلت؟ وجليلَ مخالفته جليلاً. فهل هناك أمل؟ لا شكّ إخواني، ذكرنا في أكثر من مورد أنّ هناك شيئاً يصرخ بنا دائماً ،تعالوا هلمّوا إليّ ، ألا وهي رحمةُ الله تبارك وتعالى، الإمام(عليه السلام) بعد أن بيّن هذا قال: (فأقبلَ...) التفتْ هذا العبد المذنب، ((فَأَقْبَلَ نَحْوَكَ

-الى الله- مُؤَمِّلًا لَكَ مُسْتَحْيِياً مِنْكَ، وَوَجَّهَ رَغْبَتَهُ إِلَيْكَ ثِقَةً بِكَ...))، الآن تكشّفت تلك الغيبوبة وذهب ذلك الغشاء ، بدأنا نرى الأشياء على واقعها، لابُدّ للعقل هنا أن يتدخّل فيقول: أيّها العبد، أين كنت؟ كنت عبداً لله وخاضعاً للشيطان، الآن التفت، الله تعالى يزرع فينا الأمل ، يقول بعد ذلك: (فأقبَلَ نحوك مؤمّلاً لك) الى مَنْ؟ الى الله تعالى، جئنا الى الله تعالى مؤمّلين، الإنسان الذي يجعل أمله بالله لا يخيب، كلّ إنسان إخواني مهما يكن يجعل أمله بالله تعالى لا يخيب، ويظنّ بالله تعالى ظنّ الخير ويتيقّن بأنّ الله يكفيه، كما كان الإنسان مكبّاً على معصية الله معترفاً بأنّه قد أساء لابُدّ أن يأتي الى الله تعالى ويثق بأنّ الله تبارك وتعالى يرفعه، لا قصور في رحمة الله، رحمة الله تشمل، المشكلة -كما نقول- فينا نحن القابل، نقبل الرحمة أو لا نقبل، نقبل الشفاعة أو لا نقبل، النبيّ ﷺ جاء رحمةً للعالمين، نقبل هذه الرحمة؟ نفد على الله تعالى وقلوبنا محمّلة بهذا العلم والفهم والطاعة والانقياد أو لا؟ إخواني، لابُدّ أن نستشعر هذه الحالة وأن نجعل أنفسنا في كلّ يوم من التائبين، نحن اتّفقنا معكم أن نسجّل، كلّ يوم في كتيّب صغير ما نفعل، ونأتي في أواخر الليل نفتح هذا الدفتر ونرى ما الأعمال؟ ما الحسنات؟ ما السيّئات؟ ونبدأ نعالج، كيف المعالجة؟ نأتي الى الله تعالى، هذا الدعاء الشريف (فأقبَلَ) نُقبل نحو الله تعالى ((فأقبلَ نحوك مؤمّلاً لك مستحيياً منك))، من أجمل العبارات قضيّة الحياء ، عندما يعرّفون النبيّ ﷺ بمقدار ما وصل الينا من صفاته ﷺ يقول :((كان خلقه الحياء)) الإنسان يستحي، دائماً مع الله تبارك وتعالى يملكه الحياء، قد تأخذه زلّة من هنا ومن هناك لكنّه لا يسلخ نفسه من الحياء، لابُدّ أن يبقى دائماً مستحياً من الله تعالى، هذا الدعاء يقول الإنسان بعد أن جاء أقبَلَ مؤمِّلاً مستحيياً، كلّنا يعرف معنى الحياء ، لكنّنا لابُدّ أن نستحي، إنسان يقف أمام الله تبارك وتعالى تارةً يقف شامخاً مغروراً وتارةً يقف مطأطئاً؛ لأنّه بالأمس قد عصى ، قبل دقيقة قد عصى، قبل نصف ساعة قد هتك بعض الناس، وهو يقف بين يدي الله تعالى مستحيا.

سنأتي -إن شاء الله تعالى- على بقيّة الفقرات. نسأل الله سبحانه وتعالى أن

يجعلنا من المستحين خصوصاً في الخلاء، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا وإيّاكم جميعاً بطلب التوبة والحصول عليها، ليس كلّ مَنْ طلب التوبة حصل عليها، نسأل الله تعالى أن نطلب التوبة ونحصل عليها، الله سبحانه وتعالى يعفو ويغفر ويتجاوز عن سيّئاتنا، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمد وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

٢٢ جمادى الآخرة ١٤٣٧ هـ
الموافق ١ نيسان ٢٠١٦ م

نصّ الخطبة الثانية

إخوتي أخواتي، أعرض على مسامعكم الكريمة مقطعاً من كتاب أمير المؤمنين عليه السلام الى مالك الاشتر[1](رضوان الله تعالى عليه) حين ولّاه مصر مع شرحه بشكل موجز.

قال عليه السلام : ((وأَشْعِرْ قَلْبَك الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّة، والْمَحَبَّةَ لَهُمْ، واللُّطْفَ بِهِمْ، ولا تَكُونَنَّ علَيْهِم سَبُعاً ضَارياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَان: إِمَّا أَخٌ لَك فِي الدِّين، أَو نَظِيرٌ لَك فِي الْخَلْق، يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ، وتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ، ويُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ والْخَطَإِ، فَأَعْطِهِمْ مِن عَفْوِك وصَفْحِك، مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ وتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَك الله مِن عَفْوِهِ وصَفْحِهِ، فَإِنَّك فَوْقَهُمْ ووَالِي الامْرِ عَلَيْك فَوْقَك، والله فَوْقَ مَن وَلَّاك))[2].

وأضاف « ان هذا النص الشريف من النصوص المهمة لكل رجل سياسة، وهذا العهد ايضاً من العهود المهمة ،وقد تعرض هذا العهد لشرح كثير وبلغات شتّى، وقد شرحه عالم الدين والحقوقي والسياسي ،وقورن هذا العهد بوصايا الساسة

١- قال ابن أبي الحديد في شرح هذا الكلام هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن سلمة بن ربيعة بن حذيمة بن سعد بن مالك بن النخع بن عمرو بن غلة بن خالد بن مالك بن داود وكان فارسا شجاعا رئيسا من أكابر الشيعة وعظمائها شديد التحقق بولاء أمير المؤمنين عليه السلام ونصره، شرح نهج البلاغة: ١٥/ ٩٨.
٢- شرح نهج البلاغة :١٧/ ٣٢.

الاخرى فشمخ هذا العهد كثيراً وتربّع على مجموعة مفاهيم لمن اراد ان يسوسُ العباد ويجد فيه صلاحه وصلاحهم.

مالك وما أدراك ما مالك؟! نُسب لعلي عليه السلام أنه قال: ((رحم الله مالكاً، فلقد كان لي كما كنت لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم))[1]، ومالك مدرسة برأسها تربى عند امير المؤمنين عليه السلام ، وأرسله الى مصر وهي بلدة كبيرة واسعة لكن شاءت الاقدار ان لا يتمكن مالك من حكم مصر فقد دُس اليه السم وتوفي وهو لم يحكم مصر. لكن هذا العهد الذي كتبه امير المؤمنين عليه السلام لمالك واقعاً من نفائس الوصايا والكتب التي ان اراد السياسي النبه الناجح ان يكون ناجحاً عليه ان يعتمد عليه «

قال عليه السلام : ((وأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، والْمَحَبَّةَ لَهُمْ، واللُّطْفَ بِهِمِ))، ثلاث حالات اشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم، انت راع وهؤلاء رعية.. لاحظوا تعبير الامام عليه السلام وهو يوصي زعيما، يوصي والياً كيف يحكم ؟! لم يقل له ارحمهم قال :(اشعر قلبك الرحمة لهم) هناك فرق بين ان ترحم ،وان تُشعر قلبك الرحمة، الامام عليه السلام يقول: لابد ان تشعر قلبك الرحمة فهذا هو سر نجاحك يا مالك ،لابد ان تُشعر قلبك بالرحمة.

ايضاً لابد ان تحبهم ؛لأنك إن أحببتهم كما تحب نفسك وكما تحب لنفسك ما يمكن ان تحقق به صلاحها ،كذلك اذا احببتهم ستفتش عن صلاحهم ؛فلابد ان تُشعر قلبك بالرحمة فتكون أباً حانياً عليهم مشفقاً ،وأن تحبهم كلهم من هم في أقصى البلاد او اقرب شخص لك ما دام يتعنون بعنوان الرعية ، سيأتي اليك أحدهم، ويقول :يا مالك، انا من الرعية ، اين وصية امير المؤمنين بي ،لماذا لا تشعر قلبك بي؟ لماذا لا تحبني؟. ثم قال:(والطف بهم) حاول ان تتلطف بهم ،وتأتي اليهم بكل ما يحسن اليهم وييسر أمورهم.

١- شرح نهج البلاغة: ١٥/ ٩٨.

((ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم اكلهم)) انت في السلطة عندك مخالب، فعندك شرطة وامن وغير ذلك.. لا تكن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم اكلهم، أي: قوتهم.. فانت تتمكن منهم عندك شرطة وأناس تتزلف اليك.. لكن اياك ان تكون سبعاً ضاريا تنهش من قوتهم ومن لحمهم؛ فإن هذا سيسقطك، فأنت والٍ ولست سبعاً.

(فإنهم صنفان) هؤلاء الرعية ليس بالضرورة يؤمنون بعقيدتك، وليس المطلوب ان يؤمنوا بعقيدتك. انت تذهب والياً لأمير المؤمنين (عليه السلام).. فلابد أن تُشعرهم هذه الرحمة والمحبة واللطف، فانهم صنفان: اما اخ لك في الدين فهو يستحق منك هذا الاحترام، او نظير لك في الخلق ويستحق منك ذلك أيضاً، فانت وهو تشتركان في الانسانية وان ربكم واحد، وانه هو وانت من بني ادم وانه تحت رعايتك فلابد ان تلتفت يا ايها السياسي او يا مالك السابق او أي مالك يكون تحته رعيّة.

((يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل، ويؤتى على ايديهم في العمد والخطأ))

الانسان كالبيت هناك ابن صغير، وآخر كبير وثالث مريض، هذا يخطأ وذاك يصيب، يا مالك الرعية قد يكثر منهم الزلل والتصرفات غير المسؤولة لكنه يجب ان تكون لهم الاب الراعي، وان تكون لهم نعم الوالي،(وتعرض لهم العلل ويؤتى على ايديهم في العمد او الخطأ)، ساعة يفعل كذا، وساعة يخطأ بعمد،فلا تكن عليهم سبعا ضاريا.

فاعطهم من عفوك وصفحك؛ لأنك تملك فالإنسان لا يعطي ما لا يملك، اما الشيء الذي ملكه فيعطيه .انتبهوا الى نكتة قد تكون غائبة عن من بيده المسؤولية يختبرنا الله تبارك وتعالى،واختبارات الله تبارك وتعالى هو يقدرّها في كل ظروفنا الحياتية، نحن نبحث عن انفسنا، نريد من الله كذا وكذا.. فلو انا اذنبت ذنوباً كثيرة، قطعاً اريد من الله تعالى ان يصفح والله بيده العفو والصفح، فانا سأقف غداً امام الله تعالى واطلب الصفح. الآن تحت يدي بعض من نفترض قد اساء لي، الامام (عليه السلام) يقول :لا تعوّد

نفسك ان تكون سبعاً، اصفح عنه. والصفح تربية وليس عجزا ، والعفو تربية فنحن دائما نطلب من الله تعالى العفو والصفح.. فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى ان يعطيك الله من عفوه وصفحه ؛، فأنت يا مالك والٍ؛ اشعر قلبك الرحمة ، اعد هذه الجملة : اشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم حتى وان لم تحبهم ، اشعر قلبك المحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا فتغتنم اكلهم. (فإنك فوقهم ووالي الامر عليك فوقك والله فوق من ولاّك) اذا كان الإنسان في علوٍ يرى الذي تحته ، ولكن لا يرى من هو في الأسفل ما يراه الذي فوقه، لماذا ؟! لأنه متسلط ويرى الاشياء. الله تبارك وتعالى هيأ لك ان تكون فوقهم ،فإنك فوقهم وهم ينظرون اليك ، ووالي الامر عليك فوقك – من الذي ولاّك الأمر فوقك- والله فوق من ولاّك.

لاحظوا هذه المسؤولية الجميلة عندما يستشعرها مالك.. يستشعر الرحمة والمحبة واللطف ويبتعد عن المخالب فلا يكون سبعاً ضارياً.. يبين الامام عليه السلام أن الرعية تحتك ، وانت فوقهم فيأملون وانت ايضاً تحت من ولاّك فمن ولاّك فوقك، والله تعالى فوق من ولاّك.

هذه التشكيلة المختصرة تحدد المسؤول ،فتجعل هذا الوالي الذي أرسله امير المؤمنين عليه السلام يلتفت كيف يسوسُ العباد .

نسال الله سبحانه وتعالى أن يمن علينا وعليكم بصالح الأعمال، وان يغفر للمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات ، اللهم تابع بيننا وبينهم بالخيرات؛ اللهم انك ولي التوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الجمعة ٢٩ جمادى الآخرة ١٤٣٧ هـ الموافق ٨ نيسان ٢٠١٦ م

بإمامة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي .

نصّ الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي كرّمنا وفضّلنا على كثيرٍ ممّن خلق تفضيلاً، ورزقنا من الطيّبات وسخّر لنا ما في الأرض جميعاً، وأحلّنا ما بينَ موجوداته مقاماً رفيعاً، ثم زادنا تكريماً وفضلاً فأنزل لنا ديناً ختم به الأديان، وأرسل لنا سيد الرسل والأنبياء(صلّى الله عليه وآله) لنبلغ الغاية القصوى بالتقوى والعمل الصالح، وتجتمع لنا سعادة الدنيا والأخرى. وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً(صلّى الله عليه وآله) عبده ورسوله وداعيته الى أقوم سبله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله مصابيح الظلام وقادة الإسلام.

أوصيكم عبادَ الله تعالى ، وقبل ذلك أوصي نفسي بتقوى الله تعالى والتحلّي بمكارم الأخلاق والصفات الحسنة، التي أمر بها نبيّكم(صلّى الله عليه وآله الأطهار) فروّضوا عليها طباعكم، وقوّموا بها أنفسكم ،ومرّنوا عليها إرادتكم حتّى تصير ملكاتٍ ثابتةً لكم تتّبعونها في سيرتكم، وتجرون عليها في حياتكم في سرّكم وعلانيتكم، تنالون بذلك ثقل الميزان يوم تخفّ فيه الموازين.

أيّها الإخوة والأخوات سلامٌ عليكم جميعاً من ربّ رحيم غفور ورحمةٌ منه

وبركات.

ما زلنا في دعاء الإمام السجّادعليه السلام لجيرانه وأوليائه إذا ذكرهم، ووصلنا الى المقطع الثاني من هذا الدعاء الذي تضمّن مجموعةً من قواعد المعاشرة الاجتماعية التي ينبغي للفرد المؤمن أن يتعامل بها مع جيرانه وإخوانه المؤمنين، وإذا عمل بها الفرد والمجتمع ضمن لهم تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة، وتحقيق الأمن النفسي والاجتماعي والأخلاقي للفرد والمجتمع أيضاً، فقالعليه السلام في المقطع الثاني: ((وَاجْعَلْنِي اللهُمَّ أَجْزِي بِالْإِحْسَانِ مُسِيئَهُمْ، وَأُعْرِضُ بِالتَّجَاوُزِ عَنْ ظَالِمِهِمْ، وَأَسْتَعْمِلُ حُسْنَ الظَّنِّ فِي كَافَّتِهِمْ، وَأَتَوَلَّى بِالْبِرِّ عَامَّتَهُمْ، وَأَغُضُّ بَصَرِي عَنْهُمْ عِفَّةً، وَأُلِينُ جَانِبِي لَهُمْ تَوَاضُعاً...))[1] نحاول في هذه الخطبة أن نتعرّض لقاعدتين من قواعد المعاشرة الاجتماعية، الأولى: قولهعليه السلام : (وأتولّى بالبرّ عامّتهم وأغضّ بصري عنهم عفّة)، يقول عليه السلام في دعائه: ((أتولّى بالبرّ عامّتهم))، البِرّ- بالكسر- لغةً بمعنى الإحسان، المعنى المراد هنا من البرّ هو العطف والشفقة والصلة والخير والاتّساع في الإحسان، ومعناه أنّ الإمام يدعو ، ونحن أيضاً ندعو ،وكلّ واحدٍ منا يدعو لنفسه أن يوفّقه الله تعالى لهذه التعامل الأخلاقي، يقول: واجعلني اللهمّ أتولّى بالبرّ عامّتهم، عامّتهم يعني جملة المؤمنين ولا يقصد به أحداً دون أحد ،وإنّما مجموع هؤلاء المؤمنين، أي: وفّقني يا إلهي أن أتولّى أمور عامّة المؤمنين ، عامّة الجيران بالعطف والشفقة والصلة والخير والاتّساع في الإحسان اليهم. نذكر إخواني هنا أنّه حينما نُلاحظ الآيات القرآنية والأحاديث التي وردت في البرّ والاتّساع في الإحسان نجدها كثيرة، ولا ريب في استحبابها وأن يعمل الإنسان المؤمن بها، وهنا نذكر بعض المصاديق حتّى نعرف حينما ندعو بهذا الدعاء ما هو المطلوب منّا؟ البرّ كما بيّنّا في معناه من جملة مصاديقه اصطناع المعروف للمؤمنين وللجيران ، وذلك من خلال قضاء حوائجهم وإدخال السرور على قلوبهم، والإقراض للمؤمنين، والتزويج للشباب، وإصلاح ذات البين، وغير ذلك كبناء المشاريع الخيرية، عموم الإحسان الى المؤمنين يدخل في هذا المعنى الذي دعا به الإمامعليه السلام أن يوفّقه الله

١-الصحيفة السجادية: ١٢٤.

تعالى للقيام به، فمهما أمكنكم - أيّها الإخوة المؤمنون، أيّتها الأخوات المؤمنات- من أن تتّسعوا في فعل الإحسان والعطف والخير والصلة والبرّ للآخرين افعلوا ذلك، مهما أمكنكم أن تفعلوا من هذا البرّ فإنّ لكم من العطاء والجزاء الدنيوي والأخروي ، وأنا أذكر هنا بعض الأحاديث من باب التشجيع والتحفيز للاتّصاف بهذه الصفة، وهو أن يكون إحسانكم عامّاً شاملاً لا يقتصر على أحدٍ دون أحد وإنّما يكون لعامّة المؤمنين، من جملة هذه الأحاديث عن الإمام الصادق(عليه السلام) : ((الْبِرُّ وَحُسْنُ الْخُلُقِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ))[1]، هذا من جملة الآثار الدنيوية، في حديثٍ آخر أنّ ((إِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ وَالْبِرَّ لَيُهَوِّنَانِ الْحِسَابَ، وَيَعْصِمَانِ مِنَ الذُّنُوبِ))[2]، هذا من الآثار الأخروية، فصِلُوا أرحامكم وبرّوا بإخوانكم ولو بحسن السلام وردّ الجواب، فأحياناً الإنسان المؤمن ليست لديه القدرة والاستطاعة أن يفعل هذا الإحسان المتعارف، يقول: ولو الحدّ الأدنى من البرّ أنّك تُحسن السلام بالنسبة لإخوانك المؤمنين وتُحسن ردّ الجواب، حينما يسلّم عليك المؤمن تردّ عليه بالجواب الشرعيّ المتعارف، هذا الحدّ الأدنى إذا لم تتمكّن من بقية تلك الأمور.

هناك - أيّها الإخوة والأخوات- أنواع من البرّ والإحسان ورد تأكيدها وحثّ المؤمنين على الإتيان بها، ومن جملتها البرّ بالوالدين -أيّها الشباب أيّتها الشابّات - انتبهوا، الله الله في الوالدين، الله الله في الوالد، الله الله في الوالدة، هذه من الأمور التي أكّدتها الآيات القرآنية، ليس الشباب فقط حتى أنتم الكبار احرصوا على أن تُحسنوا وتُكثروا وتتّسعوا من الإحسان والبرّ بآبائكم وأمّهاتكم، فقد ورد الحثّ الشديد حتى أنّه لو كان الأبوان كافرين، حتى في مثل هذه الحالات ورد الحثّ على أن الإنسان لا يعقّهما، ومن البرّ أيضاً البرّ بالعلماء وأهل الفضل وأهل الدين والتقوى، إذا رأيتم مثل هؤلاء الأشخاص وسّعوا من الإحسان اليهم ليس بالأمور المادّية حتى بالأمور المعنوية أيضاً، ومن جملتها البرّ بالاحترام والبرّ بذرّية النبيّ(صلّى الله عليه وآله)، أيّها الإخوة

1-الكافي: ٢ / ١٠٠.
2-م. ن :٢/ ١٥٧.

والأخوات أودّ أن أذكر لكم حديثاً لعلّ بعضهم يتعجّب من مضمون هذا الحديث، ولكن التفتوا اليه لتروا عظيم الأجر والثواب لمن يُحسن ويبرّ بذريّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيقول الإمام الصادق عليه السلام : ((إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ أَيُّهَا الْخَلَائِقُ أَنْصِتُوا فَإِنَّ مُحَمَّداً يُكَلِّمُكُمْ فَتُنْصِتُ الْخَلَائِقُ فَيَقُومُ النَّبِيُّ(صلى الله عليه واله وسلم) فَيَقُولُ يَا مَعْشَرَ الْخَلَائِقِ مَنْ كَانَتْ لَهُ عِنْدِي يَدٌ أَوْ مِنَّةٌ أَوْ مَعْرُوفٌ فَلْيَقُمْ حَتَّى أُكَافِيَه))[1] قد تتعجّبون ، نحن عامّة الناس الذين جاء النبيّ(صلّى الله عليه وآله) وهدانا وجاهد في سبيل أن يهدينا ويُنقذنا من النار ويُخرجنا من الظلمات الى النور وأوذي ما أوذي في سبيلنا وفي سبيل هدايتنا، نحن لنا عليه نعمة؟ نحن لنا عليه يد؟ نحن لنا عليه معروف؟ كيف ذلك وهو صاحب المعروف و صاحب الفضل والإحسان العظيم علينا، نحن ليس لنا فضلٌ عليه ، لاحظوا كيف يبتدئ النبيّ(صلّى الله عليه وآله): ((يَا مَعْشَرَ الْخَلَائِق مَنْ كَانَتْ لَهُ عِنْدِي يَدٌ أَوْ مِنَّةٌ))، نحن أصحاب المنّة على رسول الله؟ ((أَوْ مَعْرُوفٌ فَلْيَقُمْ حَتَّى أُكَافِيَه فَيَقُولُونَ بِآبَائِنَا وَ أُمَّهَاتِنَا وَ أَيُّ يَدٍ وَأَيُّ مِنَّةٍ وَأَيُّ مَعْرُوفٍ لَنَا بَلِ الْيَدُ وَالْمِنَّةُ وَالْمَعْرُوفُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ))[2] الله تعالى ورسولُهُ صاحب اليد والمنّة والمعروف علينا ، النبيّ(صلّى الله عليه وآله) هو صاحب النعمة والإحسان والفضل علينا، لكن هل تحبّون أن تكون لكم يدٌ ومنّة ومعروف على رسول الله حتى يكافئكم بذلك يوم القيامة؟ والمكافأة هناك الجنّة فَيَقُولُ لَهُمْ: ((بَلَى مَنْ آوَى أَحَداً مِنْ أَهْلِ بَيْتِي أَوْ بَرَّهُمْ أَوْ كَسَاهُمْ مِنْ عُرْيٍ أَوْ أَشْبَعَ جَائِعَهُمْ فَلْيَقُمْ حَتَّى أُكَافِيَه))[3] وفي بعض الروايات أنّه يكافئه بالجنّة، يعني أيّها الإخوة والأخوات إذا رأيتم أحداً من ذرّية رسول الله رجلاً أو امرأة ليس له مأوى يأويه ابذلوا وسعكم في سبيل بناء بيتٍ له ولعائلته ليأويه، إذا رأيتم أحداً من ذرّية رسول الله يسكن بيتاً للإيجار أعينوه في تحمّل تبعة الإيجار ، أعينوه في بناء داره أو في تعمير بيته، إذا رأيتم أحداً من ذرّية رسول الله خصوصاً من الأيتام منهم مَنْ

١-من لا يحضره الفقيه، ابن بابويه، محمد بن علي(ت٣٨١)هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم، الثانية:٢/ ٦٥.
٢- م. ن : ٢/ ٦٥.
٣-م. ن : ٢/ ٦٥.

ليست له ملابس وليست له تلك الأمور التي يحتاجها في إكساء نفسه أكسوهم، إذا رأيتم أحداً من ذرّية رسول الله جائعاً ليس له طعام يشبع جوعته أسرعوا وبادروا الى أن تشبعوا جوعته ولو بيسير من الطعام، حينئذٍ يُسجَّل لكم ، ويوم القيامة سيُكافئكم رسول الله(صلّى الله عليه وآله) على ما أبديتم من برٍّ ومعروفٍ الى ذرّيته، يُكافئكم به جدّهم(صلّى الله عليه وآله) يوم القيامة.

وبهذه المناسبة أيّها الإخوة والأخوات في الوقت الحاضر مَنْ أعظمنا برّاً؟ فليفكّر كلّ واحدٍ منكم ويحاول أن يستحضر الجواب، سأذكر لكم هذا الحديث لتكتشفوا من خلاله مَنْ هو الشخص الذي هو أعظم إحساناً وبرّاً منّا جميعاً؟ إنّه المقاتل الذي يُقاتل الآن في جبهات القتال ضدّ عصابات داعش من القوّات الأمنيّة والمتطوّعين، هذا أعظم أفراد المجتمع برّاً وإحساناً ، هؤلاء أعظم برّاً منّا، هذا مضمون الحديث الذي ورد عن النبيّ(صلّى الله عليه وآله): ((فَوْقَ كُلِّ ذِي بِرٍّ بَرٌّ حَتَّى يُقْتَلَ الرَّجُلُ فِي سَبِيلِ الله))[١] هؤلاء الشهداء هم أعظمنا إحساناً ومعروفاً ومنّةً من بقية أفراد المجتمع ((حَتَّى يُقْتَلَ الرَّجُلُ فِي سَبِيلِ الله فَإِذَا قُتِلَ فِي سَبِيلِ الله فَلَيْسَ فَوْقَهُ بِرٌّ))[٢]، هؤلاء أعظم أفراد المجتمع إحساناً ؛ لأنهم حموا ديننا ومعتقداتنا ومقدّساتنا وحموا أعراضنا وحاضرنا ومستقبلنا، فهم أعظم الناس إحساناً، ماذا يجب علينا؟ أن نكافئهم ولو بشيءٍ بسيط على هذا الإحسان، علينا أن نرعاهم ونرعى عوائلهم وأيتامهم ونقضي حوائجهم، هؤلاء علينا أن نقدّمهم على غيرهم في الإحسان والبرّ، إذا كان لدينا الآن في هذا الوقت إحسانٌ علينا أن نقدّم هؤلاء على الآخرين في إحساننا اليهم؛ لأنّهم كما ورد في الحديث هم بلغوا القمّة في الإحسان الى المجتمع.

ثم يقول (عليه السلام) : ((وَأَغُضُّ بَصَرِي عَنْهُمْ عِفَّةً))[٣]، غضّ البصر، غضَّ الرجل بصره أو من بصره: خفضه، يُنزل النظر، هذا المعنى اللّغوي، والعفّة هو الكفّ عمّا لا

١-الكافي: ٢/ ٣٤٨.
٢- م. ن: ٢/ ٣٤٨.
٣- الصحيفة السجادية: ١٢٤.

يحلّ، معنى العبارة ((وَأَغُضُّ بَصَرِي عَنْهُمْ عِفَّة))، يعني أغضّ بصري عن جيراني وعن إخواني المؤمنين وعن أخواتي المؤمنات، هذا المقطع نلتفت اليه وفيه ثلاثة معان:

المعنى الأوّل: نأخذ المعنى بصورةٍ عامّة ، أغضّ بصري عمّا لا يحلّ اليه النظر من عورات جيراني وبقيّة إخواني المؤمنين، وهذا المعنى الاول الظاهر مهمّ ومورد ابتلاء وسببٌ للكثير من الجرائم الأخلاقية التي تحصل في الوقت الحاضر التي تؤدّي في بعض الأحيان الى جرائم قتل أو –والعياذ بالله– الى الزنا بالمحارم وغير ذلك من هذه الجرائم الأخلاقية، وأشارت إليه الآية القرآنية ((قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ))[1]، وهذا المعنى ليس المقصود به الرجال فقط بل يشمل النساء ايضاً ((وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ))[2]، هذا المعنى الظاهر، وأتعرّض اليه في مقطعين من البحث:

الأوّل: ما الآثار السيّئة للنظر المحرّم؟ الآن هذا مورد ابتلاء ومورد فتنة ومورد الكثير من الوقوع في الجرائم الأخلاقية وغيرها، نلتفت الى ذلك من خلال ذكر بعض الأحاديث الشريفة، أيّها الإخوة والأخوات الله تعالى أنعم علينا بعد نعمة الإسلام بنعمة العقل العظيمة ، وبعدها أنعم علينا بنعمةٍ عظيمة أخرى ألا وهي نعمة البصر، الله تعالى أعطانا البصر لكي ننظر آيات الله وآثار صنعه وخلقه حتّى يزداد إيماننا بالله تعالى، نقرأ العلوم والمعارف حتى نستفيد منها ، نطّلع على تجارب الآخرين والأمور الكثيرة في الحياة حتى نتعلّم منها وهكذا هذه الأمور النافعة، ولكن قد يستعمل بصره في أمورٍ محرّمة، الإسلام هنا وضع مجموعةً من القيود في سبيل أن يحمي المجتمع من الانحراف ،ووضع وسائل وآليات لذلك، منها تحصين المجتمع ووقايته من المقدّمات ، فالنظر مقدّمة، النظر الى المحرّم مقدّمة للوقوع في الحرام، واعتبره إبليس سهماً من السهام المهمّة لديه لكي يُصيب بها المؤمن، لذلك أذكر هنا بعض الأحاديث في آثار النظر المحرّم.

١-النور: ٣٠.
٢-النور:٣١.

أيّها الإخوة والأخوات أيّها الرجال أيّها الشباب انتبهوا هذه أعراضكم ، إذا رأيت امرأةً فهي إمّا زوجة جارٍ لي ، أو ابنة جارٍ لي ،أو أمّ جارٍ لي، أو أخت جارٍ لي ، أو أنّها زوجة أحد إخواني المؤمنين، أو أمّ لأحد إخواني المؤمنين، أو بنتٌ لأحد إخواني المؤمنين، كيف أسوّغ لنفسي النظر الى أعراض الآخرين؟ نذكر هنا بعض الآثار الضارّة للنظر حتى نحصّن أنفسنا ونصل الى هذه العفّة المطلوبة، ورد عن النبيّ(صلّى الله عليه وآله): ((النَّظِرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيس))[١] إبليس ألدّ الأعداء لبني آدم، يستخدم هذه الوسيلة لكي يوقع الإنسان المؤمن في أمور محرّمة ويُصيبه بهذا السهم الذي عبّر عنه النبيّ صلى الله عليه وآله بأنّه سهمٌ مسموم ((فَمَنْ تَرَكَهَا خَوْفاً مِنَ اللهِ أَعْطَاهُ إِيمَاناً يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِه))[٢]، وفي حديثٍ آخر ((وَقَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام لِلْحَوَارِيِّينَ إِيَّاكُمْ وَالنَّظَرَ إِلَى الْمَحْذُورَاتِ فَإِنَّهَا بَذْرُ الشَّهَوَاتِ وَنَبَاتُ الْفِسْق))[٣]، في حديثٍ آخر -التفتوا أيّها الشباب - ما عاقبة مثل هذه الأمور؟ كثير من الأمور التي لذّاتها تذهب ،تبعاتها تبقى ، ومن جملتها هذا النظر المحرّم، فقال صلى الله عليه وآله: ((مَنْ مَلَأَ عَيْنَيْهِ حَرَاماً يَحْشُوهُمَا اللهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَسَامِيرَ مِنَ النَّارِ ثُمَّ حَشَاهُمَا نَاراً إِلَى أَنْ تَقُومَ النَّاسُ ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النَّار))[٤]، ثم في حديثٍ آخر عن الإمام الصادق عليه السلام : ((وَكَمْ مِنْ نَظْرَةٍ أَوْرَثَتْ حَسْرَةً طَوِيلَة))[٥]، وفي حديث آخر أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام : ((إِذَا أَبْصَرَتِ الْعَيْنُ الشَّهْوَةَ عَمِيَ الْقَلْبُ عَنِ الْعَاقِبَة)) [٦]، كثيراً ما ينظر إنسانٌ بشهوة ،وهذه الشهوة يتبعها وقوعٌ في المحرّم ويعمى القلب عن النظر الى نتائج هذه النظرة المحرّمة وعواقبها ، ثمّ في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام : أنّ عيسى بن مريم قال لأصحابه: ((إِيَّاكُمْ وَالنَّظْرَةَ فَإِنَّهَا تَزْرَعُ فِي الْقَلْبِ الشَّهْوَةَ وَكَفَى بِهَا لِصَاحِبِهَا فِتْنَةً طُوبَى لِمَنْ جَعَلَ بَصَرَهُ فِي قَلْبِهِ وَلَمْ يَجْعَلْ بَصَرَهُ فِي عَيْنِه))[٧] .

١- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل:١٤/ ٢٦٨.
٢- م. ن: ١٤/ ٢٦٨.
٣- مصباح الشريعة: ١٠، بحار الأنوار :١٠١/ ٤٢.
٤- جامع الأخبار، للشعيري: ٩٣.
٥- الكافي: ٥/ ٥٥٩.
٦- غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٨٥.
٧- تحف العقول: ٣٠٥.

ما ثمار ومعطيات أنّ الإنسان يغضّ بصره؟ راحة القلب ((مَنْ غَضَّ طَرْفَهُ أَرَاحَ قَلْبَه))[١]، ثمّ في حديثٍ آخر عن الآثار التي في الآخرة ((مَنْ نَظَرَ إِلَى امْرَأَةٍ فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ أَوْ غَمَّضَ بَصَرَهُ لَمْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ بَصَرُهُ حَتَّى يُزَوِّجَهُ اللهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ))[٢]، ثم في حديثٍ آخر ((النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيس فَمَنْ تَرَكَهَا خَوْفاً مِنَ اللهِ أَعْطَاهُ إِيمَاناً يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِه)).

أيّها الإخوة والأخوات في هذه المناسبة أودّ أن أنبّه الى مسألة مهمّة، الآن في الوقت الحاضر وسائل الاتّصال الموجودة لدى كلّ واحدٍ منّا حتى الصغار، من الفضائيات والمواقع الإلكترونية والفيس بوك واليوتيوب وغيرها التي امتلأت بالمشاهد غير الأخلاقية ينبغي الانتباه هنا، على كلّ أبٍ ، على كلّ أمّ أن ينظر الى ما لدى أولاده من هذه الوسائل، والى أيّ شيءٍ ينظر، فإنّ مثل هذه الآثار التي ذكرناها أيضاً تنعكس على هؤلاء الشباب وتوقعهم في الكثير من الأعمال المحرّمة.

المعنى الثاني الذي نلتفت اليه هو المعنى الكنائي الذي يبيّنه الإمام(عليه السلام) ((أغضّ بصري عنهم عفّة)) ، أغضّ بصري عن زلّاتهم وعثراتهم ،ولا أعيّرهم بها يوماً ما، بمعنى أنّ الإنسان المؤمن قد تصدر منه عثرة أو زلّة أو كلام يُعاب عليه فلا أحفظه وأعيره به يوماً ما، هذا الحديث الذي ورد عن الإمام الصادق(عليه السلام) يقول أحد أصحابه: شيءٌ يقوله الناس: «عورة المؤمن على المؤمن حرام» ما المقصود؟ هل هذه العورة الظاهرية التي علينا أن نغضّ البصر عنها؟ الإمام(سلام الله عليه) يقول: ((لا.. ليس حيث تذهبون إنّما عنى عورة المؤمن أن يزلّ زلّةً أو يتكلّم بشيءٍ يُعاب عليه فيحفظه عليه ليعيّره به يوماً ما))، نلتفت أيّها الإخوة إذا كان جاري أوأخي المؤمن أو أختي المؤمنة حصل منهم زلّة أو عثرة أو خطأ أو عمل ارتكبوه أو كلامٌ يُعابون عليه، ليس من الصحيح أن أعيره بهذه الزلّة والعثرة والكلام الذي يُعاب عليه في يوم من الأيّام حينما أختلف ، هذا يُعدّ من العورة المحرّمة، فقال الإمام(عليه السلام) ((إنّما عنى عورة المؤمن أن يزلّ

١- غرر الحكم ودرر الكلم: ٦٦٣.
٢- مكارم الأخلاق: ٢٣٦.

زلّة أو يتكلّم بشيء يُعاب عليه فيحفظه عليه ليعيّره به يوماً ما)).

والمعنى الثالث هنا كناية عن تحمّل المكروه والأذى من المؤمنين، فلا أردّ عليه بمثله (أغضّ بصري عنهم عفّةً) كما الآن في العرف نستعمله ، كأن يخطئ إنسانٌ بحقّي فيقول لي الآخر: غضّ النظر عنه أي عن زلّته، لا أن أقابل إساءته بالإساءة نفسها ، وهذا أيضاً يدخل في ضمن هذا المعنى (أغضّ بصري عنهم عفّةً) أي أتحمّل هذه الأشياء المكروهة منهم ،ولا أقابلهم بالمثل، هذا أيضاً من قواعد المعاشرة الاجتماعية التي بيّنها الإمام(سلام الله عليه) بقوله: (وأغضّ بصري عنهم عفّةً) إذن لدينا قاعدتان (أتولّى بالبرّ عامّتهم وأغضّ بصري عنهم عفّةً).

أمّا (أليّن جانبي لهم تواضعاً) سنتناولها إن شاء الله في الخطبة القادمة ،نسأل الله تعالى أن يوفّقنا للأخذ بمحاسن هذه القواعد في المعاشرة بيننا ، وأن يتقبّل منّا بالقبول الحسن، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله على محمد وآله الطيّبين الطاهرين.

الجمعة ٢٩ جمادى الآخرة ١٤٣٧ هـ
الموافق ٨ نيسان ٢٠١٦ م

نصّ الخطبة الثانية

أيّها الإخوة والأخوات، في هذه الخطبة نقرأ مقطعاً من عهد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لمالك الأشتر لمّا ولّاه مصر مع الشرح له بإيجاز، وفيه يحذّره (عليه السلام) من مجموعةٍ من الرذائل النفسانية ومخاطرها على الحاكم والرعيّة ، وهي تصلح نصائح وإرشادات مهمّة لمَنْ يُنَصَّب في موقع القيادة والإدارة لأمور البلاد. فيقول (عليه السلام) :

((وَإِيَّاكَ وَالْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا وَحُبَّ الْإِطْرَاءِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ)) ثم يقول (عليه السلام) : ((وَإِيَّاكَ وَالْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ أَوِ التَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ، فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الْإِحْسَانَ وَالتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ وَالْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ})).

ثمّ يقول (عليه السلام) : ((وَإِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا أَوِ التَّسَقُّطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا أَوِ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ أَوِ الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحَتْ، فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ وَأَوْقِعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْقِعَهُ))[1].

١-شرح نهج البلاغة :١٧/ ١١٣.

نأتي أيّها الإخوة والأخوات، الى شرح هذه المقاطع من هذا العهد الذي كتبه أمير المؤمنين عليه السلام لواليه مالك الأشتر حينما ولّاه على مصر، وهو يصلح - كما سبق أن ذكرنا - نصائح وإرشادات مهمّة لِمَنْ يُنَصَّب في مواقع القيادة وإدارة أمور البلاد، وعلينا أن ننتفع أيضاً من هذه النصائح التي بيّنها أمير المؤمنين عليه السلام في تحذيره من هذه الرذائل النفسانية، وإن كانت هي بحقّ القادة والساسة والحكّام الذين بيدهم أمور البلاد أكثر أهمية وأكثر حاجة؛ لأنّ مخاطرها فيما لو بقيت أفدح خطراً وأعظم تأثيراً، وتطهير النفس من هذه الرذائل أكثر فائدة وأهمية لهؤلاء الحكّام والقادة، ولكن نحن أيضاً عامّة الناس لابُدّ أن ننتفع منها كما ينبغي، فيقول الإمام عليه السلام: ((وإيّاك والإعجاب بنفسك)) يحذّر هنا الإمام عليه السلام الولاة من هذه الرذيلة النفسانية ،وهي الإعجاب بالنفس والثقة المفرطة والزائدة بصفات النفس، والإعجاب بالنفس: هو أن يُعظم الإنسان نفسه وصفاته وآراءه وأفكاره وأعماله لما يرى فيها من صفات كمالٍ سواءً كانت موجودة فيه أم لا، فيرى نفسه أشرف وأفضل من غيره، سواء كان في هذه الصفات او الآراء او الاقوال او الافعال او غير ذلك من الامور. هنا نبيّن -أيّها الإخوة والأخوات- الآثار الضارّة لهذه الرذيلة النفسانية، المعجب بنفسه في الواقع يستعظم صفات نفسه وآراءه وأفكاره واعماله ،ويحتقر الآخرين في آرائهم وأعمالهم ومواقعهم ، وهذا الاحتقار يؤدّي الى نفرة الآخرين منه وابتعادهم عنه، وقد يكون الاخرون أصحاب رجاحة في عقل ورأي وفكر ولهم اعمال عظيمة ، وهذا المعجب بنفسه الذي يحتقر هؤلاء ويزدريهم في أعمالهم سينفرون منه ويبتعدون عنه ،ومن ثم سيحرم نفسه من الانتفاع بهذه الآراء والأفكار التي ربّما تكون أفضل وأكثر سداداً من رأيه ، وأعمالهم أفضل من أعماله، وهنا الخطورة حينما يتولّى حاكم أمور الرعية حينئذٍ سيُحرم هذا الحاكم وتُحرم الرعية من الانتفاع بآراء الآخرين بسبب هذه الصفة. والعُجب أيضاً يؤدّي الى الغرور والاعتداد بالنفس والاستبداد بالرأي ، وهذا الاستبداد يعرّضه للهلاك، لذلك ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: ((مَنِ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ وَمَنْ شَاوَرَ الرِّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا))[1].

١-وسائل الشيعة:١٢/ ٤٠.

الأثر الثالث، هو أنّ هذا المعجب يرى أعماله الصغيرة كبيرة ، وأفكاره الوضيعة التافهة عظيمة أو آراءه الخاطئة صحيحة ، ومواقفه الخاطئة مواقف صحيحة ، فعندما يكون حاكما ولديه رعية ويدير شؤون البلاد بهذه الافكار والآراء الخاطئة التي يراها صحيحة ، او يرى بعض الافعال الظالمة حنكة وعدلا ، او يستحسن بعض المواقف التي لها آثار كارثية على المجتمع وعلى رعيّة هذا الإنسان الحاكم، وإذا رأى من غيره أعمالاً أفضل وأعظم من أعماله وآراء أكثر سداداً فلا يعيرها أهمية ولا يكترث بها، لأنّه معجب بنفسه وآرائه، ومن الصفات السلبية للعجب أيضاً ان يحجب الانسان المعجب بنفسه عن اكتشاف أخطائه وعثراته وتقصيره وزلاته، فإذا كان حاكماً حينئذٍ لا يمكن معالجة هذا التقصير والخطأ الذي يصدر منه، والإعجاب بالرأي والنفس والعقل يمنع هذا المعجب بنفسه من استشارة الآخرين حتى لو كانوا أكثر خبرةً ودراية وعلما فانه يمنعه من أن يسأل الاخرين فيستبدّ برأيه ويستنكف عن سؤال من هو أعلم منه وأكثر خبرة وتجربة، واكثر نضجا وحنكة في الرأي والعلم ،ومن ثم سيكون هناك حرمان للحاكم وللرعية من الاستفادة من هذه الآراء لأصحاب الخبرة والتجربة وأهل العقل والحكمة. وهذه من جملة الاثار الضارة التي تترتب على الاعجاب بالنفس ، وعلى مستوى الحاكم ضررها كبير ؛لأنها تعم الحاكم والمجتمع والرعية ، وعلى مستوانا نحن ايها الاخوة والاخوات ، ربما الواحد منا في بعض الاحيان يعجب برايه وبعلمه وبعقله وبفكره وبمواقفه، فالأضرار تشمله أيضاً وان كانت في مستوى أدنى.

ومن الرذائل النفسانية التي يمكن ان يصاب بها بعض الحكام والساسة هو (حُبَّ الإطْرَاءِ) ، احيانا تجدون الولاة او الحكام يحبون الإطراء والمدح والثناء والتملق من الاخرين ويتجنبون ذم الاخرين لهم وانتقادهم، وهذا ناشئ من حبّ الجاه، والامام سلام الله عليه يبين ان من اوثق الأمور عند الشيطان ومن الفرص المهمة لديه التي يثق في فاعليّتها وتأثيرها بالإنسان، هو انه يحب المدح والاطراء والتزلف والتملق من الاخرين، وعن الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) في اثار حب الاطراء

يقول: ((حُبُّ الْإِطْرَاءِ وَالثَّنَاءِ يُعْمِي وَيُصِمُّ عَنِ الدِّينِ وَيَدَعُ الدِّيَارَ بَلَاقِع))[1] البلاقع: جمع بلقع.. وهي الأرض الخالية من كلّ شيء، والمرأة الخالية من كلّ خير.

ومن جملة الآثار السيئة لحب الإطراء والمدح:

أن الإنسان الحاكم والعادي يحاول ان يجعل أفعاله وآراءه وسيرته وتصرفاته ومواقفه على ما يوافق رضا الناس حتى ينال مدحهم واطراءهم ويتجنب ذمهم ،حينئذ سيرته وافعاله ومواقفه تدور مدار رضا الناس فيقدم رضا المخلوق على رضا الخالق ، وبالنتيجة يترك بعض الواجبات ويفعل بعض المحظورات ويتهاون في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويتعدى على الانصاف والحق حتى يكسب رضا بعض الناس ، وهذه الأمور تؤدي الى هلاك الانسان كما ورد بالحديث عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ((إنما هلك الناس باتباع الهوى وحب الثناء))[2].

٢- إنّ حبّ المدح يمنع الآخرين من قول الحقّ والنصيحة والمشورة لهذا الانسان الذي يحب المدح والثناء ؛ لذا سنجد المقربين من الحاكم والقائد والمسؤول الذين يتملقون ويتزلفون إليه يحسنون له القبيح وقد يبينون له احيانا انه اذا كان رايه خاطئا انه راي صحيح، وإذا فعل ظلما انه فعل حقا وعدلا ؛ لانهم يعلمون ان هذه الحاكم يحب المدح والثناء والاطراء..اما أولئك الذين يمتلكون الشجاعة والجرأة في قول الحق وتقييم الاعمال والمواقف والآراء ويكونون منصفين في التقييم ،فيقولون :هذا حق وهذا باطل ، هذا ظلم وهذا عدل ، وهذا راي صحيح وهذا خاطئ، هؤلاء بعيدون عن مثل هذا الحاكم ، واذا قالوا الحق فانهم يرون من الحاكم الغضب عليهم ويتعرضون الى العقاب والابعاد ؛ لذلك نجد مثل هؤلاء الذين يمتلكون الجرأة والشجاعة وقول الحق يبتعدون عن هذا السياسي والحاكم والمسؤول ،اما الذين يكونون قريبين منه فأولئك المتلمقون والمتزلفون الذين يصورون الباطل حقا والظلم عدلا والخطأ صحيحا وصوابا ، فتكون

١-مجموعة ورام:٢/ ١٢٢.
٢-كنز العمال: ٣/ ٤٥٩.

الأجواء المحيطة بهذا الحاكم ليست أجواء تقيمية صحيحة، فيبقى على خطأه وعلى ارائه ومواقفه الخاطئة و سينعكس الضرر الكبير على الرعية، لذلك ورد عن امير المؤمنين عليه السلام : ((أَجْهَلُ النَّاسِ الْمُغْتَرُّ بِقَوْلِ مَادِحٍ مُتَمَلِّقٍ يُحَسِّنُ لَهُ الْقَبِيحَ وَيُبَغِّضُ لَهُ النَّصِيحَ))[١]، لذلك لابد ان يكون الحاكم ممن لا يحمل هذه الصفة ، وهي عدم حب الاطراء والمديح.

٣- يؤدّي الى إصابة الشخص المحبّ للمدح بالغرور والعُجب من كثرة إطراء الآخرين ومديحهم، ((لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ)) فالمُعجب بنفسه يرى ان عطاءه واحسانه عظيم على الاخرين فيؤدي الى ان يمتن عليهم هذا المن ، فيؤدي الى ابطال إحسانه ، او لا هذا المعجب بنفسه المُستعظم لصفاته وأفعاله وعطائه لا يرى للآخرين إحساناً عليه ومن ثم يستصغر هذا الحاكم او السياسي هذا العطاء والفضل والإحسان من الاخرين ، ويؤدي بالنتيجة الى ان يمحق هذا الاحسان الذي يصدر من الاخرين؛ لأنه دائما يرى نفسه هو المتفضّل والمنعِم والمحسِن والممتن للآخرين ، وإن كان واقعُ الحال غير ذلك، أو أنّه يرى إحسانه عظيماً.

((وَإِيَّاكَ وَالْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ)) بأن يمنّ عليهم بما يقوم به من أعمال ومشاريع وإدارة لشؤون البلاد بأنّه قد جلب لهم الخير والاستقرار والتقدّم والازدهار والتطور، هذا ليس بصحيح من الحاكم حتى لو فعل الشيء الجيد لبلده وشعبه فليس من الصحيح ان يمن بإحسانه وعطائه ورعيته؛ لان هذه الخدمة إنما هي حقوق للرعية على الحاكم ، وواجب على الحاكم للرعية ، ومن ثم فالقائد والحاكم والسياسي وغيرهم هؤلاء الذين نصبوا في هذه المواقع إنما يؤدون حقوق الناس والمواطنين والرعية عليهم، وهي واجبات عليهم ،ولا يمن بالواجب الذي على الحاكم والمسؤول ان يقدمه للناس والمواطنين مع العلم أنّ هذه حقوق رعيّته عليه، والحاكم إذا فعل ذلك فإنّه يكون قد أدّى واجباً، وهذا المنّ يُبطل أجر وثواب هذه الخدمة التي يؤدّيها الحاكم لرعيّته ، وفي ذلك إشارة لقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى))[٢]،

١-عيون الحكم والمواعظ ، لليثي: ١٢٣ .
٢-البقرة: ٢٦٤.

(أَوِ التَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ) أي إظهار الزيادة فيما فعله وقدّمه من أعمال وجهود أكثر ممّا هو واقع، من ذلك ان يستخدم أجهزته الإعلامية والتضخيم والتهويل بما يقدمه من عطاء أو من خدمات او من مشاريع مع العلم انها اقل مما يظهره في كلامه ووسائل إعلامه ،فيبين أعماله الصغيرة على انها أعمال كبيرة ،وخدماته البسيطة على انها خدمات عظيمة ، وما يقدمه من اراء على انها نعم الآراء التي ينتفع منها الناس مع العلم أنها ليست حقيقية ، وهو أن ينسب الى نفسه من الإحسان والخدمة الى رعيّته أزيد ممّا فعل فيقوم بتضخيم أعماله الصغيرة وتهويلها ويصوّرها بأنّها أمور كبيرة وجليلة في حقّ شعبه، وهذا يُعدّ تضليلاً للشعب، وحرفاً للحقائق عن موضعها، ولمّا كان إظهار الزيادة أكثر ممّا هو حاصل نوعا من الكذب وهو رذيلةٌ عظيمة فإنّه يذهب بنور الحقّ.

((أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ)) بأن يعد الحاكم أو المسؤول الشعب و الرعية ببرنامج إصلاحي أو خدمي او إغاثة وتشريع قوانين وعود وتعهدات كثيرة ولكن فيما بعد ينتظر هؤلاء الناس والمواطنون ويترقبون تنفيذ هذه الوعود والبرامج فلا يجدون شيئا منها، فقد أخلف هذا الوعد والتعهد ، حينئذ هؤلاء الناس والمواطنون يفقدون ثقتهم بهذا المسؤول فلا يبقى له تقدير واحترام لذلك يحذر الامام عليه السلام من ان المسؤول حينما يريد ان يعد وعدا او يعطي عهدا فلابد ان يفي بوعده ، وعدم الوفاء بالعهد والوعود يؤدي الى سخط العامة من الناس ومقتهم ، والاكثر من هذا سخط الله تعالى ومقته؛ لذلك يقول (عليه السلام) كما ورد من التعبير: ((والْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَ اللهِ والنَّاسِ، قال الله تَعَالَى: ((كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُون))))[1]، ثم يحذر الإمام عليه السلام، من التسرع والعجلة بالإقدام على الأمور التي لم تّنضج بعد ، ((وَإِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا)) أي عدم التعجل بالاقدام على الأمور التي لم تتهيأ مقدماتها أو لم يتبين للحاكم ان فيها الخير والصلاح ربما يكون فيها الفتنة ، أو بعض الأمور لم تتضح عواقبها هل هي الى خير او الى شر ، أو كونها صعبة وشاقّة ولا يتيسّر الاتيان بها ، فعليه أن يحذر من التسرّع والإقدام على فعل هذه

١- مكاتيب الأئمة عليهم السلام: ١/ ٤٩١.

الأمور، ((أَوِ التَّسَقُّطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا)) أي الأمور التي امكن الاتيان بها او حانت الفرصة لتقديمها فلا تتهاون ولا تتساهل بل تسرع وتبادر الى الاقدام على هذا المشروع او الراي او القانون او الفكرة الذي فيه نفع ؛ لإن هذه الفرصة اذا فاتت فأنها لا تعود وعدم الاهتمام واللامبالاة وعدم الاكتراث عند حصول الفرصة وتيسّرها والتمكّن من العمل والخدمة غير صحيح، فلابدّ أن يغتنمَ الحاكمُ الفرصة، ولا يؤخّر الانتفاع منها بل يبادر الى العمل بجدّية وعجل، (أَوِ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ) أي الأمور قد تكون غير واضحة يحصل فيها نزاع ولجاج وجدال لا فائدة فيه ، يقول الإمام(عليه السلام) لا تلجّ ولا تلحّ في النزاع لهذه الأمور التي لم تتّضح بعد ، ولا توهن عنها إذا استوضحت وهي الأمور التي تتّضح حقائقها ومصالحها فلا تضعف عن القيام بها ؛ لأنّها بانت هذه المصالح فيها فلا تضعف عن الإقدام عليها، فالإمام(عليه السلام) يحذّر واليه مالك الأشتر ،وهذه النصائح والتوجيهات تصلح كما بيّنّا لمن يُنصّب في إدارة أمور البلاد، ولو عُمِل بهذه النصائح والتوجيهات لنال الناس الخير الكثير ، ونحن كذلك- أيها الاخوة والاخوات- هذه النصائح والتحذيرات من الرذائل النفسانية وآثارها تنفعنا في حياتنا العامة أيضاً.

الجمعة ٧ رجب ١٤٣٧ هـ
الموافق ١٥ نيسان ٢٠١٦ م

■ بإمامة سماحة السيد أحمد الصافي.

■ نصّ الخطبة الأولى

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه أبي القاسم محمد وعلى آله الطيّبين الطاهرين، الحمد لله الذي لم يتّخذ ولداً ،ولم يكن له شريكٌ في الملك ،ولم يكن له وليٌّ من الذلّ وكبّره تكبيراً.

إخوتي آبائي أبنائي حرسكم الله تعالى من كلّ سوء، أخواتي بناتي أمّهاتي ألبسكنّ الله لباس العافية والحياء، السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته. أوصيكم أحبّتي ونفسي الجانية بتقوى الله تبارك وتعالى والوقوف عند الشبهات، فإنّ الوقوف عند الشبهات خيرٌ من الاقتحام في الهلكات، عصمنا الله تعالى جميعاً من الزلل والآثام، ونسأله تبارك وتعالى أن يوفّقنا وإيّاكم لطاعته دائماً وأبداً.

كنّا في خدمتكم ،وعرضنا لفقرات من دعاء التوبة للإمام السجاد(عليه السلام) ، وقد ذكرنا ما يتعلّق بهذا الدعاء في بداياته ، ولا بأس في أن أشير إشارة سريعة الى مسألة الحاجة الى الله تبارك وتعالى.

لا شكّ أنّ حضراتكم تعلمون أنّ الإنسان مهما يكن فهو محتاج، وهذه الحاجة حاجة دائمة ليست في وقتٍ دون وقت آخر؛ لذلك هذا النداء الداخلي للإنسان نداء

الفطرة يحتّم على الإنسان أن يرجع الى جهةٍ قوية ومنيعة ومطّلعة لها القدرة على أن تسنده، وهذا ينحصر في الله تبارك وتعالى، ولذلك عندما يستشعر الإنسان المؤمن هذه الحاجة يشعر بالقوّة ؛لأنّه يعتمد ويستند إلى ركنٍ قويّ، وفي القرآن الكريم يقول تعالى: ((إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا))(١)، المؤمن يحتاج الى الله تبارك وتعالى دائماً.

وقلنا إنّ أدب أهل البيت(عليهم السلام) المستقى من القرآن الكريم ، سواء كان على نحو الأدب الدعائيّ أو الأدب الفكري أو التوصيات والتوجيهات، كرسائل الإمام الصادق(عليه السلام) لبعض الولاة ورسائل الإمام الصادق لبعض أتباعه، وكتب أمير المؤمنين(عليه السلام) وخطاباته مع من كان محيطاً به، لاسيما ماخص به بعض أصحابه ككميل أو مالك، وابن عباس(رضوان الله عليهم)، كلّ هذا من أجل توضيح معالم الطريق أمام هؤلاء سواءً كان في تنظيم أمورهم دنيوياً أو تأمين وضعهم أخرويّاً من خلال ما يعملون.

والتوبة حالة صحّية يمرّ بها الإنسان ، فهي رجوع الى الله تبارك وتعالى، والمؤمن دائماً في توبة أي في رجوع الى الله تعالى ليطرق بابه، وكلّما كان الإنسان يستشعر هذه الحاجة أكثر اقترب من الله تعالى أكثر، لذلك قال تعالى: ((إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ))(٢) العلماء أكثر خشيةً من بقيّة العباد باعتبار هذه المعرفة ، وهذا الإدراك للحاجة الى الله تبارك وتعالى، فهم غير غافلين؛ ولذلك تجدهم في تقدّمٍ إيمانيّ دائماً من خلال هذه الحاجة.

قد ذكرنا أنّ الإمام السجاد(عليه السلام) ذكر في هذا الدعاء مجموعةً من المقدّمات التي كانت اعترافاً من العبد لربه، فقد بدأه بعبارات مدح الله تبارك وتعالى ،ثم بيّن أنّ هذا مقام من تداولته أيدي الذنوب، وبعد أن بيّن العبد أنّ هناك مشكلة وقد انقشعت هذه المشكلة الآن بعد أن انفتحت له بصائر الهدى وانقشعت سحائبُ العمى، ثم أحصى

١-الحج: ٣٨.
٢-فاطر: ٢٨.

-كما ذكرنا في السابق- هذا العبد أعماله ،وقُلنا بمسألةٍ حسابية يتبيّن أنّ هناك كمّاً هائلاً من المعاصي يحمله على ظهره وهو غير ملتفت، لكن عندما تنقشع هذه السحائب -أي سحائب العمى- يلتفت الإنسان ويبدأ يحاسب نفسه، وهذه نقطة وضّاءة في حياة كلٍّ منّا عندما يتوقّق الى أن يحاسب نفسه عمّا مضى ويهيئ نفسه -إن أبقاه الله- لمستقبل الأيّام، المحاسبة تدلّ على الوعي وتدلّ على التنظيم والإدراك، أمّا أن يفعل الإنسان كيف ما اتّفق، ولا يعتني بنفسه ولا بعمله ولا بمصدر مأكله، فلا يختلف حينئذٍ عن بقيّة المخلوقات إن لم يكن أضلّ؛ لأنّ الله تعالى زوّده بهذه النعمة نعمة العقل ولم يستفد منها، بينما بقيّة المخلوقات لم تزوّد بهذه النعمة؛ ولذلك قد يكون الإنسان أضلّ كما في لسان القرآن الكريم((إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا))[١]، وفي عملية المحاسبة يرتّب الإنسان نفسه بنقاط وضّاءة إن أحسن هذه المحاسبة.

ثم قال عليه السلام -بعد أن-: ((أَحْصَى مَا ظَلَمَ بِهِ نَفْسَهُ، وَ فَكَّرَ فِيمَا خَالَفَ بِهِ رَبَّهُ، فَرَأَى كَبِيرَ عِصْيَانِهِ كَبِيراً وَ جَلِيلَ مُخَالَفَتِهِ جَلِيلًا ، فَأَقْبَلَ نَحْوَكَ مُؤَمِّلًا لَكَ مُسْتَحْيِياً مِنْكَ، وَ وَجَّهَ رَغْبَتَهُ إِلَيْكَ ثِقَةً بِك))[٢] وهذه الفقرات الشريفة قد أخذنا منها شيئاً وجيزاً ، وقلنا – فيما سبق – الحياء من الصفات المهمّة، وقد قيل عن النبيّ ((كان خُلُقه الحياء)) ، والحياء أنّ لا يُفعَل الفعل؛ لأنّ فيه ملامة، وقد تكون الملامة خارجية وقد تكون داخلية، أي الإنسان بنفسه لا يرضى عن هذا الفعل؛ ولذلك التفتوا -إخواني - حالة العبودية لله تعالى تقتضي أن لا نتجاوز حدودنا بالتعدّي على ما رسمه الله تعالى لنا ،فإن فعلنا ذلك فهذا معناه أننا لا نستحي من الله، إنّ الله تعالى أوقفنا في حدود ((تِلْكَ حُدُودُ اللهِ))[٣] هذا الحدّ حدّ لله تعالى ((فلا تعتدوها))، الله تعالى أنعم علينا ببصر نستلذّ به ونستكشف به آفاق الأرض ونتعايش به ،ولكن رسم لنا حدوداً لهذه النعمة ،وأعطانا جوارح ،أعطانا يداً نستعين بها على أمورنا ورسم لنا حدوداً، فإذا تخطّى الإنسان هذه الحدود لابُدّ أن يُحاسب، وقد يمهلنا الله تعالى بلا إهمال، ولم يمهلنا لعجز ،وإنّما أمهلنا

١- الفرقان: ٤٤.
٢-الصحيفة السجادية: ١٤٠.
٣- النساء: ١٣.

رحمةً منه بنا ،وإلّا كما في الدعاء السادس عشر من الصحيفة كان له أن يحاسبنا من أوّل ما عصينا، لكن الله تبارك وتعالى لطف بنا وأمهلنا، هذا الإمهال لابُدّ أن نستغلّه، الإنسان العاقل المؤمن يستغلّ هذا الإمهال، ما دام الله تعالى لم يعاجله بالعقوبة ، ماذا يفعل؟ أن يبدأ بدايةً أخرى ((التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَه))[1]الإنسان إذا تاب -لاحظوا الأمل الذي أودعه الله تبارك وتعالى- كأنّه لا ذنب له، فيقول في الدعاء بعد أن التفت، ((فأقبل نحوَكَ مؤمّلاً لك مستحيياً منك))، منكسراً مطأطئ الرأس، وعلامات الحياء هذه تدلّ على حالة حسنة، لماذا نستحي من الله؟ لأنّنا تجاوزنا الحدود، لأنّنا هتكنا ستراً، لأنّنا لم نطع الله ، فهذه كلّها عوامل تستوجب منّا أن نستحي من الله تعالى.

قال: ((وَوَجَّهَ رَغْبَتَهُ إِلَيْكَ ثِقَةً بِكَ، فَأَمَّكَ بِطَمَعِهِ يَقِيناً..)) هناك مسألتان ذكرناهما سابقاً ،ومن المناسب إعادتهما لتثبيتهما، مسألة اليأس من روح الله ، ومسألة الأمن من مكر الله ، وكلتاهما من الكبائر كما يقول العلماء، أي أن يفعل الإنسان المنكرات وتصل به الحالة أنّه عندما يرى ذنوبه ييأس من رحمة الله تعالى، فيقول :إنّ الرحمة لا تشملني تارة لقصور فيّ، وتارةً ييأس لأنه يرى أن رحمة الله تعالى لا تصل إليه ، وتحديد رحمة الله والحكم عليها بأنها تصل أو لاتصل من الكبائر، إنّ الله تبارك وتعالى يقول: يا عبدي لا تيأس ؛ إنّ رحمة الله تعالى تنالك، وعند اليأس ستضيف كبيرة الى ذنوبك الكثيرة، كذلك إذا فعل الإنسان فعلاً وهو يأمن -لاحظوا الفرق إخواني- من مكر الله بأن يقول: لا يمكر الله بي ؛لأنّي قبل سنتين - مثلاً- قد صلّيت صلاةً جيدة ،أي عنده حالة من الطمأنينة نتيجة فعل من أفعاله، هذه من الكبائر أيضاً ، المؤمن يكون بين الخوف والرجاء دائماً ، يخاف ؛لأنّه قد ارتكب الذنب، نحن عبيد والله تعالى له هذا السلطان، ونرجو وإن جئنا بذنوب أهل الأرض، لكن هناك حالة عندنا غير هذه ، وهي حالة الثقة بالله تعالى، عبّر الدعاء عنها بهذا التعبير ،قال: ((ووجّه رغبته اليك ثقةً بك)) لاحظوا تعبير الإمام عليه السلام : ثقةً بك، نحن لابُدّ أن نثق بالله تبارك وتعالى، كيف نثق بالله تعالى؟ قطعاً الله تعالى بيده كلّ شيء، وهو مالك كلّ شيء، هذا يجعل الإنسان

١- الكافي :٢/ ٤٣٥.

عندما يُقدم يُقدم الى جهةٍ بيدها جميع أسباب المنعة والقوّة والرحمة وكلّ شيء، فلابُدّ أن نثق،الثقة بالله تبارك وتعالى معناها أنّ الإنسان يُحسِنُ الظنّ بأنّ الله لا يتركه، والإنسان إذا أحسن ظنّه بالله كان الله تعالى عند ظنّ عبده المؤمن، فما دمت أيّها العبد أحسنت الظنّ بي فسأوفّقك ، ولذلك نحن لا يُمكن أن نفكّر في آنٍ ما أن نبعد أو نبتعد عن الله تعالى، لذا في الدعاء ((اللّهمّ لا تكلني الى نفسي طرفة عينٍ أبداً))[1] أي لا يكل الإنسان أموره الى نفسه، فمهما حاولت أن أبعد وأستقلّ فأنا غير مستقل ؛لابُدّ أن أكون مرتبطاً بالله تبارك وتعالى، مدبّر شؤوني والباق معي دائما، لكن نحتاج إلى تعزيز هذه القضية. وقد ذكرنا سابقاً أن الواقع هو أن الله خالق كل شيء حتى الكافر، فلو ألحد شخص ما فلم يؤمن بوجود الله تعالى، فهذا لا يغيّر الواقع ، نعم هو متمرّد وسيأخذ جزاءه، وتارةً يُدرك الإنسان أنّ الله خالقه ويعلم ويحسّ بأنّ هذه الأمور يحتاجها من الله، وهذا هو المطلوب أن يقترب العبد من الله بهذه الأشياء ويعتقد اعتقاداً جيداً ويعمل عملاً جيداً، وإلّا في الواقع القضايا لا تتغيّر سواءً جحد الإنسان أم لم يجحد، الله تعالى أنظمته سارية والله تعالى ينتقم وفق ما يراه لا وفق ما نقول، والله تعالى حدّد أنظمة وضوابط، وأرسل أنبياءً وأنزل كتباً، من آمن آمن ومن كفر كفر، والدنيا مخلوق من مخلوقات الله تعالى وليست كلّ مخلوقات الله منحسرة في الدنيا، فنحن عندما نقيس أنفسنا الى عوالم الله تعالى نجد أنفسنا لا شيء، مخلوق بسيط ضعيف لكنّه قد يتجبّر -والعياذ بالله-.

يقول الإمام بعد أن كان هذا الإنسان بهذه المرتبة من اليأس ثم أقبل على الله تعالى فلابُدّ أن يصول بأدوات تقرّبه الى الله تعالى ، ومن جملة الأدوات أن نستحي من الله تعالى، وأن نرغب اليه لا نرغب عنه، لأنّ الرغبة اليه رغبة لكلّ خير، بعد ذلك أن تكون هذه الرغبة معزّزة بالثقة بالله تعالى، بعض الروايات تذكر عندما يدعو الإنسان لابُدّ أن يعتقد أنّه في أثناء دعائه أنّ حاجته في باب داره، أما أن يدعو الإنسان وهو يعتقد أنّ الله لا يستجيب دعاءه فهذا خلاف التقوى وخلاف الموازين، وإلّا لماذا يدعو؟ سيكون ذلك لقلقة لسان فارغة، يدعو الله وقلبه منشغل بأشياء أخرى حتى لا يلتفت إلى ما

١-تفسير القمي :٢/ ٧٥.

قاله، كمن يتكلّم مع أبيه –مثلاً – وهو يُدير ظهره له هذا منتهى خلاف الأدب، عندما يرغب الإنسان الى جهة لابُدّ أن يثق بها ،فكيف إذا كانت تلك الجهة هي الله تعالى.

((ووجّه رغبته اليك ثقةً بك، فأمّك بطمعه يقيناً))، أَمَّ: معناه قَصَدَ، و(آمّين) بتشديد الميم معناها قاصدين، أما(آمين) بتخفيف الميم فهي بمعنى استجب ؛ لذلك عندما يدعو بعضهم فيقول: «آمّين» ، أو أمّن على دعائي ،فهذا خطأ والصحيح (آمين) بالتخفيف. (فأمّك)، يقول عليه السلام :هذا الذي رغب اليك أمّك بطمعه يقيناً، أي قصدك طامعاً، والطمع لغةً تستعمل للشيء المأمول القريب، وقد تستعمل عرفاً في الشيء غير الجيّد ، لكنها في اللغة ليست فيها إشارة الى شيء حسن أو غير حسن، فقولنا»أنا أطمع في كرمك» استعمالٌ صحيح ليس فيه إشارة إلى خلق مذموم، (فأمّك بطمعه يقيناً) أي هو قصدك وكانت عنده هذه الرغبة والأمل أنّ تعفو وتغفر، وكان متيقّناً من ذلك ، فهذا القصد لم يكن قصداً عن شكّ وإنّما قصد عن يقين.

(وَقَصَدَكَ بِخَوْفِهِ إِخْلاَصاً)، الإخلاص معناه أن يكون الإنسان صادقاً مع الله تعالى ، ويعمل العمل لله تعالى بلا أي شائبة ، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يكتبنا فيها من المخلصين؛ لأن حقيقة الخلاص تكون بالإخلاص ولا يكون بغيره، تارةً تساعد فقيراً لا تعرفه وليست له علاقة بك، تقول إنّي سمعت روايات أو علمت بأنّ مساعدة الفقير مثلاً من أفضل القربات ومن الطاعات، فأنا أُعطي هذا الفقير قربةً الى الله تعالى، أخلصت في العمل بلا أيّ شائبة، وتارةً آتي هذا الفقير فأُعطيه وأنا لا أعرفه لكن أُعطيه أمام الملأ حتى يُثنون عليّ، وقطعاً هذا العمل غير الأوّل، فالأوّل كان لله تعالى، وهنا ألفت النظر الى قضية، هي أن بعض أدعية الأئمّة الأطهار(عليهم السلام) أو بعض سيرة حياتهم نُقلت من طريق راوٍ دخل فجأة على الإمام، فنقل الحالة التي عليها الإمام عليه السلام ، مثلاً أمير المؤمنين عليه السلام هذه الشخصيّة العظيمة لم ينقل لنا التاريخ كلّ تفاصيل حياته، وما كان يصنع أمير المؤمنين في كلّ لحظة ، مما يؤسف عليه أن هذه الأشياء لم تُنقل ، فهذه الحياة الشريفة كانت مملوءةً التصاقاً بالله تبارك وتعالى،لم ينقل لنا منها إلا بعض

الحالات التي رآها بعض الناس مصادفة، على سبيل المثال يخرج أبو الدرداء فجأةً بلا سابق اتّفاق، ويرى شيئاً مهولاً عند أمير المؤمنين عليه السلام، قطعاً حالة أمير المؤمنين وارتباطه بالله تبارك وتعالى هي حالة دائمة ، رآه أبو الدرداء أم لم يره، فتصوّر أبو الدرداء أنّ أمير المؤمنين قد مات، لأنه شاهد حالة من البكاء الى الله تعالى الى أن هدأ أمير المؤمنين من البكاء وسكن، اقترب أبو الدرداء وحرّك أمير المؤمنين رآه لا يتحرّك وهذه علامة الميّت، فجاء الى الزهراء ناعياً أمير المؤمنين(سلام الله عليه)، والزهراء هذه الشخصية العظيمة غير المعروفة حقيقتها بيّنت أيضا أن ذلك بعض حقيقة أمير المؤمنين ، فهي- كما قالت- خشية وغشية تأتيه عندما ينفرد مع الله تعالى، هذه الحالة تعوّد عليها أمير المؤمنين عليه السلام ولم يرد أن يمدحه أبو الدرداء، أو نمدحه نحن عندما تنقل إلينا ، بل هي علاقة خاصّة حقيقيّة بينه وبين الله تبارك وتعالى. مثال آخر جاءت بعض نساء الإمام زين العابدين عليه السلام يشتكين لبعض المعارف أن كلّموا علي بن الحسين ليرفق بنفسه -كما في القصة المعروفة -، الإمام عليه السلام له وضعٌ خاصّ لا يريد أن يمدحه النسوة ولا غيرهن ، وإنّما هذا وضعٌ خاصّ ، أدرك الإمام ما لم نُدرك، وعرف الإمام ما لم نعرف، فانطبعت هذه الحالة في جميع سلوكه حتى في حالة الغضب، كما في القصة المعروفة في قضية يوم الخندق عندما بصق عمرو في وجهه ، لم يكن فعل الإمام اعتباطاً إذ يعرفه النبيّ(صلّى الله عليه وآله) فيقول: ((بَرَزَ الْإِيمَانُ كُلُّهُ إِلَى الشِّرْكِ كُلِّه))[1] عبارة عن قطعة من الإيمان، نحن نتعلّم الإخلاص منه، لكن المقصود أن الإخلاص حالة قد يتوفّق لها الإنسان في جميع حياته فهي نعمة المطيّة يمتطيها غداً يوم القيامة، وقد يتوفّق له الإنسان في بعض الحالات، وهذا نِعْمَ العمل أيضاً عندما يأتي به.

لاحظوا هذه الحالة حالة المذنب الذي أسقط ما في يده بعد أن أحصى ما فعل مع الله تعالى، وشعر بأنّ ما تجاوز كان شيئاً كبيراً وجليلاً، ماذا يفعل؟ المشكلة أنّ الجهة التي عصيناها هي الجهة التي نحتاجها، والجهة التي عصيناها هي الجهة التي اطّلعت علينا، فلا مجال لنا من الاستعانة بغيرها، لابُدّ أن نفرّ منها اليها، والإمام عليه السلام يقول هذا

١- شرح نهج البلاغة :١٣/ ٢٦١.

الشخص عندما وصل إلى هذه الحالة رغب اليك ثقةً بك، ثمّ أمّك بطمعه ، وهذه أشياء تأتي تثبيتاً الى أنّه لابُدّ أن نخلص، لأنّ التوبة يعلم بها التائب –وهو الله– الله تعالى يتوب علينا فهو التوّاب، فإذا أشبنا التوبة بمجموعة من الأمور غير المخلصة لا تتحقّق التوبة بالمعنى الذي يكون التائب عن الذنب كمن لا ذنب له.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يُحيطنا دائماً بعنايته، وأن يوجّهنا للعلم والعمل الصالح ،وأن يُلبسنا رداء الإخلاص، نسأل الله تعالى أن يوفّق كلًّا منّا الى لحظات بينه وبين الله تعالى لا يعلم بها إلّا هو، وتكون خالصةً لوجهه سبحانه وتعالى، اللهمّ أعنّا على أنفسنا كما أعنت الصالحين على أنفسهم، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمد وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

الجمعة ٧ رجب ١٤٣٧ هـ
الموافق ١٥ نيسان ٢٠١٦ م

نصّ الخطبة الثانية

إخوتي أخواتي، ذكر أميرُ المؤمنين(صلوات الله وسلامه عليه) في عهده الى مالك الأشتر مجموعة أمور نتعرّض الى بعض فقرات هذا العهد بشرحٍ موجز.

من جملة ما قال له:((يَا مَالِكُ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ الَّذِي مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلَاةِ قَبْلَكَ وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ))[١] أنا أقف عند هذا العهد فقرة فقرة بمقدار ما يتّسع المقام، ولا نريد أن نستعرض حياة مالك الشريفة فهو في غنىً عن التعريف، الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) يلفت نظر مالك الى قضية، والمقصود -كما قلنا- (مالك النوعي)، بمعنى أنّ هذا الموضوع لا يتعلّق بشخص مالك ،وإنّما مالك له وظيفة أرسله أمير المؤمنين لها، وهي أن يولّيه مصر ويكون حاكماً وزعيماً ورئيساً ، هذه المصطلحات الحديثة في السياسة، فكانت رقعة جغرافية كبيرة تحت إمرة مالك، كان حاله قبل ذلك حال الرعيّة، والرعية تريد من الوالي والرئيس أشياء، يقول أمير المؤمنين له: يا مالك هذه الدولة التي ذهبت اليها ليست دولة جديدة نحن أسّسناها ،وإنّما مدينةٌ قديمة قد جرت

١-شرح نهج البلاغة : ١٧/ ٣٠.

عليها دولٌ وفيها رعيّة ، بعضها كان عدلاً وبعضها كان جوراً، أنت الآن ستكون في موقع المسؤولية. التفت إنّ الناس يريدون منك أشياء، وهذه الأشياء أنت بنفسك كنت تريدها من الحكّام السابقين، فلابُدّ أن تكون في مستوى المسؤولية، لا تستخف بطلبات هؤلاء، ولا تقل هم لا يفهمون، وإنّما لابُدّ أن تلبّي هذه الاحتياجات، فأنت الآن والٍ، وفي الفقرات السابقة قال: ((لا تكن عليهم سبعاً ضارياً)) الآن يريدون منك أشياء، وهذه الأشياء مطلب طبيعيّ، لأنّك عندما كنت من الرعيّة كنت تطلبها، ((وإنّ الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول منهم)) كنت من الرعيّة وتقول هذا ظالم، فلا تكن ظالماً ؛ لأنّهم سيقولون عنك ظالم، أنت كنت تقول هذا عادل، لماذا كان عادلاً؟ هم سيقولون عنك عادل أيضاً، افعل الفعل الذي كنت تريده من الحاكم ، وتجنّب الفعل الذي كنت لا تريده من الحاكم، وأنت من الرعيّة كنت تشخّص ما تُريده وما لا تُريده، قال: ((وإنّما يستدلّ على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده)) هذه مسألة مهمّة أن إنساناً صالحاً حكم مدّة من الزمن نستدلّ على صلاحه بما يُجريه الله على ألسنة العباد، وليست على لسان طائفة خاصّة قد تضرّرت أو طائفة خاصّة قد انتفعت ،هؤلاء لا يمثّلون الرأي، وإنّما ألسنة عباده ممن وصلهم حكم هذا، يقولون عنه: هذا (رحمه الله) كان عادلاً يهتمّ بشؤوننا، ويقولون عن شخص آخر: لعنة الله عليه ، خلّصنا الله منه ومن شرّه. يستدلّ على الصالحين بما يُجري الله تعالى على ألسن عباده، وقال –في فقرات من هذا العهد– : (ثم انظر في أمور عمّالك) أنت تحتاج في هذه الرقعة شخصاً، ولنَقُل باصطلاح اليوم محافظ مثلاً أو وزير، تسميات تختلف لكن المسؤولية واحدة، قال: ((ثم انظر في أمور عمّالك، فاستعملهم اختباراً ولا تولّهم محاباةً وأَثَرة))، التفتوا هذه من أهمّ مراكز النجاح أمام المسؤول، كيف تختار يا مالك ولاتك وعمّالك؟ يقول أمير المؤمنين: استعملهم اختباراً، اختبره هل هو جدير بهذا الموقع؟ شخصيته ملمّة بما أعطيته، وكفوء، وحازم، ورجل نزيه؟ اختبره لا تعطِ هذه المواقع (محاباةً)؛ لكونه صديقي، أو ابني، أو ابن أخي، أو أقربائي، (وَأَثَرة) تؤثر هذا على هذا بلا ضوابط، فتستعين بمجموعة من الناس لم

تختبرهم بل مجاملة لهذا وذاك ،((ولا تولّهم محاباةً وأَثَرَة)) وماذا يكون إذا ولّاهم محاباةً وأثرة ؟ واقعاً هذا النصّ لابُدّ على كلّ حاكم أن يضعه أمامه أينما يجلس ، حتى لا تخدعه نفسه، قال: (فإنّهما...) يعني التولية من طًريق المحاباة وبالأثرة والمجاملات ((جماعٌ من شُعب الجور والخيانة)) هذان الأمران تجتمع فيهما شعب الجور والخيانة، إنّ هذه الطريقة طريقةٌ خاطئة لأيّ حاكم يا مالك، فالتفت، قال: ((فإنّهما جِماع من شعب الجور والخيانة، وتوخّ منهم –ابحث– أهل التجربة والحياء))، حقيقةً هذا التعبير (أهل التجربة) رائع كما هي عادته، هذا رجلٌ مجرّب وبالتجربة نجح لا تُحاول أن تعزله، توخّ أي ابحث عن هؤلاء الذين جُرّبوا فنجحوا، وتوخ أهل الحياء أيضاً ، هذا يستحي عنده أصول متربٍّ تربيةً جيّدة، لاحظ التعبير تعبير الحياء أن يستحي الإنسان أن يمدّ يده، وأن يقول بما لا يعلم، وأن يخون، هذه حجب عن الخيانة، أيّ حاكم لابُدّ أن يضع هذه أمامه حتى يلتفت الى أين المسير، أين ذاهب؟ (ثم لا يكنْ...) هناك قضيّة في حياتنا اليومية، يأتي شخص صديق بصديق آخر، ثم تقول بحسب فراستي هذا الشخص بتعبيرنا «لم أرتح له»، الإمام يحذّر مالكاً يقول له: لا تعتمد على فراستك في الاختيار، لماذا؟ لاحظوا النكتة ((ثمّ لا يكنْ اختيارك إيّاهم على فراستك...)) أنا تفرّستُ به فهذا كفوء بالتأكيد، طويل وضخم ومفتول العضلات، صفات فيه جعلتني أشتبه، وصارت عندي فراسة أنّ هذا ينفع لهذا الموقع، أمير المؤمنين ينهاه يقول له: لا تفعل هذا، لماذا؟ ((ثم لا يكن اختيارك إيّاهم على فراستك واستنامتك -إذا سكنت اليه وثقت ظاهراً- وحسن الظنّ منك)) هذه الصفات قد تكون جيّدة لكن في غير هذا الموقع، التفتوا لا يكن عندنا خلط، هذه الصفات تكون جيدة، أن أتعامل مع زيد فأُحسن الظنّ به لا بأس، لكن في موقع الحكم لا تأتِ بهذه الأمور، هذه الأمور غير صحيحة لماذا؟ التفت قال: ((فإنّ الرجال يتعرّضون لفراسات الولاة بتصنّعهم وحُسْن خدمتهم وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء)) أنت في موقع تحتاجك الناس ؛ لأنك تمثّل أمير المؤمنين، سيأتيك شخص يقول لك أنا زاهد، أنا أحبّ عليّاً، أنا أفعل كذا وأتفقّد الفقراء، يكرر ذلك ويحاول أن يتصنّع ذلك ثمّ يتمكّن فتسكن له، يقول

الإمام : ((وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء)) هذا مُخادع -التفت- من أين تعلم؟ من خلال معايشةٍ صغيرة بينك وبينه، كونك في هذا الموقع تتزلّف لك الناس وتتصنّع وسيظهرون لك التقدّس والتديّن والحرص على البلاد والعباد وعدم الظلم والحرص على المال والأعراض والثروات ، والحقيقة هم كذّابون، لا تنخدع بهؤلاء ، هذه ليست طريقة لاختيار العمّال، ما الطريقة إذن؟ التجربة ، قال: جرّبه، (ولكن اختبرهم) بماذا؟ (بما وُلُّوا) كانوا ولاة ((للصالحين قبلك، فاعمد لأحسنهم كان في العامّة أثراً وأعرفهم بالأمانة وجهاً)) . يقول: اختبرهم بما وُلُّوا للصالحين، ليسوا ولاة للظالمين والطالحين،بل ولاة للصالحين قبلك، (فاعمد لأحسنهم) أرسل إليه فهذا شفيعه، شفيعه حُسْنُ عملِه ، كيف أعرفه؟ ((لأحسنهم كان في العامّة أثراً)) من خلال أثره عند العامّة ، يقولون: هذا جيّد قد خسرناه، كان يتفقّدنا، وأيضاً ((أعرفهم بالأمانة وجهاً)) يعرف وجه ردّ الأمانة، وكيف يكون أميناً على ما تحت يده.

إن هذا العهد عهد أمير المؤمنين عليه السلام لمالك ورقة عمل مفصلة لأي حاكم والذي لا يعمل بها يفشل في كلّ شيء، وذكر الإمام عليه السلام فيها كيف تتعامل مع الجند و القضاة و العامّة الرعيّة والخاصّة ومع عمارة الأرض والجباية ومع الأموال وكلّ شيء، إن كلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا العهد لمالك ولغير مالك، بالنتيجة (مالك النوعي) يبقى الى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

نسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق للجميع والتسديد والسداد ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمدٍ وآله الطيّبين الطاهرين.

الجمعة ١٤ رجب ١٤٣٧ هـ
الموافق٢٢نيسان ٢٠١٦ م

بإمامة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي.

نصّ الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أيقن العابدون بجزيل ثوابه فخشعوا، وعلم الزاهدون بسعة رحمته فقنعوا، واستبان التائبون شديد أخذه وعظيم نكاله فضرعوا، أحمده حمداً تُملأ به الدواوين، ويُؤتى الكتاب به باليمين، وأستعين به على ما يطلبه، وأستجير به ممّا يغضبه، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً(صلى الله عليه وآله) عبده ورسوله، بصّر الخلق به من العمى، وأقامهم به على المحجّة العظمى، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله أبواب الإيمان وأُمناء الرحمن.

أوصيكم عباد الله تعالى ، وقبل ذلك أوصي نفسي بتقوى الله تعالى، فقد كلّفكم بطاعته وهو سائلكم عنها، ونهاكم وهو محاسبكم على معصيته، وأنذركم وهو جامعكم ليوم لا ريب فيه، وحذّركم وهو مجازيكم بعدلٍ لا ظلم فيه.

السلام على محبوبة المصطفى وقرّة عين المرتضى، السلام على نائبة الزهراء(عليها السلام)، السلام على الصدّيقة الصغرى ،السلام على كعبة الرزايا ،السلام على القلب الصبور، السلام على أمّ المصائب زينب(عليها السلام).

أيّها الإخوة والأخوات يمرّ علينا في يوم غدٍ ذكرى وفاة الصدّيقة الصغرى

زينب(سلام الله عليها) وبهذه المناسبة نتعرّض إلى ذكر شيء من سيرتها العطرة، ولكي نتعرّف ملامح هذه الشخصية العظيمة لنا طريقان الى ذلك:

الطريق الأوّل: هو ما ورد عن المعصومين من أحاديث في بيان مقامها ومنزلتها وشمائلها، وكيفية تعامل المعصومين معها (عليهم السلام).

الطريق الثاني: هو دراسة السيرة الذاتية، وذكر خصائصها وصفاتها ، وما ورد من كلامها وخطبها ومواقفها(عليها السلام).

أوّل ما نتعرّض له ذكر شيء من الخصائص التي ذكرها بعض العلماء ،وهي تكشف عن ملامح هذه الشخصية العظيمة ، ومنها أنّها: الصدّيقة الصغرى، ومن الخصائص التي وصفت بها أيضاً: الراضية بقضاء الله تعالى، وأمينة الله تعالى، وعالمةٌ غير معلّمة، ومحبوبة المصطفى، وقرّة عين المرتضى، ونائبة الزهراء، وشريكة الحسين، والزاهدة، وكعبة الرزايا، والفصيحة، والبليغة، والشجاعة، والعابدة، والكاملة، والرشيدة، ونور في الأصلاب الشامخة.

أيّها الإخوة والأخوات، لكي نتعرّف ملامح هذه الشخصية العظيمة ، ونكتسب دروساً وعبراً منها فتكون قدوةً للرجال والنساء على حدٍّ سواء، نبتدئ من يوم ولادتها ،ويكفي فخراً وشرفاً ومنزلةً عظيمةً لزينب أنّ تسميتها نزلت من السماء في يوم ولادتها، حينما جاءت بها الصدّيقة الطاهرة(سلام الله عليها) الى أمير المؤمنين خير الخلق بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله) طالبةً تسمية هذه المولودة التي أطلّت على الدنيا في اليوم الخامس من جمادى الأولى في السنة الخامسة للهجرة، فقال علي(عليه السلام) : ما أسبق رسول الله(صلى الله عليه وآله) بهذه التسمية، فجاء بها الى رسول الله ،أو في بعض الروايات أنّ رسول الله قد جاء الى بيت فاطمة، ونذكر هنا الروايتين ونقف في بعض المحطّات على هاتين الروايتين، فجاء النبي(صلى الله عليه وآله) الى فاطمة(عليها السلام) فقال: يا بنيّة آتيني ببنتك المولودة، فلمّا أحضرتها أخذها النبيّ(صلى الله عليه

وآله)، وضمّها الى صدره الشريف ،ووضع خدّه على خدّها فبكى بكاءً شديداً عالياً ،وسالت دموعه على خدّيه، نلاحظ منذ هذه اللحظة كان هناك إخبارٌ من السماء بواسطة جبرائيل عليه السلام الى النبيّ(صلى الله عليه وآله) بما يجري على هذه السيدة الجليلة حين أخذها بكى النبي(صلى الله عليه وآله)، فقالت السيدة الزهراء عليها السلام : ممَّ بكاؤك، لا أبكى الله عينك يا أبتاه؟ فقال: ((يا بنتاه يا فاطمة ، إنّ هذه البنت ستُبتلى ببلايا وترد عليها مصائب شتّى ورزايا أدهى...))[1]، هذه هي منزلة زينب (عليها السلام) على لسان سيّد المعصومين الرسول(صلى الله عليه وآله) .

أيّها الإخوة والأخوات ستتعرّف أيضاً من هذا الحديث منزلة البكاء على زينب ، وما معنى هذا البكاء؟ ما الذي نريد أن نعبّر عنه من خلال هذا البكاء؟ يقول: ((يا بضعتي وقرّة عيني، إنّ من بكى عليها وعلى مصائبها يكون ثوابه ثواب من بكى على أخويها))، يعني حينما تبكون على زينب(عليها السلام) كأنّكم تبكون على الحسن عليه السلام وتبكون على الحسين عليه السلام فتنالون ذلك الثواب نفسه.

فسمّاها (زينب) وفي بعض المصادر هذه التسمية من السماء، وفي بعض المصادر نزل جبرائيل من السماء ،فقال للنبيّ: يا رسول الله إنّ ربّك يُقرئك السلام ،ويقول: يا حبيبي اجعل اسمها (زينب)، ثم بكى جبرائيل فسأله النبيّ (صلى الله عليه وآله) عن سبب بكائه، فقال: إنّ حياة هذه البنت سوف تكون مقرونةً بالمصائب والمتاعب من بداية عمرها الى وفاتها. لاحظوا –إخواني- إذا كان النبيّ سيّد الأنبياء والمرسلين وسيّد الخلق أجمعين قد بكى على زينب، وإذا كان جبرائيل عليه السلام قد بكى على زينب، فمن نحن حتى لا نبكي ؟! وفي بكائنا إنما نقتدي برسول الله وجبرائيل عليهما السلام .

نقف أيضاً عند هذا المقطع، ما الفائدة من هذا المقطع؟ هل يكشف لنا عن منزلة عظيمة؟ هل يكشف هذا المقطع عن المكان السامي لزينب(عليها السلام)؟ نعم.. أيّها الإخوة والأخوات ،نلتفت الى هذه النقطة، تارةً الإنسان يمرّ بمصيبة في مرحلةٍ من

١-بحار الانوار: ٩٨/ ٣٠٩.

مراحل حياته ، والمصيبة قد تكون مختلفة في الشدّة، ولكن الإنسان الذي تبتدئ حياته منذ صغره الى أن يتوفّى وهي مليئة بالمحن والمصائب والمشاكل، وهذه المصائب تأتي الواحدة بعد الأخرى ثم يُقابلها بعظيم الصبر والتحمّل لقوّة إيمانه بالله سبحانه وتعالى، وتسليمه ورضاه بقضاء الله سبحانه وتعالى وقدره، وتوكّله على الله سبحانه وتعالى ،ويتحمّل كلّ هذه المصائب ويؤدّي دوره في حمل رسالة الإسلام الى المجتمع و يؤدّي هذه المهمّة وهو راضٍ بها أيضاً ، ولا يدعو الله أن يرفع هذه المصائب عنه، فبعض من أولياء الله يتعرّضون الى مصائب فيتحمّلون ويصبرون ولكن يصلون الى مرحلةٍ يدعون الله أن يرفع عنهم هذه المصيبة والمحنة والفقر والابتلاء، ولكن هناك من الأولياء من يتعرّض طوال حياته الى المصائب والمحن والبلايا الشديدة والعظيمة ويبقى متحمّلاً صابراً ثابتاً على هذه المصائب ويؤدّي الرسالة ويتحمّل الأذى ،ولا يدعو الله أن يرفع عنه البلاء وهذه المصائب، بل يعبّر من خلال حاله أنّه راضٍ كلّ الرّضا بكلّ المصائب الى أن تنتهي رحلة حياته وهو صابرٌ لا يدعو الله أن يرفع عنه المصاب والبلاء والمحنة.

تقرأون في القرآن الكريم أن هناك أولياء قد تعرّضوا الى الأذى، ويصلون الى مرحلة فيدعون الله : إلهي ارفع عنّي هذا البلاء والضرّ والمحنة والبأساء .ولكن في هذا الحديث الذي أخبر به جبرائيل عن الله تعالى، هذه المولودة الجديدة التي تربّت في أحضان النبيّ(صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء والحسن والحسين ستتعرّض الى مصائب ومحن ورزايا عظيمة، بعضها أعظم من بعض، متحمّلةً مؤدّيةً للرسالة التي جاء بها النبيّ(صلى الله عليه وآله) وهي صابرة الى آخر عمرها. فرق بين هذا وذاك؛ فلذلك سُمّيت (أمّ المصائب)، وكشف هذا عن عظيم منزلتها، وهذا يدلّ على مرتبةٍ عظيمة بقوّة الإيمان بالله تعالى وشدّة التسليم والرضا بقضاء الله سبحانه وتعالى وقدره، كأنّها تقول لربّها: أيُّ مصيبة وأيُّ بلاء وأي رزية تنزل عليّ من عندك أنا راضية بها، وأبقى الى آخر عمري راضية بهذه المصائب والبلاء، وأتحمّلها وأصبر وأثبت وأبقى أدعو الله سبحانه وتعالى وأؤدّي هذه الواجبات وأنا صابرة، هذا شيءٌ جميل أن

الإنسان يدعو الله سبحانه وتعالى ،ولكن يبقى الإنسان المؤمن الوليّ لله سبحانه وتعالى الى آخر عمره راضياً عن البلاء والرزايا وهو يدعو الله، فهذا يكشف عن عظيم المكانة السامية لزينب(عليها السلام)، لذلك في هذا الحديث نكتشف هذه المنزلة العظيمة.

نأتي الى ما نستفيده من دروس وعبرة من هذا الحديث الشريف، نوجّه كلامنا الى الأمّهات اللائي أُصِبْن بفلذات أكبادهن خصوصا الذين قُتلوا في سبيل الدفاع عن الدين والمقدّسات والبلد، نتوجّه الى الزوجات اللائي فقدن أزواجهنّ في معركة الدفاع عن الدين والبلد والمقدّسات والأعراض، نتوجّه الى الأخوات المؤمنات اللائي فقدن عزيزاً لهنّ نقول: اتّخِذْن من زينب(عليها السلام) مثالاً يُقتدى به بالصبر والثبات والتحمّل كما تعرّضت له زينب(عليها السلام)، ونرى هذا المثال خصوصاً في فاجعة الطف.

ونأخذ أيضاً درساً آخر أيّها الإخوة والأخوات، ما الذي نريد أن نعبّر عنه في بكائنا ؟ وكيف نحوّل بكاءنا الى مبدأ من الإيثار والتضحية والفداء كما هو المطلوب منّا؟ حينما بكى النبي(صلى الله عليه وآله) على زينب، عندما نبكي على هذه المرأة العظيمة التي تحمّلت هذه المصائب في سبيل الدفاع عن دينها ، هذا البكاء هو رسالة مبدأ وقيم نعبّر من خلالها عن قوّة إيماننا واستعدادنا للتضحية عن الإسلام ومن أجل الإسلام، ونعبّر عن إدانتنا لهذه الجريمة وعن عميق ولائنا للنبيّ(صلى الله عليه وآله)و نعبّر عن براءتنا من أعداء الله تعالى ورسوله، هكذا ينبغي أن يكون بكاؤنا ،يتحوّل الى تجسيد لهذه المبادئ والقيم في حياتنا كما نرى الآن.

إخواني قد يسأل سائل، هذا الذي نراه من عظيم التضحية والفداء في سبيل الدفاع عن هذا البلد والمقدّسات والأعراض كيف وصل الى هذه المرتبة؟ أن نرى رجالاً كباراً في السنّ بلغوا السبعين والثمانين وهم في سواتر القتال، أن نرى فتياناً وشبّاناً صغاراً في العمر ،حينما تقرأ عن بعض الشهداء الذين سقطوا في هذا الدفاع تجد أعمارهم سبع عشرة سنة أو ثماني عشرة سنة ،من أين جاء هذا المستوى من التضحية والفداء عند

الصغار وعند الكبار؟ من أين جاء هذا المستوى من التحمّل عند الكثير من الأمّهات اللائي فقدن ثلاثةً من الأولاد وربما فقدن أربعة في هذه المعركة وهنّ صابرات؟ من أين جاء هذا ؟ جاء هذا من هذه المجالس الحسينيّة ،وإصراركم على الحضور فيها، جاء هذا من إصراركم وتحمّلكم للتضحيات في مسيركم الى الإمام الحسين(عليه السلام) وأنتم أمامكم التفجيرات ،ومن المُمكن أن يُقتل الواحد منكم أو يجرح أو تُقطَع أعضاؤه وهو يسير في هذا الدرب، بكاؤكم على الحسين(عليه السلام) وعلى زينب(سلام الله عليها) -ولا نتعجّب من ذلك- نتاج هذه المجالس وثمارها، وهذا البكاء تحوّل الى مبادئ من الايثار والتضحية والفداء جُسّد في هذه المعارك؛ لذلك -إخواني -إذا أردنا أن نحارب ونحافظ على ديمومة هذه المبادئ وتجسيدها على أرض الواقع، احرصوا على حضور هذه المجالس والبكاء ، ولكن الحضور الواعي والبكاء الواعي الذي يحفظ المبادئ التي من أجلها نبكي ونحضر هذه المجالس لا البكاء العاطفي المجرّد ، وإن كان مطلوباً لكي نعبّر عن حبّنا لأهل البيت(عليهم السلام)، وكذلك الحضور الذي نفهم منه ماذا يريد منّا النبي(صلى الله عليه وآله) والأئمّة الأطهار؟ ما الذي يريدون منّا أن نجسّده في أرض الواقع؟ هذا بالنسبة للرجل والمرأة والصغير والكبير.

ومن الأمور التي نراها بارزة واضحة من سمات زينب(عليها السلام) المتهجّدة العابدة ، وهذا مثال يقتدي به النساء والرجال ، فقد أشبهت زينب(عليها السلام) أمّها الزهراء بهذه الصفة حتى أنّنا نراها في اللحظات الصعبة من حياتها لا تترك العبادة، زينب(عليها السلام) في كلّ رحلتها التي مرّت بها في واقعة الطفّ كانت تصلّي الفرائض والنوافل من قيام حتى أنّها في بعض المنازل من الكوفة الى الشام صلّت بعضاً منها من جلوس ونسأل، لماذا؟ قد يظنّ بعض أنّه من عظيم مصابها بأولادها ،وربّما في يوم العاشر ليلاً من عظيم فجيعتها بأخيها الإمام الحسين(عليه السلام) ، لاحظوا عظمة هذه الشخصية حينما يُنقَل عن الإمام زين العابدين(عليه السلام) أنّ عمّتي زينب كانت تؤدّي صلاتها-الفرائض والنوافل- من قيام عند سير القوم بنا من الكوفة الى الشام، وفي

بعض المنازل كانت تصلّي من جلوس فسألتها عن سبب ذلك ، فأجابت قائلة: أُصلّي من جلوس لشدّة الجوع والضعف منذ ثلاثة أيام أو منذ ثلاث ليال؛ لأنّ الواحد من أهل النبوّة الذين سُبُوا من الكوفة الى الشام يُعطى في اليوم الواحد والليلة رغيفاً واحداً من الخبز، وكانت زينب(عليها السلام) تتخلّى عن هذا الرغيف وتبقى جائعةً وتقسمه بين الأطفال والنسوة، فبلغ بها الحدّ من الجوع والضعف أنّها بعد ثلاثة أيّام صلّت هذه النوافل من جلوس، ولاحظوا كيف كانت عبادتها لله تعالى ومقامها في هذا الشأن، كان الحسين(عليه السلام) في وداعه الأخير يقول لها: لا تنسيني في صلاة الليل وفي نافلة الليل. فأيّ مقام عند الله سبحانه وتعالى لزينب(عليها السلام)؟ إنّ الإمام الحسين(عليه السلام) سيّد الشهداء المعصوم يطلب من زينب(عليها السلام) فيقول لها حينما ودّعها الوداع الأخير :((يا أختاه لا تنسيني في نافلة الليل))[1]، أيّ مقام عظيم لزينب(عليها السلام)؟

أوجّه كلامي الى أخواتنا المؤمنات اللاتي يعتبرن ونعتبر فاطمة الزهراء وزينب قدوتنا في ذلك، إنّ زينب لم يُرَ شخصُها طوال حياتها في زمن أمير المؤمنين(عليه السلام) وفي زمن الحسن والحسين(عليهما السلام) الى أن أُخذت سبيّة ،وأُدخلت على مجلس للرّجال عند عبيد الله بن زياد وعند يزيد، يذكر المؤلِّفون عن زينب(عليها السلام) أنّها لم يُرَ شخصها ووجهُها ولا شيء آخر، يعني لم تُرَ بتمامها أمام جمع من الرجال، لم تشاهَدْ بشخصها في حياتها حتى أنّها كانت تخرج ليلاً لزيارة قبر أمّها الصدّيقة الطاهرة، فهي بحجابها طوال أيّام حياتها من الرجال الى أن أُجبرت على أن تدخل على يزيد وأُجبرت على أن تدخل على عبيد الله بن زياد في مجلسٍ للرجال، أيُّ عفّةٍ بلغت هذه المرأة؟ هذه سيرة نوجّهها الى أخواتنا المؤمنات جميعاً للاقتداء بزينب(عليها السلام).

أمّا مقامها العلمي ، ونستفيد منه -أيّها الإخوة والأخوات- لكي نتفقّه في الدين ونحثّ أنفسنا للتفقّه في الدين، فكانت تجلس في أيام خلافة أمير المؤمنين في الكوفة بالبيت ،وتعقد مجلساً للنساء لبيان الأحكام الفقهية ،وبيان الأحكام الشرعية ،وبيان

١ -ليلة عاشوراء في الحديث والادب: الشيخ عبد الله الحسن ، ط١ ، ١٤١٨هـ ، ٦٥.

الآداب والأخلاق والسيرة، وغير ذلك من الأمور، وكانت تتصدّى الى بيان الأحكام الشرعية أيّام الإمام الحسين(عليه السلام) وفي أيّام أخرى حتى أن خطبة الزهراء(عليها السلام) في شأن فدك نقلها عبدالله بن عباس عن زينب(عليها السلام)، هذه الخطبة العظيمة في مضامينها العقائدية والتربوية في مقام الدفاع عن الإمامة والولاية نقلتها زينب(عليها السلام)، كم كان عمرُها حينها ؟! عمرها ست سنوات ؛لأنّها وُلِدَت في السنة الخامسة للهجرة ، وهي خطبة عظيمة في مبادئها وقيمها، حتى أنّ عبدالله بن عباس كان يفتخر يقول: حدثتنا عقيلتنا زينب بنت علي. وفي بيان مقامها العلميّ ومقامها الدينيّ العظيم أنّها نقلت عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) عهده الى الأمّة التي ستحفظ مبادئ الإمام الحسين(عليه السلام) ، هذا العهد العظيم الذي أختم هذه الخطبة بتلاوة نصّه الذي نقلته زينب(عليها السلام) الى الإمام زين العابدين(عليه السلام) ، ويكشف لكم أيّ مقام ،وأيّ عمل عظيم تتقرّبون به الى الله والى رسوله والى أمير المؤمنين والأئمّة الأطهار(عليهم السلام) من خلال حفاظكم على هذه المبادئ والقيم التي أخذت رمزها هذه الراية المرفوعة على قبّة الإمام الحسين(عليه السلام) ، نحن لا ننظر الى هذه الراية على أنّها مجرّد قطعة من قماش تُرفع على القبّة الذهبية، بل ننظر الى هذه الراية على أنّها تحمل هذه المبادئ، وعلينا أن نحافظ عليها ونديمها ونصونها ونضحّي من أجلها؛ لأنّ هذه الراية هي عهدٌ من رسول الله(صلى الله عليه وآله) نُقل الى الإمام زين العابدين(عليه السلام) وزينب نقلته ونُقِل الينا، كما في هذه الرواية حينما شاهدت زينب(عليها السلام) حزن الإمام زين العابدين(عليه السلام) الشديد على أبيه الحسين(عليه السلام) قالت له: ((مَا لِي أَرَاكَ تَجُودُ بِنَفْسِكَ يَا بَقِيَّةَ جَدِّي وَأَبِي وَإِخْوَتِي))[1]، فقال: ((وَكَيْفَ لَا أَجْزَعُ وَ أَهْلَعُ وَقَدْ أَرَى سَيِّدِي وَإِخْوَتِي وَ عُمُومَتِي وَوُلْدَ عَمِّي وَأَهْلِي مُصَرَعِينَ بِدِمَائِهِمْ مُرَمَّلِينَ بِالْعَرَاءِ مُسَلَّبِينَ لَا يُكَفَّنُونَ وَلَا يُوَارَوْنَ وَلَا يُعَرِّجُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ وَلَا يَقْرَبُهُمْ بَشَرٌ كَأَنَّهُمْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنَ الدَّيْلَمِ وَالْخَزَرِ))[2]، فقالت(عليها السلام): ((لَا يُجْزِعَنَّكَ مَا تَرَى فَوَ اللهِ إِنَّ ذَلِكَ لَعَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ(صلى الله عليه واله وسلم) إِلَى جَدِّكَ وَ أَبِيكَ وَ عَمِّكَ وَ لَقَدْ أَخَذَ اللهُ الميثاق [مِيثَاقَ] أُنَاسٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا تَعْرِفُهُمْ فَرَاعِنَةُ هَذِهِ

١-كامل الزيارات: ٢٦١.
٢- م. ن: ٢٦١.

الْأُمَّةِ وَ هُمْ مَعْرُوفُونَ فِي أَهْلِ السَّمَاوَاتِ أَنَّهُمْ يَجْمَعُونَ هَذِهِ الْأَعْضَاءَ الْمُتَفَرِّقَةَ فَيُوَارُونَهَا وَ هَذِهِ الْجُسُومَ الْمُضَرَّجَةَ وَ يَنْصِبُونَ لِهَذَا الطَّفِّ عَلَماً لِقَبْرِ أَبِيكَ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ لَا يَدْرُسُ أَثَرُهُ وَ لَا يَعْفُو رَسْمُهُ عَلَى كُرُورِ اللَّيَالِي وَ الْأَيَّامِ وَ لَيَجْتَهِدَنَّ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَ أَشْيَاعُ الضَّلَالَةِ فِي مَحْوِهِ وَ تَطْمِيسِهِ فَلَا يَزْدَادُ أَثَرُهُ إِلَّا ظُهُوراً وَأَمْرُهُ إِلَّا عُلُوّا))[1]، لاحظوا إخواني بعد قرون من الأزمنة ،وهذه المحاولات من هؤلاء الفراعنة والطواغيت أن يمحوا أثر هذا العلم الذي يمثّل رمزيّة هذه المبادئ ،وإذا بهذه الراية تمتدّ الى كلّ بقاع الأرض في شمال الأرض وجنوبها وفي شرقها وغربها ، أينما تذهبون الآن الى أيّ بلد من البلدان مهما كان في أقصى الشرق أو الغرب أو في أقصى الشمال أو الجنوب تجدون هذه الراية قد رُفعت على أسطح الجوامع والحسينيات والمراكز الثقافية وغير ذلك من الأماكن التي يُذكر فيها الإمام الحسين عليه السلام ومبادئه، هذا العهد نقلته زينب(عليها السلام) وهذا أيضاً يكشف عن عظيم شأن هذه الشخصية العظيمة. نسأل الله تعالى أن يوفّقنا للاقتداء بها ،والسير على نهجها إنّه سميعٌ مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله على محمّدٍ وآله الطيّبين الطاهرين.

١- كامل الزيارات: ٢٦١،٢٦٢.

الجمعة ١٤ رجب ١٤٣٧ هـ
الموافق٢٢نيسان ٢٠١٦ م

نصّ الخطبة الثانية

أيّها الإخوة والأخوات نقرأ على مسامعكم الكريمة مقطعاً آخر من عهد أمير المؤمنين(عليه السلام) لمالك الأشتر يتضمّن مبادئ مهمّة للحكّام والساسة يُضمن من خلالها استقرار الوضع السياسي وانتظام أمور الرعية ،واستقرار الأوضاع العامّة ،وتحقيق العدالة والتقدّم لعموم المجتمع، مع شرحٍ لفقراته يقول(عليه السلام) :

((أَنْصِفِ اللهَ وأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ ومِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ ومَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلاَّ تَفْعَلْ تَظْلِمْ، ومَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهِ كَانَ اللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ وَمَنْ خَاصَمَهُ اللهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ وَكَانَ لِلَّهِ حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ)).

ثمّ يقول(عليه السلام) : ((وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْم فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَدِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ))[1].

يقول(عليه السلام) في عهده الى مالك الأشتر - رضوان الله تعالى عليه- : ((انْصِفِ اللهَ وأَنْصِفِ الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك)) نوضّح ذلك:

١- شرح نهج البلاغة :١٧/ ٣٤.

إنصاف الله هو العمل بأوامره والانتهاء عن نواهيه مقابلاً لنِعَمه ، وهو أوّل الإنصاف فإنّه سبحانه قد أنعم علينا نعماً لا تعد ولا تُحصى، فليس من الإنصاف أن نعصيه بها ونكفر بهذه النعم ونستعملها بمعصيته، الله تعالى أنعم علينا بنعمة الوجود ،ونعمة العقل ،ونعمة الجوارح الأذنين واليدين والرجلين وغير ذلك من النعم الكثيرة التي لا تُعدّ ولا تُحصى، يقتضي الإنصاف أن نستخدمها في طاعته والانتهاء عن نواهيه ،وأن لا نرضى لأنفسنا إلّا ما يرضاه الله تعالى لنا من الاعتقاد بالمعارف الحقّة والأخذ بالمنهج القويم، وان لا نرضى لأنفسنا الا ما ارتضى لنا من القادة والائمة؛ فهو المطلع على الأسرار ويعرف أن هؤلاء هم الأصلح .

ويأتي من بعده إنصاف الناس ((وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ ومن أهل خاصّتك ومن لك فيه هوىً من رعيّتك)) الشيء الثاني الذي يوجّه فيه الإمامُ مالكاً الأشتر هو إقامة العدل في عموم الرعيّة وعدم إعطاء الامتيازات، هذا موجَّه لكلّ حاكم ولكلّ شخص بيده أمور الرعيّة، هو أن يقيم العدل ويحق الحق في صفوف الرعية ، وذلك بأن لا يميز نفسه أو من هو من خاصّة أهله وأقاربه أو من بطانته وحاشيته أو من له هوى ورغبة فيه من المقرّبين منه ومن المسؤولين والوزراء ومن اهل المال والوجاهة ، او منطقته او عشيرته او مذهبه او دينه وغير ذلك .

أيها الاخوة والاخوات إقامة العدل في مقابله التميز، والتمييز يكون أحيانا في الحكم أو القضاء أو العطاء أوفي المال والخدمة ، أما في الحكم فهو بأن تعطي الموقع لمن يستحقه، فلا تميز هذا الشخص لكونه من اهلك ومن اقربائك ومن بطانتك ومن حزبك ومن كتلتك او من منطقتك وعشيرتك او شخص انت تميل اليه وترغب فيه وتحبه وتحابيه فتعطيه تميزا على شخص آخر يستحق هذا الموقع، اما التمييز في القضاء فهو ان تفرق بين شخص وآخر ؛ لكونه من اهلك وقرابتك وبطانتك وحاشيتك او من اهل المال والمقربين وأهل الوجاهة او من اهل منطقتك او من مذهبك تميزه على غيره من عامة الرعية بان تطبق حكما قضائيا عليه ولا تطبقه على من هو قريب منك ، أو تميزه

في العطاء والخدمة والمال بان تؤثره على غيره من الرعية فتعطيه الكثير من الامتيازات المالية والمعيشة المرفهة والحياة المترفة وتحرم بقية الرعية ، بل عليك ان تخرج من حقوق الجميع ، من الخاصة والمقربين منك ، ومن العامة من الرعية فالكل تخرج من حقوقهم التي عليك ، ويبين الإمام عليه السلام نتائج التمييز والميل والمحاباة وإعطاء الامتيازات لهؤلاء وهم الخاصة من أهل الحاكم ومن له هوى فيه من الرعية ، فما نتائج ذلك؟ بين الإمام عليه السلام أنه من الظلم الفاحش والجلي ،الذي نتائجه أمران كما في هذا المقطع((فإنك الا تفعل)) أي ان لم تفعل الانصاف ، إنصاف عموم الرعية والناس من نفسك وخاصة أهل بيتك فيقول الامام عليه السلام : ((وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهِ كَانَ اللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ وَمَنْ خَاصَمَهُ اللهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ)) فاذا حصل الظلم فان الله تعالى عادل وحكيم ونصير للمظلومين وخصم للظالمين لا يرضى لعباده الظلم حينئذ ، فان حصل الظلم بسبب هذا التمييز كان الله خصما لهذا الحاكم والسياسي و المسؤول الظالم. ومن نتائج ذلك أن الله ادحض حجته أي انه أبطل الحجة ، ولا يقبل منه عذر ،ففي بعض الأحيان يرتكب الإنسان الذنوب، وهو يحاول أن يبرر هذا الذنب ببعض الأعذار ،فالله تعالى برحمته ولطفه يقبل هذا العذر وإن كان في حقيقته غير مقبول . أما في هذا الموضع فان الله تعالى سيكون خصمك ويدحض حجتك بما يبطلها ولا يقبل منك العذر بل سيعاقبك في الآخرة ، والشيء الاخر الذي يبينه الامام (عليه السلام) أن هذا الظلم ستعجل عقوبته في الدنيا قبل الآخرة، وهو ادعى لتغير النعم، ولذلك يقول عليه السلام :((ومن خاصمه الله أدحض حجته وكان لله حربا)) فأصبح محاربا لله تعالى الى أن ((ينزع)) بمعنى يقلع ، او يترك هذا الظلم ولا يقيم عليه، او((يتوب)) الى الله تعالى ، ويقول الامام عليه السلام في بيان نتائج التمييز والمحاباة:

((وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَدِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ))، بل ورد في بعض الأحاديث أن الحاكم الذي يحكم في الكافرين بالظلم يعجل الله تعالى بعقوبته أيضا، فورد في هذا

الحديث : ((إنَّ اللهَ- عَزَّوَجَلَّ- أَوْحى إلى نَبيٍّ مِنْ أَنْبيَائِهِ في مَمْلَكَةِ جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَّارِينَ: أَنِ ائْتِ هذَا الْجَبَّارَ، فَقُلْ لَهُ: إنِّني لَمْ أَسْتَعْمِلْكَ عَلى سَفْكِ الدِّمَاءِ وَ اتِّخاذِ الْأَمْوَالِ))(١)، فإنا ما تركتك حاكما على هؤلاء لتعطي لنفسك الامتياز في هذه المكاسب المالية وغيرها ، ((وَإِنَّمَا اسْتَعْمَلْتُكَ لِتَكُفَّ عَنِّي أَصْوَاتَ الْمَظْلُومِينَ))(٢) فتقف مع المستضعفين وترفع عنهم الظلامة ، ومع المحرومين فتقضي حوائجهم ،لا ان تصل الى هذا الموقع من الحكم لكي تعطي لنفسك وخاصتك هذه الامتيازات من العيش المرفه والحياة المنعمة ، بل لكي تلبي حاجات المستضعفين والمحرومين ،فإني لا أدع ظلامتهم ولو كانوا كفارا ؛ ولذلك ورد في الحديث عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) : ((أسرع الخير ثوابا البر وصلة الرحم)) فأي ظلم يقع فان الله يعجل ويسرع بعقوبته ، فاذا أردت خير عاجل أحسنْ الى الآخرين ، وصِل رحمك ((واسرع الشر عقوبة البغي وقطيعة الرحم)) فالبغي والظلم شرٌّ معجّل للعقوبة، وكذلك قطيعة الرحم ، ثم يبين الامام (عليه السلام) هذا الظلم اذا استمر ((وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُور إلَيْكَ أَوْسَطُهَا في الْحَقِّ وَأَعَمُّهَا في الْعَدْلِ وَأَجْمَعُهَا لِرِضَا الرَّعِيَّةِ فَإنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ وَإنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ)) يوصي الإمام(عليه السلام) بثلاث وصايا حتى تستقيم الأمور ، ويستقيم الوضع السياسي ، وتستقيم وتنتظم أمور المجتمع .

((وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقّ)) يعني أقربها الى الوسط ، لا تمِلْ الى الإفراط والتفريط، وهو الحقّ، ((وأعمّها للعدل وأجمعها لرضا الرعيّة))، فإنّ العدل قد يُوقَع على وجه لا يعمّ العامة بل يتّبع فيه رضاء الخاصة، ونبّه(عليه السلام) على لزوم العدل العام لرضاء الرعية وحفظ قلوب العامة (وَأَعَمُّهَا في الْعَدْلِ وَأَجْمَعُهَا لِرِضَا الرَّعِيَّةِ، فَإنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ وَإنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ) الإمام(عليه السلام) يبيّن: أيّها الحاكم أيّها المسؤول إذا حرصت على رضا المقرّبين منك ومن بطانتك وخاصّتك ومن هم بمعيّتك ، ولم تحرص على رضا العامة من الناس؛

١- الكافي :٢/ ٣٣٣.
٢- م. ن: ٢/ ٣٣٣.

لأنّك لم تُقم العدل فيهم ، فما نتائج ذلك؟ أمران يبيّنهما الإمام عليه السلام :

إنّ سخط العامّة وعدم رضاهم عن الحاكم سوف لا يقاومه رضا الخاصّة ولا يستطيع أن يصمد أمام غضب عامّة الناس وسخطهم ، هذا أوّل نتيجة. النتيجة الثانية يبيّن الإمام عليه السلام أنّ عامة الناس فيهم صفات محمودة سنبيّنها، ويجب أن تُراعى ويهتمّ بها، المقرّبون والخاصة فيهم صفات مذمومة ينبغي أن لا يُعتنى بشأنها، يبيّنها الإمام عليه السلام ، فيقول :((فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَا الْخَاصَّةِ)) يعني إذا رضي المقرّبون من الحاكم ولم يرضَ العامّةُ من الناس عن الحاكم فإن رضا الخاصّة سوف لا يصمد ولا يقاوم سخط العامّة وغضبهم، لماذا؟ لأنّ العامّة من الناس وهم الأكثرية في المجتمع وبهم قوام الدين ، وبهم يحافظ على البلد، وبهم يُدافع عن المقدّسات ،وبهم يدافع عن الأعراض، وبهم عجلة الاقتصاد تتحرك، وبهم تقام الزراعة والصناعة والخدمات.

الثاني أمّا صفات الخاصّة ، نعم بيدهم الأمور و لهم دورٌ في ذلك في مصالح عموم المجتمع والبلد، إذا أحسنوا الأداء ولم يميّزوا من البقيّة بالمكاسب السياسية والمالية والعيش المترف والحياة المنعّمة، إذا لم يكونوا كذلك تنعّموا وترفّهوا وكسبوا المزيد من المال وغيرها والعامّة لا تعيش آخذةً بحقوقها فيؤدّي ذلك الى غضبها وسخطها، رضا الخاصّة سوف لن يصمد أمام سخط العامة ويهتزّ البلد ويضطرب الوضع السياسي ، ونقول هنا من الذي دافع عن العراق عندما هدّده داعش؟ من الذي حفظ وحدة العراق والمقدّسات والأعراض؟ أليس هم عامّة الناس؟ اليس هؤلاء الناس والشباب من عامة الناس الذين خرجوا ودفعوا دماءهم غالية ،وتعرضوا الى هذه الجراح وغير ذلك من هذه النتائج ، اليس هؤلاء هم من اقام النظام السياسي و حفظه ، اليسوا هم الذين خرجوا الى الانتخابات وكانت الأوضاع صعبة مع معاناتهم وما يمرون به من ظروف صعبة وقاسية وكانوا يخرجون ويحفظون أسس هذا النظام السياسي، من الذي قوام الدين به؟ من الذي يخرج الى المساجد والحسينيات ويقوم بالزيارة ؟ومن الذي يتعرض الى التفجيرات في الأسواق والمساجد وفي الحسينيات ويُقتَل الالاف منهم ويجرح الكثير

وتتعرض النساء الى الترمل والأطفال الى اليتم ، من هم ؟ أليسوا هم عامة الناس ، ما الفائدة من رضا الخاصة مع سخط العامة؟ ثم يبيّن الإمام(عليه السلام) تلك الصفات الممدوحة في عامّة الناس التي بها قوام هذه الأمور، و تلك الصفات المذمومة التي لدى الخاصّة حتى تؤدّي الى هذه النتائج ،يقول: ((وليس أحدٌ من الرعيّة أثقل على الوالي مؤونةً في الرخاء)) -نلتفت هنا- أيّام الرخاء والوفرة المالية هؤلاء المقرّبون يُطالبون بالمزيد من المال والامتيازات ، ولكن في وقت البلاء ما موقفهم؟ هؤلاء اثقل مؤونة بينما عامة الناس لا يطالبون باكثر من حقوقهم ، فأولئك كلما نالوا امتيازا ومكسبا طالبوا بالمزيد والمزيد ، ولا يرضون بحد معين ،والعامة من الناس لا يطالبون الا بحقوقهم الا بالحد الأدنى الذي يكتفى به في معيشتهم، فيقول عليه السلام :((وليس أحدٌ من الرعيّة أثقل على الوالي مؤونةً في الرخاء واقل معونة له في البلاء)) من الذي يقف مع الحاكم وقت الشدة والمحنة ؟ومن الذي يدافع على الوضع في البلد ويحفظ المقدسات ويحفظ أعراض المواطنين؟ حينما كانت العاصمة على وشك السقوط بأيدي داعش والمقدسات معرضة للتهديد من الذي خرج ولبى نداء المرجعية الدينية العليا وفدى بنفسه وبأهله وماله هذا البلد؟ ومن الذي عرض نفسه الى القتل والى الجراح؟ اليس هؤلاء العامة اليس هؤلاء الرجال هم الذين فدوا أنفسهم من حبهم لوطنهم وبلدهم ومقدساتهم ، اما القريبون من الحاكم الا القلة القليلة جدا ينسحبون عند البلاء ؛لان امتيازاتهم مهددة بالخطر ويعتبرون انفسهم هم النخبة التي لابد منها لإدارة أمور البلاد ولا يمكن ان تستقيم من دونهم ، فعامة الناس هم الذين يقفون مع الحاكم أيام الشدة والبلاء؛ لذلك يقول عليه السلام : ((واقل معونة له في البلاء واكره للأنصاف واسال بالإلحاف)) يكرهون ان يكون هناك انصاف بينهم وبين عامة الناس ،وان يعيش المقربون من الحاكم مثلما بقية الناس فيعيشون في بيوت عادية وفي مستوى عادي من المعيشة ،لا يرضون بذلك بل يطلبون ان يمتازوا وان يتفوقوا ويكون لهم الفضل على بقية الناس ليس في المنصب والموقع بل حتى في المال والامتيازات والمكاسب الدنيوية والمعيشة التي يعيشونها ((واكره للأنصاف واسال للإلحاف)) ، الحاح وشدة في السؤال فكلما نالوا شيئا طالبوا

ويشتدون في المطالبة بينما عامة الناس لا يتمكنون من الوصول فلا يستطيعون السؤال أحيانا فضلا على ان يكونوا ملحفين في السؤال. ((واقل شكرا عند الاعطاء وأبطأ عذرا عند المن)) فاذا أعطوا لم يكونوا من الشاكرين بل قالوا ان هذا استحقاق لنا من الامتياز ، واذا منعوا لا يعذرون في ذلك ((واضعف صبرا عند ملمات الدهر)) ،وهذه الملمات التي تطرأ والنوائب والمحن ليست في سنة او سنتين، من الذي هو اقوى صبرا واثبت في هذه السنين الطوال من المحن والابتلاءات ، اليسوا عامة الناس؟ فتارة التفجيرات في كل مكان، وتارة ازمة مالية وليس هناك عمل ، واحيانا ابتلاء بداعش ويقدمون الضحايا ،واحيانا بلاء اخر ويصبرون ، ويصبرون ويتحملون ، من هم اثبت واربط جأشا وتحملا وصبرا في ملمات الدهر التي تترى واحدة تلو الاخر ؟ عامة الناس ، إن الذين سيقفون معك -أيها الحاكم - ويثبتون لك الحكم والنظام وتستقر لهم الأوضاع هم عامة الناس لانهم سيتحملون معك هذه الملمات والشدائد ، واما المقربون فانه اذا اشتدت الخطوب والمحن تراهم يلملمون حقائبهم ويتركون البلد في بليته ومحنته لذلك يقول عليهم السلام:((واضعف صبرا عند ملمات الدهر من اهل الخاصة)) فهذه النتائج حتى تترتب ويضمن استقرار الوضع في البلد وعلى جميع المستويات فانك عليك ان ترضي العامة من الناس ،وذلك بان تعدل فيهم وتعطيهم حقوقهم، أما اذا آثرت المقربين والخاصة واعطيتهم الامتيازات على حساب حقوق الاخرين، فان هؤلاء فيهم من الصفات التي لا يمكن أن يبقى معها الحكم ولا يمكن ان تستقر الأوضاع . إذن لابد ان يكون هناك منهج مرسوم وفق ما بينه امير المؤمنين(عليه السلام) حتى نكون من الموالين حقا لا دعوى على الالسنة فقط ، فاذا لم يطبق الشخص مهما كانت دعواه هذا المنهج فهو كاذب في دعواه ، انه يوالي امير المؤمنين (عليه السلام) ؛لان الولاء الحقيقي انما هو بالاتباع وليس بالادعاء العلن ،لذلك حينما يوجه كلامه الى مالك الاشتر فهو كلام موجه للحكام والساسة والقادة جميعهم.فإن اقتديتم به استتبت لكم الأوضاع واستقرت وتطور البلد وازدهر وعاش الناس في سعادة وان اثرتم المقربين منكم والخاصة من اهلكم واقربائكم وكتلكم واحزابكم ومناطقكم وعشائركم فكانت النتيجة ما يذكره الامام عليه السلام .

الجمعة ٢١ رجب ١٤٣٧ هـ
الموافق٢٩نيسان ٢٠١٦ م

- بإمامة سماحة السيد أحمد الصافي.
- نصّ الخطبة الأولى

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه أبي القاسم محمد وعلى آله الطيّبين الطاهرين، الحمد لله عدد ما أولى من نِعَم، ومبلغ ما والى من كرم، ووفاء ما واتر من إحسان، ومقدار ما ظاهر من فضلٍ وامتنان.

إخوتي أهل الإيمان، أبنائي سادة الغد، آبائي أهل الرأي والمشورة ،أخواتي بنات النجابة ،بناتي طالبات العفّة ،أمّهاتي مربّيات الفضيلة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أوصيكم ونفسي التي لا ترعوي، بتقوى الله تبارك وتعالى والاستمساك بعروته الوثقى ، والثبات على صراطه المستقيم ،والسعي لمرضاته تعالى، وفّقنا الله وإيّاكم لفعل الخير وألبسنا وإيّاكم لباس التقوى.

كان حديثنا فيما مضى عن كنزٍ من كنوز المعرفة ألا وهو دعاء طلب التوبة للإمام السجاد(صلوات الله وسلامه عليه)، وقد تناولنا معكم الفقرات الأولى من هذا الدعاء، ولقد بينّا أنّ هذا التراث المعرفيّ للأئمّة الأطهار(صلوات الله وسلامه عليهم) هو تراثٌ

لابُدّ من الإحاطة به، والوقوف على تلك المعاني الجليلة التي بيّنها الأئمّة الأطهار (عليهم السلام)، ولعلّ الصحيفة السجّادية من موارد المعرفة التي تطمح اليها البشريّة في موارد متعدّدة لا تخرج في الصورة الظاهرية عن كونها حالة من الدعاء بين العبد وربّه، لكنّها في الوقت نفسه تتضمّن معارف اجتماعية ونفسية وتربويّة عقائديّة وفقهية واسعة جدّاً؛ ولذا قلنا إنّ الصحيفة السجّادية تُقرأ من جهتين، تُقرأ تارةً على نحو الدعاء، والإنسان ممكن أن يفرغ من الدعاء في دقائق ويؤدّي وظيفة الدعاء ، والقراءة الثانية أبعد من ذلك وأعمق ،وهي قراءة تأمّل للأدعية المبثوثة فيها، حتّى إذا استطاع الإنسان أن يقرأ على النحو الأوّل قراءة عن معرفة، فالقراءة الثانية قراءة التأمّل تزيد الإنسان بصيرة ووعياً وإدراكاً بأنّه عندما يدعو على النحو الأوّل -الدعاء العبادي- فإنّ دعاءه سيكون دعاءً مهمّاً متوجّهاً.

وقد قطعنا معكم شوطاً في ذلك وبيّنّا بعض الموارد، نكمل الآن فقرات الدعاء بعد إيجاز ما وقفنا عنده ، قال: ((حَتّى إِذَا انْفَتَحَ لَهُ بَصَرُ الْهُدى وَتَقَشَّعَتْ عَنْهُ سَحَائِبُ الْعَمى أَحْصى ما ظَلَمَ بِهِ نَفْسَهُ وَفَكَّرَ فِيما خالَفَ بِهِ رَبَّهُ فَرَأى كَبِيرَ عِصيانِهِ كَبِيراً وَجَلِيلَ مُخالَفَتِهِ جَلِيلاً فَأَقْبَلَ نَحْوَكَ مُؤَمِّلاً لَكَ مُسْتَحْيِياً مِنْكَ وَوَجَّهَ رَغْبَتَهُ إِلَيكَ ثِقَةً بِكَ فَأَمَّكَ بِطَمَعِهِ يَقِيناً وَقَصَدَكَ بِخَوْفِهِ إِخْلاصاً قَدْ خَلا طَمَعُهُ مِنْ كُلِّ مَطْمُوعٍ فِيهِ غَيْرِكَ وَأَفْرَخَ رَوْعُهُ مِنْ كُلِّ مَحْذُورٍ مِنْهُ سِواكَ فَمَثَلَ بيْنَ يدَيكَ مُتَضَرِّعاً وَغَمَّضَ بَصَرَهُ إِلَى الأَرْضِ مُتَخَشِّعاً))[١] قد يمرّ الإنسان بحالة من الكبرياء والغرور، يرى نفسه أفضل من الآخرين، ولاشكّ أنّ هذه الرؤية هي رؤية غير صحيحة وتكشف عن مشكلة عند هذا الإنسان، ولذلك ورد في القرآن الكريم : ((وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ))[٢]، والوجه في ذلك أنّ الإنسان يشترك مع بقيّة أبناء جلدته في مواطن كثيرة، ما وجه التكبّر والعُجب؟ ما وجه أن يرى نفسه أفضل من الآخرين؟ هذه النظرة الواهية الموهومة لابُدّ أن تتبدّل، إمّا تتبدل باختيار الإنسان عندما يلتفت أو تتبدّل رغماً عنه، إذا تبدّلت هذه

١-الصحيفة السجادية: ١٤٠.
٢-لقمان: ١٨.

النظرة باختيار الإنسان معنى ذلك أنّ الإنسان اختار الجادّة الوسطى ، وحاول أن يصل الى معالم الطريق الحقيقية، وإذا لم يكن ذلك فلا شكّ أنّه سينزع رداء الكبرياء والعُجْب عندما يخرج من هذه الدنيا.

يوضح لنا الإمام(عليه السلام) هذه النقطة المنهجيّة في كيفية طلب التوبة، والمسار الذي يسلكه فعندما يعترف الإنسان أنّه قد أذنب ثمّ يلتفت الى أنه كان أسيراً لهذه الذنوب، بل صوّر الذنوب كأنّ لها أيدي تتداول هذا المذنب، بعد ذلك يصل الى حالة من الالتفات فتتقشّع هذه السحائب التي أمامه وتزول، بعد أن كان هناك حاجز من رؤية الواقع ، فماذا يفعل هذا المذنب؟ يرجع الى الله تعالى مندفعاً يطمع في أنّ يغفر له ،فإنّ الله تعالى يرحم ويقبل من التائبين، وهذا مشفوع بأمل، لاحظوا هذه المنهجية نحن في أمسّ الحاجة أن يعترف الإنسان بذنبه ثم يلتفت ثم يبدأ يفتّش عن الحلّ، فإن الإنسان إذا اعترف بذنبه فهذا وحده نصف الحلّ، ونصف الحلّ الآخر أنّه يريد أن يبدّل هذه الحالة من حالة الاعتراف بماضٍ سيء وعلاقة سيّئة مع الله الى مستقبلٍ أو حاضرٍ يكون أفضل، أي يبدأ يخطّط لمرحلة مستقبليّة بينه وبين الله، كيف يُصلح الحال بينه وبين الله تعالى، والاعتراف بالذنب هو حالة من مراجعة النفس فإذا راجع الإنسان نفسه فوجدها نفساً مذنبة، فلابُدّ أن يبدأ محاولة جديدة للمستقبل، لاحظوا ماذا قال: ((فمَثَلَ بين يديك متضرّعاً..)) بين يديك معناه أمامك، هذا الأسلوب متعارف أنّ الشيء بين يديه يعني أمامه، وهذا نحو من الاستعارة فالله تعالى ليست له يد -جارحة- وإنّما هذا العبد يريد أن يبيّن أنّني حضرتُ فمثلتُ بين يديك، لكن هذا المجيء فيه نحوٌ من التذلّل، لأنّه فعل ما لا ينبغي أن يفعل، بعلمك وأنت كنت مطّلعاً عليه وقد تجاوز الحدود، ثمّ التفت فجاء خجلاً ذليلاً متضرّعاً، يريد أن يرتّب عليه شيئاً، ماذا قال؟ قال: (فمثل بين يديك متضرّعاً وغمّض بصره الى الأرض متخشّعاً...) لاحظوا هذه علامات الذلّة والمسكنة مطلوبة لنا أمام الله تبارك وتعالى، هذا الذي قلنا في البدء أن الإنسان قد يرتدي رداء التكبّر والتجبّر ورداء العُجْب وهذا كلّه من عمل الشيطان ومن تسويل النفس، وقد لا

يكون له عقل جيّد يحكم تصرّفاته، ولذلك نحن مأمورون أن نرى آيات الله تبارك وتعالى ليس في الأنفس فقط وإنّما في الآفاق، هذه الدنيا مليئة بالعبر، وعندما يتأمّل الإنسان يرى أشياء كثيرة في هذه الدنيا قد تكون أفضل منه، الإنسان المتأمّل عندما يعتبر سيكتشف أنّه أقلّ من باقي الخلق، وأنّ الله تعالى قد وضع أسراره في أضعف خلقه وهو لا يعلم، بل الإنسان يتنافس الآن على لذائذ سواء كانت لذائذ الأطعمة أو الروائح وهي أشياء في منتهى الدناءة، وتعلمون مثلاً أن رائحة المسك، تتهادى الناس بها ، ويقول بعضهم «ختام حديثنا مسك» لأهمّية هذه الرائحة، والمسك حقيقتُه هو دم يكون في نوع من أنواع الغزال ، والدم ينفر الإنسان منه ، ولذا الشاعر يقول: (فإنّ المسك بعض دم الغزال)، أو هذا العسل الذي يتنافس عليه الناس جعله الله تعالى من براز هذه المخلوقة التي هي النحلة، أو كما يُقال في بعض الروائح أنّها قيء الأسماك أو الحيتان، الإنسان عندما يعتبر يرى نفسه إذا تنازل عن عقله فإنّ كثيراً من المخلوقات أفضل منه، فالأفضلية بهذا العقل الذي كرّم الله به بني آدم لكن الإنسان إذا ابتعد عن العقل ((إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا))[1] ، ولذا إذا انتبه الله تعالى فلا خيار له إلّا أن يأتي الى الله تعالى مطَأطئاً . وأرجو الالتفات الى نقطة فهذه الفقرة من الدعاء قد لا تريد أن تبيّن حالة المذنب فقط بعد أن يلتفت الى نفسه، فقد يأتي الى ربّه ويمثُلُ متضرّعاً وقد لا يمثُلُ متضرّعاً ، الفقرة تريد الإشارة الى أنّه لا خيار للإنسان أمام الله تبارك وتعالى إلّا أن يأتي بهذه الطريقة؛ لأنّ الذلّة مع الله هي عزّ الإنسان، إذا ذلّل نفسه الى الله تعالى يكون عزيزاً لكنّه إذا امتنع عن أن يرجع الى الله تعالى في الواقع فهذا هو عين الذلّة، لأنّ في ذلك فائدة قليلة تتبعها مآس كثيرة، وهذا عين الذلّة ، يتحدّث القرآن الكريم ويربّينا في مواطن فيقول: ((وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ))[2] الكلام مع النبيّ(صلّى الله عليه وآله)، ويقول:((وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ))[3] أي للأبوين، هذه المواطن هي في الواقع عزّة؛ لأنّ الله تعالى عنده موازين، وهذه الموازين لابُدّ أن يتعوّد الإنسان عليها،

١-الفرقان: ٤٤.
٢-الحجر: ٨٨.
٣-الاسراء: ٢٤.

فكيف يكون مع الله تعالى لابُدّ أن يكون مع أبويه بهذه الحالة من الذلّة والتواضع، ويخاطب النبيّ(صلّى الله عليه وآله) يقول : ((وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ)) أي لا تكن فضّاً غليظاً، وإنّما اخفضْ هذا الجناح للمؤمنين. الإنسان مع الله تعالى لا يملك خياراً آخر حتى وإن تظاهر بالتكبّر سينتكس وسيكون عبداً حقيراً صغيراً أمام عظمة الله تعالى، الواقع هو هكذا وإن تظاهر ببعض مصادر القوّة الظاهرية، ولذا يقول الإمام: ((مثل بين يديك متضرّعاً وغمّض بصره الى الأرض متخشّعاً)) الخشوع، يأتي مع البصر والسمع، نقول: خاشعة أبصارهم وخشعت الأصوات بالرّحمة ،وعندما يخشع البصر والسمع تكون حالة من الاستكانة والخضوع الى الله تبارك وتعالى، فلا يكون إنساناً متكبّراً ينقل بصره تحدّياً وثقةً بنفسه، وحالة المذلّة التي نراها والتي لابُدّ أن تكون، هي حالة عزّة للإنسان ، إذا ذلّل نفسه الى الله تعالى أصبح عزيزاً، لاحظوا ((فمَثَلَ بين يديك متضرّعاً وغمّض بصره الى الأرض متخشّعاً)) وغمّض بصره الى الأرض متخشّعاً هذه حالة نفسيّة، عندما يُطرق الإنسان بنظره الى الأرض يكون أكثر تواضعاً يرى هذه الأرض منها واليها سيدخل اليوم الى ظاهرها وغداً في باطنه ، والله العالم ماذا يكون ما بعد غد، هذا النظر الى الأرض مهمّ جدّاً لكسر حالة الغرور عند الإنسان، فيه حالة من الخشوع والتواضع والاستكانة، ورفض كلّ أنواع التكبّر والغرور، ((وَطأْطَأَ رَأْسَهُ لِعِزَّتِكَ مُتَذَلِّلاً..)) مَنِ العزيز؟ الله تبارك وتعالى من أسمائه العزيز ، ((وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ))[1] العزّة الحقيقيّة والمنعة الحقيقية هي لله تبارك وتعالى، نحن إخواني كلّما ازددنا تذلّلاً الى الله تعالى اكتسبنا عزّةً، وهذه من الأشياء الجميلة في علاقتنا مع الله تبارك وتعالى، كلّما ازددنا تذلّلاً الى الله تعالى ازددنا عزّةً ومنعةً، ولعلّ أعزّ أحد من المُمْكنات هو النبيّ(صلّى الله عليه وآله)، سيّد هذه الكائنات ،يقول تعالى: (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ) ثم يعطفها (وَلِلْمُؤْمِنِينَ) سبب هذه العزّة كون هؤلاء انتموا الى الله تبارك وتعالى، ((كَفَى بِي عِزّاً أَنْ أَكُونَ لَكَ عَبْدا))[2]، كفى بالإنسان عندما يكون عزيزاً يكون قريباً الى الله تبارك وتعالى، والقضية هكذا تُفهم كلّما ازداد الإنسان قُرباً وتقربا وازداد عبادةً الى الله

١-المنافقين: ٨.
٢- كنز الفوائد: ٣٨٦.

تعالى ارتفع شأنه وصار عزيزاً، وهذه هي العزّة المأخوذة من الله تبارك وتعالى، الدعاء يطلب هذه الحالة فنرفض جميع الصفات التي كانت على خلاف ذلك، قال :((وغمّض بصره الى الأرض متخشّعاً وطأطأ رأسه لعزّتك –ماذا- متذلّلاً..)) حتى في بعض الأدعية ((اللهم أنت العزيز وأنا الذليل، أنت القويّ وأنا الضعيف، أنت العظيم وأنا الحقير، أنت الكبير وأنا الصغير...)) وكلّما كان الإنسان يعتقد بهذه الأشياء في نفسه -وهي واقع شاء أو أبى، لكن تارةً يعتقد بها وتارة تكون رغماً عنه- ازداد عزّةً من خلال انتمائه الى الله تبارك وتعالى، ولاحظوا الأنبياء(سلام الله عليهم) والأئمّة الأطهار كانوا يُخيفون الآخرين، الأنبياء(عليهم السلام) لا يملكون شيئاً إلّا هذا الانتماء الى الله تعالى إلّا هذه العبودية الحقّة الى الله تعالى فكانوا يُخيفون الآخرين، الأئمّة الأطهار(عليهم السلام) أيضاً لا يملكون شيئاً من أسباب المنع الظاهري من جيش أو سلطنة ، لكن كانت عندهم أسباب العزّة وكانوا يُخيفون الآخرين، وكذلك العلماء علماؤنا السابقون (تغمّدهم الله برحمته) ، والعلماء الحاضرون ماذا يملكون من أسباب المنعة الظاهرية ؟ هو لا يملكها، لكن قطعاً يملك أسباب العزّة الحقيقيّة التي تجعل تأثيره على أسباب المنعة الظاهرية قويّة، في سالف الزمان كانت تصدر فتوى في بقاع الدنيا وهذه الفتوى تمرّ كالنار في الهشيم تخترق الحدود الجغرافية، ماذا يملك هذا العالم غير دار متواضعة ويملك هذا البدن النحيف الذي أضنته العبادة؟ يملك هذه القوّة أسباب القوّة والعزّة التي جعلها الله تبارك وتعالى له حتى أصبح مُهاباً بلا هيبة ظاهرية، وأصبح قويّاً بلا قوّة ظاهرية، وأصبح منيعاً، هذا الانتماء الى الله تعالى يُعطي الإنسان هذه الهيبة، وعندما يُذنب الإنسان تنسلخ منه هذه الأشياء فلابُدّ أن يعيدها إن كان فعلاً يُريد الله تبارك وتعالى، ولذا فرقٌ بين إنسان متغطرس متكبّر متجبّر وإنسان يأتي الى الله تعالى مطأطئاً حتى يستمدّ العزّة من الله تبارك وتعالى، ولذلك ورد في الحديث ما معناه ((وَمَنْ خَرَجَ مِنْ ذُلِّ الْمَعْصِيَةِ إِلَى عِزِّ الطَّاعَةِ))[1] الطاعة فيها عزّة، المؤمن قويّ، قويٌّ بماذا؟ قويّ بهذا الانتماء الى الله تبارك وتعالى، لو تتكالب الدنيا بأسرها على المؤمن الحقيقيّ لا ينتزعون

١-كنز الفوائد: ١٣٥.

منه شيئاً، ويبقى الطغاة الظَّلمة في حالةٍ من الخوف والريبة منه، لماذا؟ لأنّ هذا الشخص عزيز وقويّ، فليس أمام الظلمة إلا حالتين إمّا أن نذلّه ويأتي معنا الى المعاصي وإمّا أن نقتله ، ولذلك اقرأوا التاريخ تجدون آل محمد في كلّ البقاع قتلاً وتشريداً وظلماً حتى قال قائلهم: ((لَا وَاللهِ إِلَّا دَفْناً دَفْنا))[1] ، لماذا؟ لأنّ هؤلاء يملكون العزّة ، والعزّة لا تأتي بالمال ،هذه عزة ظاهرية سرعان ما تنقلب، فالمال يذهب، والعزّة لا تأتي بالصحّة فالإنسان بين صحّة ومرض -عافى الله الجميع- العزّة تأتي بهذا الانتماء الى الله تبارك وتعالى، وهذا عهد القرآن يقول: ((وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ))[2] هذا عهد يتكلّم القرآن الكريم به، ولذلك المؤمن كالجبل واقعاً والجبل يؤخذ منه بالمعاول والمؤمن لا يثلم من دينه شعرة، ويكون وحده لكن لا يهزّ، أبو ذر الغفاري(رضوان الله تعالى عليه) ماذا كان عنده؟ ما ملاك أبي ذر؟ ما هو جيش أبي ذر؟ أبو ذر شخصٌ هزيلٌ نحيلٌ ضعيف لا يملك إلّا هذا اللّسان الذي عنده، حار فيه مَنْ حار حتّى لم يطيقوه، ما دام أبو ذر موجودا فهو يهدد مصالحهم، ما عنده أبو ذر؟ كان أبو ذر أصدق لهجةً ((إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلى دُنْيَاهُمْ، وَ خِفْتَهُمْ عَلى دِينِك))[3] كما يقول أمير المؤمنين، ولكنّ أبا ذر بالنتيجة رقم صعب في التاريخ عندما تؤطّر وتسمّى المسمّيات يقفز هذا الشخص في الطليعة إنّه كان عزيزاً وتحدّى ، بل هو اختار نهاية المطاف بنفسه ونُفِيَ الى منطقةٍ صحراء قاحلة لا ماء فيها تشفّياً به [4]، وبقي أبو ذر وبقيت مبادئه.

يذكر الإمام(عليه السلام) حقيقة هي أن الإنسان الذي يريد عزّة عليه أن يأتي الى الله تعالى، هناك أسرار عند بعض العلماء -كما قلنا-، وفي حديثٍ سابق قلنا الذي وصلنا من الأئمّة الأطهار(عليهم السلام) شيءٌ قليل عن علاقته مع الناس أمّا علاقته الخاصّة ليلاً مع الله فلم تصل، وصلت أشياء بسيطة لكن واقع القضية العلاقة مع الله تعالى لم تصل،

١- شرح نهج البلاغة :٥/ ١٣٠.
٢-المنافقين: ٨.
٣- الكافي :٨/ ٢٠٧.
٤- والمنقطة هي: الرَّبَذَة من قرى المدينة على ثلاثة أيّام، قريبة من ذات عِرق على طريق الحجاز إذا رحلتَ من فيد تريد مكّة. معجم البلدان، ٣/ ٤٤.

كذلك الآن كثير من العلماء الأجلّاء حياتهم الخاصّة وارتباطهم بالله تعالى لا تصل لنا، لكن أنت تشعر أن هؤلاء مهابون، عندهم هذه الهيبة وهذه العزّة والقوّة، الله تعالى ألبسهم هذا اللّباس، لماذا؟ لأنّهم كانوا صادقي العلاقة مع الله تبارك وتعالى، الإمام﵇ يقول: ((وطأطأ رأسه لعزّتك متذلّلا..)) هذا سيطلب من الله تعالى هذه العزّة لو صدق في التوبة.

((وَأَبَثَّكَ –أي شكا لك– مِنْ سِّرِهِ ما أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْهُ خُضُوعاً...)) سبق أن ذكرنا أنّ الله تعالى لا تخفى عليه خافية، يعلم من يُذنب أو يفكّر أن يُذنب أو يهمس في أذنه، يسترق النظر في عينه ، وماذا في قلبه من خطرات . الله تعالى يعلم ذلك كله ،السر يكون بيني وبين الآخرين، أمّا بيني وبين الله فهو ليس سرّاً ، فإذا جاء هذا العبد فأبثّ الله وتكلّم مع الله يا إلهي أنا فعلت كذا، فهذا يسمى سراً تجوزاً ، نقول له هذا سرٌّ باعتبار لا يعلمه إلّا الله وأنت، الآخرون لا يعلمونه فهو مستور عليهم ،أمّا على الله تعالى فهو غير مستور، فإذا أنا بدأت أبكي و أبثّ وأشكو حقيقةً إنّما أشكو حتى أطلب المعونة لا أشكو حتى أبيّن الحال، تارةً أنت تأتي الى فلان الذي تعمل عنده فتقول له: قد سرقتُك وأخذتُ من أموالك وأنت لا تعلم، نعم.. هنا تكشف مستوراً لا يعلم به وتطلب منه المسامحة، وقد تأتي لفلان تقول له تكلّمت عليك في محضر معيّن، فتطلب منه براءة الذمّة، أمّا مع الله تبارك وتعالى فليس هناك معنى لذلك ؛ لأنّه تقول إلهي قد هتكتُ سترك قبل شهر أو قبل سنة أو قبل سنتين وأريد أن تسامحني الآن، الله تعالى يعلم، نعم.. نطلب بهذا العفو والمسامحة لكن لا نطلبها من شخصٍ لا يعلم أو من جهةٍ لا تعلم، وإنّما نطلبها من الله الذي اطّلع على مكنونات الأنفس ومضمرات القلوب، لماذا نفعل ذلك ؟ يقول الدعاء ((وأبثّك من سرّه ما أنت أعلم به منه خضوعاً)) يعني جاءك في حال الخضوع مقبلا عليك وافدا إليك ، يريد منك أن تغيّر حالته بالندم والتوبة، وأن يستمدّ منك ما يُعينه على مستقبل الأيّام.

((وَعَدَّدَ مِنْ ذُنُوبِهِ...)) تأتينا –إن شاء الله– بقيّة الفقرات إذا أبقانا الله ، نسأل الله سبحانه وتعالى أن نكون من الذين يفدون على الله تبارك وتعالى دائماً وأبداً، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله تعالى على محمدٍ وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

الجمعة ٢١ رجب ١٤٣٧ هـ
الموافق٢٩نيسان ٢٠١٦ م

نصّ الخطبة الثانية

نبقى مع عهد أمير المؤمنين عليه السلام الى واليه على مصر مالك الأشتر، ومن جملة ما ذكر عليه السلام : ((وليس يَبقَى منْ أمورِ الولاةِ إلاّ ذِكرُهم، وليسوا يُذكَرُونَ إلّا بسيرَتهم وآثارهم، حَسَنةً كانتْ أو قَبيحَةً، فأمّا الأموالُ فلابُدّ أنْ يُؤتى عليها فيكون نفعُها لغيره، لنائبةٍ مِنْ نوائب الدهرِ تَأتي عليها، فتكون حَسرةً على أهلها وإنْ أحببتَ أنْ تَعرفَ عواقبَ الإحسانِ والإساءةِ، وضياعَ العقولِ في ذلك، فانظرْ في أمورِ مَنْ مَضى مِنْ صالحي الولاةِ وشرارهم، فَهَل تَجد منهم أحداً، مِمّنْ حَسُنَتْ في الناسِ سيرته، وخَفَّتْ عليهم مؤنتُه وسَخَتْ بإعطاءِ الحَقِّ نفسُه، أَضَرّ به ذلك في شدّةِ مُلكه، أو في لذّاتِ بدنه، أو في حُسنِ ذكره في الناسِ، أو هل تَجِدُ أحداً مِمَّنْ سَاءتْ في الناسِ سيرته، واشتَدّتْ عليهم مؤنته، كانْ له بذلك مِن العِزِّ في مُلكهِ مِثْلَ ما دَخَلَ عليه مِن النَقصِ به في دنياه وآخرته)) ثم ختمها عليه السلام بقوله:

((فلا تَنظرْ إلى مَا تَجمَعُ مِن الأموالِ، ولكن انظرْ إلى مَا تَجمَعُ مِن الخيراتِ، وتَعملُ مِن الحسناتِ))[1]. أحبّ أن أذكر للإخوة الأكارم أنّ كلام الإمام عليه السلام في بعض الحالات يكون لكل الناس وليس للحكام فحسب، بل يشمل الجميع، فلا يكنْ همّ الإنسان أن يجمع المال بل ليكن همّه أن يجمع الحسنات والطاعات، فهذا أمر حسن

١-دعائم الاسلام: ١/ ٣٦٣.

لكلّ أحد ، لكن عندما يتصدّى الإنسان لمسؤولية معيّنة قد تكون سياسيّة لاشكّ أنّ هذه الأمور ستكون فيه أشدّ وأولى؛ ولذلك الإمام(عليه السلام) تكلّم مع مالك عندما أرسله والياً ولم يتكلّم معه عندما كان في الكوفة مثلاً، لأنه أراد أن ينبّه مالكا على أشياء مهمّة تضرّ بولايته إن لم يلتفت، وتقوّي ولايته إن التفت. ولكن كونه والياً يتصدّى لأمور المسلمين لابدّ أن تكون رقابته لذاته أكثر وأن يكون نصحاؤه أكثر . هذا النصّ مهمّ وهو منهج للمتصدين في المعاملة ، فعليه أن يلتفت الى ما يقوله أمير المؤمنين(عليه السلام) وهو ممّن أجمع عليه المسلمون، إمّا على نحو الوصيّ بعد النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) أو كونه خليفة رابعاً، وبالنتيجة هذا الكلام من شخص كان خليفة للمسلمين ووجّه ولاته بكلمات ، من جملتهم مالك الأشتر، الكلام فيه دقّة وعلى من يتصدّى أن يفهم كيف يتعامل مع هذا النصّ. قال(عليه السلام) : ((ليس يبقى من أمور الولاة إلّا ذكرهم)) وهذا واقعٌ نعيشه لم يبقَ من أمور الولاة إلّا الذكر، وخرج عمّا كان تحت يده وبقي الذكر،ما هذا الذكر؟ ((وليسوا يُذكرون إلّا بسيرتهم))أي كيف يتعامل مع الناس والرعية، وآثاره ((حسنةً كانت هذه الاثار او قبيحة..)) وهذا امر وجداني لا يمكن ان تقول للناس لا تتكلموا، فالآثار شاخصة وسيرته واضحة ، هؤلاء يتكلمون بحسب هذه الاثار فترى شخصاً يقول: «رحمه الله.. كان خيّراً لنا»، وآخر يقول: «لا رحمه الله كان شرّاً علينا».

يبيّن الإمام(عليه السلام) وسائل الإغراء ويحذر الإنسان من الوقوع فيها عندما يتمكّن، من ثروات وجيش مما تجعله يكتنز بلا رقيب وحسيب، الإمام(عليه السلام) يقارن: ((فأمّا الأموال فلابدّ أن يؤتى عليها فيكون نفعها لغيره، أو لنائبةٍ من نوائب الدهر تأتي عليها فتكون حسرة على أهلها..)) وهذا حقيقةً نوعٌ من التهديد خطير، الأموال لا تمثّل قيمة للإنسان والآثار والسيرة هي القيمة، فالإنسان إذا لم يُحسن لا قيمة حقيقيّة له، فانت يا ايها المتصدي يا مالك لا يكن همك المال ، يبين الإمام حقيقة المال فهو يذهب ويكون حسرة ؛ لأنّه غالباً تُكدّس الأموال، لا يأتي بموازين مقبولة قد يكون فيه تجاوز على حقوق الآخرين وأموالهم، فإذا ذهبت هذه الأموال تكون حسرةً ، لا الذي أخذها انتفَعَ بها ولا بقيت عند ذلك المسكين، ويوم القيامة ليسألنّهم الله عن ذلك سؤالاً حثيثاً.

ثم بيّن الإمام(عليه السلام) لمالك ميزاناً فقال(عليه السلام) : ((وإن أحببتَ أن تعرف عواقب الإحسان والإساءة وضياع العقول في ذلك)) عبر تعبيراً رائعا بقوله(ضياع العقول) فالإحسان له عاقبة والإساءة لها عاقبة، وأفرد ضياع العقول بالذكر مع الاساءة لأهميته ، إن أحببت أن تعرف عاقبة هذه الأمور فهذا هو الميزان ،قال: ((فانظر في أمور من مضى من صالح الولاة وشرارهم)) قطعا هنا لا تعوزنا الشواهد اذا اردنا ان نجعل فهرست لصالحي الولاة وشرارهم ، نعم قد يقال: الشرار اكثر وهذا صحيح . يقول الإمام اذا اردت ان تعرف فانظر في امور من مضى من صالحي الولاة وشرارهم، ثم قال (عليه السلام) : فهل تجد أحداً ، وهذا السؤال ليس على ظاهره بل يراد به النفي، أي لا تجد، على ما هو معروف في استعمال ادوات النفي، قال: فهل تجد احدا حسنت في الناس سيرته، أي كان جيدا رحمه الله، وخفت عليه مؤونته، لم يكن ثقيلا علينا ،لا أن يأخذ اليوم ضريبة وغدا يؤلمنا ويؤذينا لم يكن هكذا ،وانما كان خفيف المؤونة يفكر في راحتنا دائما، ويقول الامام: ((سخت بإعطاء الحق نفسه)) سخت من السخاء ، إخواني عندما ينظر الانسان الى كلام امير المؤمنين يتألم لما يمر بالناس من المظالم الكثيرة، المتصدّي يجب يسخو ويُعطي عندما يرى أنّ هذا المقدار هو الحقّ فنفسه لا تتوقّف عن السخاء ، انت لا تمتلك سلطة ولا ولاية لكن في بعض الحالات تشعر في داخلك أنّ الحقّ ليس معك في مسألة بينك وبين صديق مثلا، والشيطان يحاول ان يزيّن لك بأنّ الحقّ معك، ولكن تحارب نفسك وتنتصر على الشيطان وتقول: لا ،الحق ليس معي وتقوم تُعطي الحقّ لهذا الشخص ، فإنّ الحقّ المالي إذا كان ألفاً أو مليوناً تقوم وتُعطيه، لكن غير معلوم إذا كان الحقّ ملياراً مثلاً هل تفعل الفعل نفسه؟ أو أن هناك مجموعة من المتزلّفين يمنعونك عن فعل الحقّ، غير معلوم انك تفعل هذا الفعل . فسخاء النفس في إعطاء الحق من أهم صفات من يصطفى، وهل تجد هذه الصفات الثلاث أضرّت به في شدّة ملكه أو في لذّات بدنه أو حسن ذكره في الناس، لا يوجد شيء من هذا بالعكس، فعل هذه الأشياء تجعل الناس تترحّم على أيّامه حيث كان يرفق بهم. تعال الى الطرف الآخر يقول(عليه السلام) : (أو هل تجد أحداً ممّن ساءت في الناس سريرتُه واشتدّت عليهم مؤونتُه كان له بذلك

من العزّ في ملكه، مثل ما دخل عليه من الناس به في دنياه وآخرته؟)) تراه سيّئاً جدّاً لا يحترم الناس، تربّع على العرش وبدأ يظلم وينتقم من هذا وذاك، ويسجن هذا ويفعل ما يحلو له، هل أصبحت له عزّة مع ابتعاده عن الله سبحانه وتعالى وظلم الناس، مثلما أثر على الناس في دنياهم وآخرتهم من قتل وسجن وتشريد . ومثالٌ على من تصدى فأضرّ وكانت مؤونته شديدة على الناس الحجّاج، الذي قتل سعيد بن جبير، يحضره ويقول له: انت شقي ولست سعيداً ، فيقول وهو بين يدي الطاغوت: أمي أعلم بذلك، ثم يبدأ هذا الحوار الذين تعرفونه ثم يتفنن في القتل فيقول له ما القتلة التي تريد ان اقتلك بها؟ وأصبح هذا الطاغوت بعد خمس عشرة ليلة ليست اكثر كالجرذ ، يقول : مالي ولسعيد . ومثال آخر بسر بن ارطأة [1]، سيف من سيوف معاوية يذهب الى اليمن هذه المدينة المهمة الموالية لأمير المؤمنين ويستعرض نساء المسلمين سبايا ، ويقتل أولاد عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب، ثم سرعان ما تمر الأيام وينتهي أمره إلى أنه كان يتغوط – أجل الله السامع– ثم ينحني على غائطه ليأكله حتى وصل الأمر انهم يكتّفونه حتى لا يفعل هذا الفعل ، ويأتي بسيف من خشب ويقول: هؤلاء أولاد عبيد الله امامي يقاتلونني الى أن جن وهلك .فعلى الإنسان ان يعتبر، إنما الدنيا دول وتدور، وعليه ان يلتفت ، فالإمام عليه السلام يوصي مالكاً ويقول: انظر الى هؤلاء الذين قبلك وهم كثر ، قال :((مثلما دخل عليه من الناس في دنياه واخرتك ، فلا تنظر إلى ما تجمع من الأموال، ولكن انظر إلـى ما تجمع من الخيرات، وتعمل من الحسنات، حتى يكون ذكرك في الناس محمودا)) فالمال يذهب ، نائبة من نوائب الدنيا تقضي عليه ويذهب ويكون حسرة. هذا هو المنهاج الذي رسمه أمير المؤمنين عليه السلام الى مالك الأشتر (رضوان الله تعالى عليه)، والحمد لله ربّ العالمين.

١– هو بسر بن أرطاة و قيل ابن أبي أرطاة بن عويمر بن عمران بن الحليس بن سيار بن نزار بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة: شرح نهج البلاغة: ١/ ٣٤٠.

خطب الجمعة

لشهر

شهر آيار
٢٠١٦م

رجب
شعبان
١٤٣٧هـ

الجمعة ٢٨رجب
٦ آيار
بإمامة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

الجمعة ٥ شعبان
١٣ آيار
بإمامة سماحة السيد أحمد الصافي

الجمعة ١٢ شعبان
٢٠ آيار
بإمامة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

الجمعة ١٩شعبان
٢٧ آيار
بإمامة سماحة السيد أحمد الصافي

٢٨ رجب ١٤٣٧ هـ
الموافق٦ آيار ٢٠١٦ م

بإمامة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

نصّ الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انقطعت إليه كلّ علّة، وله انتهت كلّ قدرة، ولإرادته خضعت كلّ إرادة، وبه تعلّق كلّ سبب، واليه توجّه كلُّ طلب ورجع كلّ أمر، وهو الله ربّ العالمين ومالك أزمّة الناس أجمعين، وأشهد أن الله لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً(صلى الله عليه وآله) عبده ورسوله، بعثه بخير الأديان وأيّده بمعجزة القرآن، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله سادات الإنس والجان.

أوصيكم عباد الله تعالى وقبل ذلك أوصي نفسي بتقوى الله تعالى والورع في دينه، وحافظوا على دين أبنائكم من دعوات الضلال والإلحاد ونشر الفساد، وانتبهوا لمخاطرها وشرّها وفسادها، واستنقذوا منها أبناءكم فإنّكم مسؤولون عن هدايتهم ومُحاسبون في غوايتهم، فأنيروا لهم الطريق وصاحبوهم بالمعروف وعاشروهم بالحسنى وأرشدوهم الى معالم دينهم.

أيّها الإخوة والأخوات سلامٌ عليكم جميعاً من ربٍّ رحيم غفور ورحمةٌ منه وبركات.

ما زلنا في دعاء الإمام السجادﷺ لجيرانه وأوليائه إذا ذكرهم، وبيّنّا أنّ هذا

الدعاء يتضمّن الكثير من القواعد الاجتماعية في المعاشرة الصحيحة التي لو التُزِم بها لأمكن أن نضمن للفرد والمجتمع السعادة والاستقرار وانتظام العلاقات فيما بينهم، فقال الإمام عليه السلام: ((واجْعَلْني اللهُمَّ أَجْزي بالإحْسَانِ مُسيئَهُمْ، وَأُعْرِضُ بالتَّجَاوُز عَنْ ظَالمهِمْ، وَأَسْتَعْمِلُ حُسْنَ الظَّنِّ في كَافَّتِهِمْ، وَأَتَوَلَّى بالْبِرِّ عَامَّتَهُمْ، وَأَغُضُّ بَصَري عَنْهُمْ عِفَّةً، وَأُلِينُ جَانبِيْ لَهُمْ تَوَاضُعاً، وَأَرِقُّ عَلَى أَهْلِ الْبَلاءِ منْهُمْ رَحْمَةً، وَأُسِرُّ لَهُمْ بالْغَيْب مَوَدَّةً، وَأُحِبُّ بَقَاءَ النِّعْمَةِ عِنْدَهُمْ نُصْحاً، وَأُوجِبُ لَهُمْ مَا أُوجِبُ لِحَامَّتِي، وَأَرْعَى لَهُمْ مَا أَرْعَى لِخَاصَّتِي))[1]، وصلنا الى هذا المقطع الذي يقول فيه الإمام عليه السلام: ((وأُلين جانبي لهم تواضعاً)) هذه قاعدة من قواعد المعاشرة فيما بين المؤمنين. إلانة الجانب تعبير كنائي يراد منه الرفق والتلطّف بهم، و(تواضعاً) التواضع واضح المعنى، وهو التذلّل في مقابل الترفّع والتكبّر، هنا يبيّن الإمام عليه السلام كيف نتعامل فيما بيننا، بين من رزقه الله تعالى العلم ومن هو أدنى منه علماً، بين من يمتلك السلطة والقدرة وبين الرعيّة، بين الغنيّ والفقير، بين صاحب الجاه والمنزلة والمقام ومن ليس له جاه، وهكذا في تعاملنا فيما بيننا، كيف يكون خلق التواضع؟ وما الدلائل عليه؟ وكيف نعالج حالة التكبّر؟ نرى في بعض الأحيان أنّ الإنسان الغنيّ الذي رزقه الله تعالى المال ربّما يتكبّر ويترفّع على الآخرين، وفي مقابل ذلك يؤكد الإمام خلق التواضع فيما بين الغنيّ والفقير، أو الذي له علم ومن هو دونه في العلم وهكذا، هذه الأمثلة الكثيرة التي تبيّن أنّ خلق التواضع هو الخلق المطلوب بين الناس، سُئل الإمام الصادق عليه السلام فقال: ((رَأْسُ الْخَيْرِ التَّوَاضُعُ)) فقيل له: وما التواضع؟ فقال: ((التَّوَاضُعُ أَنْ تَرْضَى مِنَ الْمَجْلِسِ بِدُونِ شَرَفِكَ وَأَنْ تُسَلِّمَ عَلَى مَنْ لَاقَيْتَ وَأَنْ تَتْرُكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كُنْتَ مُحِقّاً))[2]، وورد في بعض الأحاديث ((أَفْشُوا السَّلَامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَام))[3]، من الأمور التي تدلّ على التواضع كما ذكر الإمام عليه السلام أن لا تبحث عن صدر المجلس، ولا تبحث عن

١-الصحيفة السجادية: ١٢٤.
٢- بحار الأنوار :٧٢/ ١٢٣.
٣-دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام، ابن حيون، نعمان بن محمد المغربي(٣٦٣)هـ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، الثانية: ٢١١.

المكان الذي يلائم موقعك ومنزلتك حينما تدخل مجلساً من المجالس ، وإنّما ابحث عن المكان الذي هو دون شرفك ومنزلتك، فإنّ ذلك يدلّ على التواضع، وكذلك أن تسلّم على كلّ من لقيت، لاحظوا هذه الصفة المحبّبة الجيّدة وهي أن يُسلّم الإنسان على أي شخص يمرّ ، نبدأ من الشخص الذي هو مسؤول أو وزير أو ما هو دون الوزير في وزارته، من التواضع أنّه إذا وجد الشخص الذي في الاستعلامات أو الحارس أو عامل الخدمة أن يسلّم عليه ولا يتكبّر ويترفّع عليه، وكذلك مديرُ الدائرة أو مديرُ المدرسة يمرّ على الموظّفين الذين هم في المرتبة الدنيا فيسلّم عليهم لا يترفّع عنهم، نحن أيضاً - أيّها الإخوة والأخوات - في السوق والشارع وفي أيّ مكان عندما تُلاقي أشخاصاً تعرفهم وإن كانوا هم في الدون منك في المنزلة والمرتبة أو في المال سلّم على جميع من تلقى، هذا من الأخلاق المحمودة أنّك تتواضع وتُسلّم على أيّ شخص تمرّ عليه وإن كنت ترى أنّه دونك فإنّك تفشي السلام، لاحظوا هذه الصفات الثلاث: أطعموا الطعام، وأفشوا السلام -أي انشروا السلام- وكذلك صلّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنّة بسلام. فيقول الإمام(عليه السلام) : ((التَّوَاضُعُ أَنْ تَرْضَى مِنَ الْمَجْلِسِ بِدُونِ شَرَفِكَ وَأَنْ تُسَلِّمَ عَلَى مَنْ لَاقَيْتَ وَأَنْ تَتْرُكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كُنْتَ مُحِقّاً)) أي المجادلة وهي أن تجادل وتظهر رأيك من أجل أن تبين خللاً في رأي الآخر أو تطعن فيه ،وهذه الصفة ليست ممدوحة، وإنّما هي من الصفات المذمومة.

نبيّن هنا نتائج التواضع، من نتائج التواضع انتشار المحبّة والمودّة بين الناس، كما في هذا الحديث عن الإمام عليّ(عليه السلام) : ((ثَمَرَةُ التَّوَاضُعِ الْمَحَبَّة))[١]، ((ثَمَرَةُ الْكِبْرِ الْمَسَبَّة))[٢]، ومن آثار التواضع المهابة والاحترام بين الناس كما في هذا الحديث عن النبيّ(صلى الله عليه وآله): ((ما تواضع أحدٌ لله إلّا رفعه الله تعالى))[٣]، وورد أيضاً ((التواضع يكسوك المهابة))، وكذلك تحصّن صفة التواضع الإنسان من إبليس كما في

١- عيون الحكم والمواعظ : ٢٠٩.
٢-م. ن : ٢٠٩.
٣-مستدرك الوسائل: ١١/ ٢٩٧.

هذا الحديث ((اتّخذوا التواضع مسلحةً بينكم وبين عدوّكم إبليس وجنوده، فإنّ له من كلّ أمّة جنوداً وأعواناً))(١)، المتكبّر يتّخذه إبليس جنديّاً من جنوده وعوناً من أعوانه؛ لذلك ينبغي للإنسان أن يتأمّل في أحواله وما يصدر منه، فالتكبّر يكون بالفعل أحياناً أو السلوك أو بنظرة الوجه أو بنبرة الكلام التي يتكلّم بها الإنسان، هذه كلها قد تعبّر عن صفة التكبّر، في الوقت نفسه نبرة الكلام تعبّر عن التواضع، والالتفات بالوجه الى الإنسان المتكلّم الذي ربّما يكون فقيراً عاملاً أو يكون في مرتبةٍ أدنى يعبّر عن التواضع، وسلوكك مع الآخرين يعبّر عن هذا الخلق الحميد الذي يحثّ عليه الإمام(عليه السلام) . ومن آثاره اكتساب الحكمة، فمن جملة الآلات التي يكتسب بها الإنسان العلم والحكمة التواضع، ومن آلات الجهل التكبّر ؛ لأنّ الإنسان يرى نفسه أفضل أشرف أرفع من الآخرين فيأنف أن يتعلّم من الآخرين الذين ربّما لديهم علوم ومعارف وحكمة أكثر من غيرهم، لذلك ورد عن الإمام الكاظم(عليه السلام) : ((إنَّ الزَّرعَ يَنبُتُ في السَّهلِ وَلا يَنبُتُ في الصَّفا، فَكَذلِكَ الحِكمَةُ تَعمُرُ في قَلبِ المُتَواضِعِ وَلا تَعمُرُ في قَلبِ المُتَكَبِّرِ الجَبّارِ؛ لِأَنَّ اللهَ جَعَلَ التَّواضُعَ آلَةَ العَقلِ وَجَعَلَ التَّكَبُّرَ مِن آلَةِ الجَهل))(٢).

ثمّ يقول الإمام(عليه السلام) : ((وأرقّ على أهل البلاء منهم رحمةً))، أهل البلاء هم المبتلون بالمكروه، المبتلون بالدّاء أو الفقر أو المصائب والنوائب، يبيّن الإمام(عليه السلام) لنا كيف ينبغي أن نتعامل مع المبتلين ؟ ونبتدئ من تعامل القلب ، قال: (أرقّ) أي اجعلني اللهمّ أرقّ على أهل البلاء منهم، فهؤلاء إخواني هم معي في الإيمان، كيف أتعامل معهم؟ قال: أرقّ، يعني أجعل قلبي رقيقاً عطوفاً حنوناً حينما أرى فقيراً فلتكن مشاعري مشاعر رقّة وحنان وعطف والاهتمام به، أحاول أن أساعده ليتغلّب على فقره وأعينه ولا يشترط أن تكون المساعدة ماليّة بل أساعده بقضاء حوائجه وأسعى الى قضاء حوائجه، ولا يكون قلبي قاسياً خشناً فظّاً في التعامل مع هؤلاء، باعتبار أنّ الله تعالى فضّلني وهذا الفقير أو المريض أو صاحب النائبة الله تعالى يرحمه، لا أبداً، يقول الإمام(عليه السلام) : اجعلني اللّهمّ رقيق

١-بحار الانوار: ١٤/ ٤٦٧.
٢-الوافي: ٢٦/ ٢٩١.

القلب عطوفاً حنوناً شفيقاً على هؤلاء، إذا رأيت مريضاً ،أحاول أن أساعده بالمال تارة ، وفي تسهيل العلاج له تارة أخرى، أو أسعى في علاجه من صاحب مال أو من طبيب أو ممرّض أو من شخص يستطيع أن يساعده في علاجه، أو إنسان ابتلي بالتهجير فهذا ابتُلي بأن اضطرّ أن يترك داره وماله وهو في مكان آخر، ما موقفي معه؟ هل أقول لماذا ترك داره ومدينته وقريته؟ وكان يفترض أن يبقى هناك ويقاوم أو أكون رقيق القلب وعطوفاً وحنوناً وأحاول أن أوفر له احتياجاته أو أسعى في توفير هذه الاحتياجات المادّية أو غير ذلك، وكذلك بقيّة أنواع الابتلاء كمن فقد عزيزاً له فأواسيه في محنته وأحاول أن أخفّف عن المهموم والمغموم وأصحاب الكرب، هؤلاء أُعينهم في تخفيف مصابهم، واجعلني اللهمّ (أرقّ على أهل البلاء منهم رحمةً).

أيّها الإخوة والأخوات لا يكن الواحد منّا قاسياً قلبه ،لا يمتلك الشفقة والرحمة والعطف والحنان على أهل البلاء بصورةٍ عامّة، لا يكن فظّاً وخشناً في التعامل معهم أو غير مكترثٍ ومبالٍ بهم ،هذه ليست من صفات أهل الإيمان بل الإنسان المؤمن يكون قلبه حنوناً، فكيف أتعامل مع من ابتُلي أن يكون خادماً ، أو هذه المرأة الأرملة التي ابتُليت بفقد زوجها فاضطُرّت أن تعمل في البيوت بمهنٍ وضيعة، كيف أتعامل معها؟ أو غير ذلك من هذه الابتلاءات ، كيف يكون تعاملي معها قلبيّاً أوّلاً ثمّ ماديّاً ومعنويّاً؟ لذلك من الصفات التي يؤكدها الإمام في التعامل والعشرة الرقة والعطف على أهل البلاء فهو يطلب من الله تعالى أن يجعل قلبه رقيقاً حنوناً عطوفاً شفيقاً بأهل البلاء.

((وَأَرِقُّ عَلَى أَهْلِ الْبَلَاءِ مِنْهُمْ رَحْمَةً وَأُسِرُّ لَهُمْ بِالْغَيْبِ مَوَدَّة))[1]، هذه صفة أخرى، و(بالغيب) يحتمل أحد المعنيين: أي لا يختلف حالي معهم في الحضور أو الغياب فلا أسرُّ لهم خلاف ما أظهر، والصفة التي تقابل هذه الصفة الحسنة صفة النفاق ، وهي أن الإنسان إذا لقي أصحابه وحضروا عنده يُظهر لهم المودّة والمحبّة فإذا غاب عنهم

١- الصحيفة السجادية: ١٢٦.

لم تكن لهم هذه المودّة والمحبّة وإنّما يسرّ لهم شيئاً من الكره والبغض ، والمعنى الآخر لـ ((وَأُسِرُّ لَهُمْ بالْغَيْبِ)) ، بالغيب بمعنى «بالقلب» أي بمعنى أسرّ لهم في قلبي المودّة والمحبّة، أي أنظّف وأطهّر قلبي من الكراهية والحقد والبغض لإخواني المؤمنين، ينبغي للمؤمن أو المؤمنة أن يسعى لينظّف ويطهّر قلبه من مشاعر البغض والحقد والكراهية لإخوانه وأخواته، ويكون على حدٍّ سواء حينما يكون حاضراً بلسانه يُظهر المودّة ويمدحهم ويُثني عليهم وحينما يكون غائباً عنهم لا يغتابهم لا يطعن فيهم فلا يكون ذا لسانين وذا وجهين، بعض الناس تراه أمامك يمدحك ويُثني عليك ويذكر صفاتك الحسنة ويظهر لك المودّة والمحبّة، فإذا غبت عنه بدأ يطعن فيك ويغتابك ويتكلّم عليك ويُظهر عيوبك بل ربّما يكيد لك ويحاول الإضرار بك والتآمر عليك، هذه ليست من صفات المؤمنين بل لابُدّ للمؤمن أن تكون علانيته كسريرته على حدٍّ سواء، يظهر بلسانه ما هو بقلبه فإن وجد بقلبه شيئاً من من مشاعر العداء والبغض والحقد لإخوانه المؤمنين يحاول أن ينظّف قلبه ويطهّر قلبه من هذه المشاعر التي لا تتناسب مع الإيمان؛ لذلك يطلب الإمام في الدعاء من الله تعالى أن يجعل ما في قلبه سواءً كان حاضراً أمام إخوانه أم غائباً عنهم، هي مشاعر المودّة والمحبّة والاحترام، ويعينه على تطهير قلبه من أيّ مشاعر تنافي الإيمان، من البغض والحقد والكراهية والحسد والتآمر على الآخرين، ويجعل لسانه لساناً واحداً ووجهه وجهاً واحداً، لا أنّه في حضور إخوانه يُظهر لهم البشاشة والمودّة والمحبّة فإذا غاب عنهم أظهر لهم الكراهية وطعن فيهم واغتابهم، وغير ذلك من هذه الصفات التي لا تتناسب مع قلب المؤمن الطاهر النقيّ ، لذلك حذّرت بعض الأحاديث الشريفة من صفات النفاق التي ربّما تكون عند بعض المؤمنين، ومن هذه الأحاديث قوله عليه السلام : ((الْمُنَافِقُ لِسَانُهُ يَسُرُّ وَقَلْبُهُ يَضُر))[1] في اللّسان أشياء تسرّك من المدح والثناء والكلام الطيّب، ولكن ما في القلب يضرّ هذا الإنسان فيكيد لك ويحسدك ويغتابك ويطعن فيك ويظهر عيوبك، الإنسان المؤمن يلتفت لهذه الصفة وينتبه من آثارها الضارّة فيحاول أن يدعو الله تعالى أن يطهّر قلبه من هذه الصفة، ويحاول أن

١-عيون الحكم والمواعظ لليثي: ٤٩.

يتّصف بصفة اللّسان الواحد والوجه الواحد والقلب الواحد، هذا الوجه واللسان الواحد نابع من قلبٍ لا يحمل إلّا المحبّة والمودّة والاحترام لإخوانه المؤمنين.

ثم يقول الإمام عليه السلام : ((وَأُحِبُّ بَقَاءَ النِّعْمَةِ عِنْدَهُمْ نُصْحا))[١]، هو أن لا يكون الإنسانُ المؤمن حسوداً للآخرين، بل يتمنّى أن تدوم النعمة وتثبت عند إخوانه المؤمنين، ولا يكون في قلبه حسدٌ لمن لهم هذه النعم من الله تعالى، فإنّ الحسد في الواقع أضراره تعود على الحاسد بينما المحسود لا يضرّه شيء من الحاسد بإذن الله تعالى ومشيئته، وتذكر بعض الأحاديث ما تترتّب من آثار على الحسد كما في قضيّة إبليس وآدم(على نبيّنا وآله وعليه أفضل التحية والسلام)، لاحظوا نتيجة الحسد لإبليس أنّه لُعِنَ من الله تعالى والملائكة والناس أجمعين، وآدم عليه السلام اجتباه الله تعالى فكان نبيّاً، لذلك ورد في الحديث ((الْحَاسِدُ مُضِرٌّ بِنَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ يُضِرَّ بِالْمَحْسُودِ كَإِبْلِيسَ أَوْرَثَ بِحَسَدِهِ لِنَفْسِهِ اللَّعْنَةَ وَلِآدَمَ عليه السلام الِاجْتِبَاءِ))[٢]، كذلك الهمّ والغمّ الذي يكون فيه الحاسد ؛ لأنّه يرى نِعَم الآخرين وهو يتألّم لوجود هذه النّعم ويتمنّى زوالها، وأمر زوالها ليس بيده بل بيد الله تعالى ،وهو الذي أنعم وبيده زوال هذه النعم أو بقاؤها وثباتها، فالإنسان المؤمن يكون قلبه حاملاً لحبّ بقاء النعمة وثباتها ودوامها عند المؤمنين حبّ نصحٍ لا من أجل أمر آخر، كما نرى بعضهم يحبّ أن تبقى النعمة عند الآخرين ؛لأنّه ينتفع منها لا أنّه يتمنّى بإخلاص بقاء النعمة ، فإذا لم يكن ينتفع منها لم تكن في قلبه هذه المحبّة، فيقول الإمام عليه السلام : ((وَأُوْجِبُ لَهُمْ مَا أُوْجِبُ لِحَامَّتِي وَأَرْعَى لَهُمْ مَا أَرْعَى لِخَاصَّتِي)) الخاصّة من الإنسان هم الذين يرتبطون معه بعُلقة خاصّة من نسبٍ أو مودّة، فالإمام عليه السلام يذكر أن من صفة المؤمن الذي لديه صدق الإيمان أنّه ينزّل المؤمنين الآخرين منزلة أهله وأولاده وأرحامه والخاصّة من أصدقائه، فيُعطيهم من الحقوق ويجعل لهم من الحقوق مثلما يرعى الحقوق لأولاده وأهله وأرحامه ، ثم يقول الإمام عليه السلام : ((أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَارْزُقْنِي مِثْلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، وَاجْعَلْ لِي أَوْفَى الْحُظُوظِ فِيمَا عِنْدَهُمْ، وَزِدْهُمْ

١- الصحيفة السجادية: ١٢٦.
٢-بحار الانوار: ٧٠/ ٢٥٥.

بَصِيْرَةً فِي حَقِّي، وَمَعْرِفَةً بِفَضْلِي، حَتَّى يَسْعَدُوا بِي وَأَسْعَدَ بِهِمْ))[1]، يدعو الإمام اللهَ أن يجعل المؤمنين عارفين بحقّه في وجوب طاعته والامتثال لأوامره واجتناب نواهيه والعمل بسيرته وسنّته والاقتداء بآثاره، فإنّهم إذا كانوا كذلك سعد هو بهم وكذلك أولياؤه سعدوا به، إذ إنّهم اقتدوا بحجّة الله في الأرض ومن بلّغ بالمنهاج الكامل للحياة حينئذٍ تكون السعادة متبادلة، وكذلك إخواني نلتفت الى هذه النقطة وهي إذا التزمت أنا بهذه القواعد في علاقتي مع إخوتي ، وكذلك إذا التزمت المرأة المؤمنة بهذه القواعد في علاقاتها مع أخواتها، نسعد بذلك جميعا ، وتعم السعادة الفرد والمجتمع .

نسأل الله تعالى أن يوفّقنا أن نكون ممّن يستمع فيعي ، وممّن يعلم فيعمل، وممّن يعمل فيُخلص في عمله، ثلاث مراحل: الاستماع الواعي لما تستمعون اليه والفهم لما تستمعون اليه، وإذا سمعتم هذه المواعظ عملتم بها، وإذا عملتم بها أخلصتم في عملكم بها، ثلاثة أمور مهمّة إخواني استماع وعي يترك أثراً في القلب، يستمع فيعي ، ثم إذا وعى عمل ، ثم إذا عمل أخلص في عمله، حينئذٍ تكون النجاة للإنسان والخير والسعادة للفرد والمجتمع.

١- الصحيفة السجادية: ١٢٦.

٢٨ رجب ١٤٣٧ هـ
الموافق٦ آيار ٢٠١٦ م

نصُّ الخطبة الثانية:

أيّها الإخوة والأخوات، نقرأ على مسامعكم الكريمة مقطعاً آخر من عهد أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر يتضمّن مبادئ مهمّة للحكّام والساسة، بل بعضها يهمّ عامّة الناس أيضاً ،ويُضمَن من خلال العمل بها انتظام أمور الحكم واستقراره وسعادة الناس وتطوّر الحياة وازدهارها، وذلك لمن كانت له أُذنٌ واعية وقلبٌ يفقه به، فيقول عليه السلام في عهده لمالك الأشتر:

((وَالْصَقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَى أَلَّا يُطْرُوكَ وَلَا يَبْجَحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ وَتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ، وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيداً لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ وَتَدْرِيباً لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ، وَأَلْزِمْ كُلًّا مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأُلْفَةُ وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ، وَلَا تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ فَيَكُونَ الْأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا، وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ وَمُنَاقَشَةَ الْحُكَمَاءِ فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلَادِكَ وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ))[١].

أيّها الإخوة والأخوات نشرح بشيءٍ من الإيجاز بعض هذه المقاطع من عهد

١-شرح نهج البلاغة :١٧/ ٤٧.

الإمام عليه السلام ، وقد بيّنّا أنها بالدرجة الأساس تهمّ من يتصدّى للحكم وإدارة شؤون البلاد العامّة، فتهمّ الحكّام والساسة والحاجة اليها أوكد لهم من بقيّة حاجة الناس ، ولكن مع ذلك هي تهمّ من هم أدنى من هؤلاء الحكّام والساسة ممن يتصدّى لشؤون الإدارة بصورة عامّة من قبيل المدير العام أو مدير المدرسة أو مدير الدائرة وهكذا، ومن يتصدّى لإدارة شأنا عاما لمجموعة من الناس مهما كان الشأن سياسيّاً أم إدارياً أم اقتصادياً أم ماليّاً أم زراعيّاً أم في بقيّة شؤون الحياة، بل بعضها يهمّ حتّى ربّ الأسرة باعتبار أنّه يدير شؤون الأسرة وعليه أن يأخذ بها الى برّ الأمان والسلامة والسعادة، لذلك إنّما نبيّن هذه المقاطع ؛لأنّ الحكام الساسة أشدّ حاجة لها ،ولكن لا يعني أنّ هذا المنهج الذي بيّنه الإمام عليه السلام لا يهمّنا نحن البقيّة، بل يهمّنا أيضاً بقدر وإن كان أقلّ، فعلينا أن نلتفت ونعي ونفهم وندرك هذه المعاني ونحاول أن نعمل على تطبيقها لكي نضمن الوصول الى الأسلوب السليم في إدارة شؤون الناس، فيقول الإمام عليه السلام في عهده هنا:

((والصق بأهل الورع والصدق)) يعني لازمْ وقرّبْ اليك من يتّصف بصفة الورع والخوف من الله تعالى، يتورّع عن الوقوع في الحرام والفساد في المال والخلق، قرّب من يكونون صادقين ويخلصون لك في المشورة ويبيّنون لك حقائق الأوضاع ويبيّنون لك ما هو الصحيح وما هو السقيم، في كيفية إدارة شؤون البلاد، ويبيّنون لك حقائق الأوضاع العامّة التي يعيشها الناس ولا يزيّفون لك ما هو حقيق وما هو واقع، بعكس من يكون متملّقاً متزلّفاً هذا الذي يزيّن لك الباطل لا ينقل لك الوقائع وحقائق الأمور العامّة للناس، الإمام ينصحه يقول له (والصقْ) أي قرّب هؤلاء الذي يتّصفون بالورع وبالصدق ويخلصون لك في العمل والمشورة وبيان الرأي الصحيح، هؤلاء قرّبهم ولازمْهم، أمّا الذين لا يتّصفون بهذه الصفة والذين لا يتورّعون عن الحرام ويغشّونك ولا يبيّنون لك الحقائق ولا يبيّنون لك الأوضاع العامّة التي يعيشها الناس، هؤلاء لا تلازمْهم ولا تقرّبْهم.

يقول الإمام عليه السلام : ((الصقْ بأهل الورع والصدق ثمّ رُضْهم على أن لا يطروك ولا يبجحوك بباطلٍ لم تفعله)) الإطراء هو المدح والثناء الكثير، يقول الإمام عليه السلام هؤلاء

الذين تقرّبهم رُضْهم أي روّضهم من الرياضة والتدريب بمعنى التأديب والتعويد على هذه الصفة، على أن لا يمدحوك، ربّما الكثير من الحكّام يحبّ الإطراء والمديح والثناء ويخشى من الذمّ وبيان الحقائق والوقائع التي تبيّن له حقيقة سياسته وإدارته لشؤون البلاد والعباد، فيكون قريباً منه من تعوّد أن يتملّق ويتزلّف ويثني ويطري ويمدح كثيراً ويصوّر الباطل حقّاً والحقّ باطلاً، يقول الإمام عليه السلام قرّبْ اليك هؤلاء من أهل الورع والصدق أوّلاً أي اجعلهم مقرّبين يلازمونك، ثم بعد ذلك أدّبهم وعوّدهم وروّضهم على عدم المدح لك، يقول هؤلاء لا تعوّدهم على المدح والثناء والإطراء، لماذا؟ لأنّ هذا الاستمرار في الثناء والإطراء يؤدّي الى فسادك أيّها الحاكم وفساد المادحين أيضاً، كيف؟ هذا المدح يؤدّي بصورةٍ تدريجية الى أن يُصاب الحاكم والسياسيّ بالعُجْب والغرور والتكبّر والاستعلاء على الآخرين، وهي صفاتٌ ذميمة جدّاً تؤدّي الى هلاك الحاكم وشقاء الناس الذين يُدير شؤونهم، وكذلك بالنسبة الى هؤلاء الذين يمدحون أيضاً يؤدّي بالتدريج الى فساد قلوبهم؛ لأنّهم سوف يُخفون الحقائق ويزيّنون الباطل.

وقال ((ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَى أَلَّا يُطْرُوكَ وَلَا يَبْجَحُوكَ بِبَاطِلٍ..)) يبجحوك: من مادّة بجح ، وتعني الفرح.

أي روّضهم ومرّنهم وربِّهم على عدم المدح والثناء بإزاء أعمالك الحسنة أو ترك الأعمال السيئة؛ لأنّ تكرار الحاشية لهذا المدح سيؤدّي تدريجياً الى التأثير في قلب الوالي فيزرع الزهو والغرور والعجب من نفسه وهو منبعٌ لكثير من المفاسد، كما أنّ الإطراء وتعوّدهم عليه يُفسد نفس المادحين.

يبجحوك: أي يفرحوك ويسرّوك بنسبة عملٍ عظيم إليك لم تفعله، فيدخلونك في ذمّ قوله تعالى: ((وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا))[1]، ونفّره عن كثرة الإطراء لقوله عليه السلام : ((فإنّ كثرة الإطراء تحدث الزهو))، الزهو: العجب. فالمطلوب من الحاكم أن يعوّد ويربّي الحاشية والبطانة أن تتحدّث مع الحاكم بدون خوفٍ وخشيةٍ منه وبدون توقّعٍ للصلة

١-آل عمران: ١٨٨.

والثواب والمكافأة، حتّى يخلصوا في النصيحة ويخبروه بالحقائق دون أن يخافوا بطشهُ ولا يتوقّعوا ماله وجوائزه، وأمّا إذا قرّب المتملّقين والمتزلّفين منه لأنّه يحبّ الإطراء والثناء من الآخرين فإنّ الحقائق ستغيب عنه، وسيخفي معاونوه ومساعدوه حقيقة الأوضاع السيّئة والمتخلّفة للبلاد والعباد ،وتتراكم المظالم حتى تفشل الدولة ويسقط الحاكم، وهذا تعليم من الإمام(عليه السلام) أن يعوّد مشاوريه ومساعديه على قول الحقّ ،وأن يكون هو مستعدّا لقبول الحقائق المرّة.

((وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ)) ما يذكره الإمام(عليه السلام) أحد الأصول المهمّة للإدارة الجيدة، وهو مبدأٌ إلهيّ حيث وعد الله تعالى الصالحين بالثواب الجزيل والنعيم الدائم في الجنّة، ووعد المسيئين بالنار والعذاب الأليم.

ويندرج المبدأ تحت عنوان الترغيب والترهيب، وهذا الأصل موجود لدى جميع الأقوام البشرية مع تنوّعهم واختلافاتهم في العقائد والثقافات وأنظمة الحكم ،وكذلك ربّ الأسرة مع عائلته وأبنائه، والسرّ في ذلك أنّ أكثر فعل الإحسان إنّما يكون طلباً للمجازاة والثواب والمكافأة ، أو طلباً لزيادة الرتبة والموقع أو زيادة الذكر الجميل، فإذا رأى المحسن مساواة منزلته لمنزلة المسيء، وأنّه لا فرق بينه وبين المسيء كان ذلك صارفاً له عن الإحسان ومزهداً له في عمل الخير ، وكذلك أكثر التاركين للإساءة إنما يتركونها خوفاً من العقاب، وبتعبيرٍ آخر فإنّ استمرار عملية الإحسان وأداء المعروف للآخرين يتطلّب توفير الباعث النفسيّ وتحفيزه، إذ ربّما تؤثّر الدوافع المعنوية والعقائد الدينيّة في هذا المجال ولكن هذه الدوافع لا تؤثّر في جميع الأفراد أو أنّها تؤثّر بنسبةٍ ما، فيحتاج استمرار الإحسان الى توفير المحفّز والباعث المادّي والمعنويّ للمحسنين لينتبه الإنسان الى خطئه وفوات الثواب عنه فيثوب الى رشده ويُشجّع على فعل الإحسان.

((ولا يكوننّ المحسنُ والمسيءُ عندك بمنزلة سواء)) لما في ذلك من دفع الناس لترك الإحسان من جهة ،وتمادي المذنب في ذنبه من جهةٍ أخرى، والبديل هو مجازاة كلّ فردٍ بما فعل.

((وَأَلْزِمْ كُلًّا مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ)) وذلك هو منتهى العدل بين الرعية، إذ كلّ إنسانٍ عليه خياره وإرادته فيما يفعل ويختار، فالمُحسن يعلم أنّ ما يقوم به هو إحسان وأنّ جزاءه يجب أن لا يكون إلّا الإحسان، والمذنب يعلم العقوبة المترتّبة على ذنبه ، ومن ثم فإنّ إقدام كلّ من المحسن والمذنب على الفعل اختيارٌ يجب أن يترتّب عليه حكمٌ يُعطي كلّ ذي حقٍّ حقّه.

((وَلَا تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ الْأُمَّةِ))، هنا يدعو الإمام(عليه السلام) الحاكم إلى أن ينظر بعين الفحص والتدقيق والتأمّل في الأعراف والعادات الموروثة من الأسلاف، والمعمول بها لدى الناس، فإن كانت هذه العادات من السنّة الحَسَنة الصالحة ، ولها أثرها وفعلها الحميد والحسن في المجتمع وعزّزت من الروح الجماعية والاجتماعية في المجتمع وتعزّز الأُلفة والمحبّة بين الناس بما يصلح حالهم، فيأمر الإمام(عليه السلام) بأن لا ينقض الحاكم هذه العادة الحسنة، بل يترك الناس يعملون بها وينتفعون من بركاتها وآثارها الصالحة والنافعة، فإن نقضها فذلك سيؤدّي الى إضعاف مصداقية الحاكم أمام المجتمع ، ويبعث في نفوسهم النفور والعصيان، ويضع حاجزاً بينه وبين الناس؛ نظراً لإبطال الحاكم ما تعارف عليه الناس من السنّة والعادات الجميلة بينهم التي تحقّق مصالحهم وتبعث الرّضا والطيب في أنفسهم، هذا الى جانب ما يترتّب على خسارة المجتمع لبعض ما يتحلّى به من فضائل مرتبطة بذلك العُرْف أو التقاليد.

((وَلَا تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ)) فالسنة الصالحة للقُدماء لا ينبغي لك نقضُها بصورةٍ مباشرة ولا من خلَال إيجاد العوائق ليتركها الناس، بل عليك حفظ هذه السنّة والتقاليد لينتفع منها الناس في حال ممارستها والمداومة عليها.

ومن بين الأسباب التي تدعو الإمام(عليه السلام) لتأكيد أهمّية الأعراف الحسنة والسنّة الحميدة في المجتمع هو أنّ هذه الأعراف تخلق حالةً من الأُلفة والمودّة، وتعارف عليها الجميع حتى صارت عُرْفاً في حين يعدّ تعطيل هذه الأعراف محاولة لضرب حالة الوئام والمودّة في المجتمع.

((وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ وَمُنَاقَشَةَ الْحُكَمَاءِ)) يؤكّد الإمام عليه السلام أهمّية الارتباط بالعلماء والحكماء وأهل الخبرة ومجالستهم، حتى يتعرّف الحاكم الأحكام الإلهية ، وكيفيّة إدارة الأمور أكثر وينتفع من تجاربهم وعلومهم في تشخيص الموضوعات المهمّة، وعندما تزداد معرفة الوالي من خلال مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء (المناقشة تعني البحث الدقيق مع العلماء) فإنّ ذلك من شأنه إصلاح أمر البلاد وبقاء السنن الحسنة للماضين في واقع الحياة الاجتماعية.

فالإمام عليه السلام يحثّ الحكّام على مجالس العلماء وأهل الحكمة والرأي للاستثمار والانتفاع بما يتمتّعون به من علم وخبرة وإيمان ونفاذٍ وبصيرةٍ وقدرة على رؤية الأمور بمنظارها الصحيح، ووضع الأشياء في موضعها المناسب، فإنّهم أعرف من غيرهم بحقائق المصالح والمفاسد والقدرة على التشخيص الصحيح لأمور الدولة وإدارة شؤون الناس، فهم فضلا عن علمهم ليس لديهم طمعٌ في منصب أو موقع أو امتياز، بل عندهم مصلحة البلاد والعباد بخلاف الكثير ممّن يضعهم الحكّام مستشارين فإنّهم ليست لديهم تلك العلوم التي يطّلعون من خلالها على حقيقة المصالح والمفاسد، إضافة الى ما يشوب دوافعهم من مصالح دنيوية.

قال الإمام الصادق عليه السلام :((الملوك حكّامٌ على الناس، والعلماء حكّامٌ على الملوك))[1]، فكأنّ الإمام عليه السلام يرشد الحاكم الى صفات من يستشيرهم بجانبه؛ لتحقيق وتثبيت ما يصلح عليه أمر البلاد واستقامة الناس.

١- بحار الانوار: ١/ ١٨٣.

الجمعة ٥ شعبان ١٤٣٧ هـ
الموافق١٣ آيار ٢٠١٦ م

بإمامة سماحة السيد أحمد الصافي .

نصّ الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه أبي القاسم محمد وعلى آله الطيّبين الطاهرين، الحمد لله الذي لم يتّخذ صاحبةً ولا ولداً ولم يكن له شريكٌ في الملك، ولم يكن له وليٌّ من الذلّ وكبّره تكبيراً، الحمد الله بجميع محامده كلّها، على جميع نعمه كلّها.

إخوتي أهل الطاعة ،أبنائي أهل البرّ، آبائي أهل الوقار، أخواتي ربيبات العفّة ،بناتي بنات الحياء أمّهاتي أمّهات الفضيلة ،السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أوصيكم ونفسي الجانية بتقوى الله تبارك وتعالى والتسليم لأمره ونهيه والخشية منه تعالى، فإنّه إن لم نره فإنّه يرانا، عصمنا الله تعالى وإيّاكم من السوء والفحشاء بمحمد وآله الأطهار.

أسعد الله أيّامكم بهذا الشهر الشريف شهر شعبان المعظّم ؛فإنّ هذا الشهر هو بنفسه من الأشهر الكريمة؛ لما فيه من أعمال كأعمال في النصف من هذا الشهر ،وما فيه من ذكريات واحتفالات بمواليد الأئمّة الأطهار(صلوات الله وسلامه عليهم) ، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المدركين لهذه الليلة عند الحسين(عليه السلام) ، وأيضاً هو شهر ينبئنا بقدوم

ضيفٍ عزيزٍ علينا ،وهو شهر رمضان المعظّم ، نسأله تبارك وتعالى أن نوفّق فيه لصيامه وقيامه، سائلين الله تبارك وتعالى لكم جميعاً التوفيق والمغفرة في هذا الشهر وفي جميع الأشهر.

كان كلامنا فيما مضى في دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام المولود أيضاً في هذا الشهر المبارك، وأخذ بأيدينا الى رحلة مهمّة ، وهي رحلة المذنب الذي يطلب التوبة من الله تبارك وتعالى ، وقد قطعنا شوطاً في ذلك ،وبيّنّا أنّ الإنسان في حال تمكّن الذنوب منه لابُدّ أن يبقى غير آيس من رحمة الله تبارك وتعالى ، بل العكس تذكُّر الذنب يعطيه دافعاً قويّاً الى أن يحثّ الخطى حتى يلحق بالصالحين والمؤمنين، فـ((التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَه))[1]، وهذا الأمل الذي أعطانا إيّاه الله سبحانه وتعالى هو دافعٌ مهمّ لنا لكي نسرع بالتوبة، وقد بيّنّا مراحل متعدّدة من هذا الدّعاء الشريف الذي مرّ علينا في تلك الكلمات ، ووصلنا وإيّاكم الى هذه الفقرة ، قال: ((..وَطأْطَأَ رَأْسَهُ لِعِزَّتِكَ مُتَذَلِّلاً، وَأَبَثَّكَ مِنْ سِّرِه ما أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْهُ خُضُوعاً، وَعَدَّدَ..)) لعلّنا نبدأ الآن من هذه الفقرة: ((وَعَدَّدَ مِنْ ذُنُوبِهِ ما أَنْتَ أَحْصَى لَها خُشُوعاً، وَاسْتَغاثَ بِكَ مِنْ عَظِيمِ ما وَقَعَ بِهِ فِي عِلْمِكَ، وَقَبِيحِ ما فَضَحَهُ فِي حُكْمِكَ، مِنْ ذُنُوبٍ أَدبرَتْ لَذّاتُها فَذَهَبَتْ، وَأَقامَتْ تَبِعاتُها فَلَزِمَتْ، لا يُنْكِرُ يا إِلهِي...))[2].

قد ذكرنا سابقاً أنّ الإنسان في بعض الحالات يغفل عن العدد، كيف يغفل عن العدد؟ الإنسان عندما يعلم برقم من الأرقام قد يستعظمه في نفسه ، مثلاً عندما يكون الإنسان شابّاً ويسمع أو يرى أنّ هناك شخصاً وصل عمره الى الثمانين يستعظم هذا الرقم ويتصوّر خيالات أنّ هذه الثمانين يصعب الوصول اليها، لكن سرعان ما تمضي الأيّام والليالي وإذا هذا الشاب بمقتضى وضعنا في الدنيا يأكل ويشرب ويأتي الليل والنهار والشتاء والصيف ، يلتفت فجأةً الى نفسه وإذا هو قد وصل الى الثمانين، كذلك عندما يسمع الإنسان بأنّ فلاناً قد أذنب ألف ذنب –مثلاً– يستعظم ذلك، لكن عندما

١- الكافي :٢/ ٤٣٥.
٢-الصحيفة السجادية: ١٤٠.

يأتي الى نفسه ويرى أنّه -مثلاً- من بعد بلوغه الى الآن أكثر من عشرين سنة الى ثلاثين سنة إذا أراد أن يحصي ذنوبه -كما قلنا سابقاً، ولنفترض أنّ له في كلّ يوم ذنباً مثلاً فإن له في كلّ سنة ثلاثمائة وستّين أو خمسة وستّين ذنبا، ويُضرب هذا العدد في عشرين سنة فتراه قد عَبَرَ الرقم الذي استعظمه سابقاً فأصبح الألف آلافاً، الألف من زيد كنّا نراه صعباً والآلاف أصبحت منّا لكنّنا نستسهل هذا العمل، لذلك إخواني مسألة الأرقام والعدد لها أهمّية في حياتنا، والإنسان قد يعيش ستّين عاماً لكن العمر الذي فيه فائدة قد لا يتجاوز الأشهر، لو نحسب الآن بالدقّة حقيقة الأفعال والأعمال لا تتجاوز الأشهر، وإلّا فأغلب الأوقات لا يلتفت الإنسان ، للأسف الوقت قد يكون غير مهمّ في حياتنا فترانا نجود به ونستسهل أن تذهب الأعمار سدى، والإنسان يأتيه إبليس والهوى والنفس ويؤجّل الأعمال الصالحة الى أن ينقضي من هذا العمل فيفرغ إلى العمل الآخر ويبقى في هذه الدوّامة، الى أن يلتفت أنّه لا طاقة له بعد ذلك ببعض الأعمال الصالحة، التنبيه على هذه المسألة في غاية الأهمّية ، ولذلك ورد في كثير من الأحاديث الحثّ على المحاسبة اليومية أن يُحاسب الإنسان نفسه يوميّاً ، والمحاسبة تحتاج الى جرأة والمحاسبة تعني أنّي أريد أن أحلّ بعض المشاكل مع ربّي ونفسي والآخرين، هذه التجاوزات على الله تبارك وتعالى لابُدّ أن تنتهي ، لابُدّ للإنسان أن يقف موقف الشجاع ويبتعد عن كلّ الآثام، لذلك قال -وهذه دقّة-: ((وعدّد من ذنوبه ما أنت أحصى لها)) الله تعالى بيده العدد ،لكن هذا التعداد من أجل الخشوع الى الله.

بدأنا الآن نستذكر الذنوب حتى نبدأ صفحة جديدة ، ((واستغاث بك من عظيم ما وقع به في علمك)) نحن لا يمكن أن ندرك عظم الذنوب إلّا أن نتعلّم، العلم قبل العمل، والعمل دائماً يهتف بالعلم إن وجده فبها وإن لم يجده ارتحل، لابُدّ أن يعلم الإنسان القيمة الحقيقية لهذا العمل الذي عمله ، وما الخسارة التي سيسبّبها ؟ والخسارة ليست مادية، ذكرنا قبل مجموعةٍ من الخطب ما يتعلّق بالربا ، إذا يتذكّر الإخوة البشاعة والتنفير في الروايات التي تمنع من الرّبا بحيث تصل هذه الروايات الى أن تشبّه المرابي

بدرهم بأعظم من إنسان يفعل ستّين زنية بذات محرم، لابُدّ أن نحصّن أنفسنا بالعلم حتى لا نقع في هذه المشاكل، يقول الدعاء بعد أن التفت وجد عظيم ما وقع به، أنّي كنت أعتقد أنّ بعض هذه الأعمال سهلة لكنّها عظيمة، ماذا يقول القرآن الكريم ؟ ((وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللهِ عَظِيمٌ))[1]، هذه المقاييس ليست مثل مقاييسنا ،فما كان هينا قد يكون عظيماً ، مثلا قد يرى الإنسان في المجالس العامّة بعض الذنوب أسهل من بعض لشهرتها، ولا توجد هناك نفرة منها، المجالس فيها غيبة والناس لا تشمئزّ من الغيبة، هذا منكرٌ تعارف عليه الناس استسهلوه، بينما إذا قتل إنسان إنساناً يستعظمونه وهو عظيم ، لكن إذا شاع القتلُ لا تكترث الناس أيضاً مع أنّ سفك قطرة دم مسلم أو مؤمن كما في الروايات:((لئنْ تذهب السماوات والأرض والجبال أهون على الله تعالى من سفك قطرة دم مؤمن)) بعض الذنوب يهتزّ لها العرش، عرش الله تعالى، يقول الله تبارك وتعالى ((الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ))[2]، العرش يهتزّ لذنوب قد يرتكبها الإنسان ويعتقد أنّها هيّنة، هذه موازين خاطئة عندنا ؛لأنّنا لا نعلم لو علمنا لتوجّهنا أنّ هذه الذنوب التي نرتكبها هي ذنوب عظيمة، القرآن يقول: ((وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا...)) أنتم مشتبهون أنتم تحسبونه كذلك (...وَهُوَ عِندَ اللهِ عَظِيمٌ) هذه جرأة أن الإنسان يتقدّم خطوة ليعصي الله تبارك وتعالى، الإمام(عليه السلام) يقول: ((واستغاث بك..)) واقعاً لا ملجأ من العاصي المدمن على المعصية إلّا أن يستغيث بالله تبارك وتعالى، والله تعالى يُغيث عبده المؤمن لو استغاثه ، قطعاً إنّ أبواب الله تعالى أكثر من أن تُحصى ليس من باب التحفيز فقط ، بل من باب الواقع، وإنّ رحمة الله تعالى سبقت الغضب، الغضب يتقدّم والرحمة تتقدّم، الله تعالى رحيمٌ رؤوف بنا ، أرأف من الأمّ بولدها، الإنسان عليه أن يستغلّ هذه الرحمة ما دام في الدنيا لتحسين سلوكه ، ثمّ قال: ((وقبيح ما فَضَحَه في حكمك)) ما القبيح الذي يُفضح في حكمه، في قضاء الله تعالى؟ لاحظوا إخواني التعبير الذي سيُبيّنه الإمام(سلام الله عليه) فهو في منتهى الدقّة، مِن ماذا؟ قال: ((من ذنوب أدبرتْ لذّاتُها فذَهَبتْ)) ذنب له لذّة، يرتكب الإنسان الذنب ؛ لأنّه يريد أن يلتذّ به ، غيبةٌ يُحاول

١- النور:١٥.
٢- طه: ٥.

أن يلتذّ بأنّه كشف سرّ الآخرين، يُضحك الآخرين على مؤمن فيلتذّ بهذا الفعل ؛لأنه يعتبر نفسه قد انتصر، يسرق يلتذّ بهذا الفعل فيرى هذا من الشطارة والشجاعة، يكذب أيضاً وتراه لا يُواجه الحقيقة فيلتذّ أنّه قد خدع الآخرين، وهكذا جميع المناكير، الإمام عليه السلام يقول تلك الذنوب أدبرت لذّاتها، هذه اللّذة التي كنت أعتقد بها ذهبت الآن، تعلمون إخواني لذّات الجسد عادةً لذّات مؤقّتة، قد يكون الإنسان عنده شَرَهٌ في الأكل يلتذّ بالأكلة الفلانية والأكلة الفلانية، ما مقدار هذا الالتذاذ؟ بمقدار الأكل فقط، بعد ذلك قد تكون وبالاً عليه، يقول هذه الذنوب أدبرت لذّاتُها ذَهَبت اللّذات ((أدبرت لذّاتها فذهبت))، وستبقى الذكرى السيّئة عندما يتذكّر الإنسان، ثمّ ما المحصّلة ؟ قال: ((وأقامت تبعاتُها فلَزِمَت)) هذا الفعل له أثر، فهذه الآثار أقامت هذه التبعات للذنب، ولم ترحل مع الذنب، يا ليتها رحلت مع الذنب لكنها لزمت أي بقيت، إذن المحصّلة نحن في خديعة فلا وجود للذة حقيقية ، نحن نُخدع، الشيطان يخدعنا ،وأنفسنا تخدعنا ،والهوى يخدعنا، كلّ ما نلتذّ به بالنتيجة يذهب، وهناك أشياء ستبقى وتصرخ بنا وتهتف، ولا يُمكن لهذه التبعات أن تذهب، ماذا يكون الحلّ؟ لذّة قد قاتلت الناس من أجلها ذهبت، تبعات هذه اللّذة أصبحت تبعات سيّئة، الآن أريد أن أتخلّص من هذه التبعة لا أستطيع، وهذا من عجيب الأمور أن تلك اللّذة التي قاتلت وجاهدت وتركت فلاناً من أجل تحصيلها أبحث الآن عمّن يخلّصني من تبعتها، حقيقة الأمر نحن في خديعة، ماذا نفعل؟ هذه المقارنة الإمام عليه السلام الإنسان عندما يتوب الإنسان الى الله تعالى يبدأ يُراجع نفسه ، فيرى أنّ الحمل ثقيلٌ جدّاً ، هذا الذي أدارته الذنوب وتداولته -كما في بداية الدعاء- أيدي الذنوب وقادته أزمّة الخطايا انتبه الآن فرأى عظيم عصيانه ورأى جليل ما وقع منه، وهذه كلّها أمور خطرة وصعبة ونحن ما زلنا في الدنيا، ما الحلّ لذلك؟ طبعاً عندما يلتفت المذنب هذه نقطة مضيئة ؛لأنّ هذا أوّل الطريق الصحيح ، فبعض الناس قد لا يلتفت أنّ عنده مشكلة أصلاً فتراه يعبث ويحاول أن يرتكب المحرّمات غير يعتقد أنّ هذه مشكلة ،بل قد يتجرّأ ويقول: إن كان هناك ربّ فليعاقبني -والعياذ بالله- وكأنّ الله تعالى يعمل عنده يُعاقب متى ما أراد هو، ويُثيب متى ما أراد

هو، والحال أنّ هذا ليس صحيحاً إنّ الله لا يستعجل بعجلة العباد، الله تعالى لا ينسى ولا يغفل والعبد مهما يكن فإنّ مصيره الى الله تعالى.

إخواني نحن في خديعة مع الذنوب، هذا الذنب الذي سعيت له أبحث بعد ذلك عمّن يخلّصني منه ومن تبعاته فلا أتوفّق ؛ ولذلك الوقاية من الذنوب خيرٌ من العلاج، أن يبتعد الإنسان عن الذنب خيرٌ له من العلاج((ولَيْسَ كُلُّ مَنْ طَلَبَ التَّوْبَةَ وجَدَهَا))[1]، كما في الرواية الشريفة، قد يسوّل الشيطان للإنسان أنّ هذا الفعل سهل لا داعي لأنْ تتوب منه فلم ترتكبْ شيئاً (تحسبونه هيّناً)، ماذا فعلت؟ مبلغ زهيد بسيط إن شاء الله تعالى في المستقبل قد يرزقك الله وتُرجع هذا المبلغ، ثم الفعل الآخر أيضاً: أنا تجرّأت وهتكت فلاناً وذكرته بسوء أمام الآخرين ، هذا أمر بسيط ايضاً لا يستوجب أن تؤلم نفسك هكذا ألم ترَ فلاناً وفلاناً.. تبدأ هذه التسويلات الشيطانية تسهّل، سُئِلَ الإمام(عليه السلام) ، مَنْ شرّ الإخوان؟ قال: ((مَنْ زيّن لك معصية الله تعالى)) شرّ الإخوان هو هذا، فكيف إذا كان الإنسان هو يزيّن لنفسه الشر. الى أن يصل إلى تبرير المعصية بحيث لا يلتفت الى شيء اسمه التوبة، لاحظوا إخواني هذه الخديعة ففي الوقت الذي يذنب المذنب وهو حريص على الذنب ويبذل أموالاً ((حُفّت الجنّة بالمكاره وحُفّت النار بالشهوات)) يستسهل هذه القضيّة، بعد ذلك يبحث عن حال وقد لا يجد، ((من ذنوبٍ أدبرت لذّاتها فذهبت وأقامت تبعاتُها فلزمت))، هنا تبقى حالة التوسّل بالله تعالى والتملّق الى الله تعالى، تعرفون معنى التملّق الى الله تعالى، أن الإنسان يأتي الى الله تعالى من الزاوية التي يُريدها الله تعالى، أسألك برحمتك أسألك بعطفك وبرسلك ،بأحبّ الخلق اليك، نأتي الى الله تعالى من الموارد التي يُريدها ، ثمّ ماذا يقول؟ يقول: ((لا يُنْكِرُ يَا إلهِي عَدْلَكَ إنْ عَاقَبْتَهُ)) إذا عاقبني الله بهذا الذنب فلا أُنكر فهذا مقتضى العدل، فأنا لا أتّهم الله تعالى بالظلم ؛لأنّ التائب أصبحت الصورة عنده واضحة، فهو لا يُمكن أن يتّهم الله تعالى أنّه قد ظلمه وحاشاه، مع أنّ فيه عقوبة، يقول ((لا يُنكر يا إلهي عدلك إن عاقبتَهُ)) فهذا مقتضى العدل فأنا تجرّأت وتجاوزت وأنا أعترف ، لكن

١- الكافي: ٨/ ٣٨٥.

في المقابل قال: ((وَلا يَسْتَعْظِمُ عَفْوَكَ إنْ عَفَوْتَ عَنْهُ وَرَحِمْتَهُ)) لماذا لا يستعظم؟ لأنه قد يأتي إنسانٌ الله تعالى بذنوب الثقلين فيعفو الله تعالى عنه هو يستحقّ بمقتضى العدل أن يُعذّب، ((لا يُنكر يا إلهي عدلك إن عاقبته)) بمقتضى العدل هذا استحقاقه، لكن نأتي الى الله تعالى من زاويةٍ نقول له: لا نستعظم يا إلهي هذا العفو إن عفوت عنّا، لماذا؟ لاحظوا ماذا يقول الإمام؟ ((لأِنَّكَ الرَّبُّ الْكَرِيمُ..)) حقيقةً هذا منتهى الأمل للعبد العاصي وغير العاصي، ونحن في أشهرٍ خاصّة ، قال: ((لأِنَّكَ الرَّبُّ الْكَرِيمُ الَّذِي لا يَتَعَاظَمُهُ غُفْرَانُ الذَّنْبِ الْعَظِيم)) لا شيءً يعلو عليك ، لا شيء اسمه عظيم أمام رحمتك، أنت الربّ الكريم النافع تجود، ولا يتعاظمك شيء، قال ((الذي لا يتعاظمه غفرانُ الذنب العظيم)) نحن نتعامل مع الله الرحمة المطلقة والرأفة والخير كله، فهذا ليس شيئاً غريباً عنك يا إلهي، لاحظوا استمطار الرّحمة إخواني، عندما يستمطر الإنسان الرحمة يبحث عمّن هو قريب الى الله تعالى بصفاته أو بأحبّ الخلق، وهناك أناسٌ خلقهم الله لنا رحمةً ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ))[1] اتتي هذا الإنسان الذي هو رحمة ،وأقول: إلهي إنّي أتوسّل اليك به، أستمطر الرحمة، رحمة الله تعالى موجودة لكن أريدها أن تنزل، لا أكون في هذه بخيلاً وأنا في أحوج ما أكون الى هذه الرحمة، وهذه الفقرة من الدعاء في منتهى الدقّة والروعة فنحن المذنبون الذين نبحث عمّن ينقذنا، لا نُنكر يا إلهي عدلك إن عاقبتنا ،ولكنّنا في الوقت نفسه لا نستعظم عفوك إن عفوت عنّا ؛لأنّك أنت الربّ الكريم الذي لا يتعاظمك غفران الذنب العظيم.

إخواني لابُدّ أن يثق الإنسان برحمة الله تعالى، وأن يتيقّن بأنّ رحمة الله تعالى هي قريب منه مهما يأتي بذنب لا يغلق باب الرحمة عن نفسه بعد أن فتحه الله تعالى، لكن لا يكون ذلك جرأةً له على الذنب، المؤمن - كما في بعض ما تحدّثنا به سابقاً - بين الخوف والرجاء دائماً ،يخاف من عدل الله تعالى والله يُحِقُّنا، وإلّا أنا من أوّل ما عصيتُك أستوجب النار، وبين الرجاء؛ لأنّ الله تعالى شجّعنا أن نطمع في رحمته وكرمه، فالله تعالى رحيم وكريم.

١-الانبياء: ١٠٧.

نسأل الله أن لا يعاملنا بعدله وإلّا سنخسر جميعاً، لكن نسأل الله تعالى أن يعاملنا برحمته برأفته ولا نملك إلّا الدعاء، ونتوسّل إليه بأحبّ الخلق اليه محمد وآل محمد(صلى الله عليه وعليهم جميعاً)، سائلين الله تبارك وتعالى أن يرحمنا في ذلك اليوم،وأن يحفظنا في هذه الدنيا من شرور أنفسنا، ويدفع عنّا وعنكم كلّ سوء، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الجمعة ٥ شعبان ١٤٣٧ هـ
الموافق١٣ آيار ٢٠١٦ م

نصّ الخطبة الثانية

إخوتي أخواتي في البداية نقدّم التعازي الى المواطنين الكرام الذين فقدوا أحبّتهم في التفجيرات الإرهابية التي ضربت في الأيّام الأخيرة بغداد والسماوة وديالى وغيرها، سائلين الله العليّ القدير أن يتغمّد الشهداء الكرام بواسع رحمته ، ويلهم ذويهم الصبر والسلوان، ويمنّ على الجرحى والمصابين بالشفاء العاجل. والحقيقة أنّ الكلمات تقصر عن وصف بشاعة هذه المآسي ، وسوء ما يمرّ به البلد ويعاني منه المواطنون على مختلف الأصعدة، وإذا كان لا يُستغرب من الإرهابيّين التمادي في ارتكاب المجازر المروّعة والتفاخر بإراقة الدماء البريئة بمنتهى الوحشية ، فإنّ الجميع يتساءل متى يريد المسؤولون أن يعودوا الى رشدهم ويتركوا المناكفات السياسية والاهتمام بالمصالح الخاصة ،ويجمعوا كلمتهم على وقف هذا الانحدار والتخبّط في إدارة البلد؟ وللأسف فإنّه لا جدوى من الحديث في هذا المجال ؛فإنّهم قد صمّوا آذانهم عن الاستماع لأصوات الناصحين ، والى الله المشتكى.

نورد أيّها الإخوة مقاطع من عهد الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) الى مالك الأشتر بشأن رعاية الجنود والمقاتلين، أذكر النصّ ثم نعطف عليه ببعض الشرح بإيجاز.

تعلمون أنّ عهد الإمام(عليه السلام) الى مالك فيه توجيه لصنوف طبقات المجتمع، الاهتمام بالقضاة، والاهتمام بأهل الصنائع ،والاهتمام بالاقتصاد وأهل الحرف ،والاهتمام

بالجند، هذا النصّ يستعرض بعض التوجيهات منه (سلام الله عليه) الى مالك أو الى أي الحاكم ،قال:

((وَلْيَكُنْ آثَرُ رُؤوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ بِمَا يَسَعُهُمْ وَيَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً وَاحِداً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ))، ثم قال: ((وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُو الْبَلَاءِ مِنْهُمْ فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ إِنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى وَلَا تَضُمَّنَّ بَلَاءَ امْرِئٍ إِلَى غَيْرِهِ وَلَا تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلَائِهِ وَلَا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيراً وَلَا ضَعَةُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيماً))[1].

هذا النصّ –إخواني– لو التزم به من يريد أن يلتزم لصنع جنداً جعلوا قلبوهم أمامهم فلا يخافون، ماذا يريد أمير المؤمنين(عليه السلام) من مالك؟ ماذا يريد من أيّ زعيم ،وأيّ قائد ليحفظ دولته؟ معروف أنّ الجندي هو السيف وهو الحماية، فكيف يختار؟ قال: (وليكن آثر رؤوس جندك عندك...) أي إن من تسند له مهمّة قيادة الجند له مواصفات ،يقول (عليه السلام) : (وليكن آثر رؤوس جندك عندك مَنْ واساهم في معونته) أي من واسى الجند في معونته لا من عكس الأمر، لا من يقف حائلاً بينهم وبين معونتهم، لا بين من يسرق معونتهم، واساهم (وأفضَلَ عليهم من جِدَته)أي أفضَلَ على هؤلاء من جدته ما يسع، فعنده سعة بما يسعهم هم ومن وراءهم من عوائلهم وما خلفوا من أهليهم، إخواني الولد مجبنة، والعائلة مجبنة تجبّن الإنسان، إذا كنت أنا المعين لأهلي والمعيل لهم ولا يوجد أحد عندهم، فلا يمكن أن أقدم على القتال، لاحظ هذا التركيز المهمّ ، هل من المعقول أنّ الإنسان يقاتل وفكره منشغل بأهله، كيف يقاتل؟ إذا كان لا يملك معونةً لنفسه كيف يقاتل؟ الإمام(عليه السلام) يقول هذا محذور، التفت الى من تختار من الرجال، لا تختَرْ من يتزلّف –كما في بعض النصوص السابقة– في أيّ موقع ، لكن اخترْ هذا الذي

١-شرح نهج البلاغة : ١٧/ ٥١، ٥٢ .

يعرف معاناة الجندي ، ولابُدّ أن تؤمّن له المعونة ، وتفضل عليه حتى يطمئنّ الى أنّ اهله لا يمدّون أيديهم من بعده، فهؤلاء مكفولٌ لهم الرزق أيضاً، هذه علامة بارزة أيّها الحاكم أينما تكون يا مالك العصر ، أينما تكون أنت، في حالة تريد أن تحكم التزم هذا ، فأنت يا أيّها المتشبّث المتشبّه بهذه الطريقة عليك أن تنفّذ ما يقوله الإمام(عليه السلام) ، وهذه حصانة لك ولجندك، يبيّن الإمام النكتة ((حتى يكون همّهم -أي هؤلاء الجند- همّاً واحداً..)) فقط (..في جهاد العدوّ) هذا همّهم ، لا أن يفكّر في أهله بلا معونة،أو في أمور أخرى ، ثمّ يبيّن الإمام ، فيقول:

((وواصلْ في حسن الثناء عليهم..)) وهذه من الأشياء المهمّة ، في بعض الحالات يبخل الإنسان بالكلام لا المال، كثير من الناس الآن يمرّ يبخل حتى بالسلام كأنّ السلام عليه ضريبة!!، لم يعوّد لسانه على «السلام عليكم» ، بعض الناس يعوّد لسانه على «عليكم السلام» وهذه تربيةٌ سيّئة ، النبيّ(صلى الله عليه وآله) يقول: (افشوا السلام) ، وهذا صامت ينتظر الآخر أن يسلّم عليه، بخيل في السلام ، بخيل في الكلام، يقول الإمام: (واصل الثناء عليهم) اثنِ عليهم ولا تقصّر ولا تبخل، قلْ هذا جنديّ جيّد ، هذا له مآثر و هذا له بطولات، اثنِ عليهم لا تكنْ بخيلاً في الكلام، قال:

((وواصل في الثناء عليهم وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم)) عدّد هذا هكذا فعل ، وهكذا ضرب وهكذا قاتل أو واجه، لماذا ؟ يقول: ((فإنّ كثرة الذكر لحُسْن أفعالهم تهزّ الشجاع)) الإنسان يحتاج كلمةً طيّبة، صحيح هو يقاتل في سبيل الله ،لكن يحتاج أن يُشجّع، القرآن يقول للنبيّ :((وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا))[١] الله يقول للنبيّ(صلى الله عليه وآله)، قطعاً هذه تشدّ من قلب النبيّ وهو القلب المشدود والمسدّد من السماء، فالقرآن يقول فاصبرْ (فإنّك بأعيننا) الله تعالى يقول للنبيّ أنت بأعيننا أيخاف بعد ذلك؟!! يقول هؤلاء تفقّد مصالحهم اسألْ عنهم ،اذكرهم واذكرْ مآثرهم ،قال: ((فإنّ كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهزّ الشجاع)) تجعل الشجاع يرى أنّ هذا العمل مقدّر.

١-الطور: ٤٨.

((وتحرّض الناكل)) إنسان ناكل يرى أنّ في النكل السلامة فتبيّن بالعكس أنّ الناس تُثني على الشجاع والقويّ، وهذا ناكل ضعف تقاعس، تحرّض الناكل حتى لا يكون في جندك أحدٌ جباناً ناكلاً، والإمام الحسين بن أمير المؤمنين(عليهما السلام) ومعلّم لمالك ولغير مالك حقيقةً تكلّم مع أصحابه في واقعة الطفّ كلاماً فقال: ((لم أرَ أصحاباً...)) بالنتيجة لم يجبن أحدٌ من أصحاب الحسين في واقعة الطفّ إطلاقاً، بالعكس على قلّتهم كانوا عندما يهجمون يفرّ هؤلاء الأوغاد من بين أيديهم كالجراد المنتشر، ((كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهزّ الشجاع وتحرّض الناكل)) ثم اعرف والتفت فلا تغب عنك الأخبار يا مالك ((ثمّ اعرف لكلّ امرئ منهم ما أبلى)) تأتيك تقارير لتعرف ماذا فعل هذا، وما فعل ذاك حتّى تُثني عليهم.

لاحظوا هذه النقطة الأخيرة المهمّة جدّاً، قال: (ولا تضمّنّ بلاء امرئ الى غيره ولا تقصّرنّ به دون غاية بلائه) أي لا تحاول أن تُصادر جهد هذا المقاتل، البلاء والعزيمة له والنصر له لا تحاول أن تُصادر هذا الجهد، فتقول لولا فلان وفلان غير موجود أصلاً لكن ذكرته لقرابة ومنزلة أو غير ذلك، وهو كذب وخلاف الواقع، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: ((ولا تضمّنّ بلاء امرئ الى غيره ولا تقصّرنّ به دون غاية بلائه)) لاحظ ((ولا يدعونّك شرفُ امرئ الى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً)) هذه طامّة كبرى، إنسانٌ شارك لكن كان -بتعبيرنا- في الخلفيّات، لكن لأنّه من المقرّبين سنُعظم هذا البلاء ونُعطيه من الصفات التي هو نفسه لا يصدّق بها، الإمام يقول: (ولا يدعونّك) سببُ الدعوة ما هو؟ (شرف امرئ) علاقة، أو منزلة ((الى أن تُعظم من بلائه ما كان صغيراً)) بلاء عنده لكن بلاء بحجمه، لا تحاول أن تصادر، ولا تحاول أن تضخّم الأشياء على خلافها وهذه فتنةٌ ومثلبة، وهذا نقصٌ يمرّ به المتصدّي، وفي التاريخ كثير من هذه الأشياء، كم منقبة أُعطيت وهي ليس لها وجود؛ لأنّ فلاناً قريب من المتصدّي، والمتصدّي بيده الأمر والنهي فتُلصق هذه الأوصاف التي لا واقع لها، العكس أيضاً لا تفعله يا مالك (ولا ضعةُ امرئ...) هذا شخصٌ من عامّة الناس جاء

أراد أن يجاهد عدوّك والتحق بصفوف الجند وهو رجلٌ ليس له شأن اجتماعي كبير لكنّه أبلى بلاءً حسناً،التفتوا لما أريد أن أقول، هكذا رجل بدأت عظمةُ أُسرته به، بخلاف الأوّل، الأوّل يتّكل على الشرف والشرف انتهى اليه ، لكن هذا بدأ به شرف أهله ؛ لأنّ المقام ((قيمةُ كلّ امرئ ما يحسن)) ، قال ((ولا ضعةُ امرئ الى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً)) فلولا هذا الشخص الذي لا يعرفه الآخرون، لما كان هناك نصر أصلاً ، هذا هو الذي يجب أن يكرّم وتُثني عليه.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يلتفت الى هذه المقاييس من يلتفت، فهذه الصفات وهذه الأوامر التي ذكرها أمير المؤمنين(عليه السلام) ستكون حماية للجند والبلد.

نسأل الله سبحانه وتعالى العفو والمعافاة ، وأن يغفر لنا ولكم ويتجاوز عن سيّئاتنا ويغفر لنا زلّات اللّسان والأقدام، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد وعلى آل بيته الطيّبين الطاهرين.

الجمعة ١٢ شعبان ١٤٣٧ هـ
الموافق ٢٠ آيار ٢٠١٦ م

بإمامة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

نصّ الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله السابق في كلّ شيء قضاؤه، الدائم بعد كلّ موجود بقاؤه، الغالب على كلّ كائن أمره، المحيط بكلّ معلوم علمه، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، رفيع الدرجات مجيب الدعوات، وأشهد أنّ محمداً(صلّى الله عليه وآله) عبده ورسوله المحمود في المقرّبين، الممدود بالملائكة المنتجبين، صلى الله عليه وعلى آله أمنائه على الوحي المبين.

أوصيكم عباد الله تعالى ، وقبل ذلك أوصي نفسي بتقوى الله تعالى، والتورّع عن المحارم، والاحتراس من الوقوع في المظالم، وأداء الحقوق الى العباد، واعلموا أنّكم في زمانٍ كثرت مزالقُه وتنوّعت من الشيطان طرائقُه، فاحفظوا أنفسكم واحفظوا أولادكم من الفتن والانحراف والضلال فإنّكم مسؤولون عنهم وعن هدايتهم وصَوْنهم من المحارم، واجعلوا أيّامكم هذه طريقاً وسبيلاً الى الصلاح والرشاد والسداد واعرفوا قيمة نِعَم الله تعالى عليكم بهدايتكم لولاية إمام عصركم وزمانكم الحجّة المنتظر(عجّل الله تعالى فرجه الشريف) فكونوا له ناصرين ومدافعين بالتقوى والعمل الصالح، أيّها الإخوة والأخوات سلامٌ عليكم جميعاً من ربٍّ رحيم غفور ورحمةٌ منه وبركات.

بعد أيّام في ليلة النصف من شعبان تُصادف ذكرى ولادة إمام العصر والزمان(عجل الله تعالى فرجه الشريف) ،وبهذه المناسبة نهنّئ مراجعنا العظام والأمّة الإسلامية ونهنّئكم جميعاً بهذا المولود المبارك مولد صاحب دولة العدل الإلهي والمنتظر لإقامة السنن والفرائض، وهنا نطرح البحث الآتي: ما مناسبة هذه الولادة؟ وماذا يراد منّا بهذه المناسبة؟ وما طبيعة العلاقة والارتباط بيننا وبين الإمام صاحب العصر والزمان التي يريدها هو لا ما نريده نحن؟ فهل دعوتنا لظهوه وأن نكون من ناصريه وأن نعبر عن فرحنا وابتهاجنا بهذه المناسبة كافٍ ؟ إن كان هذا من جملة ما يطلبه الإمام ويريده منّا، ففي واقع الحال هناك شيء أعمق وأوسع وأدق ممّا نتصوّره في طبيعة علاقتنا به (سلام الله عليه) ، وحتى نجيب عن هذا السؤال لابُدّ أن نستحضر في أذهاننا الأمرين الآتيين:

الأول : إنّ الإمام غائبٌ حاضرٌ، فكما أنّ صورة الغيبة تحضر في أذهاننا علينا أن نتصوّر ونستحضر صورة الحضور فالإمام حيّ يعيش بين أظهرنا ، بما أنّ الإمام المهديّ هو إمام عصرنا وزماننا فله بيعةٌ وعقدٌ وعهدٌ في رقابنا وفي أعناقنا، بمعنى آخر هناك نوعٌ من الالتزام العقائدي الأخلاقي الجهادي والتقوائي الورعي منّا تجاه الإمام، نحن نعتقد ببقيّة الأئمّة لكنّنا لا نعيش في عصرهم (سلام الله عليهم) ، أمّا الآن فالإمام المهدي هو إمام عصرنا وزماننا ، وتقرأون في دعاء العهد هناك بيعة وعهد وعقد له في رقابنا وأعناقنا، ما معنى ذلك؟ معناه أنّ هناك نوعاً من الالتزام العقائدي والأخلاقي والتربويّ والنفسي والروحي علينا أن نفي به.

الآخر: إنّ الإمام(سلام الله عليه) لغيبته لا نستطيع أن نلتقي به مباشرةً كما كان الحال في زمن بقيّة الأئمّة(عليهم السلام)؛ لذا علينا أن نعوِّض عدم اللّقاء المباشر بتقوية العلاقة والارتباط بالإمام(سلام الله عليه)، وهذه النقطة الثانية التي تميّز وتبيّن طبيعة العلاقة والارتباط التي بيننا وبين الإمام(سلام الله عليه).

نسأل الآن: كيف نفي بهذا العقد والعهد الذي هو نوعٌ من الالتزام ؟ وكيف

نقوّي هذه العلاقة ونعوّض عدم اللقاء المباشر مع الإمام(عليه السلام) ؟ هذا يعتمد على مجموعة من الأمور:

الأمر الأوّل: المعرفة الواعية والسليمة والصادقة بالإمام(عليه السلام) ، لعلّ بعضهم يتصوّر أنّ معرفة الإمام تعني أن نعرف اسمه ونسبه وأنّه إمام غائب الآن، وسيظهر ويُقيم دولة العدل الإلهي. إخواني هذه الحدود من المعرفة غير كافية، كثيرٌ منّا يعرف هذا ، ويدعو ويزور الإمام(عليه السلام) ويقوم احتراماً وتقديساً له ،ويضع يده اليمنى على رأسه عند ذكره، هذه المعرفة غير كافية، نحن نحتاج الى معرفة أعمق من ذلك ، سأذكر هذا الحديث المروي عن الإمام الصادق(عليه السلام) الذي يبيّن لنا حدود المعرفة، ماذا يقول الإمام الصادق(عليه السلام) عن المعرفة الواجبة علينا تجاه الإمام؟ يقول: ((وأدنى معرفة الإمام...)) لاحظوا –إخواني- الحدود الدنيا من المعرفة بالإمام(عليه السلام) ((أدنى معرفة الإمام أنّه عِدْلُ النبيّ إلّا درجة النبوّة ووارثه...)) يعني الإمام ورث علوم النبيّ(صلّى الله عليه وآله) ((وأنّ طاعته طاعة الله وطاعة رسول الله))، أي طاعته واجبة علينا ، فماذا يريد منّا الإمام حتى نطيعه ؟ علينا أن نعرف ماذا يريد منّا الإمام(عليه السلام) ، وعلينا أن نثقّف أنفسنا بما يريد منّا ؛ لأنّ طاعته هي طاعة الله تعالى وطاعة رسوله، وعلينا التسليم له في كلّ أمر ، والردّ اليه والأخذ بقوله ،ولا تكفي الطاعة الظاهرة ،وإنّما علينا أن نسلّم وننقاد ونخضع لكلّ ما يطلبه ويأمرنا به (عليه السلام) ولا نُناقش في ذلك، قد يقول بعضهم: كيف نسلّم للإمام ونحن لا نتشرّف بلقائه ؟ نعم. هناك فقهاء عدول قال فيهم الإمام (عليه السلام) هم نوّاب عنّي وأنا حجّة الله عليهم ،وهم قد جعلتهم حججاً عليكم أحتجّ بهم عليكم عند الله تعالى، فعليكم أن تسلّموا لهؤلاء الفقهاء العدول الذين تجتمع فيهم الشرائط التي ذكرها الأئمّة(عليهم السلام) ، ولا ننقاد إلى كلّ من يدّعي بل علينا أن نتحرّى ونفحص وندقّق في مدى اجتماع الشرائط في هذا الفقيه الذي أوجب علينا الإمام(عليه السلام) طاعته وأنّه حجّةٌ له علينا عند الله تعالى فحينئذٍ علينا أن نسلّم ولا نناقش، هذا جزءٌ من المعرفة بالإمام(عليه السلام) ، ثمّ بعد ذلك يبيّن الإمام الصادق(عليه السلام) عليك أن تعتقد بعد رسول الله بعلي

بن أبي طالب ثم الإمام الحسن والحسين الى آخر الأئمّة ثم الإمام الغائب(عليه السلام) ، ومن جملة المعرفة المطلوبة بالإمام(عليه السلام) أنّه حيّ يُراقب الأمور ويطّلع على الأوضاع ، وبأيّ أوضاع نعيش، وأيّ مآس وأزمات تمرّ بنا، مطلع على الأمور والأوضاع والأحوال التي تمرّ بها الأمّة الإسلامية ويُراقب الأمور من كثب ، ومطّلع على أعمالنا أيضاً-إخواني التفتوا- لو تؤخذ أعمال أحدنا الآن ،وتُعرض على إنسان له مكانة ومنزلة عظيمة في نفسه، وكان من جملة الأعمال معاصٍ ألا يستحي من ذلك ويخجل؟ وإذا عُرضت في هذه الصحيفة الطاعات والأمور الحسنة فَرِحَ وسُرَّ بذلك، إخواني إن أعمالكم وطاعاتكم وعباداتكم ومعاصيكم -لا سامح الله- وذنوبكم وآثامكم تُعرض على الإمام(عليه السلام) إذا وجد في صحائف أعمالكم طاعات وعبادات وأعمال خير وتعاونا وتكافلا وتعاضدا فيما بينكم يفرح ويُسرّ بذلك، وإذا عرضت في صحائف أعمالكم المعاصي والذنوب والآثام والتدابر والتفرّق والتطاحن والعداوات يحزن الإمام(عليه السلام) ويتألّم لهذا الوضع، لذلك علينا أن نلتفت الى ما يصدر منّا ؛لأنّ هذه الأعمال تُعرض على الإمام(عليه السلام) ، وفي الوقت نفسه لا يتركنا الإمام في المنعطفات الحسّاسة والخطيرة التي نمرّ بها،بل يسدّد الفقهاء وهذه مسألة مهمّة من جملة ما يقوم به الإمام(عليه السلام) هو تسديد الفقهاء خصوصاً في المنعطفات الحسّاسة والخطرة، لذلك هذا الحديث يبيّن دور الإمام(عليه السلام) ، قد يتصوّر بعضهم أن الإمام غائب ، فماذا يفعل بأتباعه ومحبّيه وناصريه؟ الحديث طويل، سأذكر مقطعاً من ذلك ؛ لكي نطّلع كيف أننا في رعاية الإمام وعنايته وعطفه وفي رحمته بنا ، يقول الإمام (عليه السلام) في هذا الحديث: ((إنّا غير مهملين لمراعاتكم ولا ناسين لذكركم ولولا ذلك..))[1] أي لولا ذكر الإمام لنا، ورعايته وعنايته بنا، ماذا سيحصل بنا؟ ((لنزل بكم اللأواء..)) يعني الشدّة وضيق المعيشة ((واصطلمكم الأعداء..)) أي استأصلكم، قد يقول قائل : ألسنا الآن في مِحَن شديدة وابتلاءات عظيمة وكثير من هذه المِحن عمّت وانتشرت، إذن ما دور الإمام؟ لاحظوا التعبير الدقيق للإمام(عليه السلام) لولا ذكر الإمام وعنايته ورعايته لاصطلمنا واستأصلنا الأعداء فلا يبقى منّا شيء أبداً، فإذن بقاء هذا الكيان من أتباع

١-بحار الانوار: ٥٣/ ١٧٥.

آل البيت، وهذه الهويّة مع شدّة المحن والابتلاءات صامدة عزيزة منيعة، من عنايته ورعايته وذكره لنا، وبسبب من ذلك بقي هذا الكيان متحدّياً صامداً صلباً ثابتاً أمام هذه المحن والمصائب (..فاتّقوا الله..) الإمام يفعل ذلك من حقوقنا عليه، يقول لنا حقّ عليكم (..فاتقوا الله جل جلاله وظاهرونا على انتياشكم...) يعني كونوا عوناً لنا وناصرين لنا لإنقاذكم (..من فتنةٍ قد أنافت عليكم....) الى آخر هذه الرواية .

الأمر الثاني المطلوب حتى نقوّي هذه العلاقة والارتباط لا بد من تقوية الارتباط الروحي والنفسي بالإمام عليه السلام ، فأتحسّس حياة الإمام عليه السلام وآثاره وبركات وجوده، نلتفت إخواني الى هذه القضية فأغلبنا يعيش كأنّ الإمام غائب، والحال أن دائرة الإمام نصفان :نصفٌ غائب، و نصفٌ حاضر، أغلبنا يعيش الدائرة بنسبة ٩٠٪ منها على أنّه الإمام غائب، ويعطي لحضور الإمام المساحة الضيّقة والقليلة، بينما علينا أن نعطي للغيبة استحقاقها كما نعطي لحضور الإمام حقه، كأنّه الآن بيننا يقوم بدوره وواجبه ، الكثير منّا يعيش قضيّة الإمام على أنّه إمامٌ غائب سيظهر بعد فترةٍ ويُقيم دولة العدل الإلهيّ ونحن ننتظره، لا أبداً إخواني علينا أن نعيش حضور الإمام كأنّه بين أظهرنا ونجعلها قضية محسوسة ،وعلينا أن نتحسّس في كلّ يومٍ حياة الإمام ونعيش معه كما هو يعيش معنا، ونتحسّس هذه الآثار والبركات، كيفٍ؟ هناك برنامج يوميّ نأمل من الإخوة المؤمنين أن يتّبعوا ولو مقداراً منه ، كما نهتمّ بحياتنا ومعيشتنا وأموالنا وأولادنا ونهتمّ بشهاداتنا وغير ذلك من هذه الأمور، علينا أن نعطي شيئاً من الوقت للاهتمام الروحيّ والنفسي بالإمام عليه السلام ، وحبذا حينما تنهضون لصلاة الصبح -وفّقكم الله تعالى لذلك- أن تخصّصوا شيئاً من الوقت لذلك، فليس من المناسب يطوي المؤمن صلاة الصبح بدقائق ثم يقرأ بعض التعقيبات البسيطة لدقائق ثمّ ينام، والإمام يتولّى المصائب والابتلاءات التي تمرّ بها الأمّة، أشعروا إمام زمانكم أنّكم معه وتدعون له وتزورونه، وأنّكم تناجونه كما أنّ الإمام يعيش معنا علينا أن نعطي شيئاً من الحقّ للإمام عليه السلام ، ببرنامج يوميّ لدقائق معدودة منها الدعاء للإمام عليه السلام ، كدعاء العهد ،وهو دعاء

مهم تجدّدون فيه العهد والبيعة والعقد مع الإمام(عليه السلام) ، زوروا الإمام وهذه الزيارة مطلوبة منكم خصوصاً زيارة (آل ياسين) ، هذه الزيارة التي وردت عن الإمام وكتبها الى الحميري، وقال له: ((إِذَا أَرَدْتُمُ التَّوَجُّهَ بِنَا إِلَى اللهِ وَإِلَيْنَا فَقُولُوا كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى سَلَامٌ عَلَى آلِ يس))[1]، ويستحب للإنسان أن يدعو بها في كلّ يوم. إخواني لكلّ واحد منكم هموم وآلام وأحزان ، كم يفرح الواحد منكم حينما يذهب الى مرجع تقليده الذي يعتقد به ويكون اعتقاده به عن حقّ وفق الضوابط التي وضعها الإمام، يفرح ويسرّ أن يذهب الى المرجع يبثّ له همومه وأحزانه ويطلب منه الدعاء، كذلك فليكن تعاملكم مع الإمام هكذا ، كفى بنا جفاءً مع إمام عصرنا وزماننا ،وفي مناجاته تبثّون الهموم والأحزان والإمام يدعو لكم حينما يراكم في هذا التواصل والترابط معه .

ومن الأمور المطلوبة أيّها الإخوة والأخوات أن نبدأ بإصلاح للنفس والأمّة، ونضع برنامجا نعيش فيه حالة التفاعل مع الإمام(عليه السلام) في برنامجه وهمومه، وهذا يبتدئ بإصلاح النفس وتقويم النفس وأن لا يرضى الإنسان المؤمن بالحالة التي هو فيها من علاقته بالله تعالى أو من أخلاقه وسيرته، بل عليه أن يتطوّر نحو الأفضل دائماً ،ولا يراوح في مكانه ولا يتراجع الى الوراء، فيهتم بنفسه، وتربية أولاده وتنشئتهم، والاهتمام بالأمّة وهموم الناس، وليس من الصحيح أن يكون اهتمام الإنسان المؤمن على قدر نفسه ، فهذه من الأنانية التي لا تناسب حالة الإيمان الواعي ، على المؤمن أن يستشعر هموم الآخرين والآمهم وهموم المجتمع والآمه ، على الإنسان أن يستشعر حجم التضحيات والمواجهة مع داعش في ظل الظروف التي يعيشها البلد الآن ،وأن يكون له دورٌ بالقتال أو بالمساعدة المالية أو بتقوية المعنويات أو بالتثقيف والتوعية والتبليغ وغير ذلك من الأمور.

و أود أن أبين في نهاية هذه الخطبة أمراً يتعلق بإحياء هذه الليلة المباركة (ليلة النصف من شعبان) ، فلاشكّ أنّ المؤمنين والمؤمنات يعبّرون عن فرحهم وابتهاجهم

١- الإحتجاج على أهل اللجاج ،للطبرسي: ٢/ ٤٩٣.

بهذه المناسبة بطرق مختلفة، وأوجّه كلامي الى بعض الشباب المؤمنين، فبعضهم يعبّر عن فرحته وابتهاجه بهذه المناسبة بالتصفيق أو الرقص وربّما بأمور أخرى، نقول : أوّلاً هذا اليوم وهذه الليلة ليلةٌ شريفة جدّاً، المناسب لها أن تُحيا بالدعاء والعبادة وذكر الله تعالى. نعم للإنسان حقّ في أن يعبّر عن فرحته وابتهاجه لكن بما يُرضي الإمام(عليه السلام) وبما يُناسب قداسة هذه المناسبة وشرفها، فهي ليست فرحة زواج أو ولادة مولود، بل هي ولادة الإمام المنقذ الإمام المنتظر الذي سيُقيم دولة العدل الإلهي، ينبغي أن يكون التعبير عن الفرح والابتهاج بما يُناسب قداسة هذه المناسبة لا بما يتنافى ويتعارض معها، فضلا عن ذلك هي ليلةٌ شريفة عبادية لابُدّ للإنسان أن يصرف وقته في ذلك.

تبقى إخواني مسألة مهمة ، ما المطلوب منا؟ كيف نتعامل في نصحهم وإرشادهم وتوعيتهم؟ هل من المناسب أن نستعمل الغلظة والخشونة والعنف معهم في توجيههم؟ ليس كذلك، المطلوب من جميع المؤمنين كباراً وصغاراً أن ينصحوا هؤلاء بالطريقة المناسبة المتعارفة، بأسلوب الموعظة والحكمة وحثّهم على إحياء ليلة النصف بالدعاء والعبادة والتوجّه الى الله تعالى خصوصاً في الدعاء بتعجيل ظهور الإمام ونصرة أهل الحقّ على هذه العصابات التكفيرية ونصرة الإسلام والمسلمين، هذا الأسلوب هو المطلوب من الجميع ، كما هو مطلوبٌ أن نحيي هذه اللّيلة بالدعاء والعبادة علينا أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، ونوجّه هؤلاء الشباب الى الإحياء المناسب لهذه اللّيلة وهذه الولادة، ومطلوبٌ من إخواننا الذين يُقيمون مواكب الخدمة والمجالس أن يتوجّهوا الى الخدمة وإقامة المجلس، وفي الظروف الراهنة التي تهدّد فيها العصابات التكفيرية هؤلاء المؤمنين الذين يحيون هذه المناسبات ليتفرّغ بعضهم إلى واجب الحماية وهذا أمر مهمّ، لحفظ أرواح هؤلاء المحتفلين أو الذين يقيمون مواكب العزاء أحياناً ، ولنتعاون مع الأجهزة الأمنية في حفظ الأمن للزائرين . نأمل من الإخوة المؤمنين في هذه المناسبة وفي غيرها أن يكون هناك بعضٌ منهم يتفرّغ لتوفير الحماية لهذه لمواكب والمؤمنين من أجل أن نفوّت الفرصة على الأعداء من أن يقوموا بمثل هذه الأعمال.

نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لنصرة الإمام عليه السلام ، وأن نكون من أتباعه وأنصاره وأعوانه والذابين عنه والمحامين عنه والمستشهدين بين يديه ، وأن نجعل علاقتنا وارتباطنا بالإمام عليه السلام كما يحبّ الله تعالى ويرضاه ويريده ، وكما يحبّه الإمام عليه السلام ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

الجمعة١٢ شعبان ١٤٣٧ هـ
الموافق٢٠ آيار ٢٠١٦ م

نصّ الخطبة الثانية

أيّها الإخوة والأخوات نقرأ على مسامعكم الكريمة مقاطع من كتاب الإمام عليعليه السلام الى بعض عمّاله الذي خان الأمانة واستحوذ على ما تحت يده من الأموال العامّة، وقبل أن أقرأ على مسامعكم الكريمة هذه المقاطع أودّ أن اذكر بصورة إجمالية ما يأتي :

أحد عمّال الإمام الذي كان من المقرّبين للإمام أمير المؤمنينعليه السلام وكان ممّن جاهد معه، عيّنه الإمامعليه السلام عاملاً وواليًا على إحدى دول المسلمين ، لكنّه خان الأمانة واستحوذ على ما تحت يده من الأموال العامّة، فبعث الإمامعليه السلام إليه رسالة يعاتبه ويوبّخه توبيخاً شديداً ثمّ يهدّده بعقوبة شديدة إن تمكّن منه هذا أولّا، ثانياً هل المراد أن نقرأ رسالة تاريخية للإمامعليه السلام الى أحد عمّاله وما ورد فيها؟ هذا مطلوب ، لكن هناك مطلوبٌ آخر هو أن نتعلّم العظة والاعتبار والدرس ، وهذه العظة والاعتبار والدرس لهؤلاء الذين ائتمنوا على أمور الرعية والناس وخانوا الأمانة واستحوذوا على ما تحت يدهم من الأموال العامّة، هذا فيه تهديد لكل والٍ في كل عصر، وليس المقصود من الرسالة تهديد ذلك الوالي فحسب ، أيّها الذين ائتُمِنْتم على أمور الناس والشعب وكانت لكم السلطة على الأموال ثم خنتُم الأمانة ، هذا التهديد بالعقوبة لكم وهذه الرسالة موجّهة لكم أيضاً، ما فيها من العتاب والتوبيخ موجّه لهؤلاء الذين ائتمنوا على أمور الناس وأموالهم أيضاً، لذلك هذه عظة وعبرة تمتدّ آثارها إلى الوقت الحاضر.

نشرح الكتاب -إن شاء الله شرحاً موجزاً - ثمّ نحاول أن نربطه في الوقت الحاضر.

فيقول الإمام﴿عليه السلام﴾ : ((وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنِ اللهَ تُرِيدُ بِجِهَادِكَ وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَكَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ وَتَنْوِي غِرَّتَهُمْ عَنْ فَيْئِهِمْ فَلَمَّا أَمْكَنَتْكَ الشِّدَّةُ فِي خِيَانَةِ الْأُمَّةِ أَسْرَعْتَ الْكَرَّةَ وَعَاجَلْتَ الْوَثْبَةَ وَاخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ الْمَصُونَةِ لِأَرَامِلِهِمْ وَأَيْتَامِهِمُ اخْتِطَافَ الذِّئْبِ الْأَزَلِّ دَامِيَةَ الْمِعْزَى الْكَسِيرَةَ فَحَمَلْتَهُ إِلَى الْحِجَازِ رَحِيبَ الصَّدْرِ بِحَمْلِهِ غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ مِنْ أَخْذِهِ كَأَنَّكَ لَا أَبَا لِغَيْرِكَ حَدَرْتَ إِلَى أَهْلِكَ تُرَاثَكَ مِنْ أَبِيكَ وَأُمِّكَ فَسُبْحَانَ اللهِ أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ))[1] الى الفقرة الثانية والثالثة.

هذا الرجل -كما بيّنّا - القريب من الإمام الذي جاهد معه، وكان على مستوى من المعرفة بالدين وكان على بيّنة من ربّه يعرف الحلال والحرام ، ويعرف هذه الأموال ، وما حقوقها والالتزامات تجاهها، ويعرف أنّ أخذ المال الحرام عليه عقوبة وهناك ووعيد من الله تعالى، فإذا به بعد أن ائتمن على أمور الرعية وأموالهم يخون الأمانة ((وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنِ اللهَ تُرِيدُ بِجِهَادِكَ)) أي كنت تجاهد مع الإمام﴿عليه السلام﴾ وإذا الآن تأخذ هذه الأموال ، كأنّ نيّتك في الجهاد لم تكن خالصةً لوجه الله تعالى وإلّا لو كانت كذلك ما فعلت هذه الخيانة، بل كانت نيّتك غير خالصة نيّتك للمال والدنيا ((وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنِ اللهَ تُرِيدُ بِجِهَادِكَ وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ)) ألم تعرف أنّ هذه الأموال حرام ، وأنّ أخذها سيؤدّي الى العقوبة ، ألم تعرف الوعيد من الله تعالى بالعقوبة والنار على أخذ هذه الأموال العامّة، ((وَكَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ)) أي كأنّ حالَكَ ظهر، يُشبّه الإمام﴿عليه السلام﴾ بهذه الأمور، وكأنّك الآن تكيد لهذه الأمّة وتخدعهم وتستغفلهم حتى تأخذ أموالهم بالحرام ((وَكَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ وَتَنْوِي غِرَّتَهُمْ عَنْ فَيْئِهِمْ)) هذا الفيء وهذه الأموال ، أموال الخراج والأموال التي كانت تأتي للمسلمين

[1] - شرح نهج البلاغة : ١٦/ ١٦٧.

تستغفلهم وتخدعهم فتأخذها بغير حقّ وهي أموالهم، ((فَلَمَّا أَمْكَنَتْكَ الشِّدَّةُ فِي خِيَانَةِ الْأُمَّةِ)) حينما صارت هذه الأموال تحت سلطتك وبيدك القرار في التصرّف بها وتمكّنت من خيانة الأمّة ((أَسْرَعْتَ الْكَرَّةَ)) أسرعت وانتهزت هذه الفرصة وأسرعت الهجوم والوثبة على هذه الأموال لتأخذها بغير حلّ ((وَعَاجَلْتَ الْوَثْبَةَ)) هذه الأموال وهذه السلطة على الأموال إنّما ينبغي أن تكون للإنسان المؤتمن المجاهد المتديّن العارف بربّه العارف باستحقاقات هذه الأموال للناس يوظفها لخدمة الناس ومعيشتهم وإسعادهم ورعاية الأيتام والأرامل والمجاهدين والمؤمنين وعامّة الناس، أما أنت فتستغفل هؤلاء الناس وتأخذ الأموال بغير حلّ، ثمّ يشبّه الإمام فيقول: ((وَاخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ)) هجم بسرعة كأنّه اعتبر هذه فرصة إن فاتته سوف تفوته هذه الأموال الحرام، فأسرع في الهجوم على هذه الأموال لكي يخطفها ويأخذها، ثمّ يشبّه الإمام هذه الأموال، يقول الإمام هذه أموال مخصّصة للأرامل وللأيتام عليك صيانتها وحفظها واستخدامها لرعاية الأرامل والأيتام ، فلا تعتبر هذه فرصة لك لكي تغنى بالمال الحرام وتستأثر به.

ثم يقول الإمام(عليه السلام) : ((اخْتِطَافَ الذِّئْبِ الْأَزَلِّ دَامِيَةَ الْمِعْزَى الْكَسِيرَةَ)) الذئب الأزلّ يعني الخفيف الوركين ، حينما يكون بهذه الصفة تكون لديه سرعة في الجري وقدرة سريعة على اقتناص الفريسة وأخذها واختطافها، ((دَامِيَةَ الْمِعْزَى الْكَسِيرَةَ)) هذه المعزة التي تكون مجروحة وتسيل منها الدماء ومكسورة يدها أو رجلها لا تقدر الدفاع عن نفسها أمام هذا الذئب المفترس السريع، يشبّهه بهذا الذئب يأتي بسرعة ويخطف هذه المعزة الكسيرة ، ((فَحَمَلْتَهُ إِلَى الْحِجَازِ رَحِيبَ الصَّدْرِ بِحَمْلِهِ)) أي أخذت هذه الأموال الى بلدك ووطنك واسع الصدر، هذا الشخص رحيب الصدر يقال لمن هو بارد المزاج وفي صدره عدم المبالاة بهذه الأمور، ((رَحِيبَ الصَّدْرِ بِحَمْلِهِ غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ مِنْ أَخْذِهِ)) أي وصلت الى حالة أنت مجاهد وكنت تدّعي التديّن والمعرفة بالله تعالى وهذه الأمور الأخرى وإذا الآن أنت حتى الشعور بالذنب والإثم والتحرّز من الوقوع

بالذنب والإثم بأخذ المال الحرام غير موجود لديك ((غَيْرَ مُتَأَثِّم مِنْ أَخْذِهِ)) أي لا تتحرّز من أخذ المال الحرام، ولا تملك حتى الشعور والإحساس بالذنب من أخذ المال الحرام ((كَأَنَّكَ لَا أَبَا لِغَيْرِكَ حَدَرْتَ إِلَى أَهْلِكَ)) انحدر أي أسرع بالهبوط من الأعلى الى الأسفل يعني أسرعت بحمل هذه الأموال الى وطنك وأهلك ، وكأنّ هذه الأموال ميراثٌ جاءك من أبيك وأمّك، هكذا نزلت مسرعاً فرحاً مستبشراً أنّك وقعت على أموالٍ كثيرة وهذه أموال من حرام، هذه أموال عامّة المسلمين ، أموال عامّة الناس اليتامى والأرامل كيف تأخذها؟!

نأتي الآن ونحاول أن نستفيد درساً وعظة وعبرة وخصوصاً من كان له جهاد ويدّعي التديّن والمعرفة بالدين وما أعدّه الله تعالى من حساب وعقاب لمن يأخذ الأموال الحرام، المشكلة أن بعضهم يتصوّر أنّ ما يأخذه هو بطريق حلال ويقنّن ذلك، كأنّه يقول أنت تدّعي التديّن والجهاد والعمل من أجل رفعة الدين والآن تمدّ يدك الى المال الحرام، الى أموال المساكين واليتامى والأرامل وعموم المؤمنين وعموم الناس، هذه الأموال أمانة في يدك جعلت لكي توظّفها لخدمة الناس وإسعاد الناس ، وإذا بها الآن كأنّها ميراث من أهلك وأمّك وأبيك فتأخذها فرحاً مستبشراً رحيب الصدر، ولا تشعر ولا تحسّ حتى بشيء من الذنب والإثم بسبب أخذ هذا المال الحرام.

ثم يتعجّب الإمام شديد التعجّب، فتارة يكون الإنسان ليس عنده جهاد في سبيل الله ولا يدّعي التديّن، ولا يدّعي المعرفة بالله تعالى وأنّه هناك عقوبة وحساب وتدقيق في الحساب على هذه الأموال الحرام، ولا يعرف هذا حلال وحرام، وتارة يكون الإنسان مجاهدا عمل في سبيل الدين ويدّعي التديّن وإذا به يمدّ يده على الأموال العامّة ويأخذها بالحرام، جاء التعجب من الإمام عليه السلام فسبحان الله منك يصدر هذا الاستيلاء على المال الحرام! ((فَسُبْحَانَ اللهِ أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ)) أما تقول أنا إنسان متديّن أؤمن بالله وأؤمن بيوم القيامة وأؤمن أنّ هناك حسابا ((فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞

وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ))[١]، ألست قارئا للقرآن أما تقرأ هذه الآيات القرآنية، أما تؤمن بالحساب والمداقّة بالحساب والعقوبة على ذلك، ((فَسُبْحَانَ اللهِ أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَاد)) أو ما تخاف نقاش الحساب؟ تقف يوم القيامة وهناك دقّة في الحساب ، من أين جاءتك هذه الأموال؟ ((أيّها المعدود كان عندنا من أولي الألباب)) لنرى هذه العبارة، كم هو بليغ ودقيق في المعنى ((أيّها المعدود كان عندنا من أولي الألباب)) ماذا يريد أن يقول له؟ أنت كنت محسوباً عندنا من أهل العقل والدين أمّا الآن فلا.. لا تحسب من أهل الدين والعقل بل كنت تجاهد وكنت تؤمن بيوم الحساب وكنت على بيّنة من ربّك وكنت متديّناً وتتكلّم في كلّ كلامك بأمور الدين ، كنت في السابق من أهل العقل والدين وأهل الجهاد ، أما الآن فلا. خرجت خارج الدائرة لا تقل أنا من أهل الدين وأهل الجهاد أصبحت خارج الدائرة . ((كيف تسيغ..)) انتبه أيّها الآخذ للمال الحرام ستصبح معيشتك كلّها حراماً، سيكون أكلك حراماً ،وشربك حراماً، وزواجك حراماً ، وملبسك حراماً وأولادك سيأكلون ويشربون حراماً، وإذا زوّجتهم تكون ذرّيّتك كلّها في حرام ، أما تنتبه، لذلك يتعجب الإمام ، ويقول له أنت غير ملتفت أين ستكون هذه الأموال الحرام ((كيف تسيغ لنفسك شراباً وطعاماً وأنت تعلم أنّك تأكل حراماً وتشرب حراماً)) هذه أموال وخيرات عامّة جاءت من ثروات وخيرات وأمور تتعلّق بالناس وتتعلّق بالمجاهدين والمؤمنين وعامّة الناس واليتامى والأرامل والمساكين، وأنت تعلم أنّك تأكل حراماً وتشرب حراماً من أموال اليتامى والمساكين والمؤمنين والمجاهدين، هذه الأموال ليست لك هذه الأموال وليست من أبيك وأمّك ولا من أقربائك ولا إرث، من أين جئت بهذا المال؟ هذه أموال لعامّة الناس يجب أن تُصرف على المساكين وعلى الأيتام والأرامل والمجاهدين والمقاتلين وعامّة الناس، أوجدها الله تعالى لكي تصرفها على عامّة الناس وإسعادهم وعيشتهم الكريمة وتوفّر لهم متطلّبات العيش الكريم، ولم نخوّلك أن تتصرّف بهذه الأموال لك، أنت أُعطيت الفرصة ائتُمِنت على أموال الناس ائتُمِنت على الأموال العامّة حتى تصرفها في إسعادهم ومعيشتهم

١- الزلزلة: ٧-٨.

الكريمة، وإذا بك الآن فوق ذلك أنت تدّعي الإيمان والجهاد ثمّ تأتي وتأكل هذه الأموال الحرام ((الَّذِينَ أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْأَمْوَالَ وَ أَحْرَزَ بِهِمْ هَذِهِ الْبِلَادَ فَاتَّقِ الله)) يعاتبه يوبّخه على ذلك (فَاتَّقِ الله) أي احذر من عذاب الله، ماذا ستفعل بهذه الأموال ستأخذها سنة أو سنتين أو ثلاث عشرة أو عشرين سنة ثمّ بعد ذلك ماذا؟ هل ستأخذها معك؟ سترحل عن هذه الحياة الدنيا ويبقى الجزاء والحساب والعقاب، وربّما العقاب الدائم في نار جهنّم، يقول خف الله تعالى (..فاتّق الله واردُدْ) التقوى لا تكفي وحدها، يعني أن أقول اتّقيتُ الله تعالى وأنتهي عن أخذ هذه الأموال الحرام، يحتاج إلى أمر آخر هو (واردد الى هؤلاء القوم أموالهم) هؤلاء الذين أخذوا الأموال حراماً من الأموال العامّة واستحوذوا عليها بغير حقّ، يجب عليهم أن يقوموا بردّها الى مستحقّيها وصرفها عليهم ((وارْدُدْ إِلَى هَؤُلاءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ، فإِنَّك إِنْ لَمْ تَفْعَل)) هنا يهدّد الإمام ولا يكتفي بالعتاب والتوبيخ، يقول إن أمكنني الله منك سأعاقبك عقوبةً شديدة ((فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنَنِي اللهُ مِنْكَ لَأُعْذِرَنَّ إِلَى اللهِ فِيكَ وَلَأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي))[1] شاهدوا الشدّة حتى يردعه ويردع الآخرين ((الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَداً إِلَّا دَخَلَ النَّار))[2].

ثم بعد ذلك يقول أنا ليس عندي مصانعة ومداهنة، لو أقرب الناس لي فعل هذا الفعل سأعاقبه بالعقوبة نفسها، ليس لديّ بعيد أو قريب إن فعل كذا واستحوذ على المال الحرام فسأعاقبه، فلا حصانة لأحد من أقربائي أو عشيرتي أو كتلتي، لاحظوا هذا المبدأ الذي قلنا إنّ الإمام عليه السلام يشير اليه ليس مختصاً بوقته ودولته بل لكلّ الأزمنة والأمكنة، يقول: ((ووالله...)) يُقسم ((...لو أنّ الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت...)) هؤلاء أولادي أحبّائي كرماء عليّ، ولكن لو فعلا مثل الذي فعلت ((مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ وَلَا ظَفِرَا مِنِّي بِإِرَادَةٍ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُمَا وَأُزِيحَ الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِمَا))[3] الكلّ سواء، هل لأحدٍ حصانة وصيانة؟ فلان لأنّه من أقربائي أو من أولادي أو من عشيرتي أو من أو منطقتي أو من كتلتي أو من حزبي فهؤلاء مصانون لهم

١- شرح نهج البلاغة: ١٦/ ١٦٨.
٢- م. ن: ١٦/ ١٦٨.
٣- م. ن: ١٦/ ١٦٨.

الحماية لو وقعت أيديهم واستحوذوا على المال الحرام، لا يحاسبون أما الذي ليس له مثل هذه الصلة فهؤلاء يُحاسبون ويعاقبون ويسجنون، الإمام(سلام الله عليه) يقول الكلّ سواء حتى أقرب المقرّبين لي لو فعلا مثل هذا الفعل فإنّهم سينالون العقوبة نفسها التي تنالها أنت.

نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لمراضيه ، اللّهم وفّقنا للصلاح والرشاد وجنّبنا الشرّ والفساد، واجعلنا ممّن يقولون فيعملون وخلّصنا من الأشرار والفاسدين إنّك سميع الدعاء قريب مجيب.

الجمعة ١٩ شعبان ١٤٣٧ هـ
الموافق ٢٧ آيار ٢٠١٦ م

بإمامة سماحة السيد أحمد الصافي

نصّ الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه أبي القاسم محمد وعلى آله الطيّبين الطاهرين، الحمد لله قبل كلّ أحد، والحمد لله بعد كلّ أحد، والحمد لله مع كلّ أحد، والحمد لله يبقى ربّنا ويفنى كلّ أحد، والحمد لله حمداً يفضل حمد الحامدين حمداً كثيراً قبل كلّ أحد.

إخوتي أبنائي آبائي سلّمكم الله تعالى وأيّدكم دائماً، أخواتي بناتي أمّهاتي ألبسكنّ الله لباس العافية والستر والحياء، السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته. أوصيكم أحبّتي ونفسي الغارقة في بحر الآثام بتقوى الله تعالى والخشية منه؛ فإنّه سيأتي يوم لا ينفع معه إلّا العمل الصالح، وانّه تعالى لا يقبل إلّا من المتّقين جعلنا الله تعالى وإيّاكم من خيار خلقه الأتقياء.

كنّا في رحلةٍ مع الإمام السجّاد(عليه السلام) ، وهو يأخذ بأيدينا -كما ذكرنا- في دعاء طلب التوبة وقد تقدّم شطرٌ منه، وقلنا هناك حاجة فطرية عندنا هي أن نفزع الى الله تبارك وتعالى إذا ألّمت بنا مصائب ومصاعب، بل حتى لو لم يلمّ بنا أيّ شيء ، وهذه الحاجة الحقيقية المودعة فينا تجعلنا نجد أنفسنا على نحو الدوام محتاجين الى الله تعالى؛

ولذلك ورد ((اللهُمَّ لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ أَبَدا))[1]؛ لأنّ الإنسان إذا رفع اللهُ يده عنه ينتهي، بل لا يكون شيئا في الحقيقة، وإنّما نحن كائنات مرتبطة بربّ الأكوان جلّ شأنه، تارةً يستشعر الإنسان هذه الحاجة ويكون عبداً صالحاً وتارةً يعمى فلا يستشعر ذلك، أو قد يستشعرها بعد فوات الأوان، ((وَّلَاتَ حِينَ مَنَاص))[2]، الإمام السجّاد في هذه الرحلة التربوية المهمّة يريد أن يبيّن لنا هذه الحاجة الحقيقية ، وأن يراقب الإنسان نفسه ويقتضي ذلك أن يسعى لتبديل حاله من حالٍ الى حالٍ أفضل، ونحن- إخواني- في هذا الشهر المبارك شهر شعبان ، وما يأتينا -إن أبقانا الله تعالى- في شهر رمضان نحتاج الى استعداد نفسي للدخول إلى هذين الشهرين، وأقصد بالاستعداد النفسي أنّ شهري شعبان ورمضان من الأشهر الكريمة على الله يحبّ فيها تعالى أن يرانا نعمل عملاً يختلف عن بقيّة الشهور، وإن كانت الطاعة واجبة في كل وقت لكن هناك حالات يحبّ الله تعالى أن يرانا فيها بحالةٍ أخرى، ففي بعض الروايات أنّ الإنسان يُستحبّ أن يستغفر الله تعالى في كلّ يوم سبعين مرّة [3]، وهذا الاستغفار عبارة عن رجوع الى الله وإحساس بالمسؤولية أمام الله تعالى، نحن نحتاج أن نستشعر هذه العبودية وإلّا الإنسان عبدٌ لله شاء أم أبى، آمن أم كفر، سيرجع الى الله تعالى حتى وإن كان كافراً -والعياذ بالله - ، فلا يستطيع أن لا يعمّر في الدنيا كيف يشاء، سيأتي يوم يخرج من هذه الدنيا، ويعود الى الله تعالى فما جحده في الدنيا سيقرّ به، لكن هذا الإقرار لا قيمة له، الحالة الصحية أن يكون الإنسان دائم التوجّه الى الله تعالى، يراقبه فإن صدر منه ما صدر فعليه أن يرجع، فالله توّاب ويحبّ العبد التائب؛ لأن الشيطان يحاول أن يأتي المذنب بطرق مختلفة ليوقع به فيوسوس له أنّ هذا الذنب لا تنفع معه التوبة. وهذا من مكائد الشيطان فلابُدّ أن يرجع الإنسان الى الله تبارك وتعالى دائماً، وأن يعزّز هذا الرجوع بنيّة صادقة ويعاهد الله تبارك وتعالى على أن لا يذنب، ويرتّب حياته على أنه مكشوفٌ أمام الله تعالى دائماً ويقدّم حسابه الى الله تعالى يوميّاً .

١- بحار الانوار: ١٨/ ٢٠٤.
٢- ص: ٣.
٣- ينظر: وسائل الشيعة: ١٠/ ٥١١.

نرجع إلى فقرات هذا الدعاء التي ذكرها الإمام(عليه السلام) ، وقد انتقلنا فيها من اعتراف بالذنب وخطورة الذنوب إلى حاجتنا بأن نبدأ صفحةً جديدة مع الله تبارك وتعالى، والله تبارك وتعالى أبوابه مفتوحة، والإمام(عليه السلام) يؤدبنا بأدب القرآن، القرآن الكريم يقول: ((ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ))[1]، هذا هو الشرط دعاء واستجابة، كما أنّ الله أمرنا بالدعاء وعدنا بالإجابة أيضاً ، بعد أن فرغ هذا العبد المذنب وبيّن تلك المآسي وانكشفت أمامه، وذهبت سحائب العمى وأصبح يرى الأمور بمنظار واقع، يرى ما ارتكبه فعلاً عظيماً وجليلاً ، وجاء الى الله مطأطئاً خاشعاً خاضعاً يريد أن يبدّل هذا السلوك الى سلوكٍ آخر، فماذا قال؟ قال: ((اللهُمَّ فَهَا أَنَا ذَا قَدْ جِئْتُكَ مُطِيعاً لِأَمْرِكَ فِيمَا أَمَرْتَ بِهِ مِنَ الدُّعَاءِ...))[2] الله أمرنا بالدعاء، ((...مُتَنَجِّزاً وَعْدَكَ فِيمَا وَعَدْتَ بِهِ مِنَ الْإِجَابَةِ، إِذْ تَقُولُ: ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ))[3] لاحظوا طريقة الدخول الى الله تبارك وتعالى، الله تعالى له أبواب لابُدّ أن نعرف كيف نطرق الأبواب وكيف ندخل الأبواب؟ الله مطّلع علينا دعونا أم لم ندعُ ، تكلّمنا أم لم نتكلّم ، في الملأ أم في السرّ، لكن لله تعالى آداب بيّنها لابُدّ أن نعرفها، لاحظوا هناك كلمة في منتهى الدقّة للإمام(عليه السلام) ، عندما يريد أن يعقد مقارنة بينه وبين الله تعالى ، قطعاً الله تعالى لا يُقارن بشيء ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ))[4]، ماذا يقول الإمام في دعاء آخر؟ يقول: ((إِلَهِي لَوْلَا الْوَاجِبُ مِنْ قَبُولِ أَمْرِكَ لَنَزَّهْتُكَ مِنْ ذِكْرِي إِيَّاك))[5]، يُخاطب الله تعالى يقول: أنت تأمر (اذكروني)، واجب أن نقبل أمراً، وإلّا لولا هذا الواجب أنا أستصعبها أن أذكرك أصلاً، من أنت ومن أنا؟! (لنزّهتك عن ذكري إيّاك) الإمام السجاد(عليه السلام) يعتبر أنّ هذا الذكر خلاف التنزيه، فقولنا: يا الله، هذا المقدار خلاف التنزيه ، لماذا؟ لأنّ قدري لا يرتقي الى قدرك، لكن لأنّك الله أمرت فنحن نخضع، لاحظوا هذا الأدب مع الله تبارك وتعالى، هذه المدرسة مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) إذا لم يطّلع الإنسان عليها فسيحرم نفسه منها، الإمام(عليه السلام) هنا

١- غافر:٦٠.
٢-الصحيفة السجادية: ١٤٠.
٣- رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين: ٤/ ٣٧٤.
٤- الشورى:١١.
٥- بحار الانوار: ٩١/ ١٥١.

في هذا الدعاء يأتينا الى القرآن: يا إلهي أنت وعدت والوعد غير الوعيد، الوعيد حالة من التهديد على فعل الحرام، لكن الله غير ملزم بالوعيد ؛لأنّ رحمته سبقت الغضب، أمّا الوعد فقد كتب الله على نفسه الرحمة، وهذا الوعد جزءٌ من رحمة الله تعالى التزم به ((ادْعُوْنِيْ أَسْتَجِبْ لَكُمْ)) نعم، قد نفقد شرائط الدعاء فنأكل الحرام ولا نتوجه إلى الله تعالى ويكون فكرنا مشغولاً بغيره ، فلا تتحقق الإجابة، لأنّ فقدنا شرائط مكمّلات الدعاء ، وفرق بين نفقد الإجابة لأننا لم نحقق الشرط وبين أن الله تعالى لا يجيب، هنا الإمام السجّاد(عليه السلام) بعد أن بيّن ما سبق قال: فها أنا ذا الآن حاضر بين يديك، فها أنا ذا قد جئتك مطيعاً لأمرك، لاحظوا حالة التزلّف الى الله، فحالة كوني عبداً وأنّ الله أمرني تلزم أن أجيء حتى تكون طاعة ((مطيعاً لأمرك فيما أمرت به من الدعاء))، أمرنا الله تعالى فقال: ادعوني.

نحن نقرأ الصحيفة السجّادية، والصحيفة السجّادية كلّها دعاء، وفيها مضامين هائلة ،وعندما نقرأ تراث أهل البيت(عليهم السلام) نجده مفعماً مملوء بالدعاء، وهذه أدعية لا يقوى على إنشائها غير أهل البيت؛ لأن فيها حالة من الارتباط العجيب مع الله تبارك وتعالى وحالة من الذوبان ومعرفة العبودية الحقّة، عندنا تراث كامل زبور آل محمد الصحيفة السجادية مملوءة بحالة الارتباط بالله تبارك وتعالى ومضامين هائلة متنوّعة، والدعاء لا يعني ترك الأسباب الظاهرية وإنّما هو سببٌ من هذه الأسباب أيضاً، الدعاء حالة من الاعتماد والتوكّل على الله تبارك وتعالى، هذا غير مرتبط بترك الأسباب ؛ لأنّ الإنسان رغم كلّ ما عنده يدعو الله، لأنّ الله بيده المصير، يقول: ها أنا ذا قد جئتك، ماذا؟ قال: فيما أمرت، مطيعاً لأمرك فيما أمرت به من الدعاء، بعد ذلك (متنجّزاً) أي أنتظر وعدك أي إنجاز الوعد وتنفيذ ما وعدت به، بماذا، أين وعد الله تعالى؟ قال: ((فيما وعدت به من الإجابة إذ تقول: {ادْعُوْنِيْ أَسْتَجِبْ لَكُمْ})) ، واحدةٌ عليكم وواحدةٌ عليّ، الفعل الذي يصدر منكم الدعاء (ادعوني) ومني الإجابة (أستجب) و لكن لا تدعوني على معصيةٍ، ولا تدعوني على أمرٍ لا تفهمونه؛ ولذلك

لاحظوا إخواني بعض الحالات يدعو الإنسان الله تعالى بما يعتقد هو أو لما يمرّ به من ظرف ، هذا المقدار جيد، لكن هناك مضامين لا يفهم الإنسان معناها بل لا يستطيع ولا يعرف كيف يدعو، فعليه بالأدعية المأثورة عند أهل البيت(عليهم السلام) ففيها الأثر كلّ الأثر ، يأتي شخصٌ الى الإمام الصادق(عليه السلام) -على ما أظنّ- ويقول: يا بن رسول الله إنّي دعوت دعاءً استمع، فقال الإمام له: (دعني من اختراعك اقرأ ما أقول لك) لأنّ هذه الأدعية لم تصدرْ إلّا من عينٍ صافية ومن وراثة حقيقيّة للنبيّ وآله، وهذه الوراثة الحقيقية ((أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا))[1]، ويأتي بعده الأئمّة الأطهار(عليهم السلام) فحديثهم من حديث أبي حديث جدّي الى أن يصل الى أمير المؤمنين والنبيّ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ثمّ الى جبرائيل ثم الى الله، ثم الإمام يقول: يبقى النبيّ والأمير لهما فضل، إذن أين امتدّت هذه الحالة؟ الى الله تبارك وتعالى، فهذه الأحاديث المودعة يتعامل الإنسان فيها تعاملاً خاصّاً، تختلف بين أن أدعو بلساني الكالّ دعاءً لا أعرف المصلحة فيه ، ثم بعد ذلك عندما أتوجّه الى الأئمّة أرى أنّ هذه المضامين مضامين هائلة تستمطر رحمة الله تعالى . يمهّد الإمام(عليه السلام)الى الله تبارك وتعالى يقول :((فَهَا أَنَا ذَا قَدْ جِئْتُكَ مُطِيعاً لِأَمْرِكَ فِيمَا أَمَرْتَ بِهِ مِنَ الدُّعَاءِ..)) (ادعوني) أمر، الله أمرنا ((..مُتَنَجِّزاً وَعْدَكَ فِيمَا وَعَدْتَ بِهِ مِنَ الْإِجَابَةِ)) من أين هذا؟ قال أنت تطلب :(إِذْ تَقُولُ: ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)، هذه نقطة مهمّة الإمام أراد أن يبيّنها، وقلنا نحن نأتي الله تعالى من الأبواب التي فتحها، أمّا باب موصد أو باب موجود لكنني لا أهتدي الى فتحه ولا أعرف مفتاح هذا الباب ولا أملكه فقطعاً لا يُفتح الباب، فقد ندعو كثيراً فلا يستجاب لنا فليس هذا يعني أن الله حجب الاستجابة بل لأننا لا نملك المفاتيح ولم ندعُ بالشكل الصحيح لم نصل الى هذه الحالة التي يريدها الأئمّة، القصور فينا، الله تبارك وتعالى رحمته واسعة، ثم قال: ((اللهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ..)) وهذه من المفاتيح إخواني، إنّ الصلاة على محمد وآل محمد من مفاتيح إجابة الدعاء، ((اللهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِه، وَالْقَنِي بِمَغْفِرَتِكَ كَمَا لَقِيتُكَ بِإِقْرَارِي، وَارْفَعْنِي عَنْ مَصَارِعِ الذُّنُوبِ كَمَا وَضَعْتُ لَكَ نَفْسِي، وَاسْتُرْنِي بِسِتْرِكَ كَمَا تَأَنَّيْتَنِي عَنِ

١- تحف العقول: ٤٣٠.

الاِنْتِقَام مِنِّي)) حقيقةً هذه الانتقالة المكمّلة أيضاً تستوجب منّا تأمّلاً، بعد أن مهّد الإمام(عليه السلام) وقال أنَا جئت، تلك كانت مقدّمة للاعتراف بعد أن تداولتني أيدي الذنوب وقادتني أزمّة الخطايا، ثم انتبهتُ فرأيتُ جليل الذنوب جليلاً ورأيتُ عظيم ما فعلتُ عظيماً، تجاوزتُ الحدود مع الله تعالى الآن انتبهت وجدتُ أنّ الله تعالى أخذ وعداً وعهداً قال ((ادعوني أستجبْ لكم)) بدأنا ندعو، الآن ماذا نطلب؟ هذا الموضوع –إخواني- تكرّر أكثر من مرّة، نحن في الدعاء ماذا نطلب؟ مثلاً عندما يتوفق الإنسان لليلة النصف من شعبان ماذا يطلب؟ الإمام(عليه السلام) يقول هذه ليلةٌ عظيمة، الله تعالى جعلها لنا كما جعل ليلة القدر للنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، إذن هي ليلةٌ عظيمة وفّقني الله أن أدركها فماذا أطلب؟ بماذا أدعو؟ قطعاً إذا لم تكن عندي رؤية سيكون دعائي دعاءً مشوّشاً، فإذا كان عندي رؤية ومشروع بيني وبين نفسي مع الله تعالى – ، ما مشروعي بيني وبين الله تعالى؟ أنّ يعطيني الله تعالى مثلاً السلامة في الدين والدنيا، في الآخرة لا يوجد عندي خيار أن أكون في النار، لأنّ الآخرة خياراتها ليست خيارات الدنيا، خيارات الإنسان في الدنيا بين صحّة وسقم وبين السجن وخارج السجن وبين غنىً وفقر، خيارات موجودة لكن الإنسان يؤمّل نفسه أنّ هذه المسألة الى زوال والحياة تتبدّل، لكن يوم الآخرة ليس عندي مجال أن تكون خياراتي كثيرة، فالإنسان عندما يرتّب نفسه مع الله تعالى يبحث عن تلك الغاية الكبيرة النهائية التي أرادها الله تعالى لأوليائه فهذا يحتاج الى إعداد، إذا كان عندي مشروع المشروع يحتاج الى أدوات ويحتاج الى إعداد تربويّ مني فكيف أستثمر هذه اللّيلة لتنفيذ هذا المشروع؟، قطعاً دعائي سيختلف، طريقة العلاقة مع الله خلال ثلاث ساعات أو أربع في هذه اللّيلة سيختلف، عندما أهيّئ نفسي لليلة القدر وأرى أنّ ليلة القدر من اللّيالي العظيمة، جعلها الله تعالى في السنة مرّة والإمام(عليه السلام) يحثّ على إحياء ليلة القدر، فمن الآن كيف أرتّب وضعي لليلة القدر –إن أبقاني الله- هذه الحالة خلاف الغفلة ،أمّا تأتي ليلة القدر وحالها حال بقية اللّيالي خارج رمضان فهذا يعني أني لا أملك رؤية مع الله تعالى بخلاف الذي هو ملتفت، الزهراء(عليها السلام) في بعض الروايات كانت تمنع أهل بيتها من أن يناموا في هذه اللّيالي استثماراً لها، لاحظوا المشروع، الإنسان في

شهر رمضان ليلة القدر يقول سأنام في النهار، لماذا؟ قال: لأنّ عندي ليلة أريد أن أحييها، هذا يدلّ على حالةٍ صحية، أمّا إنسان يقول هذه اللّيلة ستكون هناك وليمة وليمة عند المكان الفلاني فسأتنقّل بين وليمة ووليمتين الى أن تنتهي ليلة القدر، الفرق بين الأداءين كبير، فبين العقل والبطن فرق هائل، هذا الإعداد والاستعداد في غاية الأهمّية، الأئمّة(عليهم السلام) يحثّوننا على استثمار الفرص، الدنيا فيها فرص، والفرص كما يقول أمير المؤمنين:((تَمُرُّ مَرَّ السَّحاب))[١]، الإنسان يُدرك الليلة وهو في حالةٍ من الصحّة والتوجّه ، ويقول: شغلني ضيف، أقول هذا لا حياء فيه اصرف ضيفك ليحيي الليلة أيضا والتقِ به بعد ذلك ، ماذا يضر ذلكّ؟ الإنسان عليه أن يستثمر كلّ وقته لله تبارك وتعالى، وهذه ليالي مخصوصة ومهمّة.. على كلّ حال نحن ذكرنا هذا المطلب قبل رمضان لعلّه تذكرة لنفسي، يقول(عليه السلام) : ((اللهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَالْقَنِي بِمَغْفِرَتِكَ...)) لاحظوا هذه العبارة ((كَمَا لَقِيتُكَ بِإِقْرَارِي)) في بداية الدّعاء الإمام يقرّ ، ماذا قال في إقراره؟ ((هذا مقام من تداولته أيدي الذنوب وقادته أزمّة الخطايا واستحوذ عليه الشيطان فقصّر عمّا أمرت به تفريطاً... الى آخره))، هذا إقرار، فيأتي هذا العبد المسكين المستكين الحقير الفقير الى الله تعالى، يقول إلهي بعد أن ذكرت لك هذا كيف ستواجهني؟ هذا أنا أدعوه وأنت تدعوه، كيف ستواجهني؟ أريد منك أطلب منك وأتوسّل اليك أن تواجهني بطريقةٍ أخرى ما هي؟ قال (وَالْقَنِي بِمَغْفِرَتِكَ) وسائلك كثيرة، عندك عقوبة، في دعاء أبي حمزة الثمالي في أوله : ((إِلَهِي لَا تُؤَدِّبْنِي بِعُقُوبَتِك))[٢]، تقرأ في سورة التوبة أوّل ما تقرأ ((بَرَاءَةٌ مِّنَ اللهِ)) [٣]، الله عنده وسائل كثيرة يمكن أن يلاقيني بالبراءة أو بالعقوبة، يقول لا.. لا تلقني ، لا تواجهني بهذه الأساليب، ماذا تريد إذن؟ قال :((وَالْقَنِي بِمَغْفِرَتِكَ كَمَا لَقِيتُكَ بِإِقْرَارِي)) أنا لست صاحب فضلٍ بإقراري ؛ لأنّك تعلم سواءً أقررت أو لم أقرّ، ولكن هذه خطوة اليك يا

١-شرح نهج البلاغة :١٨/ ٢٨٣.
٢- مصباح المتهجّد وسلاح المتعبّد: الطوسي، محمد بن الحسن(٤٦٠) هـ، الناشر: مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، الأولى:٢/ ٥٨٢، بحار الانوار:٩٥/ ٨٢.
٣- التوبة:١.

إلهي أنا عندما أقررت أريد منك أن تعينني فألقني بمغفرتك ((وَارْفَعْنِي عَنْ مَصَارِعِ الذُّنُوبِ..)) وحقيقةً هذه بلاغة رائعة، (مصارع الذنوب)، إمّا الأفعال أو الذنوب نفسها من إضافتها الى الفاعل، الذنوب هي تصرع، أو أمكنة، هذه الأمكنة تجعلني في حالة وضيعة، ومصارع الذنوب كلّ الأفعال التي لم ألتفت إليها من المحرّمات ، ارفعني يا إلهي قال: (وَارْفَعْنِي عَنْ مَصَارِعِ الذُّنُوبِ كَمَا وَضَعْتُ لَكَ نَفْسِي) كما تذلّلت إليك، لعلّ -لاحظوا إخواني- الإنسان يعبد الله تبارك وتعالى بأنحاء العبَادة، لكن العبادة التي يشجّع عليها الله تبارك وتعالى هي السجود، جبهة الإنسان أرفع شيئاً عنده، عندما يعفّرها بالسجود الى الله تعالى كأنه لا توجد حالة بدنية أعلى من هذه الحالة للتذليل، ولذلك الحديث الشريف يقول: ((أَقْرَبَ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ إِلَى رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِد))[١]، والقرآن يقول: ((وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ))[٢]، الله بالنسبة الينا أقرب من حبل الوريد، العبد يكون أقرب الى الله وهو ساجد، وهذه السجدة يتألّم منها إبليس- عليه لعائنُ الله-، لأنّها سبب إخراجه، فالساجد أقرب ما يكون الى الله وبالملازمة أبعد ما يكون عن إبليس، هذه الأنفة والتكبّر هي التي أخرجت أبليس مما كان عليه لذا يتألم عندما يرى العبد ساجدا ذليلا الى الله تعالى، ويقول -في داخله- :يا ليتني كنت ساجداً، لذلك يقول الإمام(عليه السلام) : ((كَمَا وَضَعْتُ لَكَ نَفْسِي)) الإنسان يحتاج إلى الله، كلّما يضع الإنسان نفسه لله تعالى يرفعه الله ((مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَه)) [٣].

ختامُها قال :((وَاسْتُرْنِي بِسِتْرِكَ كَمَا تَأَنَّيْتَنِي عَنِ الانْتِقَامِ مِنِّي)) بلا شكّ أنّنا نستحقّ الانتقام منذ أوّل معصية، لكنّ الله تعالى لم ينتقم، الله تعالى تأنّى، الله تعالى أمهَلَ وأعطى، إذن أنت يا إلهي قد تُمهل فبهذا الإمهال وبهذه الأناة أدعوك أن تستر عليّ، لأنّك لا تريد أن تفضحني ولا تريد أن تنتقم، وإلّا كنت فعلت في السابق، ولكنّك لا تريد ذلك، فأطلب منك يا إلهي ، أرجوك أتوسّل أن تسترني بسترك، فالله هو ستّار العيوب، الله تعالى ستر عيوباً علينا في الدنيا ونحن أحوج ما نكون له في الآخرة، هناك إذا بُليت

١- وسائل الشيعة: ٦/ ٣٠٥، تهذيب الاحكام(تحقيق خراسان): ٢/ ٧٧.
٢- ق: ١٦.
٣- الكافي : ٢/ ١٢٢.

السرائر وانكشفت الحجُب، نعرف من بكى ممّن تباكى.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يسترنا بستره وأن يولينا دائماً العافية في أمور ديننا ودنيانا، وأن يحفظنا ويحفظكم في متعلّقيكم وأهاليكم ولا يخرجْنا من الدنيا إلّا أن يرضى عنّا، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

الجمعة ١٩ شعبان ١٤٣٧ هـ
الموافق ٢٧ آيار ٢٠١٦ م

نصّ الخطبة الثانية

إخوتي أخواتي أعرض على مسامعكم الكريمة الأمر الآتي، وأرجو التوجّه اليه: في هذه الأيام العظيمة التي يخوض فيها أعزّتنا في القوّات المسلّحة والشرطة الاتّحادية ومن يساندهم من المتطوّعين الأبطال وأبناء العشائر الغيارى معارك ضارية لدحر الإرهاب الداعشي عن مناطق أخرى من أرض العراق الطاهرة يجب أن نقف لنحيي بإكبار وإجلال هؤلاء الرجال الميامين على انتصاراتهم وبطولاتهم وتضحياتهم وتفانيهم في الدفاع عن وطنهم وشعبهم ومقدّساتهم، إنّنا لا نجد من الكلمات ما تفي ببيان قدرهم ومكانتهم ولا يسعنا إلّا أن نقول إنّكم حقّاً الأجلّ قدراً والأعظم أجراً ومثوبةً من جميع من سواكم ويا ليتنا كنّا معكم فنفوز فوزاً عظيماً، وأمّا الشهداء الذين ارتقوا الى جنان الخلد مضرّجين بدمائهم الزكية فما عسانا أن نقول فيهم، وقد قال الله تعالى: ((وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ۞يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ))[١] وأمّا الجرحى والمعاقون ممّن أصيبوا في ساحات المنازلة مع الإرهابيّين فإنّ الله تعالى سيؤتيهم أجرهم مرّتين، مرّةً على جهادهم وأخرى على صبرهم وتحمّلهم لما نالهم من الأذى في سبيله، ولكن ما أعظم واجبنا تجاههم في رعايتهم والعناية بهم وتخفيف آلامهم وتأمين

١-آل عمران:١٦٩-١٧١.

الحياة الكريمة لهم، وأمّا أرامل الشهداء وأيتامهم وسائر ذويهم فيكفيهم فخراً ما قدّموا للدين والوطن من شهداء كرام ، والواجب تجاههم أعظم، إنّهم فقدوا أحبّتهم ومن كانوا يحظون برعايتهم في حياتهم المعيشية، فلابُدّ أن يجدوا منّا من العناية والرعاية ما يعوّض ولو جزءًا ممّا فقدوه بفراق أولئك الكرام.

أيّها الإخوة والأخوات مضت سنتان منذ أن هبّ العراقيّون للدفاع عن بلدهم وشعبهم ومقدّساتهم أمام الهجمة الهمجيّة الداعشية، وقد قدّموا في هذه المدّة آلاف الشهداء وأضعاف ذلك من الجرحى والمصابين، ولكنّهم لم يملّوا ولم يكلّوا عن مقارعة الإرهابيّين وما يزالون صامدين في مختلف الجبهات بل إنّهم يزدادون إصراراً على الاستمرار في جهادهم الدفاعي الى تطهير آخر شبر من أرض الوطن من رجس هؤلاء الظلاميّين.

لقد ساهم الجميع في هذه المنازلة العظيمة شيباً وشبّاناً كباراً وصغاراً رجالاً ونساءً ولا يزالون مستمرّين في ذلك ،فمنهم من يشارك ببدنه بالحضور في جبهات القتال ،ومنهم من يشارك بماله بتوفير ما يحتاج اليه المقاتلون من المؤن وغيرها، فسلامُ الله عليكم من شعبٍ صامدٍ صابرٍ فاجأ العالم بصبره وصموده، ويبقى أن نؤكّد ضرورة توفير المقاتلين الأبطال الحماية للمدنيّين الأبرياء وتخليص من احتمى به العدوّ منهم بكلّ الوسائل المتاحة، واعلموا أنّ إنقاذ إنسان بريء ممّا يحيط به من المخاطر أهمّ وأعظم من استهداف العدوّ والقضاء عليه، فابذلوا قصارى جهودكم في تأمين حياة المدنيّين وإبعاد الأذى عنهم، شكر الله سعيكم وجزاكم خير جزاء المحسنين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

خطب الجمعة

لشهر

حزيران

٢٠١٦هـ

شعبان

رمضان

١٤٣٧هـ

الجمعة ٢٦ شعبان
٣ حزيران
بإمامة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

الجمعة ٤ رمضان
١٠ حزيران
بإمامة سماحة السيد أحمد الصافي

الجمعة ١١ رمضان
١٧ حزيران
بإمامة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

الجمعة ١٨ رمضان
٢٤ حزيران
بإمامة سماحة السيد أحمد الصافي

الجمعة ٢٦ شعبان ١٤٣٧ هـ
الموافق٣حزيران ٢٠١٦ م

- بإمامة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي.
- نصّ الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله قياماً بواجب العبودية، ووفاءً بحقوق الربوبية، وانقطاعاً اليه في كلّ قضيّة، وقضاءً للمنن التي سلفت، وحياطةً للنعم التي خلفت، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، مالك الأزمّة ومفرّج كلّ غمّة، ومصدر كلّ رحمة، وأشهد أنّ محمداً(صلّى الله عليه وآله) عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله حملة عهده، وأولي الأمر من بعده.

اوصيكم عباد الله تعالى ، وقبل ذلك أوصي نفسي بتقوى الله تعالى وإصلاح نيّاتكم، وتطهير قلوبكم، وها هو شهر الله الأكبر قد اقترب حلوله في ساحتكم، فتأهّبوا واستعدّوا له وطهّروا بالصيام قلوبكم، وقيّدوا به أفعالكم وأقوالكم وجوارحكم، وأشعروا قلوبكم رحمةً للضعفاء لتستوجبوا الرحمة من ربّكم، وأكثروا من الصدقات والبرّ لتتعرّضوا لإحسان الله ومزيد فضله وجميل برّه، واستشعروا حسن الخلق وسلامة الباطن وحميد السجايا مع الأقربين والأبعدين، يعاملكم الله تعالى بما تحبّون. أيّها الإخوة والأخوات سلامٌ عليكم جميعاً من ربّ شهر رمضان ورحمةٌ منه وبركات.

أيّها الإخوة والأخوات ، ها نحن في الجمعة الأخيرة من شهر شعبان نقترب من

حلول شهر رمضان شهر الله الأكبر في ساحتنا، وكان رسول الله(صلّى الله عليه وآله) في آخر جمعةٍ من شعبان قد خطب في المسلمين تلك الخطبة المعروفة بالخطبة الشعبانيّة، ومن المستحسن أن نتلو على مسامعكم الكريمة ما ورد فيها ونبيّن الغرض من ذكر هذه الخطبة، لاشكّ أنّ شهر الله الأكبر -شهر رمضان- يحمل الكثير من البركة والخير والمغفرة، والكثير ممّا يتعلّق بالتقرّب الى الله تعالى وتقوية الصلة به ، وتقوية الإرادة وتوفيق القلب والعلاقات الاجتماعية والأخلاقية مع المجتمع، فهذه فرصة عظيمة لا تتسنّى إلّا مرّةً واحدة في السنة، فبعض المؤمنين قد علم وعرف وانتبه الى أهمّية استثمار هذه الفرصة لكي ينهل من هذه الخيرات والبركة في هذا الشهر العظيم، ومنهم من هو في جهل أو في غفلة عن هذه الفرصة العظيمة فتفوته ويندم فيما بعد لأنّه لم يستثمرها، فكان النبيّ(صلّى الله عليه وآله) يُلقي هذه الخطبة لكي يعرّف أوّلاً بأهمّية هذا الشهر وضرورة استثمار هذه الفرصة ،وينبّه الغافلين على أهمّية هذا الشهر وبركته؛ فتأتي هذه الخطبة لكي تنبّهه ولكي يكون الجميع في حال الاستعداد والتهيّؤ لاستقبال هذا الشهر، ولكن يأتي السؤال المهمّ هنا : كيف يكون الاستعداد والتهيّؤ لهذا الشهر؟ هل هو أن نهيّئ الطعام فقط؟ ونشتري من الأسواق ما هو مطلوبٌ من الطعام وغير ذلك ، ونستعدّ لهذا الشهر بهذا المقدار؟ كلّا.. أيّها الإخوة والأخوات الصوم هو الطريق الذي يوصل الى التقوى والورع عن محارم الله تعالى، فلابُدّ أن يكون استعدادنا وتهيّؤنا في هذا الشهر الاستعداد والتهيّؤ المناسب الذي يوصل الى التقوى والورع وحسن الأخلاق ورقّة القلب والرحمة بالضعفاء والفقراء وتقوية الإرادة، هذه هي الأمور التي توصل الى الهدف الذي ذُكر في الآية القرآنية: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ..))[1] لماذا؟ ((... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)) فينبغي أن يكون استعدادنا -أيّها الإخوة والأخوات على مستويات ننبّه عليها، ولو تأمّلنا في مضامين هذه الخطبة العظيمة لوجدنا أنّ النبيّ(صلّى الله عليه وآله) يريد منّا هذه الأنواع من الاستعداد والتهيّؤ، الاستعداد والتهيّؤ على مستوى طهارة الباطن، وهي طهارة القلب، طهارة الروح، وتنقية القلب من مذامّ الصفات والأخلاق، وتقوية الإرادة أمام سلطان العادة والشهوة وأمام القوّة الغضبيّة، وتحسين الأخلاق للإنسان المؤمن، والرحمة

١-البقرة: ١٨٣.

بالفقراء والمساكين وغير ذلك من هذه الأمور، هذه مجموعة من الاستعدادات التي لابُدّ منها لكي نصل الى الهدف الذي أراده الله تعالى والنبيّ(صلّى الله عليه وآله) من وراء هذه الفريضة العبادية.

هذه الخطبة الشعبانية التي خطبها النبيّ ﷺ -كما بيّنّا- في آخر جمعةٍ من شهر شعبان، هي مرويّةٌ عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه(عليهم السلام) عن علي أمير المؤمنين عليه السلام قال: خطبنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذات يوم ، فقال: ((أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ شَهْرُ اللهِ بِالْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ))(١) ثلاثة أمور:

أوّلاً: نسب هذا الشهر، وبقيّة الشهور الأحد عشر لم يُنسَبْ واحدٌ منها الى الله تعالى، تأمّلوا في عظمة هذا الشهر وقدسيّته وشرافته وحرمته وبركته من خلال نسبته وإضافته الى الله تعالى، كما ورد في الأحاديث التي بيّنت فضل هذا الشهر، ففي قولٍ عن أمير المؤمنين عليه السلام: ((إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ شَهْرٌ فَضَّلَهُ اللهُ عَلَى سَائِرِ الشُّهُورِ كَفَضْلِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَى سَائِرِ النَّاس))(٢) ، يعني كما فضّل الله أهل البيت(عليهم السلام) على بقيّة الناس فقد فُضّل هذا الشهر –شهر الله– على بقيّة الشهور، ثمّ في حديث لرسول الله ﷺ: ((لَوْ يَعْلَمُ الْعَبْدُ مَا فِي رَمَضَانَ لَوَدَّ أَنْ يَكُونَ رَمَضَانُ السَّنَة))(٣)، التفتوا الى ما في هذا الحديث من أمور عجيبة في فضل هذا الشهر، فالكثير منّا حينما يصوم شهر رمضان يتمنّى أن ينقضي الشهر بسرعة، النبيّ ﷺ يقول :لو يعلم الناس ما في هذا الشهر من الفضائل لتمنّوا ورغبوا أن تكون السنة كلّها رمضان.

ففي الخطبة الشعبانية يقول النبيّ ﷺ: ((إِنَّهُ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ شَهْرُ اللهِ بِالْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَة))(٤)، أيّها الإخوة والأخوات في هذا الشهر فتح ربُّ العالمين خزائن بركته ورحمته ومغفرته، ولكن التفتوا هل كلّ الصائمين ينالون المقدار نفسه من البركة والرحمة والمغفرة؟ كلّا.. بعضٌ ينال– مثلاً – بمقدار واحد من عشرة، وبعضٌ اثنين من عشرة وبعضٌ خمسة من

١- الامالي: ٩٣.
٢- فضائل الأشهر الثلاثة، ابن بابويه محمد بن علي (ت٣٨١ هـ) ، الناشر: مكتبة داوري، قم، الأولى:١٠٨.
٣- بحار الانوار: ٩٣/ ٣٤٦.
٤-الامالي: ٩٣.

عشرة ، إذن هناك مراتب من نيل الرحمة والمغفرة والبركة، ما استعدادنا وتهيّؤنا لكي نستقبل هذه البركة الإلهية؟ كما ذكرنا في أوّل الحديث استعداد قلوبنا وأرواحنا ونفوسنا وإرادتنا وأخلاقنا؛ لكي تُتقبّل عباداتنا ،ولكي ننال هذه البركة والرحمة والمغفرة، ننال بهذا المقدار الذي يتناسب مع استعدادنا ؛ لذلك أيّها الإخوة والأخوات بقيت ثلاثة أيّام، فاجلسوا مع أنفسكم ولو في الليلة الأخيرة ،وكلّما زدتم من ساعات التهيّؤ في آخر شعبان وفي أيّام شهر رمضان استقبلتم مقداراً أكبر من الرحمة والبركة والمغفرة، وستنالون مقداراً أكبر من هذه الجوائز والهدايا الإلهية والربّانية، فخصّصوا - أيّها الإخوة والأخوات - ولو ساعة واحدة في آخر هذا الشهر لكي تكونوا على الاستعداد المناسب لكي تنالوا مقداراً أعظم من الرحمة والمغفرة والبركة، والبركة هنا هي الخير الكثير، وهو واضح في العبادات؛ فقراءة القرآن يُضاعف فيها الثواب، والصلوات المستحبّة يُضاعف فيها الثواب، والنوم فيه عبادة والأنفاس فيه تسبيح وغير ذلك من هذه الخيرات التي تعمّ الدنيا والآخرة، كذلك الرحمة الإلهية التي تنزل من الله تعالى، ولاحظوا الى هذا المقدار الذي يناله كلّ واحدٍ منّا، ربّما هذا المؤمن ينال اثنين بالعشرة وذاك المؤمن خمسة وذاك سبعة، لماذا؟ إخواني وأخواتي هناك مقدارٌ من الرحمة ينزل من الله تعالى، من الطبيعي أنّه يناله الجميع لكن هناك مقدار من موجبات التعرّض لرحمة الله تعالى ببعض الأفعال، هذه الأفعال هي التي نختلف فيها، هذا الأخ المؤمن يختلف عن ذاك ؛لأنّه يتعرّض الى موجبات الرحمة أكثر من غيره، من خلال بعض الأعمال وبحالة القلب التي هو عليها ،وأنا سأذكر بعضاً منها حتى تُقدِموا عليها في شهر رمضان وتلتفتوا اليها، مثل الطلّاب في الامتحان يتسابقون هذا يريد أن يأخذ ثمانية وهذا تسعة وهذا عشرة، أنتم أيضاً تسابقوا -أيّها الإخوة والأخوات- لتنالوا مراتب أعظم من هذه الرحمة والمغفرة، أنت أيّها الأخ المؤمن كلّما كانت رحمتك لنفسك ولإخوانك أكثر نزلت رحمة الله تعالى عليك أكثر، التفتوا فهناك مقدارٌ من الرحمة لا يعطيها الله تعالى اعتباطاً، فأنت عندما تصدر منك رحمة يعطيك الله تعالى مقابلها رحمة، كما في هذا الحديث: سأل رجل النبيّ(صلّى الله عليه وآله) قال: أحبّ أن يرحمني ربّي. فقال النبيّ(صلّى الله عليه وآله) –أمرين: ارحم نفسك والثاني ارحم خلق الله تعالى-:

((ارحم نفسك وارحم خلق الله يرحمك الله))[١]، ثم هناك الرحمة الناشئة من الطاعة كما في هذا الحديث: ((تَعَرَّضُوا لِرَحْمَةِ الله بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ طَاعَتِه))[٢]، حتى الرحمة التي تضمرها في قلبك، هذه الرحمة التي في القلب تنزل رحمةً من الله تعالى كما في حديث أمير المؤمنين(عليه السلام) : ((أَبْلَغُ مَا تُسْتَدَرُّ بِهِ الرَّحْمَةُ أَنْ تُضْمَرَ لِجَمِيعِ النَّاسِ الرَّحْمَة))[٣]، قد يقول قائلٌ أليست في قلوبنا رحمةٌ جميعاً؟ لا.. إخواني، هناك الكثير من الناس والمؤمنين يحمل شيئاً من القسوة والغلظة والخشونة على إخوانهم ومع الفقراء والمساكين واليتامى والأرامل، فتتقلّص ويقلّ مقدار نزول الرحمة، لذلك حاولوا أن ترفعوا أكبر مقدارٍ من القسوة والغلظة والخشونة من قلوبكم في هذا الشهر المبارك لكي تحلّ محلّها الرحمة كما في الحديث المذكور، ((بالعفو تنزل الرحمة وبذكر الله تنزل الرحمة)) ، ثم في حديثٍ آخر ((ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء))[٤] أي كلّما زادت هذه الرحمة لإخوانك وعباد الله تعالى زادت الرحمة النازلة اليك من الله تعالى، ثمّ أيّها الإخوة والأخوات حاولوا أن تتصوّروا مقدار ما نحتاج اليه من رحمة الله تعالى، هناك تصوّر خاطئ عند البعض أنّه يدخل الجنّة بطاعته لله تعالى، كلّا.. ففي حديثٍ عن النبيّ(صلّى الله عليه وآله): ((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ إِلَّا بِرَحْمَةِ الله))[٥]، ما من أحد، يعني الجميع حتى النبيّ(صلّى الله عليه وآله)، كيف؟ سألوا رسول الله، حتى أنت؟ قال:((نعم.. حتى أنا إلّا برحمة ربّي))، لاحظوا إخواني كم نحن نحتاج الى رحمة الله ، وهذه مناشئ وموجبات للتعرّض لها، فكلّما زدتم من رحمتكم ورقّة قلوبكم نزلت عليكم الرحمة أكثر.

المغفرة والاستغفار في هذا الشهر من موجبات التعرض لرحمة الله أيضاً، أيّها الإخوة والأخوات كلّنا مليؤون بالذنوب والمعاصي والآثام، فلابُدّ أن نستثمر هذه الفرصة في شهر رمضان -حتى المصلّين والصائمين- كم منّا مَنْ يقترف الكثير من الذنوب والخطايا والآثام؟ نحن محتاجون الى الاستغفار والتوبة الى الله تعالى خصوصاً في هذا الشهر الشريف، حتى أنّه بلغت أبواب الاستغفار هنا وقبول الاستغفار من الله تعالى حدّاً لُقِّبَ من يُحرَمُ من مغفرة الله

١-ميزان الحكمة: ٢/ ١٠٥٠.
٢- مجموعة ورام: ٢/ ١٢٠.
٣- تصنيف غرر الحكم و درر الكلم:٤٥٠.
٤-الوافي: ٢٦/ ١٦٣.
٥- اعتقادات الإمامية، للصدوق: ٦٩.

فيه بأنّه ((شقيّ وحُرم من السعادة)) الله تعالى يقول – ما معناه- كلّ أبواب المغفرة فتحتها لك، إذا لم تستثمر هذه الفرصة ففي أيّ وقتٍ يمكن أن يغفر لك الله تعالى، كما ورد في بعض الأحاديث –ما مضمونه- أنّه من لم يُغفر له في هذا الشهر فمتى يُغفر له، وفي حديثٍ آخر ((إِنَّ مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَا يُكَفِّرُهُ إِلَّا الْوُقُوفُ بِعَرَفَة)) (١)، ولا نعلم من منّا سيُوفّق للحجّ في هذا العام حتى تُفتح له فرصة المغفرة من الله تعالى، فيقول النبيّ(صلّى الله عليه وآله): ((إِنَّهُ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ شَهْرُ اللهِ بِالْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ شَهْرٌ هُوَ عِنْدَ اللهِ أَفْضَلُ الشُّهُورِ وَأَيَّامُهُ أَفْضَلُ الْأَيَّام وَ لَيَالِيهِ أَفْضَلُ اللَّيَالِي وَسَاعَاتُهُ أَفْضَلُ السَّاعَات))(٢) أفضل الشهور تارةً يعني الشهر كلّه أفضل الشهور، وتارةً يكون المعنى ليس الشهر بذاته فقط بل كلّ لياليه وكلّ أيّامه وكلّ ساعاته، ما المقصود من هذه العبارة ؟ كأنّ النبيّ(صلّى الله عليه وآله) يريد أن ينبّه فيقول حتى الساعة الواحدة من الساعات العديدة والكثيرة لهذا الشهر لا تفُتْكم، فإمّا أن تكونوا في حال صلاةٍ أو دعاء أو استغفار أو عبادة أو أيّ شيء تكون فيه نيّة التقرّب الى الله تعالى، بل حتّى الدقائق ، هذا الشهر بركته موزّعة ومنبسطة على جميع ساعاته، وهذا تنبيه لئلّا نستهين بالساعة الواحدة، قد يقول بعض منّا هي ساعة بسيطة أو دقائق، النبيّ(صلّى الله عليه وآله) يقول: لا.. حتى الساعة الواحدة بل حتّى العشر دقائق والعشرين دقيقة والنصف ساعة لا تستهينوا بها، فإنّ البركة العظيمة في هذا الشهر منبسطة على كلّ الساعات والدقائق، والمؤمن الذي يريد أن يرتقي بإيمانه وعمله لا يضيّع حتى الدقيقة الواحدة، فلذلك يقول النبيّ(صلّى الله عليه وآله): ((أيّامه أفضل الأيّام ولياليه أفضل الليالي وساعاته أفضل الساعات، هو شهرٌ دُعيتم فيه الى ضيافة الله، وجُعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسبيح)) أي من أهل الكرامة والعزّة والشرف والخير، أنتم أيّها الإخوة والأخوات إذا نزل واحدٌ منكم ضيفاً عند إنسانٍ كريم وجيهٍ صاحب خيرٍ، كم يناله من الخير والشرف والبركة والعزّة؟ أنتم الآن في ضيافة الله تعالى ، والله تعالى وجّه لكم ولجميع الصائمين دعوةً، يقول: أنتم ضيوف خذوا من بركتي ، وخذوا من رحمتي ، خذوا من خيري وعزّي وشرفي ،ولكن عليكم أن تراعوا آداب الضيافة،

١- عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية: ٤/ ٣٣.
٢- الامالي: ٩٣.

كما أنّ الواحد منكم لو نزل ضيفاً عند حاكم أو رئيس دولة أو وجيه أو زعيم عشيرة أو إنسان صاحب مقام ومنزلة في المجتمع، كيف يراعي آداب الضيافة وحرمة الضيافة عند مضيّفه، أنتم -أيّها الإخوة والأخوات- في هذا الشهر ضيوف عند الله تعالى، فراعوا آداب الضيافة وحرمتها، كيف نراعيها؟ بأن لا تعصوا الله تعالى، وحاولوا أن تتقرّبوا اليه في كلّ الطاعات، ((شَهْرٌ دُعِيتُمْ فِيهِ إِلَى ضِيَافَةِ اللهِ وَ جُعِلْتُمْ فِيهِ مِنْ أَهْلِ كَرَامَةِ اللهِ أَنْفَاسُكُمْ فِيهِ تَسْبِيحٌ وَ نَوْمُكُمْ فِيهِ عِبَادَةٌ وَ عَمَلُكُمْ فِيهِ مَقْبُولٌ وَ دُعَاؤُكُمْ فِيهِ مُسْتَجَاب))[1] لاحظوا البركات العظيمة، هذا الشهيق والزفير على الرغم من أنّه فعلٌ بلا إرادة ومن دون نيّة وقصد فيه أجر، في الأيّام العادية الفعل الذي فيه إرادة ونية وقصد وفيه جهدٌ يكون عليه ثواب وأجر ، يقول من كرامة هذا الشهر ، ومن ضيافتي لكم في هذا الشهر جعلتُ أنفاسكم تسبيحاً لكم، وتعلمون في كثيرٍ من الروايات الثوابَ العظيم لتسبيح الله تعالى، بل النوم الذي ليس فيه جهدٌ ولا مشقّة ويرتاح فيه الإنسان لكي يجدّد نشاطه وحيويّته ، هذا النوم يُكتب لكم عبادة، مع أنّه في بقيّة الشهور العبادة أمرٌ يكون فيه جهدٌ ومشقّة ، وتقوم فيه بفعلٍ أو كلام وغير ذلك، يكتب هذا النوم لكم عبادة في هذا الشهر، ولكن بالشروط التي لا يكون فيها الإنسان عاصياً، ((ودعاؤكم فيه مستجاب، فاسألوا الله ربّكم...)) أيّها الإخوة والأخوات، ما مفتاح التوفيق لهذا الصيام؟ وكيف نصل الى هذه المرتبة ، ونغتنم وننال هذه البركات والرحمة والمغفرة؟ يقول النبيّ(صلّى الله عليه وآله): هل أدلّكم على المدخل والمفتاح الذي إذا استطعتم أن تصلوا اليه وصلتم الى هذه المرتبة؟ قال: ((فاسألوا الله ربّكم بنيّاتٍ صادقة وقلوبٍ طاهرة..)) إخواني في آخر يوم من شعبان اجلسوا مع أنفسكم، لاحظوا قلوبكم ونيّاتكم وتوجّهوا الى الله تعالى واسألوه بشيئين، لأنّ الوصول الى الصوم ومراتب الصوم إنّما هو توفيق من الله تعالى، وهذا التوفيق له مراتب كما أنّ النجاح في الحياة له مراتب، هذا التوفيق للصوم الذي يريده الله تعالى له مراتب، كيف نصل اليها؟ يعتمد ذلك على شيئين، ((فاسألوا الله ربّكم))يعني الدعاء والتوجّه الى الله تعالى أن يعينكم ويسدّدكم ويوفّقكم لصومه، ولكن بشيئين: أوّلاً النيّة الصادقة، أن يكون هذا الدافع والباعث خالصاً لله تعالى، ليست فيه شائبة رياء أو طلب سمعة أو رضا الناس وثانياً: قلوب طاهرة،

١- الامالي : ٩٣.

يعني حتى أكون مستعدّاً، ولكي تنزل الرحمة والبركة والمغفرة ، أنظر الى قلبي كم فيه من حبّ الدنيا؟ كم فيه من التعلّق بالدنيا؟ كم فيه من التكبّر والغرور والعُجب وسوء الظنّ بالله تعالى وبالناس؟ كم فيه من الحقد والكراهية للآخرين؟ كم فيه من الصفات الذميمة؟ كلّما طهّرت قلبك من هذه الأمور كنت على استعداد أكبر، وفُتِحَت لك أبوابُ التوفيق أكثر، هناك إنسان يُفتح له الباب بمقدارٍ قليل، وآخر يُفتح له الباب للتوفيق بمقدار النصف، وثالث يُفتح له بمقدار ثلاثة أرباع وهكذا، هذا المقدار من السعة أو الضيق في فتح باب التوفيق للصوم الذي يريده الله تعالى ورسوله يعتمد على أمرين هما: النيّة الصادقة، والقلب الطاهر. أيّها الإخوة والأخوات ابحثوا في خفايا قلوبكم عن الصفات الذميمة، وحاولوا أن تطهّروها من هذه الصفات لتتحلّى قلوبكم بالصفات الحسنة ومكارم الأخلاق، حينئذٍ تُفتح لكم أبواب التوفيق أكثر، لذلك النبيّ ﷺ يقول: ((فاسألوا الله ربّكم بنيّاتٍ صادقةٍ وقلوبٍ طاهرةٍ أن يوفّقكم لصيامه وتلاوة كتابه..)) إن شاء الله تعالى في الجمعة الأخرى سوف نُكمل الخطبة ،ونشرح فقراتها.

نسأل الله تعالى أن يوفّقنا وأن يعيننا على تطهير قلوبنا بسلامة نياتنا ، وسلامة قلوبنا وتحسين أخلاقنا لكي نوفّق أكثر في صوم هذا الشهر المبارك كما يحبّه الله تعالى، وحتى نصل إن شاء الله تعالى الى مرتبة الورع والتقوى التي نحقّق بها الغاية والهدف من هذه العبادة الإلهية العظيمة في شهر الله الأكبر. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطيّبين الطاهرين.

الجمعة ٢٦ شعبان ١٤٣٧ هـ
الموافق ٣ حزيران ٢٠١٦ م

نصّ الخطبة الثانية

أيّها الإخوة والأخوات نعرض على مسامعكم الكريمة التوجيهات الصادرة من المرجعية الدينيّة العُليا للمقاتلين الأبطال في جبهات القتال، ونذكر قبلها مقدّمةً فنقول: يُشارك في هذه الأيّام الآلاف من إخواننا وأحبّتنا في القوّات المسلّحة ومَنْ يساندهم من المتطوّعين وأبناء العشائر في معارك ضارية لتخليص مناطق من محافظة الأنبار من سطوة الإرهاب الداعشي، وإنّنا إذ نكرّر بالغ الثناء عليهم وعظيم الاعتزاز بجهودهم والمباهاة بكلّ قطرة دمٍ يبذلونها في سبيل الدفاع عن وطنهم وشعبهم ومقدّساتهم، نجد من المناسب أن نذكر مقاطع من توجيهات المرجعيّة الدينيّة العُليا لهم في رعاية حرمات الناس في مناطق القتال، تأكيداً لما لها من الأهمّية البالغة، وأودّ أن أشرح بعض العبارات هنا في المقدّمة ثمّ أذكر التوجيهات والنصائح.

أيّها الإخوة والأخوات نلاحظ في التعبير الوارد من المرجعية الدينية العُليا أنّها عبّرت عن المقاتلين بأنّهم أحبّة المرجعيّة الدينيّة العُليا، هؤلاء المقاتلون هم أحبّاء المرجعية الدينية العُليا، فقد بيّنت منزلتهم ومقامهم ثمّ بيّنت منزلة ومقام بطولاتهم وتحيّاتهم، فذكرت في البداية الثناء البالغ لهذه التضحيات والبطولات، ثم ترقّت في بيان منزلة هذه التضحيات والبطولات فعبّرت بأنّها تعتزّ عظيم الاعتزاز بهذه الجهود والبطولات منهم، ثمّ سمت بدمائهم بل بكلّ قطرة دمٍ تُسال من أيّ شهيد أو جريح فعبّرت بالمباهاة

والافتخار بهذه الدماء، لماذا تتباهى المرجعيّة الدينية العُليا بهذه الدماء بل بكلّ قطرة دم تُسال؟ لأنّ هذه الدماء تُسال عن إرادة وعن مبادئ لدى هؤلاء المقاتلين؛ ولأنّها في سبيل أهداف سامية وهي الدفاع عن الوطن والمقدّسات، هذه الدماء إنّما تُسال من أجل الدفاع عن العراق وعن المقدّسات وعن أعراض المواطنين، لذلك جاءت هذه التعبيرات ببالغ الثناء عليهم وعظيم الاعتزاز بجهودهم والمباهاة بكلّ قطرة دمٍ يبذلونها في سبيل الدفاع عن وطنهم وشعبهم ومقدّساتهم.

ثم هناك التوجيهات والنصائح ، أيّها الإخوة والأخوات سبق أن صدرت توجيهات ونصائح الى المقاتلين في ساحات الجهاد وجبهات القتال في (٢٢) ربيع الثاني من عام (١٤٣٦هـ) ، وذُكر في هذه التوجيهات والنصائح: ((أنّ الله سبحانه وتعالى ـ كما ندب الى الجهاد ودعا إليه وجعله دعامةً من دعائم الدين وفضّل المجاهدين على القاعدين ـ فإنّه عزّ اسمه جعل له حدوداً وآداباً أوجبتها الحكمة واقتضتها الفطرة، يلزم تفقهها ومراعاتها))، وبيّنت المرجعيّةُ الدينيّة العُليا أنّ العمل بهذه التوجيهات والنصائح يلزم منه تحقّق الأجر العظيم والثواب العظيم والمنزلة العظيمة للمجاهدين عند الله تعالى، والإخلال بها يؤدّي الى شيء من إحباط الأجر وعدم نيل المنزلة والمرتبة والفضل المرجوّ من الجهاد في ساحات القتال، وقد يُقال لماذا هذا التأكيد الآن؟ -كما ذكرنا - للأهميّة البالغة لهذه النصائح والتوجيهات جاء التأكيد ؛ ولتذكير المقاتلين للاطّلاع عليها ومراعاتها والعمل بها، فنذكر بعضاً من هذه التوجيهات والنصائح التي صدرت من المرجعية الدينيّة العُليا، ونكرّرها الآن على هؤلاء الأبطال أحبّاء المرجعية الدينيّة العُليا، فممّا ورد فيها:

((فالله الله في النفوس، فلا يُستحلّن التعرّض لها بغير ما أحلّه الله تعالى في حال من الاحوال، فما أعظم الخطيئة في قتل النفوس البريئة وما أعظم الحسنة بوقايتها وإحيائها، كما ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه، وإنّ لقتل النفس البريئة آثاراً خطيرة في هذه الحياة وما بعدها ، وقد جاء في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام شدّة احتياطه في حروبه في

هـذا الأمر، وقد قال في عهده لمالك الأشتر ـ وقد عُلمت مكانتُه عنده ومنزلتُه لديه: ((وَإِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَ سَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنِقْمَةٍ وَلَا أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ وَلَا أَحْرَى لِزَوَالِ نِعْمَةٍ وَانْقِطَاعِ مُدَّةٍ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَاللهُ مُبْتَدِئٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ فِيمَا يَتَسَافَكُونَ مِنَ الدِّمَاءِ فَلَا تُصُونَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ فَإِنَّ ذَلِكَ يُخْلِقُهُ وَ يُزِيلُهُ وَ يَنْقُلُه))[1])) [2].

نشرح بإيجاز هذه التوصية الأولى، نلاحظ أيّها الإخوة والأخوات أنّ الشريعة الإسلامية في الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث التي وردت عن النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمّة الأطهار(عليهم السلام) قد اهتمّت اهتماماً شديداً بحفظ دم الإنسان وصيانته بصورةٍ عامّة –أيّ إنسان-، إلّا في أحوال معيّنة فصّلتها وبيّنت تلك الأحوال التي تُستحلّ فيها هذه الدماء، وقد جاءت سيرة النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمّة الأطهار ووصاياهم وسيرتهم لتؤكّد هذا الاحتياط الشديد، فقد احتاط النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين والأئمّة الأطهار(عليهم السلام) في الدماء احتياطاً شديداً؛ لذلك جاءت هذه التوصية من المرجعية الدينيّة العُليا لكي يُميَّز بين الدم الذي يُستحلّ والدم الذي لا يُستحلّ، بل اعتبرت أنّ من أعظم الخطايا سفك الدم الحرام، بل أمرت أيضاً بأن تكون هناك وقاية وحفظ وصيانة لدماء الأنفس التي لا تُستحلّ، من هنا جاءت الآيات القرآنية التي بيّنت منزلة صيانة النفس الإنسانية التي لا يحلّ سفك دمها، فاعتبرت إحياء النفس وصيانة حرمة دم الإنسان وحفظ حياته إحياء للناس جميعاً كما في قوله: ((وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا))[3]، لذلك جاءت هذه التوصيات من المرجعية الدينية العليا للمقاتلين ((فالله الله في النفوس، فلا يُستحلّن التعرّض لها بغير ما أحلّه الله تعالى)) ونُلاحظ الآية القرآنية التي وردت في ذلك، فهذا الاهتمام الشديد واضح في الآيات القرآنية وأحاديث النبيّ(صلى الله عليه وآله) والأئمّة

١- شرح نهج البلاغة: ١٧/ ١١٠، بحار الأنوار: ٣٣/ ٦١١.
٢- من وصايا المرجع الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني(دام ظله الوارف)، الى المقاتلين في ساحات الجهاد الصادرة في الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر عام ١٤٣٦ هـ.
٣- المائدة: ٣٢.

الأطهار في وصاياهم وسيرتهم التي كان فيها احتياط شديد في مسألة الدماء، فقد ورد في الآية القرآنية: ((أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا))[1]، نزلت مرتبةُ وقاية نفسٍ إنسانيةٍ واحدة بمنزلة إحياء الناس جميعاً، نلاحظ كم اهتمّت الشريعة الإسلامية بوقايةٍ دماء الأنفس التي لا يحلّ قتلُها وليس هناك مسوّغ شرعيّ لسفك الدم، ثم وقاية نفس واحدة وصيانتها كأنّما إحياء للناس جميعاً، وجاءت وصيّة أمير المؤمنين وتحذيره من سفك الدماء بغير حقّ وبغير مسوّغ شرعيّ في عهده الى مالك الأشتر ((وَإِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا)) يعني ليس هناك مسوّغ شرعيّ للقتل، هذا الكلام للمقاتلين ولعموم المواطنين، إذ نجد أحياناً سفكاً للدم الحرام من دون أيّ مسوّغ شرعيّ، وإنّما يأتي هذا الشخص بمسوّغ من داخل نفسه لأسباب معيّنة، وسفك الدم أمرٌ غير محلّل، الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) يحذّر مالكاً ويحذّرنا جميعاً ويحذّر أيّ مقاتل من سفك الدماء من دون أن يكون هناك مسوّغ ومحلِّل لسفك هذه الدماء؛ لأنّها مصونة أشدّ الصيانة عند الله تعالى فقال: ((وَإِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا))، ويبيّن نتائج سفك الدماء المحرّمة وهي أربعة أمور: ((فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنَقِمَة)) أي ليس هناك شيءٌ يدعو الى الانتقام أكثر الدم المسفوك حراما :أوّلاً من أولياء المقتول، وثانياً في نظرة عامّة الناس، وثالثاً عند الله تعالى ، ((فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنَقِمَة وَلَا أَعْظَمَ لِتَبِعَة)) أي المسؤولية العظيمة المترتّبة على شيء، فليس هناك أعظم مسؤوليةً من سفك الدم الحرام، يترتّب عليها القصاص ،ويترتّب عليها ترمّل النساء ويُتْم الأطفال أيضاً ، والانتقام الذي يجرّ الى انتقامات أخرى وتتّسع دائرة الانتقام وغير ذلك من هذه المسؤوليات والتبعات المترتّبة على سفك الدم، ((وَلَا أَحْرَى لِزَوَالِ نِعْمَة)) الإنسان القاتل بغير حقّ يزول عنه الاطمئنان والأمان ، ويُبتلى بالهمّ ويشعر بتأنيب الضمير والوجدان له، فتزول هذه النعمة التي يعيشها الإنسان العادي الذي لا يرتكب هذه الجريمة وهي الأمان والاطمئنان والعيش الخالي من الهمّ، ((وَلَا أَحْرَى لِزَوَالِ نِعْمَةٍ وَانْقِطَاعِ مُدَّةٍ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاء)) انقطاع المدّة معناها: إمّا القاتل

١-المائدة: ٣٢.

يذهب عمره بالقصاص أو القتل والانتقام أو تزول الدولة التي يُسفك فيها الدم الحرام بكثرة، إضافةً الى ذلك أنه في يوم القيامة أوّلُ شيء يُحاسب به الله تعالى هو الدم المسفوك حراماً، لذلك ورد في بعض الروايات في بيان هذا المعنى كما في الحديث الشريف: ((إنّ أول الدماء التي يُباشر بالمحاسبة عليها هو دم هابيل...))، ثم بعد ذلك الدماء التي جاءت قتلاً وسفكاً بغير حلّ، القاتل في الدنيا قد يُشتبه به فلا يُعرف، لكن يوم القيامة المقتول يأتي بدمه فيشخب في وجه القاتل ،ويقول له: أنت قتلت هذا الإنسان؛ لذلك يبيّن الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) أنّ أوّل ما يُبتَدَأ به الحساب يوم القيامة لعظيم الهتك لهذه الحرمات إنّما هو الدم الحرام.

ثم تأتي التوصيات الأخرى التي ذكرتها المرجعيّة الدينيّةُ العليا للمقاتلين، ((الله الله في حرمات عامّة الناس ممن لم يقاتلوكم، لاسيّما المستضعفين من الشيوخ والولدان والنساء، حتّى إذا كانوا من ذوي المقاتلين لكم، فإنّه لا تحلّ حرمات من قاتلوا غير ما كان معهم من أموالهم، وقد كان من سيرة أمير المؤمنين(عليه السلام) أنّه كان ينهى عن التعرّض لبيوت أهل حربه ونسائهم وذراريهم رغم إصرار بعض من كان معه ـ خاصّة من الخوارج ـ على استباحتها وكان يقول: ((حَارَبْنَا الرِّجَالُ فَحَارَبْنَاهُمْ فَأَمَّا النِّسَاءُ وَالذَّرَارِيُّ فَلَا سَبِيلَ لَنَا عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُنَّ مُسْلِمَاتٌ وَفِي دَارِ هِجْرَةٍ فَلَيْسَ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ سَبِيل))[1][2]، تنبّه المرجعيّة الدينيّة العُليا على حرمةٍ غير الحرمة الأولى ،وهي التعرّض الى حرمة عامّة الناس من غير المقاتلين ، وهم المواطنون الذين لا يقاتلون مع عصابات داعش، قد يكون بعض أهل هذا الذي يُقاتل مع عصابات داعش، قد يكون أبناؤه أو آباؤه وغيرهم من عشيرته أو أقربائه أو من عامّة المواطنين لا يُقاتلون ، لذا جاء التأكيد لمراعاة حرمة هؤلاء النساء والولدان والشيوخ، هؤلاء تشتدّ حرمة التعرّض لهم؛ لذلك توصي المرجعية الدينية العُليا المقاتلين الأعزّاء الأحبّة بمراعاة هذه الحرمات

١-دعائم الإسلام: ١/ ٣٩٥، جامع احاديث الشيعة: السيد محمد حسين البروجردي(ت ١٣٨٣هـ) ، منشورات مدينة العلم ،١٤٠٧هـ ، ١٣ / ١٠٣.

٢- من وصايا المرجع الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني(دام ظله الوارف)، الى المقاتلين في ساحات الجهاد الصادرة في الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر عام ١٤٣٦ هـ.

حتى إذا كانوا من ذوي المقاتلين لكم، فقد يكون له أولاد، وقد يكون له آباء أو إخوة أو أقرباء وأولئك ليسوا بمقاتلين، هنا نتنبه الى هذه التوصية المهمّة لاسيما هؤلاء المواطنين الأبرياء الذين لا دخل لهم في هذا القتال، خصوصاً من النساء والشيوخ والولدان، وتذكر المرجعية الدينية العُليا ما ورد في سيرة أمير المؤمنين(عليه السلام) حينما بيّن للمقاتلين الذين معه في مختلف المعارك أنّ هؤلاء الرجال المقاتلين هم يحاربوننا فنحن ندافع عن أنفسنا وندخل معهم في معركة وقتال، أمّا ما يتعلّق بهم من النساء والأطفال وغيرهم يقول: لا سبيل لنا عليهم ؛لأنّهنّ مسلمات في دار هجرة فليس لكم عليهنّ سبيل.

ومن الحرمات الأخرى، الوصيّة الثالثة ((الله الله في الحرمات كلّها، فإيّاكم والتعرّض لها أو انتهاك شيء منها بلسان أو يد، واحذروا أخذ امرئ بذنب غيره، فإنّ الله سبحانه وتعالى يقول: ((وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ))[1]، ولا تأخذوا بالظنّة وتشبهوه على أنفسكم بالحزم، فإنّ الحزم احتياط المرء في أمره، والظنة اعتداء على الغير بغير حجّة، ولا يحملنّكم بغض من تكرهونه على تجاوز حرماته كما قال الله سبحانه ((وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ))[2]، وقد جاء عن أمير المؤمنين(عليه السلام) أنّه قال في خطبة له في وقعة صفّين في جملة وصاياه: ((وَلَا تُمَثِّلُوا بِقَتِيلٍ وَإِذَا وَصَلْتُمْ إِلَى رِجَالِ الْقَوْمِ فَلَا تَهْتِكُوا سِتْراً وَلَا تَدْخُلُوا دَاراً وَلَا تَأْخُذُوا شَيْئاً مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مَا وَجَدْتُمْ فِي عَسْكَرِهِمْ وَلَا تُهَيِّجُوا امْرَأَةً بِأَذًى وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ وَصُلَحَاءَكُم))[3]))[4]، هذه حرمةٌ أخرى وهي حرمة انتهاك أعراض الآخرين، والتعرّض لهم بسبٍّ أو شتم بلسانٍ أو يد، وإن هم تعرّضوا الى هؤلاء المقاتلين بشيء من ذلك، كما أنّ من جملة الوصايا أن لا يؤخذ إنسانٌ بجريمة وجريرة شخص آخر، شخص مقاتل معتد يجب قتالُه لكن هناك شخصٌ آخر ربّما ابنه أو أخوه أو أبوه أو من

١- الانعام:١٦٤.
٢- المائدة: ٨.
٣- شرح نهج البلاغة : ٤/ ٢٦.
٤- من وصايا المرجع الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني(دام ظله الوارف)، الى المقاتلين في ساحات الجهاد الصادرة في الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر عام ١٤٣٦ هـ.

أقربائه من عشيرته أو من مدينته ربّما كان موجوداً هناك، لا علاقة له بالقتال فلا يجوز أن يؤاخذ ابن هذا المقاتل أو أخوه أو أبوه وهو ليس له دخل في القتال والاعتداء، لا يؤاخذ بجريرة ذلك الذي يُقاتل كما ورد في الآية القرآنية الكريمة، ثم لا يجوز الأخذ بالشبهة لو أنّ شخصا ظُنَّ به فلا يؤخذ على هذا الظنّ وعلى التوهّم فإنّ الشريعة الإسلامية قد أمرت بأن يؤاخذ الإنسان وفق الحجّة والدليل الشرعيّ، فإن ثبت وفق الحجّة والدليل الشرعيّ أنّه يقاتلكم حينئذٍ يُمكن أن يؤاخذ بذلك ولا يحصل اشتباه لكم، أيّها المقاتلون أحياناً تتصوّرون الظنّ والشبهة هو حزمٌ مطلوب في المعركة، كلا. الحزم هو الاحتياط أي أن يحتاط الإنسان خصوصاً في هذه الحرمات، أمّا الظنّ والشبهة فلا يجوز الأخذ بها وتترتّب عليها هذه الآثار، ولا يحملنّكم هذا البغض على أن تعتدوا على حُرمات أخرى، ومنها : التمثيل [١] بجثّة القتيل، كما ورد النهي عن ذلك في وصايا أمير المؤمنين عليه السلام ، ثم إذا وصلتم الى هؤلاء في منطقة الحرب فهناك أموال للمقاتلين ، وهناك أموال ومعدّات وأعتدة وغير ذلك في ساحة القتال هذه حلال، لكن هناك أموال في البيوت كما في وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام حتى إن كانت تعود الى مقاتلين وقُتِلَ هذا المعتدي ، فهذه الأموال تعتبر إرثاً لأولئك البقيّة من أفراد هؤلاء المقاتل فلا يجوز التعرّض لها، هذه وصايا أمير المؤمنين عليه السلام إمامنا وقدوتنا، وصاياه التي بيّنتها الروايات المأثورة والسيرة المأثورة ، فلا يجوز التعرّض لها؛ لأنّها تعتبر إرثاً لأولئك، كما أنّه لو واجهتم أمراً ربّما امرأة سبّت أو شتمت لا تهيّجوا هذه المرأة ولا تُثيروا مشاعرها ، ربّما هي متأذّية من أمرٍ ما فسبّت وشتمت، وربّما تسبّ وتشتم قادتكم وصلحاءكم وأناساً تعتزّون بهم وشخصيّات كبيرة لديكم، إذا سبت المرأة هؤلاء الصلحاء والقادة فلا تردّوا بسبٍّ أو شتم، أو قد يكون هناك تعرّض لبعض قادتكم بإيذاء -بكلام مؤذٍ- لا تردّوا، هكذا هي وصايا أمير المؤمنين عليه السلام ووصايا المرجعيّة الدينيّة العُليا، وكما ورد في جملة وصايا أمير المؤمنين عليه السلام : ((وَلَا تُمَثِّلُوا بِقَتِيلٍ وَإِذَا وَصَلْتُمْ إِلَى رِجَالِ الْقَوْمِ فَلَا تَهْتِكُوا سِتْراً وَلَا

١- من كلام علي ابن ابي طالب عليه السلام قاله قبل موته على سبيل الوصيَّة لَمَّا ضربَه ابن ملجم لعنه الله ((إِيَّاكُمْ والْمُثْلَةَ، ولَوْ بِالْكَلْبِ الْعقُور)) ينظر: مكاتيب الأئمة عليهم السلام: ٢/ ٢٥٦.

تَدْخُلوا دَاراً وَلَا تَأْخُذُوا شَيْئاً مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مَا وَجَدْتُمْ فِي عَسْكَرِهِمْ وَلَا تُهَيِّجُوا امْرَأَةً بِأَذَى وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ وَصُلَحَاءَكُم))[1].

نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لاتّباع هذه التوجيهات والنصائح ، والأخذ بوصايا وتوجيهات النبيّ(صلى الله عليه وآله) ووصايا أمير المؤمنين(عليه السلام) ، اللهم ارحمنا برحمتك واعفُ عنّا بجودك وكرمك وأصلح شؤوننا للدنيا والآخرة إنّك سميعٌ مجيب، والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

١-شرح نهج البلاغة :٤/ ٢٦.

الجمعة ٤ رمضان ١٤٣٧ هـ
الموافق ١٠ حزيران ٢٠١٦ م

بإمامة سماحة السيد أحمد الصافي

نصّ الخطبة الأولى

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه أبي القاسم محمد وعلى آله الطيّبين الطاهرين، اللّهم إنّي أفتتح الثناء بحمدك وأنت مسدّدٌ للصواب بمنّك، وأيقنت أنّك أنت أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة، وأشدّ المعاقبين في موضع النكال والنقمة، وأعظم المتجبّرين في موضع الكبرياء والعظمة.

إخوتي أبنائي آبائي أهل الصيام والقيام، أخواتي بناتي أمّهاتي اللّواتي يسعين الى طاعة الله تعالى في هذا الشهر وفي كلّ شهر، السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته. أوصيكم أحبّتي ونفسي الأمّارة بالسوء بتقوى الله تبارك وتعالى، والشكر عند النعم والورع عند المحارم، أعاننا الله تعالى وإيّاكم في هذا الشهر الشريف على أنفسنا كما أعان الصالحين على أنفسهم.

بدءًا نهنّئكم بهذا الشهر الشريف -شهر رمضان- وهو شهر الله تعالى الذي فتح فيه أبواب الرحمة الواسعة ،وأغلق عنّا أبواب مفاسد كثيرة، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا لصيامه وقيامه. وأعزّي عوائل الشهداء الذين استُشهدوا جرّاء الانفجار العدوانيّ الغاشم الذي رفرفت فيه أرواحٌ بريئة الى الله تعالى في بداية هذا الشهر بين طفلٍ

لا يتجاوز الخمس سنوات وشاب، نسأل الله تعالى أن يتغمّدهم برحمته وأن يلهم أهليهم الصبر والسلوان.

إخواني إنّ هذا الشهر من الأشهر المحبّبة الى الله تعالى، وهو شهر أنزل الله تبارك وتعالى فيه القرآن العظيم الذي فيه من العلوم ما لا يدركه كلّ البشر، بل إنّ الله تبارك وتعالى تحدّى في آياته، وهذا التحدّي في مقام بيان عجز البشر، وإلّا فإنّ الله تعالى لا يتحدّى بمعنى التحدّي ؛لأنّه لا يوجد أحدٌ مقابل الله حتى يتحدّاه الله تعالى، لكن البشر عندما تطغى فيه روح الأنفة والتكبّر والغرور يريد الله تعالى أن يُري هذا العبد ويُفهمه أنّه لا يقوى على أن يأتي بسورة أو آية من القرآن، حتى لو اجتمعت الجنّ والإنس ، فقطعاً إنّهم سيكونون عاجزين عن ذلك.

هذا الشهر الشريف هو شهرٌ أُنزل فيه القرآن ، وهو شهرُ الله تبارك وتعالى، وجعل فيه ليلةً هي أفضل وخيرٌ من ألف شهر ، وكلّ الليالي فيه خير، وهذا هو معنى أنّ الله تعالى له عناية بهذا الشهر الشريف، ولعلّ أفضل شيءٍ يقدّمه الإنسان في هذا الشهر هو أن يجدّد توبته مع الله، وأن يسعى الى أن يُرضي الله تبارك وتعالى، فإنّ تجديد التوبة ليس من الأمور الصعبة لكنّه ليس من الأمور السهلة أيضاً ، وإنّما يحتاج الى صدق نيّة مع الله تبارك وتعالى وأن يجاهد نفسه، كما ورد في الآية: ((وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا...)) وقد ضَمِن الله تبارك وتعالى لهم أنّه يهديهم السبيل فقال: ((...لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا))[1] ، وهذه المجاهدة وطلب التوبة في هذا الشهر أولى.

ما زلنا بصدد شرح دعاء طلب التوبة ، يقول الإمام السجّاد(عليه السلام) من جملة ما يقول فيه:((اللهُمَّ وَثَبِّتْ فِي طَاعَتِكَ نِيَّتِي، وَأَحْكِمْ فِي عِبَادَتِكَ بَصِيرَتِي، وَوَفِّقْنِي مِنَ الْأَعْمَالِ لِمَا تَغْسِلُ بِهِ دَنَسَ الْخَطَايَا عَنِّي، وَتَوَفَّنِي عَلَى مِلَّتِكَ وَمِلَّةِ نَبِيِّكَ: مُحَمَّدٍ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- إِذَا تَوَفَّيْتَنِي))[2]

١- العنكبوت : ٦٩.
٢- الصحيفة السجادية : ١٤٢.

يدعو الإمام عليه السلام الله فيقول: اللهم ثبّت. والثبات والتثبيت هو مطلب المؤمن ؛لأنّ الإنسان لا يعلم الى أين سينتهي به المطاف، لذا يجعل الإنسان أمامه حالتين دائماً ، هما: حالة ((ولَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ أَبَدا))[١]، تروي بعض الروايات عن يونس، وهو نبيّ من أنبياء الله تعالى، أن قومه لم يؤمنوا برسالته وقد جاءهم بكلّ آية، فذهب غاضباً ((وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا))[٢] ولم يستأذن الأمر الإلهي، أي إنّه لم يفعل شيئاً سوى أنّ هذا الذهاب لم يكن فيه إذنٌ من الله تعالى، كأنّه اعتمد على نفسه فابتلاه الله تعالى في قضيّة الحوت، الحالة الثانية: ((اللّهم اجعل عواقب أمرنا الى خير)) لابُدّ أن يبقى الإنسان محافظاً على ما يؤول اليه أمره بتوفيق الله تعالى لتكون العاقبة حميدة، وإلّا فإنّ الإنسان يغادر الدنيا كرهاً أو طوعاً ؛ لذا يقول تعالى: ((والعاقبة للمتّقين))[٣].

الإمام السجاد عليه السلام في دعائه يقول: ((اللهُمَّ وَثَبِّتْ فِي طَاعَتِكَ نِيَّتِي))، لو خلا الإنسان مع نفسه ليختبرها اختباراً حقيقياً قد يرى -والعياذ بالله- أنّ هذه النيّة التي لم يطّلع عليها أحد إلّا الله تعالى متزلزلة ومتضعضعة ، فقد يعمل الإنسان عملاً ظاهره البرّ أو المعروف، لكنه لا يقصد به رضا الله تبارك وتعالى، ((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ))[٤] أي لمن هذا العمل ؟ نحن في هذا الشهر الشريف نحتاج أن نفكّر مع أنفسنا في نية أي عمل أعمله ، فعندما أتقرّب الى صديق هل هو تقرّب الى أحدٍ أو تقرّب الى الله تعالى؟ قول الإنسان إنّه «يعمل لله» كلمة خفيفةٌ على اللّسان لكنّها محفوفةٌ بالمخاطر؛ لأنّ الإنسان في بعض الحالات لا يقوى أن يصبر على كتمان عملٍ كان يعتقد أنّه لله تعالى، فيحاول أن يلفت نظر الناس إليه دائماً ؛ لذا فإنّ الثبات على النية في الطاعة هو مطلب المؤمن، أي يكون عملي لله تعالى ؛ لأنّي أعلم أنّ الله مطّلع سيستوفي منّي هذا العمل ،فهذا العمل له.

١- مصباح المتهجد و سلاح المتعبد: ١/ ١٦.
٢- الأنبياء : ٨٧.
٣--القصص :٨٣ ، الأعراف : ١٢٨.
٤- الوسائل : ١ / ٤٨.

لاحظوا في حياتنا اليوميّة بعض العقود من قبيل عقد الإجارة مثلاً أتّفق مع شخص أن يُنجز لي عملاً، وفي أثناء اشتغاله بالعمل يقول: إنّ هذا العمل لك ، فأكون مالكاً لهذا العمل الذي يؤدّيه، ولا يحقّ لأحدٍ أن ينافسني عليه، وسأنزعج إذا جاء أحدٌ وأخذ هذا العمل. نحن مع الله تبارك وتعالى لابُدّ أن نكون هكذا ، فيكون العمل له ولا نشرك به أحداً، وليس المقصود من الشرك الشرك الكفريّ وإنّما الشرك العَمَليّ، وهو أن تشوب نية الإنسان في عمله جهة أخرى، فيقول تعالى كما في مضمون الرواية : أنا أكرم الشريكين، بما أنّك شاركت أحداً معي فأنا أجعل هذا العمل كلّه لشريكي الذي أنت أشركته ، وإذا كان لهذا الشريك قوّة يوم القيامة أن ينجيك فليفعل.

يقول الإمام عليه السلام : ((اللهُمَّ وَثَبِّتْ فِي طَاعَتِكَ نِيَّتِي، وَأَحْكِمْ فِي عِبَادَتِكَ بَصِيرَتِي)) البصيرة في القلب مثل البصر في العين، والإنسان يحتاج أن يرى فلا يبقى أمامه ستارٌ مسدول ، وقد أنعم الله تعالى علينا بنعمة البصر وهي نعمة من نعم كثيرة، لكن المشكلة في البصيرة، بتعبير القرآن ((بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم))[1] أي تكوّنت الحُجُب أمام القلب ؛ لذلك فالبصيرة هي المطلوبة، وقد أعطى الله تعالى للعبد أعضاءً من جملتها القلب فلابُدّ أن يبصر بنور الإيمان ؛ ولذا تُعدّ البصيرة من أرقى درجات الوعي والإدراك، فالإنسان الذي عنده بصيرة يكون ذكيا وفطناً، أي لا يكون الإنسان لا يفقه شيئاً ولا يعلم ولا يتعلّم شيئاً، وقد ابتُليت أُممٌ من قبل بذلك حتّى أتباع الأنبياء لم تكن عند بعضهم بصيرة، وهذا يكون كلّا في ساحة الوغى وقد يخذل، وقد ابتُلي أمير المؤمنين عليه السلام بمجاميع كبيرة ليست عندها بصيرة، قد تقرأ القرآن وتُجيب عن مسائل لكن ليست عندها بصيرة، الإمام السجّاد عليه السلام يقول في دعائه: (وأحكمْ) وإحكام الأمر هو حالة من الشدّ وحالة من الإتقان، أحكمُ هذه العبادة أي أكون على بصيرة لا أن أعبد وأنا لا أفقه ما أقول، والشيطان يحسب للعالم حسابا لا للعابد، بعض الروايات الشريفة تقول: ((تفكّر ساعة تعادل عند الله عبادة ستّين سنة))[2]، ولو تأمّلنا في سورة الحمد فقط ،

١- المطففين : ١٤.
٢- مصباح الشريعة : ٤٢٣.

ليتأمّل الإنسان في هذا الشهر الشريف في سورة الحمد لأنّها لصيقةٌ معه دائماً فهي أنسٌ له، يقرأها في صلاته و مجالس العزاء وقد قرنها الله تعالى مع القرآن العظيم في قوله تعالى: ((وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ))[١] عندما يتأمّل الإنسان سيكتشف أنّ هناك معاني هائلة في هذه السورة، ففي بداية السورة «الحمد لله» هذا اللفظ الذي يكون سهلاً على اللّسان لاحظوا منزلته، فعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: ((فَقَدَ أَبِي بَغْلَةً لَهُ فَقَالَ لَئِنْ رَدَّهَا اللهُ تَعَالَى لَأَحْمِدَنَّهُ بِمَحَامِدَ يَرْضَاهَا))[٢]، فلمّا ردّت قال: رفع يديه ((فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ))[٣] فقط، هذه الجملة (الحمد لله) الألف واللّام فيها عند العرب لاستغراق الجنس خلاف المطلب الظاهري، أي جعل كلّ أفراد الحمد محصورة بالله تعالى. وهذا يحتاج الى توجّه والتوجّه واضح، مثال ذلك عندما يريد الإنسان أن يشتري حاجةً من السوق فيسأل بكم هذه الحاجة؟ سيُقال له: بألف -مثلاً-، تراه جعل جميع الحواس والتوجّهات للسؤال والجواب ، إذن فهو ملتفت لمقاصد ما يتكلّم، لكن عندما نأتي الى الله تبارك وتعالى تغيب عنّا هذه الأمور للأسف، الإنسان عندما يستجمع كلّ قواه ويركّز ويستذكر جميع النعم ثمّ يُجمل ذلك ويقول: (الحمد لله) فإنّه يحصر هذا الحمد بالله تعالى، ولذلك هذا اللفظ هو ثلث ما علّمه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لسيدة النساء في التسبيح المشهور والمعروف بـ(تسبيح الزهراء عليها السلام)، فإذا استجمع الإنسان هذا الحمد لله تعالى ثم التفَتَ الى بقيّة السورة المباركة سيفهم أنّ الله تعالى هو الربّ الحقيقيّ لكلّ هذه العوالم، ولاشكّ أنّ هذا التأمّل والتفكّر والتدبّر يزيد في البصيرة، ثم يأتي بعد ذلك الى منبع العلم والهداية الذين هم يعرفون القرآن وعدل القرآن أهل البيت(صلوات الله وسلامه عليهم) فتستكمل عنده حالة البصيرة، وعندما يقرأ رواية أو يوجّهه الإمام الى دعاءٍ في شهر رمضان سيفهم أنّ هذه الأشياء لها أسّ وقواعد صلبة وقوية، والإنسان يحتاج أن تثبت نيّته ليفهم ما يقول ولتُحكم هذه الأشياء وتُتقن.

أصحاب الحسين(عليه وعليهم السلام) عندما قاتلوا مع سيّد الشهداء عليه السلام

١- الحجر: ٨٧.
٢- كشف الغمة في معرفة الأئمة : ٢/ ١١٨.
٣- م. ن: ٢/ ١١٨.

لاشكّ كانت لهم بصيرة فوق كلّ البصائر، مع أنّهم يرون الموت أمامهم وفيهم الشاب وفيهم الشخص الذي تتفتّح الحياة أمامه، ومن غير المعلوم أنّهم كانوا سيُقتلون لو تُركوا فقد يطول عمرهم خمسين أو ستين أو سبعين سنة، لكن كانت عندهم بصيرة أنّ هذا موقفٌ لابُدّ أن أثبت عليه ، معنى البصيرة أن الإنسان يعلم مبدأه ومنتهاه الى أين ومع مَنْ؟ هذا يُعطي نفسه، لَمنْ يعطي نفسه؟ يعطيها لإمام سيكون قادراً بإذن الله تعالى أن ينجيه من أهوال يوم القيامة، وهذه فرصة لا تتهيّأ للإنسان دائماً، في المقابل هناك نفوسٌ أُعطيت هدراً ودماءٌ أُعطيت لأناسٍ لا يؤمنون وليست لهم علاقة بالله تعالى، لأناسٍ لا يقوون على درء الخطر عن أنفسهم فضلاً عن إنقاذ الآخرين، وأسوء ما يكون الإنسان عندما يبيع آخرته بدنيا غيره لا بدنياه. اخواني الإمام﴿عليه السلام﴾ يقول: ((وَأَحْكِمْ فِي عِبَادَتِكَ بَصِيرَتِي)) وهذا مطلبٌ قد يقضي الإنسان من عمره ستّين عاماً بلا بصيرة، يُقال إنّه كان أحد خلفاء بني أمّية من قرّاء القرآن، الى أن وصلته الخلافة فقال للقرآن: «هذا عهدٌ بيني وبينك»، إذا لم تكن الإنسان عنده بصيرة يبقى في عَمَهٍ وتيهٍ لا يفقه شيئاً كما عبّر القرآن الكريم: ((إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ))[1] وهذا تعبيرٌ في منتهى البلاغة من الله تبارك وتعالى للعباد الذين لا يُعمِلون بصيرتهم.

قال﴿عليه السلام﴾ : ((وَوَفِّقْنِي مِنَ الْأَعْمَالِ لِمَا تَغْسِلُ بِهِ دَنَسَ الْخَطَايَا عَنِّي))، الله تبارك وتعالى يصدر منه كلّ خير، وقد ورد في بعض الروايات ((إنّ الله أولى بحسنات العبد منه)) [2] أي من العبد، إذ الطاعة تحتاج الى توفيق، وقد قلنا سابقاً إنّه ورد في كثير من الأدعية ((اللهُمَّ ارْزُقْنَا تَوْفِيقَ الطَّاعَةِ))[3] والإمام﴿عليه السلام﴾ هنا يقول في دعائه: ((وَوَفِّقْنِي مِنَ الْأَعْمَالِ...)) الأعمال كثيرة لكن هناك أعمال تغسل بها دنس الخطايا ، نحن في بعض الحالات لقصورنا أو لأُنسنا بالأشياء الماديّة نحتاج أمثلةً ماديّة تُشاكلنا وتُشابهنا، أيُّ إنسان عندما يرى خبثاً أو قذارةً يحتاج أن يزيلها قطعاً، بأيّ شيءٍ يزيلها؟ هل يزيلها بقذارةٍ أخرى؟! بل يحتاج أن يزيلها بماءٍ كثير طاهر قادر على أن يزيل هذه النجاسة،

١- الفرقان : ٤٤.
٢- الوافي:١/ ٥٢٥.
٣-- المصباح للكفعمي : ٢٨٠.

أمّا أن يزيل القذارة بقذارة فإنّها لا تُزال بل تزداد، يريد الإمامعليه السلام أن يلفت أنظارنا إلى أن هناك أعمالاً تغسل أخرى ، حالها حال هذا الماء الطاهر، وهذه الأعمال هي تزيل وتغسل دنس الخطايا، وهذه الخطايا أدناس تلوّث هذه النفس التي خلقها الله تعالى شفافة، وهي نفسٌ معلّقة دائماً بشيءٍ بعيد عن النجاسة، فعندما تعلّقت بأبداننا بدأنا نلوّثها ونُضيف عليها من هذه الخطايا حتى أصبحت هذه الخطايا تشمئزّ النفس منها فنحتاج أن نطهّرها، وقد يقول الإنسان البعيد عن الله تبارك وتعالى إنّ هذا كلام ليس له معنى؛ ذلك لأنّه لا يفهم والجاهل يعادي العلم، الإمامعليه السلام يقول: ((وفّقني للأعمال التي تغسل بها دنس الخطايا عنّي))، ونحن نؤمن أنّ بعض الأعمال لها آثار حسنة، كما أنّ سور القرآن بعضها لها آثار في الدنيا ، وبعضها لها آثار في الصراط ،وبعضها لها آثار في القبر، فكذلك الأعمال وكذلك الذنوب، ونقرأ في دعاء كميل هناك ذنوب تحبس المطر وتحبس الدعاء وتُنزل النقم ، إذن هناك أنواع من الذنوب، الربا ذنبٌ من الذنوب يختلف عن الكذب، والزنا –والعياذ بالله– ذنبٌ من الذنوب ولكنّه يختلف عن اليمين الكاذب بالله تعالى، والآثار تختلف من ذنب الى ذنب كذلك الأعمال، ((الصلاة معراج كلّ تقيّ))[١] ((إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَر))[٢] هذا من آثار الصلاة، ((الصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنْ النار))[٣] هذا أثر من آثار العبادة، ومثل ذلك الصدقة في السرّ ماذا تفعل؟ قال:((تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّب)) ، ((صَدَقَةُ السِّرِّ تطْفِئُ غَضَبَ الرَّب))[٤] عندما يغضب الله تعالى فإن مما يطفئ هذا الغضب أن يتصدّق الإنسان في السرّ، فيقول الإمام عليه السلام : ((اللهُمَّ وَثَبِّتْ فِي طَاعَتِكَ نِيَّتِي، وَأَحْكِمْ فِي عِبَادَتِكَ بَصِيرَتِي، وَوَفِّقْنِي مِنَ الْأَعْمَالِ لِمَا تَغْسِلُ بِهِ دَنَسَ الْخَطَايَا عَنِّي، وَتَوَفَّنِي عَلَى مِلَّتِكَ وَمِلَّةِ نَبِيِّكَ: مُحَمَّدٍ– عَلَيْهِ السَّلامُ– إِذَا تَوَفَّيْتَنِي)) توفّيتني يعني استوفيت المدّة المقرّرة، حتى الآن نقول: «وفاء الدين» أي هذا الدين الذي لك عندي استوفيته كمل وتمّ ، ولا تطلبني بعد ذلك شيئاً، الإنسان له مدّة سيستوفيها الله تعالى وهذه المدة نحن لا نعلم كم هي؟ فالله تبارك وتعالى وحده

١– مستدرك سفينة البحار : ٦ / ٣٤٣.
٢– العنكبوت : ٤٥.
٣– الكافي : ٢ / ١٩.
٤– الوسائل : ٩ / ٣١١.

يعلم ومن أَذن له، نعم.. نحن مأمورون بشيء آخر ، فلسنا مأمورين أن نعرف مدد أعمارنا فهذه الأمور بيد الله لكنّنا مأمورون بأن نرتّب هذه المدّة وفق ما أراد الله تعالى، وهذا أيضاً نوع من الدعاء، قال: ((وَتَوَفَّنِي عَلَى مِلَّتِكَ)) أي على دينك ((وملّة نبيّك محمد(صلّى الله عليه وآله) إذا توفّيتني))، متى يتوفّانا الله تعالى؟ لا نعلم.

إخواني أختم بآيةٍ من سورة آل عمران لها علاقة بالمطلب ،ولها صلة بما نقول ، قال بسم الله الرحمن الرحيم: ((يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا))[1] وهي تتكلّم على الوفاة التي لابُدّ منها، ثم نأتي الى ذلك اليوم -يوم الحصاد- قال: (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْس) لم يستثنِ أحداً بل كلّ نفس ستجد وترى، ماذا تجد؟ قال: ((مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا)) ستجده أمامها حاضراً، الله تعالى لا يظلم أحداً أيّ عملٍ من أعمال البرّ ستجده أمامك، لكن المشكلة ليست هنا بل في الشقّ الثاني من الآية، وما الشقّ الثاني؟ ((وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا)) لاحظوا التعبير القرآني لم يقلْ عمل السوء محضراً أيضاً ، وواضحٌ أنّه محضر لكن لم يذهب الى العمل بل ذهب الى النفس، في الأولى ((تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا)) الله لا يبخس الناس أشياءهم، لكن المشكلة في الثانية: وما عملت من سوءٍ أيضاً هو محضر لكن لم يركّز القرآن على هذه النقطة حتى تكون الموعظة أبلغ، فقال: تودّ هذه النفس لو أنّ بينها وبين هذا العمل أمداً بعيداً، لكن كيف يحصل هذا الأمد البعيد؟ في الحقيقة هذه أمنية لا تتحقّق، هذا الإنسان يودّ ويريد ويحبّ ويتوسّل ويحاول أن يغضّ النظر لكن لات حين مندم، أين الأمد البعيد؟ ما هو السوء -إخواني-؟ كلّ المناكير هي السوء وكلّ لذّة بغير طاعة الله ستتمنّى أن نتخلّص منها، الإنسان يدفع مالاً من أجل لذّة، وهذه اللذّة نفسها يتمنّى أن يتخلّص منها؛ لأنّها ستكون وبالاً عليه، ثمّ قال: ((وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ))[2] ومن رأفة الله تعالى بنا أنه فسح لنا مجالاً ؛لأن نعبده متى شئنا، وأن نلجأ اليه في أيام وفي أشهر كتب على نفسه فيها الرحمة، وهذا الشهر -شهر رمضان- من

١- آل عمران : ٣٠.
٢- آل عمران : ٣٠.

الأشهر التي من الواضح أنّ رحمة الله تعالى فيه كثيرة، والأعمال فيه مضاعفة، والنَّفَس فيه يختلف، والليل فيه يختلف، والنهار فيه يختلف، نسأل الله تعالى أن يشملنا وإيّاكم برحمته ،وأن يُحيطنا برعايته، وأن يجعل الإمام الغائب عنّا الحاضر -إن شاء الله تعالى- فينا الذي هو عدل القرآن الكريم ، وفي هذا الشهر الكريم نزل عدله، نسأل الله تعالى أن يجعل هذا الإمام يرعانا برعايته، وأن يجنّبنا مداخل السوء ومخارجه بمنّه ورحمته، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمد وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

الجمعة ٤ رمضان ١٤٣٧ هـ
الموافق ١٠ حزيران ٢٠١٦ م

نصّ الخطبة الثانية

إخوتي أخواتي، ونحن في هذا الشهر المبارك شهر رمضان الكريم لابُدّ أن نستذكر أنّ هناك حقوقاً كثيرة علينا وهناك واجبات، وقد بيّن الإمام السجّاد(عليه السلام) هذه الحقوق في رسالته المعروفة بـ(رسالة الحقوق) ارتأينا أن نقرأ على مسامعكم الكريمة بعضاً منها باعتبار أنّ هذا الشهر الشريف هو شهرٌ مبارك وكريم نحتاج فيه أن نقف مع أنفسنا ونعرف هذه الحقوق، وسأقرأ مقاطع متفرّقة منها ممّا قاله(عليه السلام) في حقّ الأرحام:

في حقّ الأمّ: ((فَحَقُّ أُمِّكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا حَمَلَتْكَ حَيْثُ لَا يَحْمِلُ أَحَدٌ أَحَداً وَأَطْعَمَتْكَ مِنْ ثَمَرَةِ قَلْبِهَا مَا لَا يُطْعِمُ أَحَدٌ أَحَداً وَأَنَّهَا وَقَتْكَ بِسَمْعِهَا وَبَصَرِهَا وَيَدِهَا وَرِجْلِهَا وَشَعْرِهَا وَبَشَرِهَا وَجَمِيعِ جَوَارِحِهَا مُسْتَبْشِرَةً بِذَلِكَ فَرِحَةً مُؤَمِّلَةً مُحْتَمِلَةً لِمَا فِيهِ مَكْرُوهُهَا وَأَلَمُهَا وَثِقْلُهَا وَغَمُّهَا حَتَّى دَفَعَتْهَا عَنْكَ يَدُ الْقُدْرَةِ وَأُخْرِجْتَ إِلَى الْأَرْضِ فَرَضِيَتْ أَنْ تَشْبَعَ وَتَجُوعَ هِيَ وَتَكْسُوكَ وَتَعْرَى وَتُرْوِيَكَ وَتَظْمَأَ وَتُظِلَّكَ وَتَضْحَى وَتُنَعِّمَكَ بِبُؤْسِهَا وَتُلَذِّذَكَ بِالنَّوْمِ بِأَرَقِهَا وَكَانَ بَطْنُهَا لَكَ وِعَاءً وَحِجْرُهَا لَكَ حِوَاءً وَ ثَدْيُهَا لَكَ سِقَاءً وَ نَفْسُهَا لَكَ وِقَاءً تُبَاشِرُ حَرَّ الدُّنْيَا وَبَرْدَهَا لَكَ وَدُونَكَ فَتَشْكُرُهَا عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ وَلَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا بِعَوْنِ اللهِ وَ تَوْفِيقِه))[1] .

في الحقيقة إنّ الذين عندهم أمّهات عليهم أن يستغلّوا ذلك ما دامت الأمّ على

١-الامالي للصدوق: ٣٧١.

قيد الحياة.

أمّا حقّ الأب فقد بيّنه الإمام زين العابدين عليه السلام بقوله: ((وَأَمَّا حَقُّ أَبِيكَ فَتَعْلَمُ أَنَّهُ أَصْلُكَ وَأَنَّكَ فَرْعُهُ وَأَنَّكَ لَوْلَاهُ لَمْ تَكُنْ فَمَهْمَا رَأَيْتَ فِي نَفْسِكَ مِمَّا يُعْجِبُكَ فَاعْلَمْ أَنَّ أَبَاكَ أَصْلُ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ فِيهِ وَاحْمَدِ اللهَ وَاشْكُرْهُ عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ))[1]، هذا هو حقّ الأب، فعلى كلّ فردٍ لديه أبٌ أن يلتفت لهذا الحقّ ويرعاه.

وأمّا حقّ الولد فقد أوضحه (سلام الله عليه) بقوله: ((وَأَمَّا حَقُّ وَلَدِكَ فَتَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْكَ وَمُضَافٌ إِلَيْكَ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا بِخَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَأَنَّكَ مَسْئُولٌ عَمَّا وُلِّيتَهُ مِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ وَالدَّلَالَةِ إِلَى رَبِّهِ وَالْمَعُونَةِ لَهُ عَلَى طَاعَتِهِ فِيكَ وَفِي نَفْسِهِ فَمُثَابٌ عَلَى ذَلِكَ وَمُعَاقَبٌ فَاعْمَلْ فِي أَمْرِهِ عَمَلَ الْمُتَزَيِّنِ يَحْسُنُ أَثَرُهُ عَلَيْهِ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا الْمُعَذِّرُ إِلَى رَبِّهِ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ بِحُسْنِ الْقِيَامِ عَلَيْهِ وَالْأَخْذِ لَهُ مِنْهُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ))[2].هذا هو حقّ الابن تجاه أبيه ،كما يقول أمير المؤمنين لولده الإمام الحسن(عليهما السلام): ((فإنّي رأيتك بعضي بل كلّي))[3].

وحقّ الأخ: ((وَأَمَّا حَقُّ أَخِيكَ فَتَعْلَمُ أَنَّهُ يَدُكَ الَّتِي تَبْسُطُهَا وَظَهْرُكَ الَّذِي تَلْجَأُ إِلَيْهِ وَعِزُّكَ الَّذِي تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ وَقُوَّتُكَ الَّتِي تَصُولُ بِهَا وَلَا تَتَّخِذْهُ سِلَاحاً عَلَى مَعْصِيَةِ اللهِ وَلَا عُدَّةً لِلظُّلْمِ بِحَقِّ اللهِ وَلَا تَدَعْ نُصْرَتَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَعُونَتَهُ عَلَى عَدُوِّهِ وَالْحَوْلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَيَاطِينِهِ وَتَأْدِيَةَ النَّصِيحَةِ إِلَيْهِ وَالْإِقْبَالَ عَلَيْهِ فِي اللهِ فَإِنِ انْقَادَ لِرَبِّهِ وَأَحْسَنَ الْإِجَابَةَ لَهُ وَإِلَّا فَلْيَكُنِ اللهُ آثَرَ عِنْدَكَ وَأَكْرَمَ عَلَيْكَ مِنْهُ))[4]، هذا هو حقّ الأخ على أخيه، فعلى كلّ واحدٍ منّا مراعاة هذا الحقّ.

أمّا حقّ الجار: ((وَأَمَّا حَقُّ جارك فَحِفْظُهُ غَائِباً وَكَرَامَتُهُ شَاهِداً وَنُصْرَتُهُ وَمَعُونَتُهُ فِي الْحَالَيْنِ جَمِيعاً لَا تَتَبَّعْ لَهُ عَوْرَةً وَلَا تَبْحَثْ لَهُ عَنْ سَوْأَةٍ لِتَعْرِفَهَا فَإِنْ عَرَفْتَهَا

١-الامالي للصدوق : ٣٧١.
٢- م. ن: ٣٧١.
٣- نهج البلاغة : ٣ / ٣٨.
٤-الامالي للصدوق: ٣٧١.

مِنْهُ مِنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ مِنْكَ وَلَا تَكَلُّفٍ كُنْتَ لِمَا عَلِمْتَ حِصْناً حَصِيناً وَسِتْراً سَتِيراً لَوْ بَحَثَتِ الْأَسِنَّةُ عَنْهُ ضَمِيراً لَمْ تَصِلْ إِلَيْهِ لِانْطِوَائِهِ عَلَيْهِ لَا تَسَمَّعْ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ لَا تُسْلِمْهُ عِنْدَ شَدِيدَةٍ وَلَا تَحْسُدْهُ عِنْدَ نِعْمَةٍ تُقِيلُ عَثْرَتَهُ وَتَغْفِرُ زَلَّتَهُ وَلَا تَدَّخِرْ حِلْمَكَ عَنْهُ إِذَا جَهِلَ عَلَيْكَ وَلَا تَخْرُجْ أَنْ تَكُونَ سِلْماً لَهُ تَرُدُّ عَنْهُ لِسَانَ الشَّتِيمَةِ وَتُبْطِلُ فِيهِ كَيْدَ حَامِلِ النَّصِيحَةِ وَتُعَاشِرُهُ مُعَاشَرَةً كَرِيمَةً وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ))[1] ، هذا هو حقّ الجار، وكلٌّ منّا عنده جيران.

نسأل الله تعالى أن نتقيّد بما قاله الإمام زين العابدين(عليه السلام) في هذا الشهر وغيره، أرانا الله في هذا البلد كلّ خير، ودفع عنّا وعنكم كلّ سوء، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمد وآله الطيّبين الطاهرين.

١- الامالي للصدوق:٣٧٣.

الجمعة ١١ رمضان ١٤٣٧ هـ
الموافق ١٧ حزيران ٢٠١٦ م

- بإمامة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي
- نصّ الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جلّ أن يُخاف منه إلّا العدل، وعظم أن يُرجى منه إلّا الفضل، اللّطيف فلا يُدركه لحظُ بصر، العظيم فلا يُحيط به عقلُ بشر، القويّ فلا مضادّ له في ملكه، المهيمن فلا منازع له في أمره، وأشهد أن لا إله إلّا الله راحم من استرحمه، وعاصم من استعصمه، وأشهد أنّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عبده العظيم ورسوله الكريم، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

أوصيكم عباد الله تعالى وقبل ذلك أوصي نفسي بتقوى الله تبارك وتعالى، واعرفوا حقّ شهركم هذا والحرمات التي حرّمها الله تعالى فيه، وحقّ كتابكم الكريم وحقّ نعمة الصوم عليكم، وارتفعوا بصومكم الى الغاية التي من أجلها شرّع الله تعالى لكم فريضة الصوم، واغتنموا هذه الفرصة لتزكية قلوبكم وتطهير نفوسكم والسموّ بأخلاقكم الى ما أحبّه الله تعالى لكم من مكارم الأخلاق ومحامد الصفات، واستثمروا ليالي هذا الشهر المبارك بالتوبة والاستغفار وابكوا على أنفسكم المرهونة بأعمالكم، مستذكرين أحوالكم بدعاء أبي حمزة الثمالي المرويّ عن الإمام السجاد عليه السلام وبقية الأدعية.

ما زلنا في موسم التذكرة والتبصرة والتوعية بما أراده الله تعالى لنا من فريضة

الصوم ، وقد جاءت الخطبة الشعبانية – وهي خطبة النبيّ ﷺ في آخر جمعةٍ من شعبان كما بيّنّا لكم – جاءت فيها تذكرة وتبصرة وتوعية لنا لما أراده الله تعالى منّا من الصوم، أيّها الإخوة والأخوات، هل مراد الله تعالى منّا في فريضة الصوم أن يعرّضنا لألم الجوع والعطش والحرمان من اللّذة والشهوة؟ أو هناك غاية عظيمة وهدف سام أراد الله تعالى منّا أن نجعل الصوم وسيلة للوصول اليه؟ ألا وهي التقوى، لذلك أيّها الإخوة والأخوات نأمل منكم أن تتأمّلوا وتتبصّروا وتفكّروا فيما ورد من فقراتٍ في خطبة النبيّ ﷺ لتعرفوا تلك الأهداف، والغايات التي أراد الله تعالى أن نصل بالصوم الى تحقيقها، ومن دون أن نوظّف الصوم وسيلة للوصول الى هذه الغاية والهدف السامي، فإننا لا ننال من ثمار الصوم ومعطياته إلّا الجوع والعطش، ونخسر تلك الأهداف وتلك الغايات السامية.

إخواني في البداية أذكر لكم إجمالاً بعض هذه الأهداف والغايات، ثمّ أذكر بعض فقرات هذه الخطبة ؛ لنفصّل كيف نصل بالصوم الى هذه الأهداف والغايات.

أُرِيدَ من الصوم أن نرتبط بالآخرة وأهوالها وما فيها من شدائد، وذلك بأن نستذكر من الجوع والعطش موقفاً من المواقف والأهوال الشديدة يوم القيامة، وهو أنّ هناك جوعاً وعطشاً كبيرين في يوم القيامة ، فكيف نُساعد أنفسنا على أن نتغلّب على ذلك الموقف؟ جاءت فريضة الصوم لكي تذكّرنا وتربطنا بالآخرة حتى نستشعر الخوف والخشية من الله تعالى ونرتدع عن المعاصي. أُرِيدَ من الصوم أن نمرّن إرادتنا ونطوّعها حتّى نتخلّص من أسر العبودية للشهوات والغرائز والعادات السيّئة. أُريد من الصوم أن تنبعث من قلوبنا الرحمة والعطف والحنان للفقراء والمساكين واليتامى وبقيّة عباد الله تعالى. أُريد من الصوم أن نرتقي بأخلاقنا الى مصافّ الأخلاق الإلهية وأخلاق النبيّ ﷺ، نرتقي بعلاقاتنا مع أرحامنا وبقية أفراد المجتمع بما يقوّي هذه الأواصر، وهكذا بقية الأمور ممّا ورد في هذه الخطبة .

نفصّل الآن بعض ما ورد في هذه الخطبة التي جاءت – كما قلنا – تذكرةً

وتوعيةً وتبصرةً لنا ؛لأنّنا في غفلة غير ملتفتين ، ولا نعرف المطلوب الذي أراده الله تعالى منا في هذه الفريضة، يقول النبي ﷺ في بعض فقرات هذه الخطبة:((...واذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه..))[١] أيّها الإخوة والأخوات ورد في بعض الأحاديث ما يبيّن شدّة الأهوال والمواقف يوم القيامة، في بعضها أنّ هناك خمسين موقفاً يقف فيها الإنسان يوم القيامة وكلّ موقف يُعادل ألف سنة من سنيّ هذه الحياة الدنيا، ولا تستبعدوا هذا العدد، فأحيانا تقرأون أن العلماء يكتشفون في بعض المواقع في الأرض أنّ عمر بعض المكوّنات في الأرض عدّة مليارات من السنين، فهل الوقوف بين يدي الله تعالى خمسين ألف سنة بعيد؟

نأتي هنا الى الصوم ، ماذا يريد الله تعالى بهذا الجوع والعطش الذي نتعرّض اليه ؟ إنّما يريد شيئين أحدهما : يرتبط بالآخرة ، والآخر يرتبط بالدنيا، وقد بيّنته الأحاديث ، فلابُدّ أن أتحسّس وأستشعر وقوفي يوم القيامة، وكيف سيكون حالي حينما أتعرّض لجوع أشدّ وعطشٍ أشدّ ، وكيف أسدّ ذلك الجوع والعطش؟ فقد يضعف الارتباط بالآخرة عند الإنسان؛ بسبب حبّه للدنيا وانشغاله بها وغفلته عن المواقف والشدائد والأهوال يوم القيامة، فيريد الله تعالى أن يذكّره دائماً بالصلاة والصوم والحجّ وبقيّة العبادات ، يريد أن يذكّره بالآخرة، وهذا موقفٌ مصغّر من مواقف يوم القيامة، لذلك ورد في الحديث عن الإمام الصادق(عليه السلام) :((فَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا))[٢] . وسبق أن بيّنّا إخواني أنّه ليخصص كل واحد منا في اليوم بمقدار خمس دقائق أو عشر دقائق ليراجع نفسه وأقواله وتصرّفاته وسلوكه، فيحاسب نفسه ويحاول أن يتوب ويستغفر ويعدّل من سلوكه ويعزم على عدم العودة الى مثل ذلك، ((فَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا- فَإِنَّ فِي الْقِيَامَةِ خَمْسِينَ مَوْقِفاً كُلُّ مَوْقِفٍ مِثْلُ أَلْفِ سَنَةٍ- مِمَّا تَعُدُّونَ))[٣] ، ويستشهد الإمام(عليه السلام) بهذه الآية القرآنية: ((فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ))[٤]، وأيضاً من الأمور التي تُراد

١-الوسائل : ١٠ / ٣١٣.
٢- الأمالي،للمفيد، محمد بن محمد(ت٤١٣ هـ)، مؤتمر الشيخ المفيد، قم، الأولى:٢٧٤.
٣- م. ن: ٢٧٤.
٤- السجدة : ٥.

من استشعار ألم الجوع والعطش في يوم الصوم هو أن تنبعث الرحمة في قلوبنا، كما بيّنّا سابقاً أن الكثير منّا يتّصف بالقسوة والغلظة والخشونة، فقلبُه قاسٍ مع الآخرين حتى مع الفقراء والمساكين وغيرهم من المستضعفين خصوصاً من تكالب على الدنيا وغرّته وعاش حياة الترف والتنعّم فربما يقسو قلبه كثيراً، شرّع الله تعالى لنا فريضة الصوم لكي تنبعث الرحمة في قلوبنا تجاه الآخرين من الفقراء والمساكين، لذلك يبيّن الإمام الصادق عليه السلام لنا هذه الحكمة فيقول:((إِنَّمَا فَرَضَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الصِّيَامَ لِيَسْتَوِيَ بِهِ الْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ وَذَلِكَ أَنَّ الْغَنِيَّ لَمْ يَكُنْ لِيَجِدَ مَسَّ الْجُوعِ فَيَرْحَمَ الْفَقِيرَ لِأَنَّ الْغَنِيَّ كُلَّمَا أَرَادَ شَيْئاً قَدَرَ عَلَيْهِ فَأَرَادَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يُسَوِّيَ بَيْنَ خَلْقِهِ وَأَنْ يُذِيقَ الْغَنِيَّ مَسَّ الْجُوعِ وَالْأَلَمِ))[1] لماذا؟ ((لِيَرِقَّ عَلَى الضَّعِيفِ فَيَرْحَمَ الْجَائِعَ))[2].

نسمع أحياناً أن بعض عوائل الفقراء لا يملك أبسط الطعام ويتلوّى من الجوع ،وهذا موجود لكننا لا نستشعر ذلك، ربما لأنّنا غير مطّلعين أو ربّما يطّلع بعضنا وقلبُه قاسٍ مع الآخرين، فالله تعالى يقول –ما معناه- أنا أعرّضك لألم الجوع حتى تستشعر هذا الفقير كم يعاني ؟ لا.. بل يقول أُريد منك أن تنبعث الرحمة من قلبك، إذا انبعثت الرحمة من قلبك تحرّك لمساعدة هذا الفقير، أطعم هذا الجائع لكي تسدّ جوعته، لذلك لابُدّ أن نتحسّس ونستشعر هذه المعاني في نهار الصوم لكي يتحقّق هذا الارتباط بالآخرة أوّلاً، وثمّ نتحنّن ونرقّ على هؤلاء الفقراء فتنبعث أنفسنا لمساعدتهم.

وفي الفقرة الثانية يقول :((وتصدّقوا على فقرائكم ومساكينكم)) وقد وردت آيات كثيرة تحثُّ على الإنفاق ، فمن يتمكن عليه أن يتصدق على الفقراء والمساكين ، ونأمل أيّها الإخوة والأخوات أن نلتفت الى هذه النقطة، نأمل من الذين أنعم الله تعالى عليهم أن يتصدّقوا تارةً بصورةٍ مباشرة وأخرى بصورة غير مباشرة، بأن يدعو الفقراء إلى الطعام في بيته ، وهذا فيه الكثير من الفوائد منها أنّه يأتي بهذه الصدقة ومنها أنّه يكسر صفة التكبّر والتعالي الموجودة في نفوس بعض الناس، وينمّي في نفسه صفة التواضع،

١- من لا يحضره الفقيه:٢/ ٧٣.
٢- م. ن: ٢/ ٧٣.

فيُجلس الفقراء والمساكين في قاعة استقبال بيته ويطعمهم بنفسه ،فهذا له الأجر العظيم عند الله تعالى.

وهنا أنبّه ، يجب أن لا نستصغر مقدار الصدقة، أيّها الإخوة والأخوات من كان متمكّناً عليه بالتصدّق والإنفاق، ومن كان فقيراً فليتصدق ولو بماعون من التمر أو بعض التمرات وشيء من الماء ليحصل منه على الأجر والثواب ، فلا تستهينوا ولا تستصغروا هذه الصدقات، كما ورد في الأحاديث حينما حثّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم المؤمنين على إفطار الصائمين، فقال: ((مَنْ فَطَّرَ مِنْكُمْ صَائِماً مُؤْمِناً فِي هَذَا الشَّهْرِ كَانَ لَهُ بِذَلِكَ عِنْدَ اللهِ عِتْقُ نَسَمَةٍ وَ مَغْفِرَةٌ لِمَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِه))[١] وأنبّه على مسألة مهمّة ، حينما تفطّرون الصائمين انووا واقصدوا في قلوبكم أنّكم تمتثلون لهذا الأمر الإلهي ولما ورد في خطبة النبيّ، فإنّ لكم بذلك مع هذه النيّة عتق نسمة ومغفرة لما مضى من ذنوبكم، وقد قال بعضهم للنبي(صلّى الله عليه وآله) ليس كلّنا يقدر على أن يفطّر صائماً، فقال: ((اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشَرْبَةٍ مِنْ مَاء))[٢]يعني فطّروا الصائم ولو ببضع تمرات، حتى الفقير منكم فليُطعم فقيراً آخر لكي يأتي بهذا العمل المستحبّ ولا تستصغروا الصدقات أبداً، فقد تصدّق أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة الزهراء والحسن والحسين ببضع أقراص من خبز الشعير على مسكين ويتيم وأسير فنزلت في حقّهم هذه السورة العظيمة، أنتم كذلك ولو بقرص خبزٍ أو ببعض الأرغفة من الخبز تصدّقوا على الآخرين ليُكتب لكم بذلك العمل الصالح.

ومن الأمور المهمّة في هذه الصدقة، أيّها الإخوة والأخوات لا تُتْبعوا صدقاتكم وإنفاقكم بالمنّ والأذى أي لا تقولوا للفقير: نحن أطعمناك وكسوناك ونحن أعطيناك كذا، فهذه الأمور من المنّ والأذى التي تُبطل هذه الصدقات ؛ وقد ورد في الكثير من الأحاديث الحثّ على هذه الصدقة ، ومنها في شهر رمضان.

١- الأمالي للصدوق، ابن بابويه، محمد بن علي(ت٣٨١هـ)، كتابچى، طهران، السادسة: ٩٤.
٢- م. ن: ٩٤.

نأتي الآن الى المورد الثاني، لنلاحظ كيف يرتقي الصائم بأخلاقه وليس بالامتناع عن الأكل والشرب وبقية المفطرات فحسب، بل يريد الله تعالى منك أن تسمو وترتقي بأخلاقك أيّها الصائم وأيتها الصائمة الى مرتبة الأخلاق الإلهية وأخلاق النبيّ(صلّى الله عليه وآله)، فجاء قوله(صلّى الله عليه وآله): ((ووقّروا كباركم وارحموا صغاركم...)) هنا أوصي الإخوة جميعاً الشباب والصغار أن يوقّروا الكبار ، فهذا حقّ للكبار على الصغار، وللصغار حقٌّ على الكبار وهو الرحمة بهؤلاء الصغار، جاءت هنا الأحاديث لكي تبيّن منزلة هؤلاء الكبار لنأتي بهذا الخُلُق الكبير، إن الشخص الذي سبقنا في الإيمان والذي سبقنا بالعمل الصالح وأتعب نفسه وبدنه في خدمة المجتمع وفي الارتقاء بالمجتمع وغير ذلك من هذه الصفات، فمن حقّه علينا أن نجلّه ونحترمه ونوقّره. ومن جملة هذه المبادئ أن نبتدئ هذا الكبير بالسلام ، ونتعامل معه بالحسنى والمعاونة فلا ننتقده النقد المباشر بل بصيغةٍ لا توهنه ولا تُهينه، ونوقّره ونفسح له في المجالس ، وإذا تحدّث لا نُقاطع حديثه ونُعطيه مجالاً في الحديث، وهكذا بقيّة الأمور التي تدلّ على احترامه وتوقيره، إخواني أبيّن للشباب والصغار منزلة الرجل الكبير والمرأة الكبيرة عند الله تعالى ، وكيف ينبغي أن تكون عندنا، كما ورد في بعض الأحاديث ؟ ففي الحديث القدسي :((إِنِّي لَأَسْتَحِي مِنْ عَبْدِي وَأَمَتِي يَشِيبَانِ فِي الْإِسْلَامِ ثُمَّ أُعَذِّبُهُمَا))[1]، يعني إذا كبر الرجل أو المرأة وهما على الإسلام يقول الله تعالى : أنا أستحي منهما ؛ هؤلاء شابا في الإسلام ثمّ أعذّبهما، هذه معاملة ربّ العالمين للإنسان الكبير في السنّ، ثمّ يبيّن النبيّ(صلّى الله عليه وآله) أنه عندما يحترم الشابُّ الكبيرَ ويوقره يكون جزاؤه أن يكون رفيقاً معي في الجنّة، ففي ضمن وصيّة النبيّ(صلّى الله عليه وآله): ((وَوَقِّرِ الْكَبِيرَ تَكُنْ مِنْ رُفَقَائِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[2] ، فهؤلاء معلّمونا ومدرّسونا ومربّونا أتعبوا أنفسهم في خدمة المجتمع وبنائه ، وفي بناء المؤسّسات ، وهم أوصلونا الى ما نحن فيه بجهودهم، لذلك ورد في الحديث عن النبيّ(صلى الله عليه وآله): ((مَنْ عَرَفَ فَضْلَ شَيْخٍ كَبِيرٍ

١- النوادر، للراوندي الكاشاني، فضل الله بن علي(ت٥٧٠هـ)، دار الكتاب إيران؛ قم، الأولى: ٧.
٢- مستدرك الوسائل : ٨/ ٣٩٤.

فَوَقَّرَهُ لِسِنِّهِ آمَنَهُ اللهُ مِنْ فَزَعِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ))[١]، هذه وصيّتنا الى الشباب.

أيّها الكبار ، أيّها الشَيَبة ما وصيّتنا لكم مع الصغار والشباب؟ هي كما أوصانا النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) الرحمةُ بهم، لماذا؟ لأنّ هؤلاء صغار السنّ ليست لديهم تجربة في الحياة حتى يعرفوا ما ينفعهم وما يضرّهم ،ولم يصلوا بعدُ الى مرحلة النضج الفكريّ والعقليّ حتى يعرفوا هذه الأمور ويخبروا الحياة كما هو حال الكبار لذلك المطلوب منّا الرحمة بهم، ما المقصود من الرحمة بهم؟ أهمّ شيء في الرحمة بالصغار أن نربّيهم ونعلّمهم مبادئ الدين والتربية والأخلاق وقراءة القرآن الكريم ،وأن نحفظهم ونصونهم من الوقوع في الحرام ومن الاختلاط الضارّ والدخول الى الأماكن المُفسِدة لدينهم وأخلاقهم.

وأنا أنبّه أيّها الإخوة والأخوات، أيّها الكبار، أيّها الآباء أيّتها الأمّهات نرى في مثل هذه اللّيالي المباركة ليالي الدعاء والاستغفار وتلاوة القرآن شباباً صغار السنّ يقضون ساعاتٍ طويلة في بعض الألعاب الضارّة بدينهم وأخلاقهم، ويرتادون أماكن يُخشى فيها عليهم من فساد دينهم وأخلاقهم، أيّها الآباء اسألوا أبناءكم الصغار الذين هم في عمر (١٣) أو (١٤) أو (١٥) سنة عن هذه الليالي أين يقضونها؟ أين يذهبون؟ مع من يختلطون؟ من يعاشرون؟ ربّما لا تعلمون أنّ هذا الشاب الصغير من الرحمة به أن نصون دينه وأخلاقه ،ونراقب من يخالط ويعاشر، وماذا يقرأ وماذا يرى؟ ربّما يقضي هذه الساعات مع أُناسٍ يُفسدون عليه دينه وأخلاقه ودراسته، لذلك لابُدّ للآباء والأمّهات أن يلاحظوا أبناءهم وبناتهم أيضاً ويراقبوهم ماذا يرون في هذه القنوات الفضائية ،وفي أجهزة هاتفهم النقّال ، هل هناك أمور مفسِدة لدينهم وأخلاقهم، فليس من الصحيح أن يُتركوا هكذا بل من الرحمة بهؤلاء الصغار أن نحفظ لهم دينهم وأخلاقهم ومستقبلهم ،وهم في هذه المرحلة الخطرة، لذلك جاءت هذه التوصية للرحمة بالصغار.

أيّها الصائمون أيّتها الصائمات المطلوب منا أن نحافظ على صلة الأرحام وقد ورد في الكثير من الأحاديث الاهتمام بهذه الصفة، فلو كان لك رحم بينك وبينه قطيعة

١- وسائل الشيعة:١٢/ ٩٩.

لمشكلة أو خلاف أو أمر آخر ، اذهب أنت الى رحمك واطلب صلته، لاحظوا أيّها الإخوة والأخوات مرتبة صلة الرحم عند الله تعالى، فنحن قد نتصوّر أن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهمّ ومرتبته –ربّما- بعد الإيمان بالله تعالى، لكن لاحظوا هذا الحديث الذي يبيّن أهمّية صلة الرحم، يأتي رجلٌ الى النبيّ ﷺ يسأله: ((ما هو أفضل الإسلام؟ فقال: (الإيمان بالله تعالى). قال له: ثمّ ماذا؟. قال له: (صلة الرحم). قال له: ثمّ ماذا؟. قال: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر). ثمّ يسأله: أيّ الأعمال أبغض الى الله تعالى؟ فيقول له: (الشرك بالله). ثمّ ماذا؟. قال له: (قطيعة رحم). ثمّ ماذا؟ قال: (الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف)))[1]، وقد يسأل بعض ويقول: أنا لي رحم قاطعني وهو يؤذيني، فما موقفي؟ التفتوا الى هذه الرواية ، يأتي رجل الى النبيّ(صلّى الله عليه وآله) فيسأله: يا رسول الله إنّ أهل بيتي أبوا إلّا توثّباً عليّ وقطيعةً لي وشتيمةً لي...، يعني هذه سيرتهم معي يشتمونني ويُقاطعونني ويؤذونني، أفأرفُضُهم؟ التفتوا الى جواب النبيّ(صلّى الله عليه وآله) قال له: ((إذن الله تعالى يرفضكم جميعاً))، إذا كان رحمك قد رفضك ولا يصلك وأنت ترفضه ولا تصله ،فالنتيجة يرفضكم الله تعالى جميعاً، فما هو الموقف إذن؟ لاحظوا جواب النبيّ(صلّى الله عليه وآله) حين سأله: كيف أصنع؟. قال: ((تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ كَانَ لَكَ مِنَ اللهِ عَلَيْهِمْ ظَهِير))[2]. أي إذا أنت فعلت ذلك، وبادرت سيكون الله تعالى ناصراً لك ومعيناً لك على ذلك.

ثمّ ما الضير إذا كان رحمك قد قاطعك أن تذهب أنت الى بيته لتصالحه وتحاول الوصل معه؟ انظروا إخواني ماذا وعدكم رسول الله(صلّى الله عليه وآله) أيّها الصائمون ، أيّتها الصائمات إن كان أحدكم في قطيعةٍ مع رحمه فليذهب اليه بنفسه، ماذا ينتظركم من وعد؟ عن رسول الله(صلّى الله عليه وآله): ((مَنْ مَشَى إِلَى ذِي قَرَابَةٍ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ لِيَصِلَ رَحِمَهُ أَعْطَاهُ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ أَجْرَ مِائَةِ شَهِيدٍ وَلَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ أَرْبَعُونَ أَلْفَ حَسَنَةٍ

١-الكافي : ٥ / ٥٨.
٢-م.ن : ٢ / ١٥٠.

وَمُحِيَ عَنْهُ أَرْبَعُونَ أَلْفَ سَيِّئَةٍ))[١] ، فأنت الآن مع رحمك الذي بينك وبينه قطيعة ، إمّا أن تسبقه فتحصل على أجر مئة شهيد ولك بكلّ خطوةٍ أربعين ألف حسنة وتُمحى عنك أربعين ألف سيّئة، أو هو يسبقك الى هذا الثواب، فاختر أنت هل تسبقه أو هو يسبقك؟ وخصوصاً في هذا الشهر المبارك.

ثمّ أيضاً من جملة الأمور المهمّة ،وأختم بها هذه الخطبة، أيّها الإخوة والأخوات اللسان ثمّ اللسان ثمّ اللسان ، أيها الصائمون أيّتها الصائمات أشدّ ما يُبتلى به الإنسان الصائم حصاد لسانه، فليس الصيام الامتناع عن الطعام والشراب وبقيّة المفطّرات بل الصيام صيام اللسان كما ورد في بعض الأحاديث ، وأكثر المعاصي وأكثر الآفات هي من اللسان، جاء رجلٌ فقال للنبيّ(صلّى الله عليه وآله): أوصني. فقال له: ((احْفَظْ لِسَانَكَ))[٢]، ثم قال له: أوصني. فقال: ((احْفَظْ لِسَانَك)) ثم قال مرّة ثالثة: أوصني. فقال له: ((احْفَظْ لِسَانَك)). وليس ذلك ؛ لأنّه لا توجد وصايا أخرى لكن لأهمّية حفظ اللسان وأنّ أكثر المعاصي الموقِعة والمهلِكة للإنسان هو حصاد اللسان، الغيبة والنميمة والافتراء والبهتان والسبّ والشتم وغير ذلك من هذه الخصال الذميمة والمحرّمات كلّها باللسان، ثمّ يقول له النبيّ ﷺ : ((وَيْحَكَ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِم))[٣]، لذلك علينا أن ننتبه ، ونراقب لساننا ماذا نتكلّم في نهار الصوم وبقيّة الأشهر ؟ لابُدّ أن نلتفت خصوصاً في الوقت الحاضر ، سابقاً كان الإنسان يتكلّم فيسمعه أفرادٌ معدودون ، الآن صار الفيسبوك وبقية المواقع التي لها تسميات مختلفة حينما تكتب كأنّك تنطق، ربّما يطّلع على كلامك الآلاف أو الملايين، وربّما هذه الكلمة تؤدّي الى سفك دمٍ حرام أو انتهاك أعراضٍ أو سلب مالٍ أو غير ذلك من هذه النتائج، لذلك علينا أن ننتبه لاسيما في الوقت الحاضر فقد صار استعمال هذه المواقع الإلكترونية وغيرها متاحاً، لذلك انتبه حتى من الكلمة الواحدة ، واحذر؛ لأنّك إذا تكلّمت انتهى الأمر فلا يُمكن إرجاع هذه الكلمة ، وربّما هذه الكلمة تؤدّي الى مصائب

١- من لا يحضره الفقيه: ٤/ ١٦.
٢- الكافي : ٢ / ١١٥.
٣- م. ن: ٢ / ١١٥، تحف العقول: ٥٦.

وفتن ومفاسد ستُحاسب عليها يوم القيامة؛ لذلك أيّها الصائمون أيّتها الصائمات ينبغي الالتفات الى آفات اللّسان وما يترتّب على ذلك من المهالك.

نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لصيام هذا الشهر المبارك حقّ صيامه ،وأن يوفّقنا لقيام لياليه وتلاوة كتابه إنّه سميعٌ مجيب.

الجمعة ١١ رمضان ١٤٣٧ هـ
الموافق ١٧ حزيران ٢٠١٦ م

نصّ الخطبة الثانية

أيها الأخوة والأخوات أقرأ على مسامعكم الكريمة بعض التوصيات الصادرة من سماحة المرجع الدينيّ الأعلى(دام ظلّه)، في هذا الأسبوع التقى سماحة المرجع الأعلى (دام ظلّه) بنخبةٍ من أطبّاء النجف الأشرف ، وأوصاهم بأمور نذكر ونشرح بعضها لأهمّيتها، منها:

الوصية بتوفير الخدمة الجيّدة لجميع المراجعين بالمستوى نفسه دون تفريق بين الغنيّ والفقير والقويّ والضعيف. وهذه الوصية وإن كانت موجّهة الى فئة الأطبّاء؛ لأنّ جمعاً منهم كانوا قد حضروا اللّقاء ولكنّها وصيّةٌ لكلّ الذين يتعاملون مع المواطنين ويقدّمون لهم الخدمة في أيّ مجالٍ كان، ولاسيّما من فئة الموظّفين الحكوميّين، ومنها أنّ من يمارس التعليم عليه أن يعلم أنّ لسلوكه ومنطقه أبلغ الأثر في طلّابه، ولا يتصوّر أنّه مجرّد أستاذ في مادّة الطبّ، فعليه أن يراعي الجوانب الدينيّة والأخلاقية في أقواله وتصرّفاته، ومن ذلك التواضع لمن يعلّمهم من الطلّاب وعدم التعالي عليهم، وهذه الوصية لا تختصّ أيضاً بالأطبّاء الذين يمارسون التعليم في الجامعات بل هي عامّة لجميع المعلّمين والتدريسيّين.

ومنها الوصية بالمحافظة على وحدة العراق ،ولا يكون ذلك إلّا بالمحافظة على وحدة العراقيّين، ولتحقيق ذلك لابُدّ أن يُهتمّ بأمرين في هذه الظروف الحرجة:

الأوّل: رعاية النازحين والمهجّرين من دون تمييز بينهم من أيّ دينٍ أو مذهب

أو مكوّن كانوا.

الثاني: وهو موجّهٌ بالدّرجة الأساس الى المقاتلين في ساحات القتال، أن يكون قتالهم لتخليص إخوانهم وأخواتهم من عصابات داعش التي هي فئةٌ دخيلة على العراقيّين فكراً وممارسة، فإنّ الأفكار الظلامية التي تتبنّاها والممارسات الوحشية التي ترتكبها غريبة على العراقيّين تماماً وغير مسبوقة لديهم على مرّ التاريخ، فالمقاتلون بمختلف أصنافهم ومسمّياتهم مهمّتهم تخليص العراق من هذا البلاء العظيم، وعليهم لأداء هذه المهمّة على الوجه الصحيح أن يتحلّوا بأعلى درجات الانضباط في تصرّفاتهم ويراعوا المعايير الإنسانية والإسلامية في تعاملهم مع الجميع في مناطق القتال، ولاسيّما المدنيّين من كبار السنّ والنساء والأطفال بل من يُسلّم نفسه ويترك القتال.

وبعد قراءة هذا النصّ نشرح لكم بعض الوصايا ،ومنها الوصيّة الأولى للأطبّاء، فنقول: أوصى سماحته الأطبّاء بالخدمة الجيّدة ،ويُمكن تفصيل ذلك بالأمور الآتية:

أوّلاً: العناية بالمريض ؛ وذلك بالاهتمام بدقّة التشخيص الطبّي وبذل ما بوسع الطبيب من إعمال ذهنه وتفكيره المهنيّ الطبّي محاولاً الوصول الى التشخيص الأقرب الى الواقع مع تخصيص الوقت الكافي لذلك، واستشارة الآخرين من أهل الخبرة والحذاقة الطبّية.

ثانياً: التعاطف مع المريض بإشعاره بالرحمة لحاله وأنّه يهمّه شفاؤه ومعافاته، ويعامله كأنّه أحد أفراد عائلته إذا مرض، واستعمال العبارات والكلمات الطيّبة التي تبعث في نفسه الأمل بالشفاء.

ثالثاً: أن لا يكون همّه تحقيق أكبر قدرٍ ممكن من الأرباح الماليّة بالتجارة بصحّة المريض، سواءً كان من خلال رفع كلفة المعاينة الطبّية أو التحاليل أو الفحص الشعاعي أو أجور العمليات الجراحية، بل يجعل غايته العمل على شفاء أكبر قدر ممكن من المرضى وإنقاذ حياتهم ؛ ليُكتب له بذلك عملٌ صالح عند الله تعالى الذي هو خيرٌ ثواباً وخيرٌ أملاً.

ثمّ أوصى سماحته بعدم التفريق بين المراجعين (أي بين الغنيّ والفقير وبين القويّ

والضعيف) وتوضيح ذلك: أن تكون عناية الطبيب المهنية والأخلاقية مع المرضى من دون تفرقة بينهم بسبب فقر بعضهم أو علوّ المنزلة الاجتماعية لبعضهم الآخر، بل يشعر الجميع أنّهم متساوون في ذلك، لأنّ كلّ فردٍ منهم هو إنسان يعاني بسبب مرضه المعاناة نفسها لا يختلفون في ذلك بسبب مالٍ أو جاهٍ أو منصب ، وحياتهم مطلوبٌ إنقاذها وآلامهم مرجوٌّ تخفيفها للجميع من دون فرق. فلا يعتني الطبيب بالغنيّ أكثر ؛ لأنّه يرجو منه النفع المالي ، ولا صاحب الوجاهة والقوّة والسلطة؛ لأنّه يأمل منه أن ينفعه في أمور الدنيا أكثر من غيره.

ثمّ إنّ هذه الوصيّة من سماحته غير مقتصرة على الأطبّاء وإن كانت موجّهة لهم لأنّهم الذين حضروا اللّقاء ولكنّها عامّة لجميع المكلّفين بالخدمة العامّة خصوصاً الموظّفين الحكوميّين، فالمأمول منهم قضاء حوائج المواطنين وإنجاز معاملاتهم بأسرع ما يُمكن وعدم تأخيرهم، خصوصاً عوائل الشهداء واليتامى والأرامل والمستضعفين، ولا يفرّقوا بين مواطنٍ فقير وآخر غنيّ أو صاحب جاه وسلطة والآخر إنسان ضعيف لا يملك لنفسه ناصراً إلّا الله تعالى، وتتأكّد الوصية للموظّفين المكلّفين بالخدمات الأساسية كخدمات الماء والكهرباء والصحّة والتعليم وغيرها.

ومنها الوصية الثانية وشرحها، فالمأمول من الإخوة الأساتذة في مجال الطبّ أو غيره من العلوم أن يعلموا أنّ مهمّتهم لا تقتصر على التعليم المهنيّ في مجال اختصاصهم بل مهمّة الأساتذة هي التعليم والتربية على مبادئ الأخلاق والمواطنة الصالحة معاً، فلا ثمرة للتعليم من دون الأخلاق وتربية النفس على هذه القيم، والأستاذ الأكثر تأثيراً في طلبته هو الذي يبدأ بنفسه فيربّيها ويؤدّبها على محاسن الأخلاق ومحامد الصفات ويترجمها الى سلوكٍ فِعْليّ أمام طلبته، ومن ذلك حسن التعامل مع الطلبة بالتواضع لهم وعدم الاستكبار عليهم بإشعارهم أنّه أفضل وأرفع منهم علماً وشأناً، وسعة الصدر والتحمّل لهفواتهم وسلوكهم الخاطئ، وذلك بإرشادهم بالحسنى والحكمة والموعظة الحسنة الى السلوك الصحيح، وتنبيههم على ضرورة الاهتمام بأخلاقهم وسلوكيّاتهم كاهتمامهم بالحصول على الدرجات المتقدّمة في دروسهم، وعليه أن يحترم جميع الطلبة

ولا يسخّر أو يستهزئ بمن لا يمتلك الذكاء أو المهارة في العلم بل يحاول أن يعلّمه على كيفيّة تطوير قابليّاته العلمية وفهمه للدرس، وأن يوضّح للطلبة أنّ النجاح في الدراسة الجامعية والمدرسيّة مهمّ لكنّه جزءٌ من النجاح الأكبر المطلوب في الحياة ألا وهو بناء العلاقة الصحيحة مع الله تعالى ومع بقيّة أفراد المجتمع، ومن ذلك شعوره بالمسؤولية بعد تخرّجه ،وقدرته على النجاح فيها، وبناء الأسرة الصالحة وحسن العشرة مع أفراد مجتمعه.

فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام : ((علّموا الناس الخير بغير ألسنتكم وكونوا دعاةً لهم بفعلكم، والزموا الصدق والورع))[1]. وعنه عليه السلام : ((كُلَّمَا زَادَ عِلْمُ الرَّجُلِ زَادَتْ عِنَايَتُهُ بِنَفْسِهِ وَبَذَلَ فِي إِصْلَاحِهَا وَرِيَاضَتِهَا جُهْدَه))[2].

ومنها الوصيّة بالمحافظة على وحدة العراق ورعاية النازحين والمهجّرين من دون تمييز بينهم ، وذلك بعناية الجهات المختصّة والمواطنين والجمعيات الإنسانية ومؤسّسات المجتمع المدني، ببذل كلّ ما يمكن من جهود لتوفير المأوى المناسب للنازحين ، وتقديم ما يحتاجونه من طعام وشرابٍ ودواء مع معاملتهم بالحسنى والتعاطف معهم والرحمة بهم، وأن تكون هذه العناية بصورة متساوية لجميع العراقيّين النازحين والمهجّرين بغضّ النظر عن انتمائهم الدينيّ أو المذهبيّ أو القوميّ؛ وذلك لأنّهم بأجمعهم مواطنون عراقيّون لا يستلزم اختلافهم في الانتماء المذكور اختلاف مرتبتهم في حقوق المواطنة والانتماء للعراق، وهذا النحو من الرعاية والمعاملة سيُشعر الآخرين من جميع المكوّنات العراقية بوحدة الانتماء لبلدهم ممّا سيترك أثراً إيجابيّاً في نفوسهم فيشعرون بقوّة الآصرة والعلاقة مع بقيّة مواطني بلدهم، وهذا سيفوّت الفرصة على عصابات داعش التي تعمل على زرع التفرقة والبغضاء بين مكوّنات الشعب العراقي بإثارة النزعة الطائفية.

والتوصية الأخيرة وهي موجّهة بالدرجة الأساس الى المقاتلين في ساحات القتال، فنقول في شرحها: من الضروريّ لمقاتلينا الأبطال الذين يسطّرون ملاحم

١- تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢١٠.
٢- عيون الحكم والمواعظ لليثي: ٣٩٧.

البطولة والتضحية في صفحات تاريخ العراق الحديث أن يلتفتوا الى أنّ الغاية من قتالهم هو إنقاذ المواطنين من المناطق التي سيطرت عليها عصابات داعش، وأن ينظروا لهم على أنهم إخوة وأخوات، وأنّهم جاءوا لتخليصهم من هذه الفئة الدخيلة على العراقيّين في فكرها الضال الذي تتبنّاه بتكفير الآخرين وتحليل قتلهم، الذي ترجمته الى ممارساتٍ وحشيّة بعيدة عن الإسلام والإنسانية حيث لم يشهد تاريخ العراق مثل هذه الوحشية، فلينتبهوا وليحذروا من أن يكون هدفهم الانتقام أو الاعتداء أو غير ذلك، ومن أجل تحقيق هذه المهمّة وفق الضوابط الشرعيّة والأخلاقية والإنسانية لابُدّ من أمرين:

١- التحلّي بأعلى درجات الانضباط النفسيّ في تصرّفاتهم وأعمالهم القتالية، فلا يحملنّهم حزنٌ وأسَفٌ على فقد عزيزٍ استُشهد في القتال، أو تألّم على جريح أو حالة غضب أو انفعال على ارتكاب ما يُخالفُ هذه الضوابط من تمثيلٍ بقتيل أو إجهازٍ على جريح أو تفجير دار مشتبه في أمره أو سطو على مال لذوي المقاتلين أو استيلاءٍ على أموال لمواطنين أبرياء.

٢- مراعاة المعايير الإنسانية والإسلامية في تعاملهم مع الجميع، فلابُدّ من الفرز بين المعتدي المقاتل والمواطن الذي لا دخل له في ذلك، فإنّما هدف القتال الحفاظ على الهوية الوطنية والإنسانية والحضارية للشعب العراقي الذي أرادت هذه العصابات مسخها وطمسها، وتتأكّد الوصيّة مع كبار السنّ والنساء والأطفال، ثم نلتفت الى هذه الصورة التي نراها في الكثير من الفضائيّات فما أعظم وأجمل أن نرى بعض أفراد قوّاتنا المسلّحة ومجاهدينا يحملون رجلاً كبيراً على ظهورهم ليوصلوه وعائلته الى مأمنهم، أو يُطعمون صغيراً أو يهدّئون ويطمئنون امرأةً خائفة أو يداوون مريضاً أو يهيّئون مأوى لهم، وقد ورد في التوصيات العشرين للمرجعيّة الدينيّة العُليا التي تمّ تأكيدها:

أوّلاً: ((الله.. الله.. في حرمات عامّة الناس ممّن لم يقاتلوكم لاسيّما المستضعفين من الشيوخ والولدان والنساء حتى إذا كانوا من ذوي المقاتلين، فإنّه لا تحلّ حرمات من قاتلوا غيرَ ما كان معهم من أموالهم، وقد كان من سيرة أمير المؤمنين عليه السلام أنّه كان ينهى عن التعرّض لبيوت أهل حربه ونسائهم وذراريهم رغم إصرار بعض من كانه

معه –خاصّةً من الخوارج– على استباحتها)).

ثانياً: ((الله.. الله.. في أموال الناس فإنّه لا يحلّ مال امرئ مسلم لغيره إلّا بطيب نفسه، فمن استولى على مال غيره غصباً فإنّما حاز قطعةً من قطع النيرانً)).

ثالثاً: ((الله.. الله.. في الحرمات كلّها فإيّاكم والتعرّض لها أو انتهاك شيءٍ منها بلسانٍ أو يدٍ، واحذروا أخذ امرئ بذنب غيره..)).

اللهمّ انصر قوّاتنا المسلّحة والمتطوّعين والغيارى من أبناء العشائر نصر عزيزٍ مقتدر، وردّ كيد أعدائنا في نحورهم، وغيّر سوء حالنا بحسن حالك إنّك سميع مجيب.

١٨ رمضان ١٤٣٧ هـ
الموافق ٢٤ حزيران ٢٠١٦ م

■ بإمامة سماحة السيد أحمد الصافي (دام عزه).

■ نصّ الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسلام على محمد وعلى آله الطيّبين الطاهرين، الحمد لله الذي أدعوه فيُجيبني وإن كنت بطيئاً حين يدعوني، والحمد لله الذي أسأله فيُعطيني وإن كنت بخيلاً حين يستقرضني، والحمد لله الذي أناديه كلّما شئتُ لحاجتي، وأخلو به حيث شئت لسرّي بغير شفيعٍ فيقضي لي حاجتي.

إخوتي أعزّتي ، أبنائي أملي ،آبائي وقاري، أخواتي شرفي، بناتي حسناتي أمّهاتي مربّياتي، السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته. أوصيكم أحبّتي ونفسي الجانية بتقوى الله تبارك وتعالى في السرّ والعلن ، والوثوق به في مهمّات الأمور والإقرار له بالوحدانية، متّعنا الله تعالى وإيّاكم بإيمان لا زيغ فيه.

قبل البدء بدعاء التوبة نرفع لإمامنا الإمام المهدي(صلوات الله وسلامه عليه) عزاءنا بذكرى استشهاد جدّه أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) وليد الكعبة وشهيد المسجد، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يكون شفيعنا كما ذكر ابنُ ذلك الصحابي الذي جاء ليدفن والده في النجف ؛ لأنّه سمع حديثاً أنّه سيُدفَنُ فيها شخصٌ يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر، وعندما قال له الإمام علي(عليه السلام) : هل تعرف هذا

الرجل؟ قال: لا. فقال: أنا ذاك، انزل وادفن والدك هنا[1]. والمعبّر عنه بالصحابي هو صافي الصفا.

والحديث عن أمير المؤمنين لا يسعه هذا المجال قطعاً، فهذه الشخصية المعظّمة لها من الشأنية الكبيرة أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) لم يفارق الدنيا إلّا بعد أن أشار في أكثر من مناسبة الى مقامه ومنزلته(صلوات الله وسلامه عليه)، وقد عرّجنا سابقاً على بعض الآيات الشريفة التي تحدّثت عن معاناة النبيّ (صلى الله عليه وآله) وما يمرّ به من ظروف، كقوله تعالى: ((وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ))[2]، فقد تحدّثنا بشيءٍ مختصر عن هذا المقطع من الآية الشريفة، التي لها علاقة بأمير المؤمنين، فالله تعالى يكفي النبيّ(صلّى الله عليه وآله) وغير النبيّ ،ولا يحتاج الى أن يضمّ الى ذلك جبرائيل وبقية الملائكة ؛فكفى به سبحانه وتعالى مدافعاً ووكيلاً وكفى به نصيراً ومنتقماً ، فكلّ الأمور ترجع الى الله تعالى، لكن في هذه الآية الشريفة إشارة الى أنّ هناك جهات ستقف مع النبيّ ، وهذه الجهات هي الله تعالى (فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ) وكفى به ناصراً ، ولكن قال: ((وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ)) جبرائيل معلوم ومعروف، ((الملائكة بعد ذلك ظهير)) جميع الملائكة ستكون ظهيراً للنبيّ (صلى الله عليه وآله) أيضاً، فمَنْ يكون صالح المؤمنين الذي جاء بين جبرائيل والملائكة ؟ في مقام التهديد قد يتوعد الله تعالى في القرآن الكريم بملائكة غلاظ وقد يتوعد هو بنفسه ((ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ))[3]، وكذلك في المقامات الأخرى فقد يكون المقام ليس مقام وعيد كما في هذه الآية الشريفة وذلك للإشارة الى نكتة ، إذ هناك حالة من التظاهر وحالة من الاستعداء ضدّ النبيّ((وإن تظاهرا عليه)) ، ويريد الله أن يدافع عن نبيّه (صلى الله عليه وآله) قال: ((فإنّ الله هو مولاه)) فالله هو المولى وهو يتبنّى الدفاع عن النبيّ (صلى الله عليه وآله)، أليس في هذا كفاية؟ ((أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ))[4] الآيات الشريفة هكذا تقول، قطعاً الله تعالى يكفي

١-بحار الأنوار : ٤٢ / ٣٣٤.
٢- التحريم : ٤.
٣- يونس : ٢٣.
٤- الزمر : ٣٦.

عبده ، لكن لماذا هذه الآية لم تكتفِ بهذا المقطع فقال تعالى: ((وجبريل..)) ثمّ جاءت: ((وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير))؟ مَنْ هذا صالحُ المؤمنين الذي جعله الله تعالى مدافعاً عن النبيّ(صلّى الله عليه وآله)؟ يعبّر النبيّ(صلّى الله عليه وآله) في أكثر من موطن عن أمير المؤمنين بتعبيرات عالية لم يشر بها إلى غير أمير المؤمنين مثل ((بَرَزَ الْإِيمَانُ كُلُّه))[١]، هذا تعبيرٌ لم يظفر به أحد غير أمير المؤمنين(عليه السلام) ((إِلَى الشِّرْكِ كُله))[٢]، هذا يدلّ على قوّة الشرك عند الطرف المقابل، فعلى الرغم من وجود النبيّ(صلّى الله عليه وآله) في واقعة الخندق فإنه يقول في حق أمير المؤمنين: ((بَرَزَ الْإِيمَانُ كُلُّه إِلَى الشِّرْكِ كُله))، ثمّ ((لضربةُ عليٍّ يوم الخندق تُعادل عمل الثقلين)) أيضاً ، وجاء في الأثر أنّ صالح المؤمنين الذي ذُكر في الآية الشريفة هو عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) ، التأمّل في كثيرٍ من الآيات والروايات يجعل هذه الشخصية -شخصية أمير المؤمنين(عليه السلام) - شخصية رائدة وفريدة نحتاج أن نفهمها كثيراً، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا وإيّاكم لأن نعيش بركات أمير المؤمنين(عليه السلام) فهماً وسلوكاً.

نرجع -إخواني- الى دعاء الإمام(عليه السلام) في طلب التوبة، فهذا الشهر الشريف هو من أشهر التوبة التي يفزع فيها الإنسان الى الله تبارك وتعالى ويتأمّل ويعيد النظر في سلوكه. أميرُ المؤمنين(عليه السلام) صاحب الذكرى عندما استُشهد أو عندما ضربه اللعينُ ابن ملجم قال: ((فزت وربّ الكعبة))[٣]، لعلّ هذه العبارة لم يقلها أيضاً أحدٌ غيره؛ إذ أغلب الناس لا يتمنّون الموت أو في لحظة الموت قد لا يستطيع أحد ولا يجرؤ أن يتكلّم بهذا الكلام ، وإنّما يتمنّى أن يعود حتى يتدارك ما فعل، الكثير من الصحابة أو من غيرهم كان عندما يحلّ بهم الموت يقول: «ليتني كنت كذا ولم أفعل كذا»، أما أمير المؤمنين فيعبّر بهذا التعبير ((فزت وربّ الكعبة))، لاشكّ أنّ الإنسان يحتاج دائماً أن يكون مع الله تعالى ومن الفائزين، ومن سبل تحقّق القرب الى الله تعالى التوبة ، وهو أن يفد الإنسان على الله تعالى ويُشعر نفسه أنّ به حاجة الى الله تعالى.

١-شرح نهج البلاغة :١٣/ ٢٦١.
٢- م. ن: ١٣/ ٢٦١.
٣- مناقب آل أبي طالب : ١ / ٣٨٥.

في هذا المقطع الشريف من دعاء الإمام السجادعليه السلام قال: ((اللهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ فِي مَقَامِي هَذَا مِنْ كَبَائِرِ ذُنُوبِي وَصَغَائِرِهَا، وَبَوَاطِنِ سَيِّئَاتِي وَظَوَاهِرِهَا، وَسَوَالِفِ زَلَّاتِي وَحَوَادِثِهَا..))[1] هذه الثلاثية التي عقدها الإمامعليه السلام تحيط بأنواع الذنوب . قال: ((اللهم إنّي أتوب في مقامي هذا)) التعبير بالفعل المضارع يدل على التجدد والاستمرار، كما في: ((اللهُمَّ إِنِّي أَفْتَتِحُ الثَّنَاءَ بِحَمْدِكَ))[2] ، فمن أيّ شيء يتوب ؟ قد يتوب الإنسان من هذا الفعل أو يتوب من ذاك الفعل، وهناك صورة إجمالية للتوبة، وهي مهمّة ، فتارةً يستحضر الإنسان ذنباً ذنباً ثمّ يتوب منه ، وتارةً يستعجل التوبة – وهذه نكتة قد تكون أخلاقية أكثر ممّا هي فقهية- فتعدّد الذنوب قد يؤخّر التوبة آنات ؛ لذا يدعو -ما دام قصدُ التوبة موجوداً- دعاءً شاملاً يُظهر نفسه الى الله تعالى أنّه من التائبين، فيحفظ كلّيات الذنوب والخطايا ويعلم أنّ هذه الذنوب بعضها كبائر وبعضها صغائر بناءً على هذا التقسيم، وإن كان بعضهم لا يقسّم الذنوب الى كبائر وصغائر بل يجعل الذنوب كلّها كبيرة بلحاظ مَنْ نعصي، نحن لا نعصي أحداً عاديّاً ، وإنّما -والعياذ بالله- نعصي الله تعالى، فالتمرّد أو العصيان لله كبير بنفسه سواءً كان صغيرا بالمقدار أو كبيرا.

الإمامعليه السلام يثبّت هذه الحقيقة يقول: هناك صغائر، وهذه الصغائر بلحاظ غيرها لا بلحاظ أصل المعصية، فالزنا -والعياذ بالله- أو قتل النفس المحترمة من الكبائر ، وبعض الذنوب الأخرى بالقياس معها قد تكون صغائر، ويقول بعضهم إنّ الكبائر ما توعد الله عليها بالنار في القرآن الكريم، فهذه كبيرة وغيرها تكون من الصغائر، بالنتيجة الصغيرة هتكٌ لحريم المولى سبحانه وتعالى أيضاً.

الإمام السجادعليه السلام يقول إنّي أتوب في مقامي هذا من كبائر هذه الذنوب ومن الصغائر، يعني أيّ ذنب كبير أنا تائب منه ، وأيّ ذنب صغير أنا تائب منه، وهذا على نحو الحالة الإجمالية للانسلاخ من الذنوب وإظهار التوبة، كأنّ الإنسان يحبّ أن يكون من التائبين فهو مشغولٌ عن تعداد الذنوب، فلا يقول أتوب من كذا ومن كذا ومن

١- الصحيفة السجادية : ١٤٢.
٢-مصباح المتهجد وسلاح المتعبد:٢/ ٥٧٧.

كذا، وقد تكون هذه نكتة في هذا الإجمال، أو الإنسان عندما استعدّ وأراد أن يُظهر لله تبارك وتعالى حالة الندم هذه أظهرها أيضاً بهذه الصورة الإجمالية، فليست المشكلة نوع الذنب هنا، بل المهمّ أنّ الإنسان قلع وابتعد وتاب عن هذه الكبيرة أو الصغيرة ، نعم.. قد يحتاج الإنسان أن يعدّد في مورد الاحتياج الى التعداد.

ثم بعد ذلك من أيّ شيءٍ يتوب الإنسان ؟ قال: ((وبواطن سيّئاتي وظواهرها)) كما ورد في الآية الشريفة: ((وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ))[1] أي اتركوا ظاهر الإثم وباطنه، كأنّ هذا المقطع من الدعاء مأخوذ من ظاهر الآية الشريفة في سورة الأنعام، وهذه من المسائل الدقيقة وهي أنّ للسيئة بواطن وظواهر، فتارةً تصدر السيئة منّي علناً وهناك جارحة ترتكب هذه السيئة -والعياذ بالله-، أي أفعال الجوارح تُظهر هذه السيئة الى العلن، وتارةً هناك سيّئات باطنة، ما معنى السيئة الباطنة؟ بعض الأفعال هي بنفسها تكون حراماً وإن لم تظهر من قبيل الحسد. الحاسد أو الحسود هو الذي يتقطّع في داخله إذا رأى نعمةً عند الآخر ويتمنّى أن تزول هذه النعمة، فباطنه يتميّز من الغيض؛ لأنّ فلاناً منعَّمٌ. أو حالة الكبر في داخل الإنسان يرى نفسه أفضل من غيره، نعم.. قد لا يتصرّف ظاهراً وفق هذا المعتقد لكنّه بهذا المقدار تُعدّ هذه سيّئة، أوّلاً النعمة هي من الله تبارك وتعالى كما رزق الله فلاناً من الممكن أن يرزقك وأنت عندما ترى النعمة عند الآخرين لابُدّ أن يكون هذا سبباً الى أن تلجأ الى مسبّب الأسباب ليرزقك، لا أن تحاول البحث عما يزيل النعمة، قد يغبط الإنسان الناس على النعمة ،ومعنى ذلك يتمنّى أن يكون مثلهم ،وهذا مطلب حسن، وتارةً الإنسان يحسد ويتمنّى أن تزول النعمة من فلان ، وفرق كبير بين الغبطة والحسد ، الحالة الأولى حالة نموّ ورقيّ وحالة لجوء الى مسبّب الأسباب، وحالة الحسد حالة هدم واعتراض على الله تعالى، وقد تصل الى حالة القتل في بعض الأحيان ليتخلّص من هذا المنعَّم، وهذا من الابتلاءات أن الإنسان لقلّة اعتقاده وقلّة إيمانه وقلّة تدبّره لشؤون نفسه يلجأ الى الانشغال بما عند الناس ويتحوّل هذا الانشغال -لا سمح الله- الى آثام وآثام، والإنسان واقعاً له شغلٌ في نفسه يغنيه

١- الأنعام: ١٢٠.

ويبعده عن شغله في الناس ، لكن الإنسان يُبتلى ولا يلتفت، فهذه ذنوب باطنة . وهناك الذنوب الظاهرة التي يرتكبها الإنسان -والعياذ بالله- وهي كثيرة نسأل الله تعالى السلامة منها في الدين والدنيا. الإمام عليه السلام إذن في مقام التائب ((اللهمّ إنّي أتوب في مقامي هذا...)) من أيّ شيء ؟ من الصغائر والكبائر معاً ، ومن البواطن والظواهر أيضاً ، ثمّ قال: ((وسوالف زلّاتي وحوادثها)) الإنسان الذي يمشي على الطريق الصحيح ثم تزلّ به القدم فينحرف ويقع ويسقط يُعبّر عن هذه بالزلّة، والزلّة قد تكون زلّة قدم ،أو زلّة لسان ،أو زلّة منهج وسلوك، يتعرّض لزلّة اللسان الإنسان بلا قصد، أي أراد أن يقول لسانه زيداً فقال عمر، يقول هذه زلّة لسان أنا لم أقصد عمراً إنّما قصدت زيداً لكنّها زلّة لسان فيتدارك، وتارةً المقصود بالزلة -كما هي هنا في الدعاء - زلّة منهج، والتعبير عنها بأنّها زلّة يدلّ على أنها خلاف الوضع الطبيعي، الوضع الطبيعي مع الله تعالى أن أكون على الصراط، وأن أكون عابداً وشاكراً وصابراً ومجنّباً نفسي السيّئات فإذا ارتكبت واحدة من ذلك أو ارتكبت خلاف ذلك فهذه زلّة، شبيهة في الجملة بمسألة الإقالة ، ولا بأس من بيان هذا فهو مطلب فقهيّ قد يكون أغلب الناس غافلاً عنه في التعاملات، معنى الإقالة أني إذا اشتريتُ كتاباً ثمّ لم يُعجبني، شرعاً ليس لي خيار -إذا قلنا الخيارات سقطت- نفرض أنّه لا يوجد خيار عندي البيع لازم ، وأنا أملك الكتاب والبائع يملك المال لكنّي لسببٍ من الأسباب شعرت أنّ هذا الكتاب لا ينفعني فأحاول أن أرجعه للبائع هذه يُعبّر عنها «إقالة»، أقول له: أقلْني كأنّي أخطأتُ في شراء الكتاب يعني أرجع لي الكتاب، أيضاً ورد في بعض النصوص ((مَنْ أَقَالَ نَادِماً فِي بَيْعٍ أَقَالَهُ اللهُ نَفْسَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[1]، تارةً لا.. أنا أخطئ في حقّك فأعبّر عن الاعتذار بقولي: أقلني أي اقبل منّي هذا الاعتذار، فأقول للبائع: اقبل منّي هذا الكتاب أرجعه ،فيقبل ويقول: نعم.. أنت لا تستحقّ أن أرجع لك الكتاب لكن مع ذلك أنا أُرجعه لك، هذا يعبّر عنه إقالة، الزلّة شبيهة بالعثرة كما يصف الناعي (عَثَرَ الدهرُ ويرجو أن يُقالا..) من قصيدةٍ لأحد الشعراء بحقّ أبي عبد الله الحسين عليه السلام ، يعبّر فيها أنّ الدهر قد عثر وهو

١-ميزان الحكمة : ١ / ٣٢٦.

يرجو أن يُقال أو أن نقبل عذره، (..تَربت كفُّك من راجِ محالا) الى آخرها[١]، معنى الزلّة هنا أنّي قد عثرت وقد أخطأت ، اللهمّ اقبلْ توبتي عنَ هذه الزلّة وعن هذا الخطأ، لاحظوا تعابير الأئمّة الأطهار(عليهم السلام) في الدعاء فيها نكتة وأدب؛ إذ عبر عن التوبة بالإقالة، قال: (وسوالف زلّاتي..) أي ما مضى من هذه الزلّات (وحوادثها) أي هذه التي فعلتها وارتكبتها اللهم إنّي أتوب اليك منها، فأصبحت هذه الجهة الثلاثية في التوبة: صغائر الذنوب والكبائر، البواطن والظواهر، وسوالف الزلّات والحوادث، هذه التوبة كيف يريدها الإمام(عليه السلام) لاحظوا إخواني قال: ((تَوْبَةَ مَنْ لَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِمَعْصِيَةٍ، وَلَا يُضْمِرُ -لا ينوي- أَنْ يَعُودَ فِي خَطِيئَةٍ))[٢] حتى تتحقّق التوبة الحقيقية، عندما يريد الإنسان في بعض الحالات أن يتوب يتردّد، فيقول: ربّما أفعل هذا الفعل بعد شهر فأنا لا أتوب، لاحظوا وساوس الشيطان -إخواني- يقول: أنا لا أتوب؛ لأنّي أعلم بنفسي أنّني لا أقوى على الصبر عن هذا الفعل وقد أرتكبه بعد شهر، هذا التصوّر يمنعه من التوبة وهو تصوّرٌ خاطئ، لماذا؟ لأنّ الإنسان الذي يتوب عليه أن ينوي فعلاً أن يقلع عن الفعل، فإذا -لا سمح الله- وقع في الفعل أيضاً عليه أن يتوب مرّةً أخرى، مثالُه حياتيّاً أنّ الإنسان يلبس هذا الثوب هو يريده ثوباً جديداً نظيفاً لكنّه بعد يومين أو ثلاثة سيتّسخ، فإذا أراد أن يغسله هل يُعقل أن يمنعه أحدٌ عن غسله؛ لأنّه إذا غسلته ولبسته سيتّسخ ثانيةً؟ هل تُقبل هذه النصيحة من شخصٍ يقول: لماذا تغسل الثوب فإنّه سيتسخ بعد يومين أيضاً؟ قطعاً لا.. التوبةُ غسلٌ -مرّ بنا في فقرةٍ سابقة- غسلٌ من دنس الخطايا، إنّ الإنسان يتوب دائماً ويجدّد توبته، نعم، حتى تكون توبةً حقيقيّةً يُضمر الإنسان فيها أن لا يعود في داخله، فإذا عاد لشهوة أو لغفلة أو لستر الله تعالى المرخى كما في دعاء أبي حمزة الثمالي ((...وغرّني سترك المرخى عليّ)) عليه أن يتوب أيضاً ، ولا يكون هذا مانعاً من التوبة، بعض الناس عندما يأتي شهر رمضان ، يقول: إنّني في شهر رمضان لا ينفعني الصيام؛ لأنّي أعلم بعد رمضان أرجع -والعياذ بالله- للموبقات ، وهذه مشكلة وذنبٌ آخر، لعلّ الله تعالى يوفّقك في هذا الشهر الى طاعات، لعلّ الله تعالى

١-ديوان السيد حيدر الحلي : ١ / ٤١.
٢-الصحيفة السجادية : ١٤٢.

يجعلك في هذا الشهر تدرك خسّة ما تفعل ودناسة ما تفعل فتأتيك حالةٌ من الصحوة، إذا الإنسان أقبل الى الله تعالى لابُدّ أن يُقبل الله عليه، ورد في الرواية ((إنّ الله أشدّ فرحاً بتوبة عبده المؤمن من المؤمن))[1]، لماذا يُغلق الإنسان على نفسه أبواباً قد فتحها الله له؟، إخواني، تسويلات الشيطان مرعبة فهو يُبعدنا عن الله تبارك وتعالى، الشيطان لا ينصح إطلاقاً، حتى عندما كان مع آدم ((وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ))[2] أي قسم بالله تعالى كذبا فهو ليس من الناصحين، الإنسان عندما يُقبل على الله تعالى في أثناء التوبة ويتوفّاه الله يكون قد ذهب الى الله تعالى وهو تائب عن كلّ ذنب، التوبة من الصفات المحمودة، فلابُدّ أن يجدّد الإنسان توبته مع الله تعالى دائماً، نسأل الله سبحانه وتعالى أن نكون من التائبين وأن يتوب الله تعالى علينا، ونسأله تعالى أن نتوب توبةً نصوحاً لا يكون بعدها ذنبٌ ولا نُضمر أيّ عودة له، بمحمد وآله الطاهرين أخذ الله تعالى بأيدينا وأيديكم لما فيه خير الدنيا وخير الآخرة، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيّبين الطاهرين.

١- الوسائل :١١/ ٣٥٨.
٢- الأعراف: ٢١.

١٨ رمضان ١٤٣٧ هـ
الموافق ٢٤ حزيران ٢٠١٦ م

نصّ الخطبة الثانية

إخوتي أخواتي، نبقى مع الإمام زين العابدين(عليه السلام) ومقاطع أخرى من رسالته رسالة الحقوق؛ لأنّنا في هذا الشهر المبارك وغيره نحتاج الى معرفة ما للآخرين من حقوق علينا ، وما لأعضائنا وجوارحنا من حقوق علينا أيضاً ، فإنّ الله تعالى خلقنا بجوارح وأدوات وجعلنا في محيط نحتكّ فيه بالآخرين؛ لذلك لابُدّ من وجود شرعة ومنهاج لهذا، فقد تكون عندي صحيفة أو قناة فضائية، وقد يكون عندي لسان فلابُدّ أن أعرف كيف أربّي نفسي، وأستخدم هذه الأمور في مواقعها اللائقة بها. نلفت النظر إلى أنّ هناك اختلافاً في نسخ الصحيفة ، فقد يرى أحدٌ أنّ هذه الحقوق في غير نسخة مكتوبة بطريقة أخرى ، وهذا يعود الى أنّ هناك تعدّد نسخٍ في ذلك، لذا نقرأ بعض المقاطع في بعض النسخ المعتمدة ، ونجمل الكلام فيها قال(عليه السلام) :

((وَحَقُّ اللِّسَانِ إِكْرَامُهُ عَنِ الْخَنَا[١] وَتَعْوِيدُهُ الْخَيْرَ وَتَرْكُ الْفُضُولِ الَّتِي لَا فَائِدَةَ لَهَا وَالْبِرُّ بِالنَّاسِ وَحُسْنُ الْقَوْلِ فِيهِم))[٢]، يقول(عليه السلام) هذا اللّسان له حقّ عليك فأكرمه ونزّهه عن الخنا والفحش والسباب والشتيمة، ((وَتَعْوِيدُهُ الْخَيْر)) أي عوّد هذا اللّسان على فعل الخير وعلى كلام الخير، ((وَتَرْكُ الْفُضُولِ الَّتِي لَا فَائِدَةَ لَهَا)) الفضول: هو الشيء

١- الْخَنَا: الفُحْشُ في القول، ويجوز أن يكون من أَخْنَى عليه الدَّهْرُ إذا مالَ عليه وأَهلك، ينظر: لسان العرب:١٤/ ٢٤٤.

٢- من لا يحضره الفقيه:٢/ ٦١٩، وسائل الشيعة: ١٥/ ١٧٢.

الزائد لا فائدة لها، ((وَالْبِرُّ بِالنَّاسِ وَحُسْنُ الْقَوْلِ فِيهِم)) هذا مقطعٌ صغير، وأنا سأشرحه شرحا سريعاً -إن شاء الله-، هذا حقّ اللّسان عندي سواءً أكنت سياسيّاً أو كنت اجتماعيّاً أو كنت اقتصاديّاً، حقّ اللّسان أن تفعل به هكذا ((وَالْبِرُّ بِالنَّاسِ وَحُسْنُ الْقَوْلِ فِيهِم)) لا يوجد عندك مبرّر أن تخالف ذلك ؛ لأنّك في موقع قويّ فتحاول أن تنكّل بالناس، هذا اللّسان الجارحة سيُتعبك في الدنيا ويطيل وقوفك في الآخرة ؛ لذا حاول أن تصون هذا الل ّسان.

((وَحَقُّ السَّمعِ: تَنزيهُهُ عَن سَماعِ الغيبَةِ، وسَماعِ ما لا يَحِلُّ سَماعُه))[1]، الله تعالى أعطاك هذه الجارحة أيضاً لها حقٌّ عندك، ولا يوجد مبرّر إن كنت في موقع معيّن أن تفتّش عن أفعال الآخرين وتحاول أن تسترق السمع بدعوى أنّ الموقع يستلزم ذلك، هذا كلام غير صحيح.

((وَحَقُّ الْبَصَرِ أَنْ تَغُضَّهُ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ وَتَعْتَبِرَ بِالنَّظَر به))[2]، بيّن الإمام عليه السلام جهتين: أن تغضّه وتمنعه عمّا لا يحلّ ، وأن تعتبر بالنظر به، أنا أرى شخصاً كان في موقع معيّن ثمّ سرعان ما تبدّلت الأحوال ودارت الدوائر، وصار هذا الشخص يبحث عن مأوى لا يجده، هذا قد أراه بعيني فلابُدّ أن أعتبر، فإذا جاءتني فرصة بأن يتهيّأ لي ظرف كظرفه لابُدّ أن اتعظ بذلك؛ لأنّ الذي ينسى ذلك غير معتبر، أو أذهب الى مجالس الفاتحة لابُدّ أن أنظر الى أنّ مصيري سيكون هكذا أيضاً ، لأنّ الموت حقّ فاعتبر وانظر نظرة المعتبر.

((وَحَقُّ يَدِكَ أَنْ لَا تَبْسُطَهَا إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَك))[3]، قطعاً هناك حدود، لا تبسط ولا تجعل يدك تصل الى ما لا يحلّ لك.

١- من لا يحضره الفقيه:٢/ ٦١٩.
٢- م. ن: ٢/ ٦١٩.
٣- م. ن: ٢/ ٦١٩.

((وَحَقُّ رِجْلَيْكَ أَنْ لَا تَمْشِيَ بِهِمَا إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَكَ فَبِهِمَا تَقِفُ عَلَى الصِّرَاطِ))[١] ، في الحقيقة هذا التعبير مرعب، فهاتان الرجلان تقف بهما على الصراط، وقد تأتي لحظة -والعياذ بالله- يقول فيها الإنسان يا ليتهما قُطِعَتا ولم أسعَ بهما الى وشاية أو موبقة، قال: ((فَانْظُرْ أَنْ لَا تَزِلَّا بِكَ فَتَرَدَّى فِي النَّارِ))[٢]، هذه القدم التي ستقف بها لابُدّ أن تكون قدماً ثابتة.

((وَحَقُّ بَطْنِكَ أَنْ لَا تَجْعَلَهُ وِعَاءً لِلْحَرَامِ وَلَا تَزِيدَ عَلَى الشِّبَعِ))[٣] الإنسان الذي يأخذ أموال الآخرين بغير حقّ حتى تمتلئ بطنُه، سيكون ذلك وبالا عليه ،فهذا الوعاء الذي جمع في سبيله من هنا وهناك سيكون نتناً ، الإمام عليه السلام يقول لا تجعله وعاءً للحرام ، ((وَلَا تَزِيدَ عَلَى الشِّبَعِ)) حتّى في الحلال، عوّد نفسك أن لا تكون شرهاً.

((حَقُّ مَالِكَ)) الأموال هي الشيء الذي يتموّل منه الناس سواءً كان نقداً أو غير ذلك، ((فَأَنْ لَا تَأْخُذَهُ إِلَّا مِنْ حِلِّهِ وَلَا تُنْفِقَهُ إِلَّا فِي وَجْهِهِ))[٤]، هناك مشكلة ، بعض الناس يشكون أنّ عندهم مستحقّات مالية مثلاً عند الدولة، فيذهب صاحب الحقّ يريد استحقاقه، لكنّ بعض المتنفّذين يجبره ويقول: أنا أُعطيك المال لكن آخذ عشرين بالمائة مثلاً أو عشرة بالمائة، يستغلّ حاجة صاحب الحقّ ويأخذ المال منه بلا حق، هذا بالنتيجة وبالٌ عليه، هذا الشخص الذي يأخذ المال الحرام لا يدرك أنه في زهو الصحّة الآن والفتوّة والقوّة والموقع ولا يعرف ماذا يجني، واقعاً ((يأكلون في بطونهم ناراً)) التعبير ليس مجازيّاً ، سرعان ما تنقلب عليه الأشياء ويبحث عن الشخص الذي أخذ منه فلا يجده، فسينفقونها ثم تكون حسرةً، قال: ((وَلَا تُنْفِقَهُ إِلَّا فِي وَجْهِهِ وَلَا تُؤْثِرَ عَلَى نَفْسِكَ مَنْ لَا يَحْمَدُكَ فَاعْمَلْ بِهِ بِطَاعَةِ رَبِّكَ وَلَا تَبْخَلْ بِهِ فَتَبُوءَ بِالْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ مَعَ التَّبِعَةِ))[٥]، أي ترجع بالحسرة والندامة، أين فائدة المال الحلال؟ فائدته في الإنفاق لا في الاكتناز، الإنسان إذا أنفق ماله

١- من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٦١٩.
٢- م. ن: ٢/ ٦١٩.
٣- م. ن:٢/ ٦١٩.
٤- م. ن: ٢/ ٦٢٤.
٥- م. ن: ٢/ ٦٢٤.

بانت الفائدة، أمّا إذا اكتنزه فسيعيش عيشة الفقراء ويُحاسب محاسبة الأغنياء، للإنسان فرصة أن يُنفق هذا المال، وهنا أُحبّ أن أسجّل شكري وامتناني لجميع الإخوة أصحاب الأموال الذين بذلوا أموالهم ويبذلون دفاعاً عن البلد، في الواقع هذه أيدي تُقبّل، لعلّ بعض الناس عنده ظرف فلا يستطيع أن يقاتل، لكن الله تعالى منحه رزقاً وهو يحاول يجاهد بأمواله وينفق فذلك مصداق قوله‌عليه‌السلام : ((وَلَا تُنْفِقَهُ إِلَّا فِي وَجْهِهِ)) فأن يجهّز الإنسان غازياً من أفضل وجوه الإنفاق الآن، فيكون بذلك متطوّعاً مقاتلاً بأمواله، والحمدُ لله تعالى هناك الكثير من الإخوة أعطوا هذه الأموال وكانت نعم العطيّة، ومدّوا الإخوة المقاتلين بمَدَدٍ جيّد ساعدهم على الصمود والوقوف بوجه الأعداء، فهنيئاً لهم لأنّ الله يعوّض هذه الأموال أموالاً مضاعفة إن شاء الله تعالى، وشهد بعضهم بذلك قال: بحمد الله تعالى المالُ كثير وينمو ما دُمنا ننفقه في طاعة الله تعالى.

((وَلَا تَبْخَلْ بِهِ فَتَبُوءَ بِالْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ مَعَ التَّبِعَةِ)) لاحظ الحالة المغايرة، إنسان متموّل حريص بخيل على المال أوشك أن يموت، فيقف عنده الورثة وهو يعلم أنّ الورثة لا يعتبرونه أصلاً ، وإنّما وقوفهم عنده استعجال لمنيّته واستعجال لتقسيم الحصص فيما بينهم، فيتمنّى في هذه اللحظة أنّه أنفق هذه الأموال حتى تكون له، لاحظوا العبارة ((فَتَبُوءَ بِالْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ مَعَ التَّبِعَةِ)) هذه مشكلة، وهناك أثمانٌ إخواني هي حسرة وندامة، لعلّ بعض الإخوة يعلمون أنّ الإنسان عندما يندم على فعلٍ ماضٍ يتمنّى لو أنّ فعل عكسه لكنّه لم يفعل، يندم فتبقى هذه الحالة النفسية تؤلمه دائماً يقول إنّي نادم على هذا الفعل، لكن المسألة هنا لا تنتهي بالحسرة والندامة بل هناك التَّبِعَة، ما تَبِعَةُ هذه القضية؟ هو يتحمّل تَبِعة شديدة، الإنسان إذا سنّ سنّةً سيئةً كان عليه وزرها ووزر من عمل بها.

((وَحَقُّ أَهْلِ مِلَّتِكَ)) [1]، أي أصحابك وأهل ديانتك، ((إِضْمَارُ السَّلَامَةِ لَهُمْ وَالرَّحْمَةِ بِهِمْ)) أي أن تُضمر في داخلك -لاحظوا التعبير ليس إظهارا بل إضمار- المحبّة لهم، يعني أنوي لهم المحبّة، الإمام‌عليه‌السلام يُريد أن يربّينا لأنّنا ننخدع بالظاهر، لابُدّ أن

١-من لا يحضره الفقيه:٢/ ٦٢٥.

تكون متربّياً على إضمار هذا الفعل ولابُدّ أن يكون الباطن كالظاهر، ((وَالرِّفْقُ بِمُسِيئِهِمْ وَتَأَلُّفُهُم)) أي اجعل بينك وبينهم ألفة ((وَاسْتِصْلَاحُهُم)) أي لابدّ أن تستصلح حالهم وتجعل الألفة فيما بينهم، ((وَشُكْرُ مُحْسِنِهِمْ وَكَفُّ الْأَذَى عَنْهُم)).

لاحظوا إخواني، في الحقيقة إذا كنت تعيش مع جارٍ حسن يكفّ الأذى ويحاول أن يلتفت إليك، والله يكون بيتك من أفضل البيوت حتى وإن كان صغيراً ضيّقاً، لأنّك تلتذّ بالمعيشة مع أناسٍ من أهل ملّتك يحترمون الجار، وقد تكون القضية بالعكس أي قد يكون بيتُك من البيوت الفارهة الواسعة لكن عندك جار سوء يُحاول أن يجعل هذه الدار عليك جحيماً ولا يفعل إلّا الأذى لك، يرمي النفايات في باب دارك، يصرخ بصوتٍ عالٍ، يهتك كلّ شيء فهذا يجعلك تفرّ من الدار تخلّصاً من جار السوء، الإمام عليه السلام يبيّن لنا الحقوق، وهذه ليست مسائل كمالية بل هي لكلّ من يسمع، صاحب السياسة يسمع ورجل الأعمال يسمع والاجتماعي يسمع والمثقّف يسمع والمفكّر يسمع، وهذه ليست أموراً كمالية، ولا يُعفى منها أحد وتكون على أحد بل هذه أمورٌ ضروريّة، إذا أراد الإنسان أن يعيش في جوّ فعليه أن يعرف حقوقه وحقوق الآخرين.

((وَتُحِبُّ لَهُمْ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَتَكْرَهُ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِك))[1] لاحظوا هذه كلّها أشياء وجدانية، الأئمّة(عليهم السلام) في مقام إرشادهم لنا ليس في مقام الظاهر فقط، أي أن تحدث عندنا واقعيّة في ذلك، وهو أنّي أحبّ لك ما أحبّ لنفسي، يعني أحبّ الهدوء لنفسي فأحبّه لك، أو أحبّ الراحة لنفسي فأحبّها لك ،أو أكره الضوضاء فأكرهها لك، الإنسان في بعض الحالات وجدانيّاته تكون حَكَماً عليه وعلى غيره، هذه الأشياء أنا أحبّها فلابُدّ أن أحبّها للآخرين أيضاً.

ختام ذلك قال: ((وَأَنْ يَكُونَ شُيُوخُهُمْ بِمَنْزِلَةِ أَبِيكَ وَشُبَّانُهُمْ بِمَنْزِلَةِ إِخْوَتِكَ وَعَجَائِزُهُمْ بِمَنْزِلَةِ أُمِّكَ وَالصِّغَارُ بِمَنْزِلَةِ أَوْلَادِك))[2]، في الحقيقة هذه المنزلة تجعل الإنسان

١- من لا يحضره الفقيه:٢/ ٦٢٥.
٢- م. ن: ٢/ ٦٢٥.

متوازناً، فإنّ الناس طبقات وأنا عندما أعاشر رجلاً كبيراً في مقام الأب، أتعامل معه كما أتعامل مع أبي، أو كان صغيراً بمقام ابني أحرص عليه كما أحرص على ابني ، أو نظيراً لي أعامله معاملة الأخ، والنساء العجائز بمقام الأمّ أتعامل معها، كما يبرّ الإنسان والدته، أو أخته أو ابنته.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يُعيننا الله تعالى على أنفسنا كما أعان الصالحين على أنفسهم، فنحن ضعاف أمام الله تعالى ،ولا نملك لنفسنا ضرّاً ولا نفعاً، وأن يسمع الإخوة الذين عندهم نحوٌ من الأمور التي يُمكن أن يرحموا فيها الناس أن يلتفتوا اليهم، فإنّ الأمور ليست كلّها بالمال –إخواني- الإنسان لا يسع الناس بأمواله ولكن بالكلمة الطيبة والأخلاق ،وهذه النيّات السليمة التي يربّينا عليها الأئمّة الأطهار(عليهم السلام)، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا وإيّاكم لما بقي من هذا الشهر الشريف وأن يتجاوز عنّا فيما مضى، وفي هذا الشهر الشريف بقيت مناسبات عظيمة ومهمّة لعلّ أهمّها هي ليالي القدر، وفي بعض الروايات تبدأ هذه اللّيلة، رجاءً من الإخوة جميعاً الذين يسمعون هناك حقوق أيضاً -كما قرأنا- (حقّ الإخوّة) أن لا ينسونا من خالص دعائهم خصوصاً في الليلة الكريمة ليلة الثالث والعشرين، إن استطاع الإنسان أن يُحييها بالبرّ والعمل الصالح فليفعل وأن يُشرك جميع الإخوة بالدعاء خصوصاً الذين هم في ساحات القتال، هؤلاء الأعزّة هؤلاء الإخوة هم أعزّ وأشرف قدراً، وهم يحتاجون منّا كلّ دعاءٍ ويستحقّون منّا كلّ ثناء، ونحن قطعاً نحبّ لأنفسنا أن نكون في ليلة القدر من الذين يتقرّبون الى الله تعالى فلابُدّ أن نحبّ لهم وهم أولى بذلك، فالذي يتمكّن منهم أن يفعل فبها ونعمت ، والذي لم يتمكّن فليطمئنّ أنّ عنده إخوة أعزّاء سوف لا ينسونه في ليالي القدر عندما يتوفّقون للعمل، وهذا رجاءٌ إخواني لنتواصى فيما بيننا ونتراحم فيما بيننا؛ عسى الله تعالى أن يكشف هذه الغمّة عن هذه الأمّة، ويرينا في بلدنا وجميع البلدان الأمن والأمان والاستقرار، وأن يكفّ شرور الأعادي عنّا وعن غيرنا، سائلين الله تعالى سلامة الدين والدنيا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمد وعلى آله الطيّبين الطاهرين.